



مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَبَنَّا



مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

العدد السابع عشر

(1442هـ/2020م)



مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

مجلة مجمع اللغة العربية - ليبيا

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية - بنغازي

(552 / 2008)

العدد السابع عشر

(1442هـ / 2020م)



مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

لَبَّيْنَا

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

العدد السابع عشر

(1442هـ / 2020م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿...رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ...﴾

(سورة البقرة - من الآية 126)

مجلة مجمع اللغة العربية - ليبيا

رئيس التحرير: أ. د. عبد الحميد عبد الله الهرامة

نائب رئيس المجمع

مدير التحرير: أ. عمار محمد جحيدر

أمين عام المجمع

هيئة التحرير

أ. د. عمر خليفة بن إدريس

أ. د. محمد منصف القماطي

أ. د. نجيب المحجوب الحصادي

أغراض المجلة:

- مجلة المجمع، مجلة دورية محكمة تعنى بنشر دراسات في اللغة العربية وآدابها، والتعريب وترجمة ألفاظ الحضارة ومصطلحاتها، وتحقيق المخطوطات والأبحاث المتعلقة بها.

قواعد النشر بالمجلة:

- ألا تكون البحوث مستلة من أطروحة جامعية، وألا تكون منشورة من قبل.
- تنشر المجلة البحوث التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم.
- يفضل ألا يقل البحث عن عشر صفحات وألا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة.
- ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات علمية وفنية.
- البحوث التي لا تُنشر لا ترد إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع بحثه، سيرته الذاتية العلمية وعنوانه.
- تُدرج الحواشي بأرقام مستقلة في كل صفحة على حدة.
- من الضروري أن يعتني الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ
- ترسل البحوث إلى المجلة على العنوان التالي:

العنوان البريدي: شارع البلدية - ص. ب: 551 بريد ميدان الجزائر - طرابلس - ليبيا

مهتف وناسوخ (فاكس): 00218-21-4440126

البريد الإلكتروني: Lugha_arabiya@yahoo.com

المحتوى

تقديم.....9

لغويات

1 - د. عبد العالم محمد القريدي 15
الاقتراض اللغوي والانفتاح على الآخر.

2 - أ. د. محمد منصف القماطي 41
أدب الكاتب لابن قتيبة (213 - 273 هـ) وأثره في الرقي بثقافتنا اللغوية.

3 - أ. د. زيد خليل القرالة 61
الوقاية الصوتية في ظاهرة النسب: دراسة في التحولات المقطعية.

4 - د. أحمد محمد جاد الله 95
منظومة في أوجه همزة (إن): للعلامة محمد الصالح بن حامد الحضيري الفزاني (ت 1101 هـ 1690 م).

5 - د. خليفة أبوبكر الأسود 133
إسهام المترجم في التخطيط المصطلحي: دراسة في ترجمة المصطلح وتطوير معاجم الاختصاص.

6 - أ. ابتسام صالح علي 167
مدى تداول الاصطلاح العلمي في مستوى لغة القراءة والكتابة ومستوى لغة المثقفين.

7 - أ. مفتاح بريّك الغرياني 197
من أخطاء المجمعين: (قاصر، شَيِّق، وريث، ملفت).

8 - د. محمد عمر بن حسين 217
الدكتور محمد منصف القماطي (1950-2020) وتجربته في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ليبيا.

أدبيات

1 - أ. د. هنية علي الكاديكي 255
متفاعِلن ومفاعِلتن تفعيلتان ليستا أصيلتين: دراسة في علم العروض العربي.

2- د. مبروكة محمد علي مدي.....283
جدلية الحياة والموت في قصيدة (رقدة الموت ضجعة) للشاعر بي العلاء المعري.

3- أ. د. عمر خليفة بن إدريس.....303
تماهي الموروث والمكتسب في شعر عبد المولى البغدادي.

أعلام وتاريخ ثقافي

1- عمار محمد جحيدر.....341
سالنامات ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني (1286-1312هـ / 1869-1894م).

2- أ. د. عبد الله محمد الزيات (ترجمة وتقديم).....417
حوار مع المستعرب الأسباني الكبير أ. د. بيدرو مارتينيث مونتابث



تقديم

إيماناً بجدوى الكلمة الجادة في بناء الحضارة وتعزيز الثقافة ، تمثّل المجلّات الرّصينة فضاءً رحباً لحوار الأفكار وتلاقحها، وديواناً لربط الماضي بالحاضر، واستشراف المستقبل الزاهر، بفعل حركة الفكر وأثره في تطوير المعارف وتنمية العلوم، ولا تقلّ العلوم الإنسانية في هذه الحركة الحضارية عن العلوم التّطبيقية ، بل إنّها المهاد النّظري والمحفّز القويّ للبحث الماديّ التّطبيقي.

وقد حرص مجمع اللغة العربية الليبي منذ تأسيسه على أن يتكوّن مجلسه العلميّ من صفوة الباحثين في كلّ مجالات الفكر، ومنها: الفلسفة، واللغات، والأدب، والقانون، والدين، والتاريخ، والجغرافيا، واخثار، والعلوم السّياسية، والعلوم البحتة، والعلوم التّطبيقية، وأغلب هؤلاء كانوا من ليبيا بلد المقر، لكن منهم علماء من عدة بلدان عربية أخرى يحملون تخصصات مختلفة.

فالأساس في تكوين هذا المجلس أن يكون المعين فيه محباً للغة العربية، كاتباً متميزاً بها في أيّ مجال من مجالات العلوم والمعارف المختلفة، بحيث تشكّل إضافته للمجمع انفتاحاً على ميدان معرفي وعلميّ له موضوعاته ومصطلحاته وأفكاره التي تُغني اللغة العربية، وتسهم في نشر مصطلحاتها ومعارفها. وبذلك لم يقتصر الانتماء لهذا المجلس على المختصين في اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، حتى لا يكون قسماً آخر للغة العربية، يضاف إلى عشرات الأقسام في هذا المجال القيم، ولكنه المحدود في مجالات المعرفة .

وقد توسّع المجلس خارج نطاق أعضائه المحدودين إلى الخبراء المختصين في اللغة العربية، فجعلهم سنداً مهماً للمسيرة الجمعية في تخصصها العربي الأصيل، وأغلب هؤلاء الخبراء من صفوة الأساتذة الجامعيين في مجال اللغة العربية وآدابها، فلا غنى عنهم

في توجيه المجمع برصيدهم المعرفي وحضورهم التخصصي، ولهم في مقابل هذا الواجب تقديرٌ وتمييزٌ يضعهم في مقام المستشارين من جهة، ويحقق آمالهم في نشر أعمالهم العلمية وتقدير جهودهم الجمعية من جهة أخرى. وإلى جانب هذه الفئة العزيزة الخبرة علماء آخرون متميزون من ذوي الطاقات العالية التي تسمح لهم بالعمل الدقيق في لجان المجمع : وهي لجنة السلامة اللغوية ، ولجنة التخطيط اللغوي، ولجنة الترجمة والنقل، ولجنة المقررات والمناهج الدراسية، ولجنة التراث العربي الإسلامي.

وبرغم التضيق الذي يعانيه المجمع في ميزانيته المتواضعة لم تتوقف منشوراته أو أنشطته المحلية، ولكن أثر ذلك التضيق انعكس على أعضاء المجلس العلمي للمجمع وأعضاء مجلسه التنفيذي، فلم تصرف مكافآتهم على مدى خمس سنوات مضت، ولم تتم الصيانة الضرورية للمجمع منذ تأسيسه، وقد أثر التضيق المالي على التثام الاجتماعات السنوية التي يحضرها أعضاؤه غير الليبيين منذ أكثر من خمس سنوات، وهو ما يدعو إلى التحذير من تقصير المجمع في أنشطته الكبرى.

ومع ذلك لم تتوقف مجلة المجمع العلمية المحكمة عن الصدور، وهي تعبر الآن عامها السابِع عشر، محافظةً على طابعها التخصصي وتقاليدها الجامعية المتمثلة في عنايتها بنشر الدراسات في اللغة العربية وآدابها ، والتعريب وترجمة الحضارة ومصطلحاتها، وتحقيق المخطوطات والأبحاث المتعلقة بها، مراعية قواعد النشر المعتادة في المجالات اللغوية المحكمة. وهي بذلك تستجيب لدواعي إنشائها وتحاول تلبية الطلب على الموضوعات التي تخصصت في دراستها .

ويتميز هذا العددُ بتناول موضوعاتٍ تراثيةٍ وأخرى حديثة، محاولاً تقديم الجديد والمفيد من نخبة مختارة من أساتذة الجامعات المختصين في اللغة العربية وآدابها وفي التاريخ الثقافي، وإلى جانب الاقتراض اللغوي والانفتاح على الآخر، نجد دراسةً في أدب الكاتب، وإسهام المترجم في التخطيط المصطلحي ، والوقاية الصوتية في ظاهرة

النسب، كما نجد بحوثاً عروضية وأخرى أدبية أو تاريخية، وحواراً مع مستعرب إسباني ، وغيرها من الموضوعات المفيدة والماتعة. والمجلة تتيح الفرصة للرأي ونقده ، فالمقالات المنشورة فيها تعبر عن رأي أصحابها، ولكل مَنْ له رأيٌ مخالفٌ أن يردّ عليها، مراعيًا آدابَ الاختلاف وأصول البحث والمناظرة.

مرحباً بالقراء الكرام ، ومرحباً بإسهامات السادة الكُتّاب في مجلّتهم التي تفتح ذراعَيْها لأعمالهم الجادة وجهودهم المقدرة.

والله ولي التوفيق والسداد

أسرة التحرير

لغويات

الاقتراض اللغوي والانفتاح على الآخر

د. عبد العالم محمد القردي

(كلية الآداب - جامعة الزاوية)

مدخل موجز

لم تكن العربية يوماً عاجزة عن تلبية حاجاتها من الألفاظ تعبيراً عما يستجد فيها من مفاهيم علمية أو أدبية، والمتتبع لتاريخها الطويل يجد ذلك واضحاً جلياً؛ وذلك لما تمتلئ به من وسائل متنوعة في وضع الألفاظ، كالاشتقاق والمجاز والتحت والإصاق والتركيب والترجمة والافتراض إلى غير ذلك من وسائل التنمية اللفظية لديها، ويُعد الافتراض أو التعريب رافداً مهماً نافعاً وضاراً في آن واحد؛ إذ إن فتح الباب له على مصرعيه في غير حاجة يحول اللغة إلى مستودع للألفاظ الأجنبية.

(1)

الافتراض والترجمة

يُعد الافتراض مع قرينته الترجمة الطريقتين الأساسيتين للتعريب؛ ذلك أن أوجز تعريف له، هو «أخذ اللفظ الأجنبي وإخضاعه لصيغ الكلمات العربية (تليفزيون: تلفاز)، أو إدخاله كما هو دون تغيير (فيديو، إلكترون)»⁽¹⁾، وهو يختلف عن الترجمة التي تُعبر عن المعنى المطلوب بالألفاظ العربية⁽²⁾، وبعبارة أخرى فإن الافتراض هو نقل الكلمات بصورها كما هي⁽³⁾.

(1) اللسان العربي (الهوية، الأزمة، المخرج)، عبد الوارث مبروك سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة مصر: د. ت، ص 171

(2) يُنظر: السابق، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، دار غريب، ط 12، القاهرة: د. ت، ص 167

(2)

الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُعَرَّبِ وَالْدَّخِيلِ

وَيُسَمَّى اللفظُ المقترَضُ أعجمياً، إذ لم يُفَرِّقِ القدماءُ - كما فَرَّقَ المحدثونَ - بين نوعين منه، حيثُ فَصَّلُوا فأطلقوا الدَّخِيلَ على اللفظِ الذي بَقِيَ على حالِهِ دونَ تغييرٍ، كالأكسجين والتلفون، والمُعَرَّبَ على اللفظِ الذي غُيِّرَ بالزيادة أو النقص أو القلب، مثل: الإبريز (الذهب الخالص)، والإبريسم (أحسن الحرير)⁽¹⁾، ولَعَلَّ سببَ تفريقهم يعودُ إلى نظرتهُم إلى اللفظِ من حيثُ بناؤُهُ الصَّرْفِيُّ وتألُّفُهُ الصَّوْتِيُّ؛ مُلاءَمةً لألفاظِ العربيةِ وَفَقَ هذا المبدَأُ، في حينِ لم يَعْتَنِ القدماءُ بهذا التفريقِ؛ ذلك أَنَّهُم اعتمدوا مِقيارَ الزَّمَنِ في الاحتجاجِ، فكلُّ ما اقترضتهُ العربيةُ بعدَ زمنِ الاحتجاجِ يُعدُّ دَخِيلاً في نظرهم⁽²⁾.

(3)

أَشْكَالُ الاسْمِ الْمُعَرَّبِ

والاسْمُ الأعجميُّ ثلاثةُ أقسامٍ، يقولُ صاحبُ الارتشافِ: «والأسماءُ الأعجميَّةُ على ثلاثة أقسامٍ: قسمٌ غَيَّرْتُهُ العربُ وألحقتهُ بكلامها، فَحُكِّمُ أبنيتِهِ في اعتبارِ الأصلِ والزائدِ، والوزنُ حُكْمُ أبنيةِ الأسماءِ العربيَّةِ الوضعِ، نحو: دِرْهَمٌ وَبَهْرَجٌ، وقسمٌ غَيَّرْتُهُ ولم تُدَلِّحْهُ بأبنيةِ كلامها، ولا يُعْتَبَرُ فيه ما يُعْتَبَرُ في القسمِ الذي قبله، نحو: أَجْرٌ، وإِبْرَيْسَمٌ، وقسمٌ تركوه على حالِهِ غيرَ مُعَيَّرٍ، فما لم يُدَلِّحْهُ بأبنيةِ كلامها لم يُعَدَّ منها، وما أُلْحِقَ عَدَّ منها، مثالُ الأوَّلِ: خُرَّاسَانُ، لا يَثْبُتُ بهُ فُعْلَانٌ، ومثالُ الثاني: حُرْمٌ: أُلْحِقَ بِسُلْمٍ، وَكُرْكُمٌ: أُلْحِقَ بِقُمُومٍ»⁽³⁾.

(1) يُنظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إخراج: إبراهيم أنيس وآخرين، دار الفكر، د. م، د. ت 2-16/1.

(2) يُنظر: التعريب والتنمية اللغوية، ممدوح خسارة، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق: 1994م، ص 159.

(3) ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي: محمد بن يوسف (ت 745 هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة 1418هـ / 1998م 1/146.

(4)

الاقتراض لغةً واصطلاحاً

أما عن دلالة الجذر (ق ر ض) في المعجمات العربية، ففي الصّحاح: «قَرَضْتُ الشَّيْءَ أَقْرِضُهُ بالكسرِ قَرْضاً: قَطَعْتُهُ... والقَرْضُ: ما تُعْطِيهِ مِنَ الْمَالِ لِتُقْضَاهُ... وَاسْتَقْرَضْتُ مِنْ فُلَانٍ، أَيُّ: طَلَبْتُ مِنْهُ الْقَرْضَ، فَأَقْرَضَنِي، وَأَقْتَرَضْتُ مِنْهُ، أَيُّ: أَخَذْتُ مِنْهُ الْقَرْضَ»⁽¹⁾، وفي القاموس المحيط: «قَرَضَهُ يَقْرِضُهُ: قَطَعَهُ... والقَرْضُ، وَيُكْسَرُ: ما سَلَفَتْ مِنْ إِسَاءَةٍ أَوْ إِحْسَانٍ، وَمَا تُعْطِيهِ لِتُقْضَاهُ... وَأَقْرَضَهُ: أَعْطَاهُ قَرْضاً، وَقَطَعَ لَهُ قِطْعَةً يُجَازَى عَلَيْهَا»⁽²⁾، وفي اللسان: «الْقَرْضُ: الْقَطْعُ، قَرَضَهُ يَقْرِضُهُ بالكسرِ قَرْضاً، وَقَرَضَهُ: قَطَعَهُ»⁽³⁾، ومن المجاز: «قَرَضْتُ الْقَوْمَ: جَزَّيْتُهُمْ... وَلَهُ قَرِيضٌ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ الشَّعْرَ كَلَامٌ ذُو تَقَاطِيعٍ»⁽⁴⁾، وفي المعجم الوسيط: «اقتَرَضَ مِنْ فُلَانٍ: أَخَذَ مِنْهُ الْقَرْضَ»⁽⁵⁾، وهي دلالاتٌ تتفقُ مع دلالة مُصطلح الاقتراض، فاقتراض الكلمة هو استلافها من لغةٍ أخرى، وهو في الوقت نفسه اقتطاعها من تلك اللغة، وهي مناسبةٌ وشبهٌ انبثق عنه المعنى الاصطلاحي.

(5)

الدلالة الصرفية لصيغة (افتعل)

أما عن دلالة الصيغة الصرفية للجذر (ق ر ض)، وهي (الافتعال) وهو مصدرٌ لِفَعْلٍ خُمَاسِيٍّ مَزِيدٍ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ، فَإِنَّ مِنْ دَلَالَتِهِ مَا يَتَّفِقُ مَعَ دَلَالَةِ هَذَا الْمِصْطَلَحِ اللَّغَوِيِّ، وَمِنْ تِلْكَ الدَّلَالَاتِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا الصَّرْفِيُّونَ:

(1) للجوهري: أبي نصر إسماعيل بن حماد (ت 398هـ)، تحقيق محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة 2009م، ص 931.

(2) للفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، تحقيق محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت 2010م، ص 699-700.

(3) لابن منظور: جمال الدين بن مكرم (ت 711هـ)، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، د. ن. د. م. د. ت 8/ 481.

(4) أساس البلاغة، للزمخشري: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ)، دار الفكر، بيروت 2000م، ص 502.

(5) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة 2/ 722.

الدَّلالةُ على الاختيارِ، نحو: انْتَقَى، وَاصْطَفَى، وَاجْتَبَى، وَاخْتَارَ، وَاَنْتَجَبَ، وَاَنْتَجَبَ⁽¹⁾.
الدَّلالةُ على التَّصَرُّفِ باجتهادٍ ومبالغةٍ وتَعَمُّلٍ، نحو: اِكْتَسَبَ، وَاكْتَتَبَ، وَاَجْتَهَدَ،
وَاَعْتَمَلَ⁽²⁾.

الدَّلالةُ على الخِطْفَةِ، نحو: انتزعَ، واستَلَبَ، وأقْتَلَعَ، بمعنى: الأخذ في سرعة⁽³⁾.
وهي دَلالاتٌ لا تتعارضُ مع ما تَقْتَضِيهِ عَمَلِيَّةُ اقْتِرَاضِ الكَلِمَاتِ في كُلِّ لُغَةٍ، فَلَا
غَنَى عَنِ الاختيارِ المناسبِ للفظِ التي تَتَّفِقُ مَعَ اللُّغَةِ مِنْ حَيْثُ تَأَلَّفَ أَصْوَاتُهَا وَتَوَافَقَ
أَبْنِيَّتُهَا، بما في ذلك السرعةُ التي تَقْتَضِيهَا حَاجَةُ مُسْتَعْمِلِي اللُّغَةِ إِلَى ذلك اللفظِ، وهو أَمْرٌ
يَحْتَاجُ قِطْعاً إِلَى اجْتِهَادٍ وَتَعَمُّلٍ مِنْ جَانِبِ الْعَامِلِينَ فِي هذا المَجَالِ.

(6)

أَسْبَابُ الاقْتِرَاضِ اللُّغَوِيِّ فِي الْعَرَبِيَّةِ

وَلَعَلَّ أَهَمَّ أَسْبَابِ الاقْتِرَاضِ فِي الْعَرَبِيَّةِ هُوَ اتِّصَالُهُم بِالْأُمَمِ الْآخَرَى⁽⁴⁾، وَاتِّصَالُ
الْعَرَبِ بِغَيْرِهِمْ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ، بَلْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى وَجُودِهِ، قَالَ تَعَالَى ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ
﴿١﴾ إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ﴿قريش 1، 2﴾، وَقَالَ تَعَالَى ﴿أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا
ءَامِنًا يُجَبِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [الْقَصَص 57]،
فَرِحْلَةُ الشِّتَاءِ إِلَى الشَّامِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِالرُّومِ وَحَضَارَتِهَا، وَرِحْلَةُ الصَّيْفِ الْيَمِينِيَّةِ الَّتِي تَرْتَبِطُ
بِالْحَبَشَةِ، خَيْرُ دَلِيلَيْنِ عَلَى هَذَا الْاِتِّصَالِ، وَهُوَ اِتِّصَالٌ تَجَارِيٌّ، فَضلاً عَلَى مَجَاوَرَةِ جَزِيرَةِ

(1) دروس التصريف، لمحمد محيي الدين عبد الحميد (معاصر المكتبة العصرية، صيدا - بيروت 1990م، ص 77.

(2) يُنْظَر: شرح شافية ابن الحاجب، للأستراباذي: رضي الدين محمد بن الحسن (ت 686هـ) تحقيق محمد نور الحسن وزميليه، دار الفكر العربي، بيروت 1975م 1/ 110، ودروس التصريف، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، ص 77.

(3) الممتع في التصريف، لابن عصفور: أبي الحسن علي بن مؤمن الأشبيلي (ت 669هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط 3، بيروت 1978م 1/ 194.

(4) يُنْظَر: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مصطفى الشهابي، دار صادر، ط 3، بيروت 1995م، ص 19.

العرب التي نشأت في ربوعها اللغة لكثير من الأمم، كالفُرس من جهة العراق، والهند من ناحية عُمان، والأقباط من اتّجاه سيناء وغيرهم⁽¹⁾.

ومِمّا لاشكّ فيه أنّ هذا الاحتكاك كان هو السبب في دخول كثير من ألفاظ لغات تلك الأمم إلى اللغة العربية، سواءً عن حاجة أم لترفّ، فقد يدجأ المتكلّم فـ «يَعْمَدُ إلى اقتراض الكلمات التي يحتاجها من لغاتٍ أخرى»⁽²⁾، فاللغات الأجنبية تُعدّ مصدرًا رئيسًا لِسَدِّ أيّ نقصٍ أو قُصورٍ في الثروة اللغوية⁽³⁾، على خلاف بين العلماء؛ إذ مِنْهُمْ مَنْ جعله مَقْصُورًا على المصطلحات العلميّة⁽⁴⁾، أو جعله ضرورةً عند عَدَمِ التوفيق بطرق التوسّع اللغوي الأخرى، كالاتِّفاق والتوليد والقياس والنحت والمجاز والترجمة والإلصاق وغيرها، كما ذهب إليه المجمع اللغوي المصري⁽⁵⁾.

وأحياناً يكون سببُ هذا الاقتراض غير الحاجة، كأن يكون انبهاراً بالآخر، لاسيّما إذا كان الآخر غالياً، وهو ما أشار إليه ابن خلدون (ت 808هـ) في مقدمته بقوله: «في أنّ المغلوب مَوْعٌ أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيّهِ ونحليته وسائر أحواله وعوائده»⁽⁶⁾، ورُبّما كان التعبير بالفاظ لغات الأمم الغالبة من هذا الولوع⁽⁷⁾، فقد فَضَّلَ أبناء العربية اليوم استعمال (السَّيِّمَا) بدَل (الخَيْالَةِ)، و(التِّلْفِزيون) بدَل (الرَّثْو)، و(البَّكالوريا) بدَل (التَّوجِيهِيَّة)، و(الليسانس) بدَل (الإجازة)، و(الإستراتيجية) بدَل (السَّوقِيَّة)، وهكذا.

وقد يكون سببُ الاقتراض راجعاً إلى وجود مواصفاتٍ جديدةٍ لا تُوجَدُ في اللفظة

(1) يُنظر: المولّد في العربية (دراسة في نموّ اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام)، حلمي خليل، دار النهضة العربية، ط 2، بيروت 1985م، ص 110.

(2) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، ص 167.

(3) يُنظر: السابق، الصفحة نفسها.

(4) يُنظر: في فقه اللغة وقضايا العربية، سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان 1987م، ص 181.

(5) يُنظر: مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، مصر، الجزء الأول، سنة 1934م، ص 33.

(6) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ)، دار صادر، ط 2، بيروت 2009م، ص 114.

(7) يُنظر من نماذج (الولوع): معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، مكتبة لبنان، ط 2، بيروت 1980م، ص 231 رقم الكلمة (971).

العربية، وهو ما يُفسَّرُ به اقتراضُ العربِ لِكلماتٍ أعجميّةٍ، وتخصيصُ المادةِ الجديدةِ باسمِ مُعَرَّبٍ رُغْمَ وجودِ مُقابلاتٍ عربيّةٍ لها⁽¹⁾، مثل: الإبريق، والهاؤن، والميزاب، والمِسْك، والثُوت، والياسمين، واللّوينا، والسُّكّر، والبادِئجان، والترجيس، والرّصاص، والخيار⁽²⁾، والصُّندوق، والأسّاذ، والألماس، والأسطُوانة، والبرّواز، والدَّفلى، والجورب، والإقليد، والشّمعدان، والبَنك، والتلفون، والراديو⁽³⁾، للتأمُورة، والمهراس، والمنعِب، والمُشموم، والفِرصاد، والسّمسقي، والدُّجر، والمِبرّت، والأنب، والعَبر، والصّرْفان، والقنْد⁽⁴⁾، للصّوان، والمُخرَج، والسّامور، والسّارية، والإطار، والحَبين، والمِسْماة، والمِفْتاح، والمِشمعة، والمَصْرَف، والهاثِف، والمِذياع⁽⁵⁾.

وقد يكونُ الاقتراضُ لأسبابٍ أُخرى⁽⁶⁾، كسَبَبِ تَفْهيمِ أصحابِ اللّغةِ المقترَض منها؛ لأنّه لا يُعرَفُ غيرها، أو لاطّلاعِ غيرهم أنّهم يَعْرِفونَ معانيَ بعضِ الكلامِ الأعجميّ، مثل: كلمة (قالون) الرُّومية التي رُوِيَتْ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ التي تَعْنِي: أَصَبَتْ⁽⁷⁾، أو لِمَا تَمْتَلِكُهُ تلكَ الكلمةُ الأعجميّةُ مِنْ طابعِ نفسِيٍّ يجعلُها تُؤدّي المعنى أكثرَ ممّا تُؤدّيه الكلمةُ العربيّةُ⁽⁸⁾، مثل: كلمة (سُورٍ) التي تعني (طَعَامَ الصَّيَافَةِ) التي وردتْ في كلامِهِ ﷺ⁽⁹⁾، ومثلُها: لفظَةُ (كَوَاليس) الأجنبيّة وما لها مِنْ ظِلٍّ سياسيٍّ مُؤثِّرٍ لا تَمْتَلِكُهُ لفظَةُ (دَخَائِل) العربيّة، وهو مُقابلُها العَرَبِيّ.

- (1) يُنظر: التعريب والتنمية اللغوية، ممدوح خسارة، ص 160.
- (2) يُنظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 911هـ)، تحقيق محمد جاد المولى بك وزميله، المكتبة العصرية، صيدا بيروت 1987م، 1/ 283-284.
- (3) يُنظر: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها، الأب أنستاس ماري الكرملّي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: د. ت، ص 93-97.
- (4) يُنظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي 1/ 283-284.
- (5) يُنظر: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها، للكرملّي، ص 93 - 97.
- (6) يُنظر: السابق، ص 81.
- (7) تهذيب اللغة، للأزهري: أبي منصور محمد بن أحمد (ت 370هـ)، تحقيق لفييف من العلماء، سلسلة تراثنا، القاهرة: د. ت 3/ 227.
- (8) يُنظر: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها، للكرملّي، ص 81.
- (9) يُنظر: سنن البيهقي الكبرى، للبيهقي: أبي بكر أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة =

(7)

الاقتراض اللغوي وأشعار الجاهليين

والاقتراض في العربية قديم، يرجع وجوده إلى عصر ما قبل الإسلام، حيث تسربت إلى العربية كثير من ألفاظ لغات الأمم المجاورة من التي كانت لها مع أبناء العربية تواصل تجاري أو ولائ سياسي كغساسنة الشام ومناذرة العراق، فنتج عن هذا التواصل اقتراض العربية لكثير من ألفاظ تلك الأمم، ولعل الشعر الجاهلي خير دليل على استعمال ألفاظ نص علماء العربية على أعجميتها، والمتتبع لشعر المعلقات، وهي التي «أختيرت من أحسن الشعر الجاهلي، قوة ومتانة وجمال أسلوب، فهي الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت إليها تجارب الجاهلين في التعبير الأدبي»⁽¹⁾ سيجد أن في كل معلقة كلمات معربة، وهي ما كانت إلا بسبب تواصل العرب مع غيرهم، ومن تلك الألفاظ:

سَجَنْجَلٌ، وقد وردت في معلقة امرئ القيس⁽²⁾:

مُهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَضْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ

وهي في مراد الشاعر المرأة، وهي كلمة رومية⁽³⁾، ولعل سبب اقتراضها أنها كانت على شكل مُسدس الزوايا، لا مُربّعها، كالمرائي المعهودة⁽⁴⁾.

بُرْجُدٌ، وقد وردت في معلقة طرفة⁽⁵⁾:

= دار الباز، مكة المكرمة: 1414هـ / 1994م 7/ 274 برقم 14373، وفيها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: قوموا فقد صنع جابر سوراً»، - يُنظر: لسان العرب، لابن منظور (سور) 429/5.

(1) الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط 5، بيروت 1986م، ص 173.
(2) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر الأنباري: محمد بن القاسم (ت 328هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، ط 5، القاهرة 1993م، ص 58.

(3) يُنظر: السابق، الصفحة نفسها.

(4) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، ط 2، بيروت 1960م، 278.

(5) شرح القصائد التسع المشهورات، للنحاس: أبي جعفر أحمد بن محمد (ت 338هـ)، تحقيق أحمد خطاب، منشورات: وزارة الإعلام، العراق 1973م 1/ 221.

أَمُونِ كَالْوَجِ الْإِرَانِ نَسَأْتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرُ بُرْجِدٍ
وَالْبُرْجُدُ: الْكِسَاءُ الْمُخَطَّطُ⁽¹⁾، وَلَعَلَّهُ مِنَ الْمَعَرَبِ، فَفِي اللَّاتِينِيَّةِ (بَارْجُودَا) وَهُوَ
كِسَاءٌ مُرْدَانٌ بِالذَّهَبِ⁽²⁾.

دِرْهَمٌ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي مُعَلِّقَةِ زُهَيْرٍ⁽³⁾:
فَتُعْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمٍ
الدِّرْهَمُ: وَزْنٌ وَنَقْدٌ، وَهُوَ يُونَانِيٌّ⁽⁴⁾.
جُمَانَةٌ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي مُعَلِّقَةِ لَبِيدٍ⁽⁵⁾:
وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةً كَجُمَانَةِ الْبَحْرِ سَلَّ نِظَامُهَا
فَالْجُمَانَةُ: اللَّوْلُؤَةُ⁽⁶⁾، وَهِيَ فَارْسِيَّةٌ⁽⁷⁾.
أَرْجَوَانٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي مُعَلِّقَةِ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ⁽⁸⁾:
كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضْبَنَ بَارْجُودَانٍ أَوْ طُلِينَا
وَالْأَرْجَوَانُ: الصَّبْغُ الْأَحْمَرُ⁽⁹⁾، وَهِيَ فَارْسِيَّةٌ⁽¹⁰⁾.
سِرْبَالٌ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي مُعَلِّقَةِ عَنَتَرَةَ⁽¹¹⁾:

- (1) يُنْظَرُ: السَّابِقُ، الصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.
- (2) يُنْظَرُ: غَرَائِبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْأَبُ رِفَائِيلُ نَخْلَةُ الْيَسُوعِيِّ، ص 277.
- (3) شَرَحَ الْقِصَائِدِ التَّسْعَ الْمَشْهُورَاتِ، لِلنَّحَاسِ 1/ 332.
- (4) يُنْظَرُ: غَرَائِبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْأَبُ رِفَائِيلُ نَخْلَةُ الْيَسُوعِيِّ، ص 258.
- (5) شَرَحَ الْقِصَائِدِ التَّسْعَ الْمَشْهُورَاتِ، لِلنَّحَاسِ 1/ 403.
- (6) يُنْظَرُ: السَّابِقُ 1/ 403.
- (7) يُنْظَرُ: غَرَائِبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْأَبُ رِفَائِيلُ نَخْلَةُ الْيَسُوعِيِّ، ص 223.
- (8) شَرَحَ الْقِصَائِدِ السَّبْعَ الطُّوَالَ الْجَاهِلِيَّاتِ، لِأَبِي بَكْرٍ الْأَنْبَارِيِّ، ص 398.
- (9) يُنْظَرُ: السَّابِقُ، الصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.
- (10) يُنْظَرُ: غَرَائِبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْأَبُ رِفَائِيلُ نَخْلَةُ الْيَسُوعِيِّ، ص 216.
- (11) شَرَحَ الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعَ، لِلزُّوزَنِيِّ: أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ (ت... هـ)، مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ، ط 2، بَيْرُوت 1975م، ص 129.

ما زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِعُزَّةٍ وَجْهِهِ وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرُبَلَ بِالْدَمِ
وَتَسْرُبَلَ، أَيُّ: لَيْسَ السَّرْبَالُ، وَهُوَ الْقَمِيصُ وَالِدِّرْعُ⁽¹⁾، وَالسَّرْبَالُ: فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ⁽²⁾.
طَوْدٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي مُعَلِّقَةِ الْحَارِثِ بْنِ حِلَزَةَ⁽³⁾:
لَيْسَ يُنْجِي الَّذِي يُوَأِّلُ مِنَّا رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجُلَاءُ
الطَوْدُ، وَهُوَ الْجَبَلُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ⁽⁴⁾.
مِسْكٌ، زَنْبُقٌ، وَقَدْ وَرَدَا فِي مُعَلِّقَةِ الْأَعَشَى مَيْمُونٍ⁽⁵⁾:
إِذَا تَقَوْمٌ يَضُوعُ الْمِسْكُ أَصُورَةً وَالزَنْبُقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شِمْلُ
الْمِسْكُ، وَهُوَ الْمَشْمُومُ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ⁽⁶⁾، وَالزَنْبُقُ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ أَيْضاً⁽⁷⁾.
سَجْفٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي مُعَلِّقَةِ التَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي⁽⁸⁾:
خَلْتُ سَبِيلَ أَتَيْيَ كَانَ يَحْبِسُهُ وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْتَصَدَّ
وَالسَّجْفَانِ: سِتْرَانِ رَقِيقَانِ يَكُونَانِ فِي مُقَدِّمِ الْبَيْتِ⁽⁹⁾، وَهِيَ آرَامِيَّةٌ⁽¹⁰⁾.
جَوْنٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي مُعَلِّقَةِ عَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ⁽¹¹⁾:

- (1) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور 228/5.
- (2) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 233.
- (3) شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص 200.
- (4) يُنظر: هل في القرآن أعجمي (نظرة جديدة إلى موضوع قديم)، علي فهمي خشيم، مركز الحضارة العربية، ط 2، القاهرة 2010م، ص 171.
- (5) شرح القصائد التسع المشهورات، للنحاس 692/2.
- (6) يُنظر: المذهب فيما وقع في القرآن من المعرَّب، للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 911هـ)، تحقيق سمير حسين حلبي، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م، ص 121.
- (7) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 232.
- (8) شرح القصائد التسع المشهورات، للنحاس 739/2.
- (9) السابق، الصفحة نفسها.
- (10) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 186.
- (11) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، للشيخ أحمد الشنقيطي، دار الأندلس، بيروت: د.ت، ص 223.

كَأَنَّهَا مِنْ حَمِيرٍ غَابٍ جَوْنٌ بِصَفْحَتِهِ نُدُوبٌ
الجَوْنُ: لَوْ أَنَّ يَكُونُ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ⁽¹⁾، وهي فارسيَّة⁽²⁾.

(8)

الافتراض اللغوي من اللغات الأخرى

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى انْفِتَاحِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى غَيْرِهَا قَبُولُهَا لِكَثِيرٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى
لُغَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ عَبَّرَ تَارِيخُهَا الطَّوِيلَ، وَهَذِهِ نَمَازِجٌ مِمَّا اقْتَرَضَتْهُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ:

- فَمِنَ الْآرَامِيَّةِ: أَتُونُ (مَوْقِدٌ كَبِيرٌ)، وَإِسْكَافٌ (حَدَاءٌ)، وَإِشْفَى (مِثْبَرٌ)، وَأَصِيصٌ
(وِعَاءٌ)، وَأَنْبُوبٌ (أُسْطُوَانَةٌ مُجَوَّفَةٌ)، وَبَاسُورٌ (مَرَضٌ)، وَبَالُوعَةٌ (مِثْعَبٌ)، وَبَطِيخٌ
(نَوْعٌ قَرَعٌ)، وَتَلْمِيذٌ (خَرِيْجٌ)، وَتُوْتُ (فِرْصَادٌ)، وَدُمِيَّةٌ (صَنْمٌ مُزَيَّنٌ)⁽³⁾.

- وَمِنَ الْفَارْسِيَّةِ: طَشْتُ (وِعَاءُ الْعَسَلِ)، وَدِيْبَاجٌ، وَبَلُورٌ (حَجَرٌ)، وَكَعْكٌ (خَبِيْزٌ)،
وَفَالُودَجٌ (حَلْوَى)، وَنَرْجِسٌ (نَبَاتٌ)⁽⁴⁾، وَجَرَّةٌ (إِنَاءٌ خَزْفِيٌّ)، وَقَصْعَةٌ (وِعَاءٌ أَكْلِيٌّ)،
وَبَنْفَسَجٌ (نَبَاتٌ)، وَسَوْسَنٌ (نَبَاتٌ)، وَصَنْدَلٌ (شَجَرٌ)⁽⁵⁾.

- وَمِنَ الرُّومِيَّةِ: فِرْدَوْسٌ (حَائِطٌ)، وَقِنْطَارٌ (وَزْنٌ)، وَتِرْيَاقٌ (دَوَاءُ السُّمُومِ)، وَنَقْرِسٌ
(مَرَضٌ)، وَقُمْقُمٌ (جَرَّةٌ)⁽⁶⁾، وَبِطَاقَةٌ (رُقْعَةٌ مُبَيَّنَّةٌ)، وَقَبَانٌ (مِيزَانٌ)، وَقَنْطَرَةٌ
(جِسْرٌ)، وَبَطْرِيْقٌ (طَيْرٌ مَاءٍ)، وَهَيْوَلِيٌّ (مَادَّةٌ)، وَقَامُوسٌ (بَحْرٌ عَظِيمٌ)، وَقَانُونٌ (آلَةٌ
مُوسِيقِيَّةٌ)⁽⁷⁾، وَالرَّقِيمُ (اللَّوْحُ)⁽⁸⁾.

(1) السابق، الصفحة نفسها.

(2) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 224.

(3) يُنظر: السابق، ص 170.

(4) يُنظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي 1/ 275-276.

(5) يُنظر: الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، دار الشرق، ط 2، د. ت، ص 444.

(6) يُنظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي 1/ 276-282.

(7) يُنظر: الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص 445-447.

(8) يُنظر: المقرَّب في معرفة ما في القرآن من المعرَّب، لابن علان الصديقي: محمد علي بن محمد (ت 1057هـ)، =

- وَمِنْ السَّرْيَانِيَّةِ: تَأْمُورٌ (وَزِيرُ الْمَلِكِ)، وَبَرْنَسَاءُ (خَلْقٌ)⁽¹⁾، وَنَافُوسٌ (جَرَسٌ)، طُورٌ (جَبَلٌ)⁽²⁾.
- وَمِنْ التَّبَطِّيَّةِ: جُدَادٌ (خِيَوطٌ مُعَقَّدَةٌ)، وَصَيْقٌ (غُبَارٌ)⁽³⁾، وَمَقَالِيدُ (مَفَاتِيحُ)⁽⁴⁾، وَأَسْفَارٌ (كُتُبٌ)⁽⁵⁾.
- وَمِنْ الْكُرْدِيَّةِ: أَسْتَادَارٌ (مُحَصِّلٌ مَالِيٍّ)، وَسَنْجَقْدَارٌ (حَامِلُ الرَّايَةِ)، وَمَهْمَنْدَارٌ (مُضَيَّفٌ)⁽⁶⁾.
- وَمِنْ الْحَبَشِيَّةِ: هَرْجٌ (قَتْلٌ)⁽⁷⁾، وَمِشْكَاءٌ (كُوَّةٌ)، وَقَسُورَةٌ (أَسَدٌ)⁽⁸⁾، وَبَغْلٌ وَجِلْبَابٌ، وَخَيْمَةٌ، وَدُمْلُوجٌ (سَوَارٌ)، وَمِخْرَابٌ⁽⁹⁾، وَمِنْبَرٌ، وَنِفَاقٌ، وَبُرْهَانٌ (حُجَّةٌ)⁽¹⁰⁾.
- وَمِنْ الْقَبْطِيَّةِ: قُطْنٌ⁽¹¹⁾، أَثْرُجٌ (شَجَرٌ مُثْمِرٌ)⁽¹²⁾.
- وَمِنْ الصِّينِيَّةِ: شَائِيٌّ⁽¹³⁾.

= تحقيق عبد الوهاب محمد عبد العالي ومحمد سالم الدرويش، دار ومكتبة الشعب، مصراته 2009م، ص 145.

- (1) يُنظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي 282/1.
- (2) يُنظر: اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، كارم السيد غنيم، مكتبة ابن سينا، القاهرة 1990م، ص 23.
- (3) يُنظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي 283/1.
- (4) يُنظر: المقرَّب في معرفة ما في القرآن من المعرَّب، لابن علان الصديقي، ص 224.
- (5) يُنظر: اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، كارم السيد غنيم، ص 23.
- (6) يُنظر: الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص 447 - 448.
- (7) يُنظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي 283/1.
- (8) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت 1988م 1/289-288.
- (9) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 285.
- (10) يُنظر: الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص 445.
- (11) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 285.
- (12) يُنظر: اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، كارم السيد غنيم، ص 23.
- (13) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 285.

- وَمِنْ الزَنْجِيَّةِ: حَصَبٌ (حَطَبٌ)⁽¹⁾، وَمِنْسَاءٌ (عَصَا)⁽²⁾.
- وَمِنْ الْهِنْدِيَّةِ: سُنْدُسٌ (رَقِيقُ السِّتْرِ)⁽³⁾، وَفُلْفُلٌ، وَقَرْنُفُلٌ، وَكَافُورٌ (طِيبٌ)، وَشَطْرَنْجٌ (لُعْبَةٌ)⁽⁴⁾.
- وَمِنْ الْيُونَانِيَّةِ: أَسْطُرْلَابٌ، وَمَنْجَنِيْقٌ (قَذَافٌ)⁽⁵⁾، وَأُخْطُبُوْطٌ (حَيَوَانٌ بَحْرِيٌّ)، وَأَرْخَبِيلٌ (جُزُرٌ مُتْقَارِبَةٌ)، وَأُسْطُورَةٌ (خُرَافَةٌ)، وَأُسْطُولٌ (مَجْمُوعَةٌ سُفُنٍ)، وَأَظْلَسٌ (خَرِيْطَةٌ)، وَإِفْلِيمٌ، وَبُرُنْسٌ (ثَوْبٌ بِقُبْعَةٍ)، وَدِرْهَمٌ (عَمَلَةٌ وَوزنٌ)، وَسَطْلٌ⁽⁶⁾.
- وَمِنْ الْقِبْطِيَّةِ: يَمٌ (بَحْرٌ)⁽⁷⁾.
- وَمِنْ الْعِبْرَانِيَّةِ: فُومٌ (حِنْطَةٌ)، وَقُمْلٌ (دُوبَّةٌ)⁽⁸⁾، وَاجَاصٌ، وَتَابُوتٌ، وَشَاشٌ، وَقُدُومٌ، وَكَمُونٌ⁽⁹⁾.
- وَمِنْ السَّنْسَكْرِيتِيَّةِ: سَفِينَةٌ⁽¹⁰⁾.
- وَمِنْ الْبَرْبَرِيَّةِ: أَبٌ (حَشِيْشٌ)، وَمُهْلٌ (عَكْرُ الزَّيْتِ)⁽¹¹⁾.
- وَمِنْ التُّرْكِيَّةِ: بُرْغِيٌّ (مِسْمَارٌ مَقْلُوظٌ)، وَقُفْطَانٌ (رِدَاءٌ)، وَقُنْبَلَةٌ⁽¹²⁾.

(1) يُنظر: المقرَّب في معرفة ما في القرآن من المعرَّب، لابن علان الصديقي، ص 129.

(2) يُنظر: اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، كارم السيد غنيم، ص 23.

(3) يُنظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي 1/ 288.

(4) يُنظر: اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، كارم السيد غنيم، ص 23.

(5) يُنظر: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها، الأب أنستاس ماري الكرمل، ص 38، 40.

(6) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 251.

(7) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي 1/ 289.

(8) يُنظر: المذهب فيما وقع في القرآن من المعرَّب، للسيوطي، ص 102-109.

(9) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 211.

(10) يُنظر: الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص 445.

(11) يُنظر: المذهب فيما وقع في القرآن من المعرَّب، للسيوطي، ص 34-126.

(12) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 272.

- وَمِنْ اللَّاتِينِيَّةِ: بِتْرُولُ (نَفْطُ)، وَبُرْفُوقُ (فَاكَهَةٌ)، وَفُسْقِيَّةُ (مَاجِلُ)، وَفِيْتَامِينُ، وَفُرْصَانُ (لِصَّ بَحْرِ)، وَقَلْنَسُوءُ (قُبْعَةٌ)، وَكُوبُ (كُونُ)⁽¹⁾.
- وَمِنْ الْإِيطَالِيَّةِ: بَرْمِيلُ (بَتِيَّةٌ)، وَبَنَكُ (مَصْرَفُ)، وَبُورَصَةُ (مَصْفَقُ)، وَكُمْبِيَالَةُ (مُحَرَّرُ مَالِيٍّ)، وَمَالَا رِيَا (هَيْضَةٌ)⁽²⁾.
- وَمِنْ الْفَرَنْسِيَّةِ: بَرْلَمَانُ، وَتِلْفَرْيُونُ (مِرْنَاءَةٌ)، وَرَادِيُو (مِذْيَاعُ)، وَمَلْيُونُ، وَمَلْيَارُ⁽³⁾.
- وَمِنْ الْإِسْبَانِيَّةِ: بَطَاطَا، وَتَبْعُ، وَرِيَالُ (عُمْلَةٌ)⁽⁴⁾.
- وَمِنْ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ: شِيكُ (أَمْرٌ مَصْرُفِيٍّ)، وَفَلَمْ⁽⁵⁾.
- وَمِنْ الرُّوسِيَّةِ: مَارُوتُ⁽⁶⁾.
- وَمِنْ الْأَلْبَانِيَّةِ: فُسْتَانُ⁽⁷⁾.

ولا يدلُّ هذا التنوعُ الاقتراضيُّ للألفاظِ إلَّا على مبدأ التَّوَاصُلِ الذي آمَنَ بِهِ أبناءُ العربيَّةِ، فَالْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا⁽⁸⁾، وَمِمَّا يَزِيدُ الْإِعْجَابَ أَنَّهُمْ صَيَّرُوا هَذَا الْكَلِمَاتِ الدَّخِيلَةَ عَلَى صَيِّغٍ عَرَبِيَّةٍ أَوْ صَيِّغٍ تُشَابِهُهَا حَتَّى يَكَادَ الْمَرْءُ لَا يَتَفَقَّنُ أَنَّ أَلْفَاظًا، مِثْلَ: ثُرْعَةٍ، وَبُسْتَانٍ، وَبُرْجٍ، وَقُنْبَلَةٍ، وَدِينَارٍ أَلْفَاظُ أَعْجَمِيَّةٍ⁽⁹⁾، بَلْ بَلَغَ الْأَمْرُ أَنْ تُنَوِّسِيَتْ تِلْكَ الْأَلْفَاظُ الْمَعْرَبَةُ فِي لُغَاتِهَا الْأَصْلِيَّةِ، فَالْحَنْدُقُ

(1) يُنظر: السابق، ص 277.

(2) يُنظر: السابق، ص 281.

(3) يُنظر: السابق، ص 283.

(4) يُنظر: السابق، ص 284.

(5) يُنظر: السابق، ص 284.

(6) يُنظر: السابق، ص 284.

(7) يُنظر: السابق، ص 285.

(8) سنن ابن ماجة، لابن ماجة القزويني: أبي عبد الله محمد بن يزيد (ت 273هـ)، تحقيق الحافظ أبو طاهر زبير

علي زئي، دار السلام، الرياض 2009م، ص 764، برقم 4169.

(9) يُنظر: غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، ص 286.

لم يُذكر عند الفُرس ذا أصلٍ فارسيٍّ، كما أنَّ ألفاظاً أعجميةً دخلتِ العربية فلم يَسْتَرْدْهَا أصحابُها، بل استعاروا غيرها، كلفظة (الكَهْرُبَاء) التي لم يَسْتَرْدْهَا الفُرسُ مِنَ العرب؛ لأنَّهم فضَّلُوا استعمالَ لفظة (البَرْق) العربية في هذا المعنى⁽¹⁾.

(9)

الاقتراض اللُّغوي والقُرْآن الكريم

أما عَرَبِيَّةُ القُرْآنِ الكريم فقد اتَّسَعَتْ لهذه الظاهرة، واستوعبت كثيراً مِنَ الكلمات التي رآها كثيرٌ مِنْ علماء التفسير واللغة كلمات ذات أصولٍ أعجمية، ومِمَّا تَنَبَّغي الإشارة إليه أنَّ ظاهرة الاقتراض في القرآن شملت نوعين مِنَ المعرَّب، هما: الأعلام، نحو: جِبْرِيل، وإبراهيم، وهو محلُّ اتِّفاقٍ على وقوعه بين العلماء، وغير الأعلام، نحو: زنجبيل وإستبرق وتَنُورٍ وصراطٍ، وهو ما وقع الخلاف حَوْلَ وقوعه فيه، والأكثرون على عدم وقوعه؛ لقوله تعالى ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف 2]، ولقوله تعالى أيضاً ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِي وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت 44]، فضلاً عَن أدلَّةٍ أُخَرَى تَتَعَلَّقُ بِالْإِعْجَازِ⁽²⁾، وأجابوا عَمَّا وَرَدَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ تَفْسِيرٍ لِأَلْفَاظِهِ بِأَنَّهَا مِنْ لُغَاتِ الْأَعْجَمِ أَوْ أَنَّهَا مِنْ قَبِيلِ تَوَارِدِ اللُّغَاتِ⁽³⁾، أو أَنَّهُمْ عَنَّا بِنِسْبَتِهَا إِلَى لُغَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ نَسَبَتْهَا إِلَى إِحْدَى النِّسْبَتَيْنِ، دُونَمَا نَفَى النِّسْبَةِ إِلَى جِهَةٍ أُخَرَى⁽⁴⁾، أو أَنَّ تِلْكَ الْأَلْفَاظَ الَّتِي نَسَبُوهَا هِيَ الْأَفْظُ مِنْ عَرَبِيَّةٍ جَمِيرٍ وَقَحْطَانٍ تَنَاقَلَتْ إِلَى لِسَانِ قُرَيْشٍ فَاسْتَعْمَلَتْهَا⁽⁵⁾، وَذَهَبَ عِلْمَاءُ آخَرُونَ إِلَى وَقُوعِ

(1) يُنظر: اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، كارم السيد غنيم، ص 24.

(2) كدفع ما قد يقال أنَّ سبب عجز العرب عن الإتيان بمثله احتواؤه على لغات لا يعرفونها. يُنظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي 1/ 288.

(3) يُنظر: الإتيان في علوم القرآن (وبهامشه: إعجاز القرآن، للباقلاني)، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 911هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت: د. ت 1/ 136.

(4) يُنظر: قضية المعرَّب في القرآن الكريم، أحمد هاشم، مقال بمجلة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالبيضاء، العدد الأول، السنة الأولى، منشورات: جامعة بنغازي للعام (1973-1974م)، ص 261.

(5) يُنظر: السابق، ص 267.

المعرب في القرآن الكريم، يُعَدُّ يَسِيرًا؛ لذا لا يُخْرِجُهُ عَنِ الْوَصْفِ الْعَرَبِيِّ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَاتِ⁽¹⁾، وَيَذْهَبُ فَرِيقٌ ثَالِثٌ إِلَى تَقْرِيرِ الْقَوْلَيْنِ، فَالْأَلْفَاظُ الَّتِي حَكَّوْا عُجْمَتَهَا هِيَ ذَاتُ أَصُولٍ أَعْجَمِيَّةٍ لَكِنَّ اسْتِعْمَالَ الْعَرَبِ لَهَا وَاخْتِلَافَهَا بِالْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ صَيَّرَهَا عَرَبِيَّةً، وَمِنْ ثَمَّ صَحَّ الْقَوْلَانِ⁽²⁾، فَالْخِلَافُ لَفْظِيٌّ؛ إِذْ لَا تُوجَدُ الْأَلْفَاظُ قُرْآنِيَّةً خَارِجَةً عَنِ قَوَانِينِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَبْنِيَّتِهَا وَأَوْزَانِهَا⁽³⁾، وَقَدْ قَالَ ابْنُ جَنِيٍّ: «مَا قِيسَ عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ فَهُوَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ»⁽⁴⁾، وَهُوَ مَا أَكَّدَهُ الْجَوَالِيْقِيُّ تِجَاهَ هَذِهِ الْمَعْرَبَاتِ بِقَوْلِهِ: «عَجَمِيَّةُ الْأَصْلِ، وَعَرَبِيَّةُ بِاعْتِبَارِ الْحَالِ»⁽⁵⁾، وَهُوَ قَوْلٌ يُوَكِّدُ مَا لِلتَّوَاصُلِ بَيْنَ اللُّغَاتِ مِنْ سَبَبٍ قَوِيٍّ فِي اقْتِرَاضِ الْأَلْفَاظِ بَيْنَهَا.

وَالْمُتَأَمِّلُ لِعَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ يَجِدُهَا مِثَالًا مُتَمَيِّزًا، تَأَثُّرًا وَتَأْثِيرًا مَعَ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، فَقَدْ اسْتَوْعَبَتْهُ وَتَعَامَلَتْ مَعَهُ أَحْسَنَ تَعَامُلٍ، وَإِذَا مَا اسْتَنْثَنَا الْأَعْلَامَ، كـ(جَبْرِيلَ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَآزَرَ، وَجَهَنَّمَ، وَسَقَرَ، وَعَدَنَ، وَفِرْدَوْسَ، وَرُومَ، وَسِينَاءَ)، وَأَوْصَافًا تَتَعَلَّقُ بِالذِّيَانَاتِ السَّابِقَةِ، كـ(يَبْعَ، وَقَسِيْسَ، وَمَجُوسَ، وَيَهُودَ، حَوَارِيْنَ، وَرَبَانِيْنَ، وَرَبِّيْنَ، وَصَلَوَاتٍ)، فَإِنَّهَا بَلَغَتْ مَبْلَغًا يَصْعَبُ مَعَهُ رَدُّهُ إِلَى أَصْلِهِ؛ وَذَلِكَ لِمَا قَامَتْ بِهِ مِنْ تَحْوِيلِهَا إِلَى الْأَلْفَاظِ أَصُولًا وَوُزْنًَا وَاشْتِقَاقًا وَإِسْنَادًا، فَأَفْعَالٌ، مِثْلُ: (أَبْلَعِي، وَأَخْلَدَ، وَأَوِّيَ، وَلِيَتَّبِعُوا، وَرَاعِنَا، وَصُرْهُنَّ، وَيَصْهَرُ، وَدَرَسَتْ، وَغِيضَ، وَكُوِّرَتْ، وَهَدَّنَا، وَيُصْهَرُ)، وَكَذَلِكَ مُشْتَقَّاتٌ، مِثْلُ: (أَلِيمَ، وَآنَ، وَآنِيَّةَ، وَأَوَابَ، وَأَوَاهَ، وَمَسْطُورَ، وَمَنْسَأَةً، وَسَجَّيْنَ، وَمُزْجَاةَ، وَقِيَوْمَ، وَسُجْدَ، وَمُنْفَطِرَ، وَمَرْقُومَ، رَقِيمَ، وَسَفَرَةَ، وَسَيِّدَ، وَقَسِيَّةَ، وَنَاشِئَةً)، لَا يَسَعُكَ فِي حَقِّهَا

(1) يوسف 2، طه 113، الزمر 28، فصلت 3، الشورى 7، الزخرف 3.

(2) يُنْظَرُ: الْمَهْذَبُ فِيمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمَعْرَبِ، لِلْسَيُوطِيِّ، ص 31؛ وَالْبِرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، لِلزَّرْكَشِيِّ 1/290؛ وَالْمَقْرَبُ فِي مَعْرِفَةِ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمَعْرَبِ، لِابْنِ عَلَانَ الصَّدِيقِيِّ، ص 251.

(3) يُنْظَرُ: أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هَلْ كُلُّهَا عَرَبِيَّةُ الْأَصْلِ، الطَّاهِرُ خَلِيفَةُ الْقُرَاضِيِّ، مَجَلَّةُ كَلِيَّةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (طَرَابُلُسَ)، الْعَدَدُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ، (2014م)، ص 132.

(4) الْخِصَائِصُ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ النِّجَارِ، الْهَيْئَةُ الْمِصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْكِتَابِ، ط 3، الْقَاهِرَةُ 1986م، 1/358.

(5) الْمَعْرَبُ مِنَ الْكَلَامِ الْأَعْجَمِيِّ، ص 5 [نَقْلًا عَنْ كِتَابِ: الْأَسْسُ اللُّغَوِيَّةُ لِعِلْمِ الْمِصْطَلَحِ، مُحَمَّدٌ فَهْمِي حِجَازِي، مَكْتَبَةُ غَرِيبَ، الْقَاهِرَةُ: 1993م، ص 48].

إِلَّا الْحَكْمُ بِعَرَبِيَّتِهَا، أَمَّا مَا بَقِيَ مِنَ الْمَعْرَبِ، وَهِيَ أَسْمَاءُ الْأَجْنَاسِ فَإِنَّهَا رَغَمَ احْتِفَاطِهَا بِهَوِيَّتِهَا الْأَصْلِيَّةِ فَقَدْ أَلْبَسَتْهَا الْعَرَبِيَّةُ أَثْوَابَهَا الْمُتَلَائِثَةَ، مِنْ جَمْعٍ وَتَعْرِيفٍ وَنَسَبٍ وَحَرَكَاتٍ إِغْرَابٍ، لِيَتَزَادَ جَمَالًا غَيْرَ جَمَالِهَا الْأَصْلِيِّ، يَكَادُ يَفُوقُ مُقَابِلَهَا الْعَرَبِيَّ، وَهَذِهِ نَمَازُجٌ مِنْهَا فِي سِيَاقِهَا الْقُرْآنِيِّ (1):

- أَبَارِيقُ، جَمْعُ إِبْرِيْقٍ (تَأْمُورَةٍ)، وَأَكْوَابُ، جَمْعُ كُوبٍ (كُونٍ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَا كُوبُ﴾ [يَا كُوبُ] وَأَبَارِيقُ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٨٨﴾ [الواقعة 18].

- الْأَبُّ (الْحَشِيشُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًا﴾ [عَبَسَ 31].

- الْأَسْبَاطُ (الْقَبَائِلُ)، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة 136].

- الْأَرَائِكُ (الْأَسِرَّةُ)، السُّنْدُسُ (رَقِيقُ الْحَرِيرِ)، وَالْإِسْتَبْرَقُ (غَلِيظُ الْحَرِيرِ)، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يُحَوَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف 31].

- الْإِصْرُ (الْعَهْدُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قَالَ أَقْرَبْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران 81].

- الْإِلُّ (الْقَرَابَةُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَا يَرْفُقُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة 10].

- بَيْعٌ، جَمْعُ بَيْعَةٍ (كَنِيسَةِ النَّصَارَى)، وَصَلَوَاتُ، جَمْعُ صَلَاةٍ (كَنِيسَةِ الْيَهُودِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتِ صَوْمُكُمْ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتُكُمْ وَمَسَاجِدُكُمْ﴾ [الحج 40].

- التَّنُورُ (الْقُرْنُ)، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ [هود 40].

(1) يُراجع: المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب، للسيوطي؛ وكتاب: المقرب في معرفة ما في القرآن من المعرب، لابن علان الصديقي، ص 86 وما بعدها.

- الْجِبْتُ (السَّاحِرُ)، وَالطَّاغُوتُ (الكَاهِنُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء 51].
- الْحُوبُ (الْإِثْمُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء 2].
- الدَّرِي (المُضِيءُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الرُّجَاةُ كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ﴾ [النور 35].
- الدِّينَارُ (المِثْقَالُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنُ بِهِ دِينَارٌ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران 75].
- الرَّسُ (البَيْتُ)، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَبَ الرَّيْسِ وَقُرُونًا بَيِّنَتَ دَلَالِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان 38].
- الرَّمْزُ (الإِشَارَةُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ [آل عمران 41].
- الرَّهْوُ (الدَّمِثُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِفُونَ﴾ [الدخان 24].
- الرُّنَجِيلُ (نَبَاتٌ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان 17].
- السِّجِلُ (الكِتَابُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء 104].
- السِّجِيلُ (الْحِجَارَةُ)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل 4].
- السَّرَادِقُ (الْحَيْمَةُ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف 29].

- السَّرِي (النَّهْرُ)، في قوله تعالى ﴿فَدَجَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ۝﴾ [مريم 24].
- الأَسْفَارُ، جمعُ سَفَرٍ، في قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۝﴾ [الجمعة 5].
- السَّكْرُ (الخَمْرُ)، في يقوله تعالى ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۝﴾ [النحل 67].
- الصِّرَاطُ (الطريقُ)، منه في قوله تعالى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝﴾ [الفاتحة 6].
- الطُّورُ (الجَبَلُ)، منه في قوله تعالى ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ۝﴾ [مريم 52].
- الطَّوَى (الليلُ)، في قوله تعالى ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ۝﴾ [طه 12].
- الْعَسَاقُ (المنتنُ)، في قوله تعالى ﴿هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ۝﴾ [ص 57].
- الْفُومُ (القَمَحُ)، في قوله تعالى ﴿مِمَّا نُثَبِّتُ الْأَرْضَ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا ۝﴾ [البقرة 61].
- الْقَرَاتِيسُ، جمعُ قِرْطَاسٍ (الصَّحِيفَةُ)، في قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِلُوهُ قَرَاتِيسَ يُبَدِّلُونَهَا ۝﴾ [الأنعام 91].
- الْقِسْطَاسُ (العَدْلُ)، ومنه قوله تعالى ﴿وَرَبُّوْا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝﴾ [الإسراء 35].
- الْقِسْوَرَةُ (الأسدُ)، في قوله تعالى ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۝﴾ قَرَّتْ مِنْ قِسْوَرَةٍ ﴿۝﴾ [المدثر 50-51].
- الْقِنْطَارُ (وَزْنُ)، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۝﴾ [النساء 20].

- الكافور (الطيب)، في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝﴾ [الإنسان 5].
- الكنز (المفتوح)، في قوله تعالى ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ۝﴾ [الكهف 82].
- المتكأ، في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأًا ۝﴾ [يوسف 31].
- المَرْجَان (حيوان بحري)، الياقوت (حجر كريم)، ومنه قوله تعالى ﴿كَانَهُنَّ أَیَاقُوتٌ وَلَمَرْجَانٌ ۝﴾ [الرحمن 58].
- المسك (المشمو)، في قوله تعالى ﴿خِثْمُهُ مِسْكٌ ۝ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝﴾ [المطففين 26].
- المشكاة (الكوة)، في قوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ۝﴾ [النور 35].
- المَقَالِيد (المفاتيح)، ومنه قوله تعالى ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝﴾ [الزمر 63].
- المَهْل (عكر الزيت)، ومنه قوله تعالى ﴿كَأَلْمُهْلِ يَغِي فِي الْبُطُونِ ۝﴾ [الدخان 45].
- اليم (البحر)، ومنه قوله تعالى ﴿فَاعْرِفْهُمْ فِي أَلْيَمٍ ۝﴾ [الأعراف 136].

(10)

الافتراض اللغوي والمجامع اللغوية

أما المعاصرون فقد اهتموا بالافتراض اللغوي بوصفه رافداً مهماً من روافد تنمية الثروة اللفظية للغة لاسيما في المجال العلمي، فاتخذت المجامع العربية لغوية كانت أو علمية قرارات مهمة في هذا الشأن، خاصة في باب المصطلحات العلمية، فاشترط

مجمع دِمَشَقُ أَنْ تُوضَعَ الْأَلْفَاظُ الْمَعْرَبَةُ فِي أَوْزَانٍ عَرَبِيَّةٍ⁽¹⁾، وَقَصَرَ مَجْمَعُ الْقَاهِرَةِ اللِّجْوَةَ إِلَيْهِ عِنْدَ الصَّرُورَةِ الْعِلْمِيَّةِ، عَلَى أَنْ يُفْضَلَ اللَّفْظُ الْعَرَبِيُّ عَلَى الْمَعْرَبِ الْقَدِيمِ، وَيُنْطَقَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا الْعَرَبُ⁽²⁾، وَاشْتَرَطَ مَجْمَعُ بَغْدَادَ «إِحْدَاثَ بَعْضِ التَّغْيِيرِ فِي نُطْقِ الْمَصْطَلَحِ الْمَعْرَبِ وَرَسْمِهِ لِيَتَسَقَّ مَعَ النُّطْقِ الْعَرَبِيِّ»⁽³⁾، وَدَعَا مَكْتَبُ تَنْسِيقِ التَّعْرِيبِ بِالرِّبَاطِ عِنْدَ الْاِقْتِرَاضِ إِلَى مُوَافَقَةِ اللَّفْظِ الْمَعْرَبِ لِلصِّيغِ الْعَرَبِيَّةِ وَخُضُوعِهِ لِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ وَقَبُولِهِ لِلِاشْتِقَاقِ وَالنَّحْتِ وَالْإِلْحَاقِ⁽⁴⁾.

أَمَّا فِي غَيْرِ الْمَصْطَلَحِ الْعِلْمِيِّ فَقَدْ ظَلَّ التَّقَارُضُ بَيْنَ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَاتِ الْأُخْرَى خَاضِعاً لِأَذْوَاقِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَحَاجَاتِهِمْ، فَعَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ اشْتَهَرَ مَصْطَلَحُ الرُّومَانِسيَّةِ، وَالْكَلاسيكِيَّةِ فِي الْأَدَبِ، رَغْمَ صِلَاحِيَّةِ الْوِجْدَانِيَّةِ لِلأَوَّلَى، وَالِاتِّبَاعِيَّةِ لِلثَّانِيَّةِ.

(11)

نَتَائِجُ الْبَحْثِ

- 1 - يُعَدُّ الْاِقْتِرَاضُ وَسِيلَةً لَا غِنَى عَنْهَا؛ ذَلِكَ لِمَا لَهُ مِنْ أَهْمِيَّةٍ لِلُّغَةِ فِي مَوَاقِبَةِ التَّقْدُمِ وَالتَّطَوُّرِ.
- 2 - يُمَثِّلُ الْاِقْتِرَاضُ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ الْاِنْفِتَاحِ عَلَى الْآخَرِ، تَأْثِيرًا وَتَأَثُّرًا بَيْنَ اللُّغَاتِ تَبَعًا لِعِلَاقَاتِ التَّوَاصُلِ الْمُتَنَوِّعَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ.
- 3 - يُكَلِّبِي الْاِقْتِرَاضُ حَاجَةَ اللُّغَةِ السَّرِيعَةِ لِلْمَصْطَلَحِ؛ لِأَسِيْمَا فِي عَصْرِ يَتَوَالَى فِيهِ ظُهُورُ الْمَفَاهِيمِ بِسَرْعَةٍ عَجِيبَةٍ.

(1) يُنْظَرُ: دُورِ مَجَامِعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي التَّعْرِيبِ، إِبْرَاهِيمُ الْحَاجِ يَوْسُفَ، مَنَشُورَاتُ كَلِيَّةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، طَرَابُلُسَ 2002م، ص 64.

(2) يُنْظَرُ: مَجْمُوعَةُ الْقَرَارَاتِ الْعِلْمِيَّةِ (3)، مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ثَلَاثِينَ عَامًا، تَصْدِيرُ: إِبْرَاهِيمَ مَدُكُورَ، الْهَيْئَةُ الْعَامَّةُ لَشُؤْنِ الْمَطَابَعِ الْأُمِيرِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ: 1963م، ص 83-84-85.

(3) يُنْظَرُ: حَرَكَةُ التَّعْرِيبِ فِي الْعِرَاقِ، أَحْمَدُ مَطْلُوبُ، مُؤَسَّسَةُ الْخَلِيجِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، الْكُوَيْتُ: 1983م، ص 84.

(4) يُنْظَرُ: الْأَسْسُ اللَّغَوِيَّةُ لِعِلْمِ الْمَصْطَلَحِ، مُحَمَّدُ فَهْمِي حِجَازِي، ص 253.

- 4 - استفادت العربية على مَرِّ تاريخها الطويل من هذه الظاهرة، فاستوعبت كثيراً من الألفاظ الأعجمية من لغات شتى احتكت بها.
- 5 - استطاعت العربية أن تستوعب تلك المقترضات من الألفاظ فأخضعتها لقوانينها الصوتية والصرفية والنحوية، يقول الجواليقي: «اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضاً»⁽¹⁾.
- 6 - جاء استعمال العربية للمعرب في أعلى المستويات الفصيحة للغة، سواء في الشعر الفصيح، كشعر المعلقات، أو في لغة القرآن الكريم.
- 7 - عدّ المعرب رافداً مهماً للمصطلح العلمي في هذا العصر، بعد تقنينه وضبطه ووضع القواعد التي لا تجعله يخرج عن النفس العربي العام.



(1) كتاب المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور موهوب بن أحمد (ت 540هـ)، لبسيا 1897م، ص 5.

مصادر البحث ومراجعته:

- 1 - الإتقان في علوم القرآن (وبهامشه: إعجاز القرآن، للباقلاني)، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 911هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت: د. ت.
- 2 - ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي: محمد بن يوسف (ت 745 هـ)، تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة 1418هـ / 1998م.
- 3 - أساس البلاغة، للزمخشري: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ)، دار الفكر، بيروت: 2000م.
- 4 - الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، القاهرة 1993م.
- 5 - البرهان في علوم القرآن، للزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت 1988م.
- 6 - تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: أبي نصر إسماعيل بن حماد (ت 398هـ)، تحقيق محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة 2009م.
- 7 - التعريب والتنمية اللغوية، ممدوح خسارة، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق: 1994م.
- 8 - تهذيب اللغة، للأزهري: أبي منصور محمد بن أحمد (ت 370هـ)، تحقيق ليف من العلماء، سلسلة تراثنا، القاهرة: د. ت.
- 9 - حركة التعريب في العراق، أحمد مطلوب، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت 1983م.
- 10 - الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، القاهرة: 1986م.

- 11 - دروس التصريف، لمحي الدين: محمد محيي الدين عبد الحميد (معاصر) المكتبة العصرية، صيدا - بيروت: 1990م.
- 12 - دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، دار غريب، ط 12، القاهرة: د. ت.
- 13 - دور مجامع اللغة العربية في التعريب، إبراهيم الحاج يوسف، منشورات: كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس 2002م.
- 14 - سنن ابن ماجه، لابن ماجه القزويني: أبي عبد الله محمد بن يزيد (ت 273هـ)، تحقيق: الحافظ أبو طاهر زبير علي زئي، دار السلام، الرياض 2009م.
- 15 - سنن البيهقي الكبرى، للبيهقي: أبي بكر أحمد بن الحسين، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة: 1414هـ / 1994م.
- 16 - شرح القصائد التسع المشهورات، للنحاس: أبي جعفر أحمد بن محمد (ت 338هـ)، تحقيق أحمد خطاب، منشورات: وزارة الإعلام، العراق 1973م.
- 17 - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر الأنباري: محمد بن القاسم (ت 328هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، ط 5، القاهرة 1993م.
- 18 - شرح المعلقات السبع، للزوزني: أبي عبد الله الحسين (ت... هـ)، مكتبة المعارف، ط 2، بيروت 1975م.
- 19 - شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، للشيخ أحمد الشنقيطي، دار الأندلس، بيروت: د. ت.
- 20 - شرح شافية ابن الحاجب، للأستراباذي - رضي الدين محمد بن الحسن (ت 686هـ) تحقيق محمد نور الحسن وزميليه، دار الفكر العربي، بيروت 1975م.

- 21 - الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط 5، بيروت 1986م.
- 22 - غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، ط 2، بيروت 1960م.
- 23 - في فقه اللغة وقضايا العربية، سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان 1987م.
- 24 - القاموس المحيط، للفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، تحقيق محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت 2010م.
- 25 - كتاب المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور موهوب بن أحمد (ت 540هـ)، لبسيا 1897م.
- 26 - لسان العرب، لابن منظور: جمال الدين بن مكرم (ت 711هـ)، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، د. ن، د. م، د. ت.
- 27 - اللسان العربي (الهوية، الأزمة، المخرج)، عبد الوارث مبروك سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر: د. ت.
- 28 - اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، كارم السيد غنيم، مكتبة ابن سينا، القاهرة 1990م.
- 29 - مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا، العدد الثامن والعشرون، (2014م).
- 30 - مجلة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالبيضاء، العدد الأول، السنة الأولى، منشورات: جامعة بنغازي للعام (1973 - 1974م).
- 31 - مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، مصر، الجزء الأول، سنة 1934م.

- 32 - مجموعة القرارات العلمية (3)، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، تصدير إبراهيم مذكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة 1963م.
- 33 - المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 911هـ)، تحقيق محمد جاد المولى بك وزميله، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت 1987م.
- 34 - المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مصطفى الشهابي، دار صادر، ط 3، بيروت 1995م.
- 35 - معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، مكتبة لبنان، ط 2، بيروت 1980م.
- 36 - المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، إخراج إبراهيم أنيس وآخرين، دار الفكر، د. م، د. ت.
- 37 - مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ)، دار صادر، ط 2، بيروت 2009م.
- 38 - المقرَّب في معرفة ما في القرآن من المعرَّب، لابن علان الصديقي: محمد علي ابن محمد (ت 1057هـ)، تحقيق عبد الوهاب محمد عبد العالي ومحمد سالم الدرويش، دار ومكتبة الشعب، مصراتة 2009م.
- 39 - الممتع في التصريف، لابن عصفور: أبي الحسن علي بن مؤمن الأشبيلي (ت 669هـ) تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط 3، بيروت 1978م.
- 40 - المذهب فيما وقع في القرآن من المعرَّب، للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن ابن محمد (ت 911هـ)، تحقيق سمير حسين حليبي، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م.
- 41 - المولد في العربية (دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام)، حلمي خليل، دار النهضة العربية، ط 2، بيروت 1985م.

42 - نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاؤها، الأب أنستاس ماري الكرمللي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: د. ت.

43 - هل في القرآن أعجمي (نظرة جديدة إلى موضوع قديم)، علي فهمي خشيم، مركز الحضارة العربية، ط 2، القاهرة 2010م.

أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري

(213 – 273هـ)

وأثره في الرقي بثقافتنا اللغوية

أ.د. محمد منصف القماطي

(عضو المجمع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1)

مدخل

يُعَدُّ كتاب (أدب الكاتب) للعلامة الأديب اللغوي والفقهاء المحدث والمؤرخ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213 – 273هـ). خير معين للرفع من مستوى ثقافتنا اللغوية والأدبية؛ فهو أحد دواوين الأدب الأربعة التي يقول عنها العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته: «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أنّ أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهي: (أدب الكاتب) لابن قتيبة، وكتاب (الكامل) للمبرّد، وكتاب (البيان والتبيين) للجاحظ، و(النوادر) لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها، وكتب المحدثين في ذلك كثيرة»⁽¹⁾.

هكذا رتبها ابن خلدون، مقدِّماً كتاب (أدب الكاتب) مع أنّه ليس الأول ظهوراً،

(1) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق د. حامد أحمد الطاهر، ط دار الفجر للتراث، القاهرة (1425هـ / 2004م)، ص

وما صنع ذلك إلا لوضوح دلالة عنوانه، وصغر حجمه نسبياً بالنظر إلى غيره، وعدم شحنه بأحداث التاريخ والروايات الأدبية، حيث استعاض عن كثير من ذلك بالمعارف الدالة على الخبرات الواسعة باللغة العربية.

وأقدم هذه الكتب ظهوراً (البيان والتبيين) للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلي المتوفى عام 255هـ. وقد شحنه بالأساليب البلاغية، كما بين محققه وشارحه العلامة عبد السلام محمد هارون في ردّه مباحث الكتاب وقضاياه إلى عشرة ضروب⁽¹⁾. ويُعدُّ ابن قتيبة سند أهل السنة والجماعة في مواجهة الفكر الاعتزالي الذي مثله الجاحظ قبله.

يلي ذلك كتاب (الكامل) لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد المتوفى عام 286هـ، وهو أسبق مولداً من ابن قتيبة، لكنه توفي بعده بثلاث عشرة سنة.

ويتميز (الكامل) باحتفاء مؤلفه النحوي بمسائل النحو وأخبار التاريخ. وقد حققه العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة.

والآخر ظهوراً هو كتاب (النوادر) لأبي علي إسماعيل بن قاسم القالي المتوفى عام 356هـ، وهو ثلاثة أقسام: النوادر، والأمال، والذيل (شذور الأمال)، وقد قال عنه ابن حزم: «كتاب (نوادير) أبي علي مُبارٍ لكتاب (الكامل) الذي جمعه المبرّد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوًا وخبرًا، فإنَّ كتاب أبي علي أكثر لغةً وشعرًا»⁽²⁾.

والجامع بين هذه الكتب أنَّها تشكل المادة العلمية اللغوية والنحوية والصرفية والأدبية والبلاغية المعينة للمُلمِّ بها على امتلاك ناصية الكتابة والتأليف في العلوم المتنوعة التي تفتقت في العصر العباسي خدمة للقرآن والسنة؛ فقد كانت العرب لا تدون العلوم في جاهليتها، وكان ديوانها الأكبر هو الشعر تحفظه وترويه وتنقده في المحافل

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار الفكر ج 1، ص 7.

(2) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ط. دار الفكر 1400هـ/ 1980م، ج 7 ص 28-29.

الأدبية. فلا غرابة أن يسمى ابن قتيبة كتابه أدب الكاتب، وكذلك فعل أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت 335هـ) من بعده في تأليفه (أدب الكتّاب)، وأشبه صنيع بهما ما فعله ابن فارس (ت 395هـ) في تأليفه المبتكر (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها)، ومن بعده الثعالبي (ت 430هـ) في تأليفه (فقه اللغة)، مع التباين النسبي بين الكتابين. إنّ هذين المصطلحين (أدب الكاتب) و(فقه اللغة) لم يستعملا لفظياً عناوين لكتب أخرى، وإن كان مضمونهما المعرفي عرف في مصطلحات (الإنشاء) و(أسرار اللغة) و(متن اللغة)، وألف عبد الرحمن بن عيسى الهمداني (ت 320هـ) كتابه (الألفاظ الكتابية)، وألف اللغويون المعاصرون كثيراً من الكتب حملت عنوان (فقه اللغة).

وتذكر الأستاذة أنيسة العالم في بحث لها أنّ ما أسماه ابن قتيبة في (أدب الكاتب) بكتاب الأبنية هو كتاب مستقل أدخله النساخ في أدب الكاتب، خلافاً لما يقول به البطليوسي، والجواليقي شارحاً كتاب (أدب الكاتب)⁽¹⁾، ولعل الصواب أنّ كتاب الأبنية، وجوهره تصريف الأفعال - وإن بدا غزير المادة - فإنّه جزء لا يتجزأ من أدب الكاتب، وهو يعكس فهمًا دقيقاً من ابن قتيبة لدقة المسائل الصرفية للفعل وغزارتها في اللغة العربية، وحاجة الكاتب إليها، ونجد ابن مالك خصّه، خارج الألفية، بمنظومته لامية الأفعال التي شرحها ابن الناطم، واحتفى بها علماء شنقيط بالشرح والزيادات.

(2)

مؤلف الكتاب وعصره

يُعَدُّ ابن قتيبة «من أئمة الأدب، ومن المصنّفين. ولد ببغداد، وسكن الكوفة، وولي قضاء دِيَنَور مدة فنُسب إليها، وتوفي ببغداد»⁽²⁾.

(1) أنيسة العالم، «أدب الكاتب بين ابن قتيبة والصولي»، مجلة كلية اللغات جامعة طرابلس، العدد الخامس (2010-2011)، ص 104.

(2) خير الدين الزركلي الأعلام، ط. 5، دار العلم للملايين، بيروت 1980م، ج 4، ص 137.

جاء في ترجمته بالويكيبيديا أنه عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم، و(عبد المجيد) لفظ مقحم خطأ. وهو أديب، فقيه، محدّث، مؤرّخ. أخذ الحديث عن إسحاق بن راهويه الشافعي المذهب، وأخذ اللغة والنحو والقراءات عن أبي حاتم السجستاني، وأخذ الشعر والأدب عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، وغيرهم.

اتصل بوزير الخليفة العباسي المتوكل على الله (232-247هـ) أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، واشتغل بالتدريس في بغداد؛ فكان من تلاميذه ابنه القاضي أبو جعفر أحمد بن قتيبة، وأبو محمد بن جعفر بن دُرستويه، وعبيد الله بن عبد الرحمن السكري، وغيرهم.

ويذكر أستاذنا العلامة د. إبراهيم رفيده (ت 1999م). وزميله العلامة د. عبد المنعم خفاجي - رحمهما الله تعالى - في كتابهما المشترك، أنّ العصر العباسي الأول: «... يمتاز بتجمع الثقافات وظهورها في الثقافة العربية، وباتساع حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وبحرية الفكر، وبنفوذ المعتزلة وسلطانهم، وبازدهار النهضة العلمية والأدبية، وظهور الأئمة الفحول في العلوم والآداب، وتشجيع الخلفاء والأمراء والوزراء للعلم والأدب، كما يمتاز بنهضة النشر والشعر نهضة ليس لها مثيل في تاريخ لغة العرب»⁽¹⁾.

وابن قتيبة عاصر العصرين العباسي الأول (132-234هـ)، وفيه ولد في عهد المأمون (198-218هـ)، وفيه عاش طفولته، ثم عهدي المعتصم (218-227هـ)، والوائق (227-232هـ)، وفيهما عاش شببته، ثم عهود المتوكل (232-247هـ)، والمنتصر (247-248هـ)، والمستعين (248-252هـ)، والمعتز (252-255هـ)، والمهتدي (255-256هـ)، والمعتمد (256-279هـ)، وفيها زالت سطوة الاعتزال، وأتيح لعلماء السنة، وفي مقدمتهم ابن قتيبة أو القتيبي، كما ينسب أحياناً في أن يتصدروا مجالس العلم ونشره، والرد على من

(1) د. إبراهيم رفيده ود. عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصر الأموي والعصر العباس الأول، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، (1386 هـ / 1966م) ج 2، ص 4.

يخالفونهم. وقد عرف ابن قتيبة بالرد على الجاحظ المعتزلي المخالف له في الأسلوب، والاهتمامات، والمنهج.

لقد نجح ابن قتيبة في الإسهام إسهاماً واسعاً في العلوم الإسلامية، والتاريخية، واللغوية، والأدبية، بثقافته المتنوعة المشارب، مع التنظير الدقيق للأحكام العلمية في هذه العلوم.

لقد تجسّدت في شخصيته العلمية ثلاثة عوامل مهمّة بها تبوّأ هذه الريادة في التأليف الغزير المتنوع المشحون بالشواهد الأدبية واللغوية من كتاب الله، وكلام العرب، وغيرهم من الشعوب المجاورة، ولذلك كان في وسعه أن يتصدى في كتبه لمعالجة مسائل وقضايا دينية واجتماعية كمشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث، والرد على الجهمية والشعوبية، ومعالجة المسائل والقضايا الأدبية النقدية واللغوية كالشعر والشعراء، ونظرية اللفظ والمعنى. وقد نبه فحول الباحثين المعاصرين في الحقل الأدبي على علو كعبه في الأدب واللغة إلى جانب ما تحفل به الأطروحات الجامعية على الشبكة العنكبوتية⁽¹⁾.

العامل الأول: العهد العباسي الذي اقم باتساع الفتوحات الإسلامية، وانتشار الإسلام في المشارق والمغارب، ووصول السفن العربية إلى موانئ الهند والصين، وانتشار العمران والمساجد والمدارس والمستشفيات في سائر الحواضر الإسلامية، وظهور الأئمة الأعلام، وعباقة الفكر الإسلامي، والأطباء، والجغرافيين وغيرهم، وهو ما جعل الممالك غير المسلمة تخطب ود الخلفاء العباسيين الحازمين.

العامل الثاني: الوسط الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي عاش فيه ابن قتيبة، وأعني به بيئات الحواضر الإسلامية العراقية التي تمثلها بغداد والبصرة والكوفة التي

(1) ينظر: ضحى الإسلام، لأحمد أمين، ط 7، ج 1، ص 402 - 406، وانظر العصر العباسي الثاني د. شوقي ضيف، ط 2، ص 611 - 623. وانظر على الشبكة: ابن قتيبة ونقد الشعر لمحمد مريسي سعد الحارثي، وبنية القصيدة عند ابن قتيبة لأميرة عيضة حسين الحارثي.

عرفت بانتشار المجالس العلمية، ومنافسات المتناظرين، وانتشار التأليف العلمية، والتراجم المتنوعة في مختلف العلوم وعهود الخلفاء العباسيين الكبار المعتمدين، والمتوكل، والمعتمد الذين طالت مدة خلافتهم، وازدهرت الدولة في عهدهم.

العامل الثالث: الكفاءة الأدبية واللغوية لابن قتيبة المتمثلة في الموهبة الفطرية، والذوق الأدبي الرفيع، والتلقي عن العلماء، والطلب المتواصل للعلم المشعر بعلو المهمة، والطموح لأداء رسالته العلمية وخدمته لدينه ولغته في أجواء تعج بالمتنافسين في الاعتداد بما يعتقدونه ويحرصون على نشره، وقبل ذلك الإخلاص والتقوى، كما يقول ربنا - سبحانه - ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ﴾ [البقرة 281].

أقوال أهل العلم فيه:

وقد وثق أهل العلم ابن قتيبة، ونعتوه بالصدق والفضل وكثرة التصانيف؛ فقال عنه⁽¹⁾:

- 1 - ابن خلكان: «كان فاضلاً ثقة سكن بغداد وحدث بها... وتصانيفه كلها مفيدة».
- 2 - النديم: «كان صادقاً فيما كان يرويّه، عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف».
- 3 - الخطيب البغدادي: «كان ثقة دِيناً فاضلاً، وهو صاحب التصانيف المشهورة».
- 4 - الأنباري: «كان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر، متفنناً في العلوم».
- 5 - الذهبي: «صاحب التصانيف، صدوق، قليل الرواية؛ (يعني الحديث)».
- 6 - ابن كثير: «صاحب التصانيف البديعة، المفيدة، المحتوية على علوم نافعة».
- 7 - ابن حجر: حاكياً قول نفطويه «كان إذا خلا في بيته وعمل شيئاً جودّه، وما أعلمه

(1) موقع ويكيبيديا: (ابن قتيبة)، وموقع ملتقى أهل الحديث: (ابن قتيبة) بتاريخ: (1 - 3 - 2017م).

حكى شيئاً في اللغة إلا صدق فيه». وقول الحافظ السلفي: «كان من الثقات، ومن أهل السنة».

وقد قدح فيه أبوبكر البيهقي، وأبو الطيب اللغوي، وروى عن الحاكم ما يتهمه بالكذب، ولكن الحافظ الذهبي أنصفه، وقال: «هذه مجازفة قبيحة، وكلام من لم يخف الله».

وفاته:

حكى ابنه عنه، كما ذكر ابن كثير، أنه أكل لقمة هريسة كانت حارة؛ فصاح صيحة شديدة، ثم أغمى عليه، ثم أفاق عند الظهر، ولم يزل يشهد أن لا إله إلا الله إلى أن مات في السحر، رحمه الله رحمة واسعة.

والهريس - كما ورد في المعجم الوسيط -: «الحب المدقوق بالمهراس من قبل أن يطبخ، والهريسة: الهريس مطبوخاً»⁽¹⁾، والمراد بالحب المدقوق القمح، كما جاء في المعجم العربي الأساسي، وفيه: الهريسة الفلفل الأحمر مدقوقاً مع التوابل ببلدان المغرب⁽²⁾. ومن المعلوم لدينا أنّ الهريسة من أكلاتنا الليبية: بقوليات، كالعدس والحمص، تطبخ مع اللحم. ويروى في الأحاديث الموضوعة: «الهريسة تشد الظهر»، وضعه بائع لها⁽³⁾، فإن لم يكن سبب الوفاة إحدى ما تقدم، فلعله: نوع من الحلوى يصنع من الدقيق والسمن والسكر⁽⁴⁾، ولعله ما يطلق عليه اليوم (المرطبات) ويعشقه محبو السكريات، وله خطره على المصاب بداء السكري.

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد⁽⁵⁾

(1) المعجم الوسيط، مادة: (هـ ر. س.).

(2) مادة: (هـ ر. س.).

(3) الإمام عبد الرحمن السيوطي، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ط المكتبة التجارية الكبرى، ج 2، ص 236-237، بنحو لفظه.

(4) المعجم الوسيط، مادة: (هـ ر. س.).

(5) لأبي نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة (ت 405هـ)، والبيت في ديوانه. والبيت من الطويل.

(3)

أدب الكاتب

هو واحد من نحو أربعين كتاباً ورسالة عدّ منها العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد في تحقيقه لكتاب أدب الكاتب أربعة وعشرين كتاباً، وقال: «وله كتب كثيرة غير هذه، وينسب إليه كتاب (الإمامة والسياسة) الذي طبع مراراً في مصر وفي غير مصر، ولكن الأثبات من ذوي الدراية والبحث يشكون كثيراً - وحق لهم - أن يكون ابن قتيبة ناسج برده»⁽¹⁾.

وما ذكره العلامة محمد محيي عبد الحميد صحيح، فقد شك في نسبة كتاب (الإمامة والسياسة) إلى ابن قتيبة قديماً المستشرقان غنيغوس المجريطي، ودوزي في صدر كتابه (تاريخ الأندلس وآدابه)، ومن أسباب الشك في نسبته:

1 - لم ينسبه إليه إلا القاضي أبو عبد الله التوزري المعروف بابن الشباط في كتابه (صلة السمت وسمّة المرط).

2 - مؤلفه استمدّ معارفه من أناس حضروا فتح الأندلس، وذلك قبل مولد ابن قتيبة بمئة سنة، ومؤلفه يروي عن أبي ليلى الذي توفي قبل مولد ابن قتيبة بخمس وستين سنة. أسلوبه يختلف عن أسلوب ابن قتيبة، وبه أغاليط بحق هارون الرشيد لا تخفى.

3 - لم يرد فيه ذكر شيوخ ابن قتيبة، وفيه روايات عن عالمين مصريين، وابن قتيبة لم يدخل مصر، ولا دمشق، ولم يخرج من بغداد إلا إلى دینور لتولي القضاء.

وقال الشيخ مشهور حسن سلمان في كتابه (كتب حذر العلماء منها): «الإمامة والسياسة كتاب مكذوب على ابن قتيبة، وشكك ابن العربي نسبة جميع ما فيه لابن قتيبة، وممن شكك في نسبته إليه»⁽²⁾:

1 - محب الدين الخطيب في مقدمة كتابه (الميسر والقдах).

(1) ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 4، مطبعة دار السعادة بمصر، ص 9.

(2) الشبكة العنكبوتية، ملتقى أهل الحديث: ابن قتيبة، بتاريخ: (1-3-2017م).

- 2 - ثروت عكاشة في مقدمة كتاب (المعارف).
- 3 - عبد الله عسيلان في رسالة صغيرة مطبوعة بعنوان (كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي).
- 4 - عبد الحميد عويس في كتابه (بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيال الداخلي).
- 5 - سيّد إسماعيل الكاشف في كتابه (مصادر التاريخ الإسلامي).
- 6 - أحمد صقر في مقدمة تحقيقه لتأويل مشكل القرآن، وذكر باحثين آخرين نفوا نسبته لابن قتيبة.

وعوداً على بدءٍ إلى ما ورد في العنوان (الرقى بثقافتنا اللغوية)، جاء في المعجم الوسيط: «ثَقَفَ يَثْقِفُ ثَقْفًا: صار حاذقاً فطناً، فهو ثَقِفٌ... وثَقَفَ العلم والصناعة: حذقهما»⁽¹⁾، وعَرَفَ الثقافة بمعناها الاصطلاحي الذي اصطلح عليه مجمع اللغة العربية بمصر، مزيلاً التعريف بالرمز الذي يدل على إقراره المصطلح: « الثقافة: العلوم والمعارف والعلوم التي يطلب الحذق فيها (مج)»⁽²⁾.

فثقافتنا اللغوية صقل للنفس والمنطق في مجتمعنا الليبي الذي تظهر شواهد التعليم والتربية والبحث العلمي والصحافة والإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي أنها في هبوط وتراجع تحتاج إلى وسائل ودعائم كثيرة للرقى بها، في مقدمتها تيسير الثروة اللغوية التي يتضمنها كتاب (أدب الكاتب) لأبنائنا وكُتّابنا على المستويات المتعددة، بدءاً بالكتاب المدرسي، والصحيفة الحائطية، والمقالة، والخطبة، والحديث السياسي، والندوة، والحوار، والدرس، والمحاضرة، والرسالة، والاتفاق السياسي، والقرار الإداري، والتقارير العلمي، وهو ما صار يصطلح عليه هذه الأيام بالإحاطة.

(1) المعجم الوسيط مادة: (ث. ق. ف.).

(2) المصدر السابق، المادة اللغوية نفسها.

وقد كانت لي تجربة أحسبها جيدة - بحمد الله - في خدمة اللغة العربية، وثقافتنا الإسلامية بالتعليم، والتدريس الجامعي، والخطابة، والتأليف، والكتابة الصحفية، والحديث الإذاعي، والندوة، والمحاضرة، والبحث العلمي، ولعله من المناسب أن أعرض - بإذن الله - بعض مشاركاتي، ولكن بعد أن أعرض محتويات (أدب الكاتب) الذي ألفه ابن قتيبة لعلاج ظواهر لغوية بدت في المجتمع الإسلامي في القرن الثالث الذي عاش فيه المؤلف - رحمه الله تعالى - وهو ما يعرف بالعصر العباسي الأول (132 - 334هـ) من بداية الدولة العباسية إلى فتح البويهيين ببغداد، ولإمداد ناشئة الكتاب بما يصلح أقلامهم. إنَّ ما دفع المؤلف إلى تأليف كتابه (أدب الكاتب) هو الضعف اللغوي القائم في عصر المؤلف، بعد عصر الاحتجاج والاستشهاد الذي كان عامراً برواة اللغة الفصحاء. وقد قسّم المؤلف كتابه إلى أربعة كتب، وكل كتاب منها تضمّن عشرات الأبواب، ولعل مراده بالكتاب القسم، وقد تساءل د. محمد حسين آل يس في حديثه عن منهج ابن قتيبة في كتابه (الجرايم) عن السبب الذي دفع المؤلف إلى تسمية بعض فصول الكتاب بالأبواب وبعضها الآخر بالكتب... وعزاه إلى عيب فقدان الترتيب والتبويب في ذلك العصر⁽¹⁾. وما أعتقد أنه تقسيم الكتاب إلى كتب، بدلاً من الفصول إنما هو منهج المحدثين، ومنهج الفقهاء التقسيم إلى أبواب وفصول.

وقد عنون المؤلف للكتب الأربعة على النحو الآتي:

- 1 - كتاب المعرفة.
- 2 - كتاب تقويم اليد.
- 3 - كتاب تقويم اللسان.
- 4 - كتاب الأبنية.

(1) محمد حسين آل يس، الدراسات اللغوية عند العرب، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1400هـ / 1980م، ص 314.

وقدم ابن قتيبة لكتابه بمقدمة بثها شكواه من انصراف الناس عن طلب العلم؛ فيقول: «إني رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيرين، ولأهله كارهين، أمّا الناشئ منهم فراغب عن التعليم، والشادي (من حصل طرفاً منه) تارك للازدياد، والمتأدب في عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل في جملة المجدودين (المحظوظين) ويخرج عن جملة المحدودين»⁽¹⁾، وختم مقدمته بقوله - راجياً إفادة الكاتب المتحلّي بالصبر ونحوه من القيم الرفيعة ببلوغ ذرى المجد -: «هذا منتهى القول فيما نختاره للكاتب؛ فمن تكاملت له هذه الأدوات، وأمدّه الله بآداب النفس - من الحلم والصبر والتواضع للحق، وسكون الطائر، وخفض الجناح - فهذا المتناهي في الفضل، العالي في ذرى المجد، الحاوي قصب السبق، الفائز بخير الدارين، إن شاء الله تعالى»⁽²⁾.

ففي الكتاب الأول، كتاب المعرفة نجده يقدم للكاتب ثروة لغوية، مفرقاً بين معاني مفرداتها، مستشهداً لذلك، فالمادة اللغوية للكاتب من الأهمية بمكان في تفتيق أفكاره، والتعبير الدقيق عما يجول بخاطره؛ فاللغة والفكر بمنزلة وجهي العملة الواحدة، لا ينفك أحدهما عن الآخر، وما أكثر ما نسمع الناس يتعللون، إذا سئلوا في المناسبات السياسية، بأنهم لا يستطيعون التعبير عن مشاعرهم، وأنها كمشاعر أي مواطن، وهو ما يعني ضعف القدرة على التعبير.

ونجده يبيّن أخطاء الناس في فهم دلالات الألفاظ ويصححها؛ فأشفار العين هي حروف العين التي ينبت عليها الشعر، وليس الشعر الذي هو الهدب، وأوّل ذلك بتسمية العرب للشيء بما يجاوره.

ومن أخطائهم إطلاق حمة العقرب والزنبور على الشوكة التي يلسعان بها، وإنما الحمة: سهمها وضرهما. ومن ذلك (الحشمة) يعبر به عن الاستحياء. قال الأصمعي: وليس كذلك إنّما هي بمعنى الغضب، وحكى عن بعض فصحاء العرب: إنّ ذلك مما يحشم بني

(1) أدب الكاتب، ص 1.

(2) المصدر نفسه، ص 16.

فلان، أي يغضبهم. ويذكر محقق الكتاب نقلاً عن الجواليقي... وقيل للمبرد: الحشمة الغضب والحشمة الحياء. ما معنى ذلك؟ فقال: الغضب والحياء كلاهما نقصان يلحق النفس... وسمي حشم الرجل حشماً لأنهم يغضبون لغضبه⁽¹⁾. ويستطرد المؤلف فيسوق نحواً من ثلاثين كلمة في هذا الإطار.

ويعقب هذا الباب باب تأويل ما جاء مثني في مستعمل الكلام، كما في قولهم: أهلك الرجال الأحمران: الخمر واللحم. وهم يريدون بقولهم: الملوان: الليل والنهار، والجديدان. ومنه ما يثنى من باب التغليب، كقولهم: العمران: أبوبكر وعمر، رضي الله عنهما.

ويتكلم في باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام، بقولهم: له الطم والرم، والطم: البحر، والرم: الثرى. ويقولون: حيّاك الله وبيّاك. ومعنى حيّاك: ملّكك الله، والتحية: الملك، ومنه (التحيات لله) يراد الملك لله. وبيّاك الله، أي اعتمدك الله بالملك والخير. وشبيه بالا زدواج اللغوي الإتياع اللغوي، وهو: أن يُتبع اللفظ بلفظ لا معنى له، ولكن يجانسه وبوزنه، نحو: كثير بثير، ولا معنى للفظ (بثير).

وفي باب أصول أسماء الناس يصنفهم (المسمّون بأسماء النبات، وأسماء الطير، وأسماء السباع، وأسماء الهوام، وأسماء الصفات وغيرهم). فطلحة واحدة الطلح، وهو شجر عظام من العضاه (شجر له شوك، واحدته عضاهة). وعراة واحدة العراد، وهو شجر. وأسامة: الأسد، وبه سُمّي الرجل، وكثوم: الفيل. ولا ينسى لقبه، فيقول: قتيبة: تصغير قتب، وجمعه أقتاب، وهي الأمعاء. قال الأصمعي والكسائي: واحدتها قتبة. وفي باب معرفة ما في السماء والنجوم والأزمان والرياح: السماء كل ما علاك فأظلك، وهو ما صنّفه مؤلفو كتب فقه اللغة في باب الكليات، كما فعل الثعالبي، ومن ذلك: كل حاجز بين الشيئين فهو مَوبِق⁽²⁾. والبراء: آخر ليلة من الشهر سُميت بذلك لتبرؤ القمر فيها من

(1) أدب الكاتب، ص 17 - 19.

(2) الثعالبي، فقه اللغة، ط الدار العربية للكتاب، ص 1.

الشمس. والمحاق: ثلاث ليال من آخر الشهر سميت بذلك لأمّحاق القمر فيها أو الشهر... والهلّال أول ليلة والثانية والثالثة، ثم هو قمر بعد ذلك إلى آخر الشهر.

وفي باب النبات يذكر أنّ الخلا مقصوراً هو الرّطب، والحشيش هو الياّس منه. ويستطرد في ذلك، وهو ما يمثل موضوعاً من موضوعات الرسائل اللغوية التي كونت مادة المعاجم اللغوية الكبرى؛ فمن مؤلفات الأصمعي (كتاب النبات)، وهكذا يقدم أبواب عيوب الخيل، وخلقها، وألوانها. وقد كُتب في الخيل (الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل) لعلّي بن داود.

ثم يتكلم في الفروق؛ فيورد باب فروق في خلق الإنسان؛ فظاهر جلد الإنسان من رأسه وسائر جسده البشّرة، وباطنه الأدمة. والعرب تقول: (فلان مؤدّم مبشّر)، أي قد جمع لين الأدمة وخشونة البشرة. ويتكلم في فروق الأسنان، والأطفال، والأصوات، وغيرها مما يشكل مادة لغوية لأرباب الطب بفروعه وتخصصاته. وقد طور اللغويون بحث هذه المادة؛ فقارنوها بما يطلق على الحيوان والطيّر، وألفت في ذلك أكثر من عشرة كتب ورسائل لغوية تعرف بكتب الفرق، ومن ذلك كتاب الفرق لابن أبي ثابت.

ولم يفته أن يكتب في النوادر؛ فيفرق بين التقريظ وهو مدح الإنسان حياً، وتأبينه وهو مدحه ميتاً. ولم يكثر في هذا الباب؛ ولهذا أنكر د. آل يس على من عدّ ابن قتيبة ممن ألفوا في (النوادر)⁽¹⁾.

وفي كتاب تقويم اليد اعتنى برسم الكلمات العربية وفقاً للرسم القرآني والرسم القياسي اللذين لم يكونا متباعدين، وقد أورد فيه عشرات الأبواب.

ففي باب ألف الوصل في الأسماء يقول: تكتب (بسم الله) إذا افتتحت بها كتاباً أو ابتدأت بها كلاماً بغير ألف، لأنّها كثرت في هذه الحال على الألسنة، وفي كل

(1) محمد حسين آل يس، الدراسات اللغوية عند العرب، ص 121.

كتاب يكتب، وعند الفزع والجزع، وعند الخبر يرد، والطعام يؤكل، فحذفت الألف استخفافاً (تخفيفاً). فإذا توسطت كلاماً أثبت فيها ألفاً، نحو: أبدأ باسم الله، وأختم باسم الله. قال الله - عز وجل - : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾ [العلق: 1] وقال - تعالى - : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝﴾ [الواقعة 77، 99]. وهكذا كتبت في المصاحف في الحاليين مبتدأة ومتوسطة.

ثم يأخذ في بيان حكم كتابة ألف (ابن) إثباتاً وحذفاً.

وفي باب ما تغيره ألف الوصل يقول: إيت فلانا، وإيذن لي على الأمير... كل ذلك تثبت فيه الياء، فإذا وصلت ذلك بفاء أو واو أعدت ما كان من ذوات الواو إلى الواو، وما كان من ذوات الياء إلى الياء، وما كان مهموزاً إلى الألف، فكتبت: فأت فلانا... إلخ. وهو موضع يغفل عنه بعض من أسمعههم يقرءون - في وسائل الإعلام - أحاديث نبوية تبدأ بألف الوصل، فلا يحققونها، ولا يبدلون همزة القطع بعدها، كما في الحديث الصحيح البشارة بالجنة (إيذن له، ويشره بالجنة على بلوى تصيبه). وفي باب دخول ألف الاستفهام على ألف الوصل يقول: إذا دخلت ألف الاستفهام على ألف الوصل ثبتت ألف الاستفهام، وسقطت ألف الوصل في اللفظ والكتاب، كقوله - تعالى - : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [المنافقون: 6] وقوله - سبحانه - : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ [الصافات 153]، ولم يذكر ابن قتيبة علة الإبقاء على ألف الاستفهام وهي كونها جيء بها لمعنى، ولعل ذلك التزام منه بالسماع، وباب القياس الذي تعدد (علة) أحد مباحثه لم يفتح بعدد على مصراعيه. وهكذا تتوالى الأبواب: دخول ألف الاستفهام على الألف واللام، ودخولها على ألف القطع، وباب ألف الفصل وهي الألف الفارقة بين الواو الأصلية وواو الجماعة، إلى غير ذلك من أبواب وصل وفصل حروف ما، ومن، ولا، وأبواب أحكام التاريخ والعدد، والتثنية، والنسب، وما يمد ويقصر، وهي مباحث إملائية وصرفية يتم فيها إبدال بعض الحروف، وهو باب دقيق لا يفطن إليه كثير من الكتاب.

وفي هذا الإطار تنسب لابن قتيبة رسالة بعنوان: (رسالة الخط والقلم)، قال محققها د. حاتم الضامن: إنه بعد أن درسها وانتهى من تحقيقها ومقابلتها بكتاب ابن قتيبة (أدب الكاتب) وبالنصوص التي وصلته من كتاب (آلة الكتاب) لابن قتيبة نفسه تبين له أنها ليست لابن قتيبة⁽¹⁾. وفي الرسالة كلام عن: بري الأقلام، والدواة، والحبر، والليقة، وهي: الصوفة أو القطنة التي تكون في الدواة، وتجمع (ألياقاً)، والقرطاس بتثليث القاف، وفيه ثلاث لغات: الثانية والثالثة: قرطس، وقرطاس مثل: درهم ودراهم.



ومن البدهي أن للمجامع اللغوية وعلماء العربية وخبرائها محاولات مستمرة لضبط قواعد الإملاء والرسم القياسي، ومن ذلك:

- قرارات مجمع اللغة العربية بمصر.
- كتاب الإملاء، وتمرين الإملاء وهما كتابان، للشيخ: حسين والي.
- المفرد العلم في رسم القلم، للشيخ: أحمد الهاشمي.
- الترقيم وعلاماته في اللغة العربية، لأحمد زكي.
- الإملاء والترقيم، لعبد العليم إبراهيم.
- مشكلة الهمزة في اللغة العربية، د. رمضان عبد التواب.
- دراسات في الإملاء، لأستاذنا د. عبد الجواد الطيب.
- كتابة التقارير، لأستاذنا د. محمد بن الحاج. طبع عدة طبعات، وفيه اعتنى بعلامات الترقيم، والأخطاء الشائعة.
- أصول الكتابة، لزميلنا د. مصطفى الباجقني.

(1) ابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، تحقيق د. حاتم الضامن، ط (2) مؤسسة الرسالة، 1409هـ / 1989م، ص3.

وفي كتاب أو قسم تقويم اللسان، والمقصود منه مقاومة انتشار تيار اللهجات العامية، والحفاظ على فصاحة العربي التي امتاز بها في عصر الرواية؛ نجده يبدؤه بباب الحرفين اللذين يتقاربان في اللفظ والمعنى، ويلتبسان؛ فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر. ومراده بالحرفين الكلمتان، كما هو واضح، وهو استعمال شائع في علم القراءات؛ فالحرف جزء الكلمة، وإطلاق الجزء وإرادة الكل من علاقات المجاز المرسل، كما هو معلوم.

ويمثل بالجُهد بمعنى الطاقة. تقول: هذا جهدي أي طاقتي، والجهْد بمعنى المشقة. تقول: فعلت ذلك بجهْد. ومنهم أي اللغويين من يقول: هما واحد، ويحتج بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: 80]، وقرئ: ﴿جُهْدُهُمْ﴾. ويمثل أيضاً بالكُره والكُره. يقال: جئتكَ على كُره أي على مشقة، ويقال: أقامني على كُره، إذا أكرهك غيرك عليه. ومنهم من يجعلهما بمعنى واحد. وفي القرآن الكريم: ﴿أَفَقَوْا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة 53]، قرئ بالوجهين⁽¹⁾. ويمثل بكبر الرجل: إذا أسن، وكُبر الأمر: إذا عظم؛ فاكتمى بالفعلين اللازمين، وفي اللغة فعل متعد هو: كبره يكُبره كُبراً، جرياً على قاعدة ابن مالك في مصدر الفعل المتعدي:

فَعَلْ قِيَاسَ مَصْدَرِ الْمُعْدَى مِنْ ذِي ثَلَاثَةِ كَرَدٍّ رَدًّا⁽²⁾

وفي باب ما يهزم من الأفعال والأسماء والعوام تبدل الهمزة فيه أو تسقطها تقول: أكلت فلاناً إذا أكلت معه، ولا تقل واكلته. ويقال: أعجمت الكتاب، ولا يقال: عجمته. أقول: فالهمزة فيه للسلب الذي معناه هنا إزالة العجمة، وهو باب معلوم في زيادة الهمز، ومنه (قسط) بمعنى جار، و (أقسط) بمعنى أزال الجور. قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَمَّا أَفَسِيْطُوْنَ فَكَانُوْا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن 15]، وفي الحديث الصحيح: «المقسطون يوم

(1) البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، ط عالم الكتب ومكتبة الكليات الأزهرية، ج 2 ص 93.

(2) ألفية ابن مالك، باب أبنية المصادر.

القيامة على منابر من نور»، وهي الإوزة والإوز، والعامية تقول: وزّة. وهو يورد باب: ما لا يهمز، والعامية تهمزه. يقولون: رجل أعزب، وإنما هو عزب. ويقال: فلان أعسر يسر، وهو الذي يعمل بكلتا يديه، ولا يقال: أيسر. وفلان خير الناس أو شر الناس، ولا يقال: أخير ولا أشر. وفي باب ما يشدد والعوام تخففه (الْقَلَوُ: مشدد الواو ومضموم اللام)، والعامية في بلادنا تنطقه بكسر الفاء وسكون اللام وتخفيف الواو. وفي باب ما يغير من أسماء البلاد، يقول: هي البصرة مسكّنة الصاد، وكسرهما خطأ. والبصرة: الحجارة الرخوة. قال الفرزدق:

لولا ابن عتبة عمرو والرجاء له ما كانت البصرة الحمقاء لي وطناً⁽¹⁾

فإذا حذفوا الهاء أي تاء التأنيث قالوا: (البصر) فكسروا الباء، وإنما أجازوا في النسب (بصري) لذلك. ويذكر أنّ الأصمعي لا يقول بغداد، وينهى عن ذلك، ويقول: مدينة السلام؛ لأنّه يسمع في الحديث⁽²⁾؛ أي: يروى.

ولعلماء العربية جهود كبيرة في مواجهة تيار العامية في عصر ابن قتيبة، وما قبله، وهو ما أدى إلى ظهور كتب (لحن العامة) ومنها:

- ما تلحن فيه العوام للكسائي.

- لحن العوام لأبي بكر الزبيدي.

(4)

جهود لغوية معاصرة

وقد كانت الدعوة إلى العامية شرسة خلال القرنين الماضيين من طرف المستعمرين ومن سار في ركابهم، وقد واجهها علماء العربية بفضح تلك الدعوة الآثمة، وقد بينت د. نفوسة سعيد جذورها ودعاتها في دراستها (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر). وللدكتور مرزوق تنباك بحث قيم فاز بجائزة دولية عنوانه: (نظرية الفصحى

(1) ديوان الفرزدق.

(2) لم أقف عليه.

والفكر العامي)، وفيه أشاد بجهود علمائنا الأقدمين في صد تيار العامية، ووقاية اللغة العربية الفصحى من خطرهما.

وقد كانت لي مشاركات في دورات تنشيطية للمدرسين والموظفين والخطباء، منها:

- الدورة التنشيطية لمعلمي المرحلة الابتدائية بالعزيرية عام 1985م.
 - دورات المعهد الدبلوماسي لموظفي وزارة الخارجية - صحبة أستاذنا د. محمد مصطفى ابن الحاج - لكتابة الرسائل الإدارية، والاتفاقيات السياسية، خلال الثمانينيات والتسعينيات.
 - دورة للإعلاميين بالقبة السماوية بطرابلس قُبيل الألفين.
 - دورات الخطباء لإعداد الخطب الجمعية بتكليف من الهيئة العامة للأوقاف، صحبة أستاذنا د. محمد مصطفى ابن الحاج أيضاً - بُعيد الألفين.
- وكنت أوصي المدرسين بالتحدث بالفصحى، وألا يخلجوا من أخطائهم، لأن التلاميذ الصغار لا يدركون هذه الأخطاء، ولكنهم يتعودون النطق معرباً.
- وكنت ألفت نظر الموظفين إلى تجنب الخطأ في همزة الوصل بالانتباه إلى أن الألف أو اللام ألف همزتهما همزة وصل في أول الأفعال والمصادر الخماسية والسداسية، ويعرف ذلك بمجيء النون بعدهما، أو السين والتاء بعدهما، أو التاء بعد حرف آخر، مثل: انكسر انكساراً، وانحسر انحساراً، واستخرج استخراجاً، واستقبل استقبالا، واقتصد اقتصاداً، واجتمع اجتماعاً. وهمزة الاسم الأجنبي هي همزة قطع، مثل: إبراهيم، وإسمنت، وإنترنت. وأن العرب لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك، كما هو مقرر في لغتنا؛ فإذا بدأت نطق الكلمة بساكن جئت بهمزة تحققها - في النطق لا في الكتابة - مكسورة غالباً؛ وفي أداة التعريف مفتوحة؛ فإذا التقى ساكنان حركت الأول بالكسر، فإذا كان

حرف مد حذفته، مثل: استئذنانك، الاستئذان منك، «لم يكن الذين كفروا» (البينة 1)، لم ينل الظالم غرضه، «فأرسل معنا أخانا نكتل» (يوسف - عليه السلام - 63)، وأصل (نكتل) نكتال؛ فهي فعل وليست اسم أخيه، كما توهمه أحد الناس.

ومما كان ملتبساً على بعض الدبلوماسيين النسبة إلى النيجر، ونيجيريا، والعلامة الفارقة في ذلك وجود الياء بعد الجيم كما هي في الأصل: نيجيريا مواطنها نيجيري، والنيجر مواطنها نيجري. (انظر الاختبار الملحق).

وكنيت أوصي بأن تضم مكتبات المدارس، ومكاتب الإدارات كتباً نافعة في معالجة الظواهر السلبية في استعمال اللغة العربية تحدثاً وكتابة، ومنها:

- النحو الوافي، للعلامة النحوي عباس حسن، والكتاب - كما وصفه المؤلف دستور العربية الذي تشتق منه القوانين اللغوية، وقد اتبع فيه المؤلف أسلوب التبويب وترقيم المسائل التي بلغت أربعاً وثمانين ومئة مسألة، وتفتيق الأحكام النحوية، وعنونتها ليسهل الرجوع إليها بالنظر في الفهارس العامة والجزئية، وكذلك الاستشهاد لها، والاستئناس بنصوص المعاصرين، وتتبع الجزئيات بالإحالات عليها في الصفحات والفقرات، مع التوسع في الهوامش بالاستدلال بـ(ألفية ابن مالك) وشرحها، ثم إيراد ملاحق الزيادة والتفصيل بآخر كل باب.

- جامع الدروس العربية، للشيخ مصطفى الغلاييني.
- المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها، لمحمد الأنطاكي.
- النحو الوظيفي لعبد العليم إبراهيم.
- الإملاء والترقيم، له.
- في رحاب اللغة العربية، لأستاذنا د. عبد الرحمن عطبة.

وفي كتاب الأبنية تناول ابن قتيبة أبنية الأفعال والأسماء، وهي أوزانها وصيغها الكثيرة التي بها نفرق بين الحروف الأصول والزوائد، والمفردات الثلاثية وغير الثلاثية، وأنواع المشتقات، وجموع التكسير، وهي لها أحكامها الصرفية التي نتشربها بكثرة الاستعمال وبقياس بعضها على بعضها الآخر.



الوقاية الصوتية في ظاهرة النسب

دراسة في التحولات المقطعية

أ. د. زيد خليل القزالي

(جامعة آل البيت الأردن - قسم اللغة العربية)

تمهيد:

النسب ظاهرة صرفية تختصّ بها الأسماء، والنسب من الظواهر التي شغل بها علماء العربية قديماً، وحديثاً؛ لما لهذه الظاهرة من حضور في الدرس الصرفي، وارتباطها بالدلالة، وتنوع الدلالة الناتجة عنها.

والنسب نوع من الإضافة، وقد عنونه سيبويه بقوله: «هذا باب الإضافة، وهو باب النسبة»⁽¹⁾، وهنا نلاحظ أنّ عنوان سيبويه قد اشتمل على: (الإضافة، والنسبة)، فربما أدرك أنّ الإضافة قد لا تؤدي المعنى المراد؛ ولذلك أتبعها بالنسبة.

والنسب تغيّر في بناء الكلمة، وفي الدلالة المتجددة فيها؛ فبناء الكلمة تصيبه التحولات، من قلب، وحذف، وتغيّر في الحركات، وتدخله اللواحق من لواحق، وحشو، وتغيّر الدلالة فيه لما يكتسبه الاسم من معنى لإضافته إلى اسم آخر، أو صفة من دلالة جديدة تتضمن نسبته إلى قبيلة، أو بلد، وقد أشار سيبويه إلى مفهوم النسب وما يصاحبه من دلالة بقوله: «اعلم أنك إذا أضفت رجلاً إلى رجل فجعلته من آل ذلك الرجل، ألحقت ياء الإضافة فإن أضفته إلى بلد فجعلته من أهله، ألحقت ياء الإضافة؛ وكذلك إن أضفت سائر الأسماء إلى البلاد، أو إلى حيّ أو قبيلة»⁽²⁾.

(1) الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 335، وانظر: التكملة، لأبي علي الفارسي، ص 238.

(2) المرجع السابق، ج 3، ص 235.

لقد استوقفت ظاهرة النسب أكثر علماء اللغة، وبخاصة من عملوا في دراسة النحو والصرف؛ ولذلك فإن الدراسات السابقة التي عرضت لظاهرة الصرف كثيرة، ويصعب حصرها هنا، ولكن أكثر هذه الدراسات قد جاءت تصف الظاهرة، وتصف التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة فيها، ولكنها لا تمثل دراسات سابقة وفقاً للمنهجية التي تنشدها هذه الدراسة؛ فالباحث في هذه الدراسة يتجه لتعليل ظاهرة النسب تعليلاً صوتياً من منطلق بنية الكلمة، والتحويلات الصوتية المقطعية التي تطرأ على الكلمة. وما نجده من دراسات حاولت التعليل الصوتي لهذه الظاهرة فهي قليلة، ومن هذه الدراسات: ما قدمه عبد الصبور شاهين في قوله: «إن كانت الحروف قبل الألف أربعة أو خمسة حذفت الألف وكُسِر ما قبل ياء النسب، فيقال في: (حُبَارِي): حُبَارِي... وإن كان قبل الألف حرفان فقط، مثل: فتى، وعصا، بقيت الألف لتكملة البنية، ولكنها تقلب واواً فيقال: فتوي، عصوي، للمغايرة والتيسير»⁽¹⁾، وما نلاحظه في عرض (عبد الصبور شاهين) لهذه الظاهرة أنه يصف التغير مقتضياً طروحات القدماء، وهذا يغير طريقة معالجته لبعض المباحث الصرفية الأخرى.

وقد جاءت دراسات أخرى تتبنى المنهج الصوتي في تحليل ظاهرة النسب، ولكن بعضها أضفى المفاهيم الصوتية على مقولات القدماء دون أن يتخلص من مضامين تلك المقولات؛ فهذا (عبد القادر عبد الجليل) يحاول تعليل الظاهرة مقطعياً، ولكنه بقي مسكوناً بمقولات تصف دون أن تقدم تعليلاً ينسجم مع المنطق الصوتي، فهو يذهب في كتابه (علم الصرف الصوتي) لمعالجة بنية الكلمة مقطعياً مسلماً بما يراه بعض القدماء، فكلمة (عصا) - برأيه - إذا ألحقت بها لاحقة النسب الياء المشددة فإنها تسبق (أي الياء) بكسرة، وهنا يقع إشكال مقطعي بسبب تتابع صوت المد الألف، والكسرة⁽²⁾،

(1) المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين،

(2) انظر: علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص 441.

وهذا الافتراض بوجود الكسرة قبل مجيء الواو هو افتراض مغلوط؛ فالكسرة تجتلب مع مجيء واو اللين، سواء أكان صوت الواو مقلوباً عن الألف، أو إبدالاً منها.

وهذا الافتراض بمجيء الكسرة هو ما ذهب إليه كثير من القدماء والمحدثين: وقد عالج الباحث ظاهرة النسب بعجالة جاءت في خمس صفحات لا تفي بغرض الدراسة، والأهم أنها قامت على افتراضات مغلوطة، ومراحل مفترضة ربما لا تنسجم مع مقولات القدماء، ولا مع التحليل الصوتي السليم.

وهناك دراسة أخرى بعنوان: (الصرف وعلم الأصوات)، وهذه دراسة يغاير مضمونها عنوانها، والفجوة بينهما شاسعة؛ فالباحث لم يتجاوز في حديثه عن هذه الظاهرة الوصف بقوله: «إن كانت الألف الثالثة قلبت واوا.... وإن كانت رابعة في اسم ساكن الثاني صح قلبها واواً أو حذفها...»⁽¹⁾، وهذا وصف لا يتضمن أي توجيه صوتي، وبخاصة أن مادة الكتاب عامة، وظاهرة النسب بخاصة تسير - في الكتاب - على هذا النسق من الوصف.

وهناك دراسة أخرى، وهي أطروحة ماجستير بعنوان: «التحولات الصوتية في بنية الأسماء عند تصريفها»، والباحث في هذه الدراسة يقع في مزلق التبعية، والتقليد؛ فقد التقط وصف القدماء، ومفردات عبد الصبور شاهين، وسلم بما قاله (عبد القادر عبد الجليل)؛ فهو يرى أن الألف في: فتى، وعصا تتبعها كسرة ثم ياء النسب المضعفة عند النسب، وهذا يشكل مشكلة صوتية تتمثل في توالي الحركات، وبعد ذلك يقع الانزلاق بين الفتحة والكسرة المفترضة فتكون لدينا ياء اللين، ثم يقع التصحيح الصوتي فتتحول الياء واواً:

(فتى ≠ يَ ← فتَيَّ ← فتوي...)⁽²⁾

والباحث في معالجته لهذه الظاهرة وغيرها من تحولات الأسماء لم يخرج عن

(1) الصرف وعلم الأصوات، ديزيرة سقال، ص 105 - 106.

(2) انظر: التحولات الصوتية في بنية الأسماء عند تصريفها، علي سليمان الجوابرة، ص 144-145.

الوصف، أو تقليد ما قاله بعض المحدثين من تحليل صوتي قسري، وافتراضات غير منطقية؛ فالكسرة قبل ياء النسب لا تجتلب إلا بعد مجيء الصوت الذي يسبقها مثل الواو في (فتوي، وعصوى)، وهذا معلوم عند القدماء والمحدثين، ومما قاله (ابن جني): «فما يشهد لسببويه بأن الحركة حادثة بعد الحرف وجودنا إياها فاصلة بين المثليين...»⁽¹⁾.

ويشير (ابن جني) إلى أنّ الحركة بعض الحرف، ولا يمكن أن يحدث بعض الحرف مع حرف آخر، وهذا يُفسد قول من قال إن الحركة تحدث مع حرفها أو قبله»⁽²⁾.

ومع أنّ حضور الحركة أو اجتلابها لا يتحقق إلا بعد مجيء الصوت بديل الألف أو مقلوبها إلا أنّ القدماء قد تعاملوا مع الظاهرة على أنّ الكسرة هي السبب في قلب الألف، وقد تبعهم المحدثون، وهذا ما لا أرتضيه في هذه الدراسة محاولاً إثبات ذلك بالبنية المقطعية التي تقوم على الوقاية الصوتية من مقطع مرفوض.

وفي بحث (النسب إلى الأسماء المنتهية بحركة مدّية) نجد الباحثين يتمسكان بمقولة وجود الكسرة قبل مجيء الواو، بل إنّ الكسرة عندهما قد كانت السبب في مجيء الواو، بقولهم: «وهذا ما حدث في النسب إلى حُبلى: حبلأوي، فقد جيء بالواو لتكون قاعدة تتكئ عليها الكسرة التي هي جزء أساس في بناء النسب...»⁽³⁾.

وفي النسب في مثل فتى، وعصا، يقول الباحثان: «فأصبح الاسم عند النسب إليه على النحو الآتي: عَ / صَ ي... وهو بناء غير مقبول قطعياً... إنّ الفتحة صائت قصير أمامي، والكسرة صائت قصير خلفي، وهو بناء غير متآلف؛ ولذلك أُقحم صوت الواو الصائت الأمامي الطويل الضيق...»⁽⁴⁾، وما زالت فكرة وجود الكسرة قبل ياء النسب أنها مجتلبة قبل مجيء الواو حاضرة، وهذه فكرة مغلوطة، والواو نصف صائت وليس صائتاً.

(1) الخصائص، ابن جني، ج 2، ص 322.

(2) انظر: المرجع السابق، ج 2، ص 327.

(3) النسب إلى الأسماء المنتهية بحركة مدّية، محمد الروايدة، وسيف الفقراء، ص 9.

(4) المرجع السابق، ص 7.

والباحثان في هذه الفكرة يسيران على طريق من سبقهما؛ إذ ترد فكرة وجود الكسرة قبل الياء ثم يقع اجتلاب الواو للفصل بين الحركتين الطويلة والقصيرة، أو بين حركتين قصيرتين تقع الفكرة عند عدد من الباحثين⁽¹⁾، والكسرة مفترضة الوجود مع الياء المضعفة ثم تجتلب الواو وذلك في قول القدماء، ومنهم المبرّد (وإنما قلبت الألف المنقلبة من الياء واواً؛ لكرهية اجتماع الياءات والكسرات...)⁽²⁾.

لقد وردت فكرة السبب المقطعي في ظاهرة النسب في قليل من الدراسات الحديثة، ولكنها كانت تقوم على أساس مغلوط يتمثل في قلب الألف واواً للفصل بين الحركات بافتراض أنّ وجود الكسرة قبل ياء النسب تحصيل حاصل قبل قلب الألف، وهذا ما أخالفه، وأغايه في دراستي هذه.

وبقيت معالجة النسب إلى الأسماء الممدودة مقتصرة على الوصف بالإشارة إلى القلب، والحذف، وذكر اللواحق التي تدخل الكلمة من حشو أو لواحق.

ولم تكن قضية أمن اللبس من المباحث التي تلفت الانتباه في ظاهرة النسب، وهي قضية مهمة، فبعض التغيرات التي تدخل بنية الكلمة في النسب إنّما تدخل لأمن اللبس.

وفي هذه الدراسة سيتمحور الحديث على النسب للأسماء المنتهية بأصوات المد، وبخاصة الألف، والياء، وتنطلق الدراسة معتمدة على البنية المقطعية وما يطرأ عليها من تغيرات، إضافة إلى الإشارة إلى اللبس الذي قد ينتج عن بنية الكلمة في حالة النسب، وكيفية التخلص منه.



(1) انظر: دروس في علم الصرف، أبو أوس الشمسان، ج 2، ص 64، وعلم الصرف الصوقي، عبد القادر عبد الجليل، ص 442.

(2) المقتضب، المبرّد، ج 3، ص 136.

المبحث الأول

التحولات المقطعية في النسب إلى الأسماء المنتهية بالألف

تشكل الأسماء المنتهية بصوت المدّ الألف ظاهرة لاقتة في التحولات المقطعية التي تصيبها، وهذه الأسماء قد تقع الألف فيها ثالثة، أو رابعة، أو خامسة، وهذه الأسماء على هذا البناء قبل النسب تسير على بنية مقطعية سليمة تخلو من أي اضطراب، ولما ألحقت ياء النسب المضعفة، وهي ساكنة في حالة الوقف، وساكنة الأولى متحركة الثانية في حالة الوصل، فإنّ هذه اللاحقة ستشكل لاحقة مقطعية منفصلة؛ وهي (ص ص)، وهذا النمط لا يوجد في العربية؛ لذلك تجري التحولات المقطعية لينسجم البناء مع ضم لاحقه النسب، وهي الياء المضعفة.

وفي هذا المبحث سأقف على الأسماء المنتهية بالألف، وسأحاول بالتعليل الصوتي المقطعي تفسير تلك التحولات، وخصوصية الوقاية الصوتية ببعض الأصوات المجتلبة قلباً أو إبدالاً، ومنها صوت الواو (واو اللين) التي تحل محل الألف.

وسأقف في هذا المبحث على الأسماء حسب موقع الألف منها: ثالثة، أو رابعة، أو خامسة.

أ - التحولات المقطعية في النسب إلى الأسماء التي ثالثها الألف:

من أبجدية المفاهيم الصوتية، وبخاصة المقاطع الصوتية أنّ المقطع العربي لا يبدأ بحركة، ولا بصوت مدّ، يقول (هنري فليش): «يبدأ المقطع في العربية الفصحى دائماً بصامت واحد فحسب، وينتهي إمّا بمصوت... وإما بصامت...»⁽¹⁾، ونّبّه غير واحد

(1) العربية الفصحى: نحو بناء لغوي جديد، هنري فليش، ص 42.

من العلماء لهذه الملاحظة، ومما قاله تمام حسان: «حروف العلة إن كان لا يبدأ بها المقطع فهي بلا شك مركز المقطع»⁽¹⁾، والعلة المقصودة عند تمام حسان هي أصوات المدّ إضافة للحركات، ولا يقصد أصوات اللين، فاللين يجوز أن يكون بداية مقطع؛ فهو بمنزلة الصامت من حيث قبوله للحركة؛ ولذلك فبعد أن بينّ (تمام حسان) أنماط المقاطع فقد عقّب عليها بقوله: «وفي كلّ هذه المقاطع نرى في بداية المقطع حرفاً صحيحاً ولا نرى في البداية علةً أبداً. وهذا معنى أن من وظائف الحرف الصحيح أن يكون بداية للمقطع»⁽²⁾.

وليس من مقصد هذه الدراسة العودة بالبناء إلى الأصل المفترض، ولكن التعليل هنا ينطلق من البناء الصوتي المائل، وتعليل قلب الألف أو إبدالها واواً.

يقول المبرّد: «واعلم أنّ النسب إلى ما كان من الياء كالنسب إلى ما كان من الواو. وذلك أنك تقلب هذه الألف واواً من أيّ البابين كانت. تقول في قفا: قفوي، وفي عصا: عصوي، وكذلك حصي، ورحى تقول: حصوي، ورحوي»⁽³⁾.

ويرى المبرّد وغيره من العلماء أنّ الألف المنقلبة عن ياء إنّما قُلبت في النسب واواً لكرهية اجتماع الياءات والكسرات.

أمّا بناء الكلمات بإضافة ياء النسب فهو على النحو الآتي:

عصا (عَـ/ صَـ/ يَـ) وهنا نلاحظ أنّ الياء المضعفة قد جاءت في مقطع منفصل، وهذا ما لا يجيزه البناء المقطعي في العربية؛ فلا يوجد مقطع يتكون من (ص) في حال تسكين الياء والوقوف عليها، ولا يوجد مقطع مكون من (ص ص ح) في حال تحريك الياء الثانية.

(1) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 72.

(2) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 70.

(3) المقتضب، المبرّد، ج 3، ص 136، وانظر: التكملة، لأبي علي الفارسي، ص 241، وشرح المفصل، ابن يعيش، ج 5، ص 149.

إنَّ ما يجري من تحول في البناء المقطعي هو تقصير الألف وتبقى الفتحة وهي جزء منها ثم يؤتى بالواو مجتلبة لإقامة البناء (عَ/ صَ/ وِ ي) ص ح/ ص ح/ ص ح ص، والتوجيه الصوتي الآخر أن تقلب الألف واواً، ويحرّك ما قبلها بالفتح؛ لأن الألف ليست مسبوقة بفتحة، بل إنَّ الألف تقوم مقام الحركة، وبقلب الألف واواً تأتي الواو محرّكة بالكسر، أي أنَّ الكسرة مجتلبة مع الواو، وليست موجودة قبلها كما توهم كثير من الباحثين⁽¹⁾.

ومن ينظر إلى مقولات القدماء يجد أنها أخف في نسبة التوهم ودرجة الخطأ من المحدثين، فهم يشيرون إلى أنَّ ياء النسب المضعفة تحتاج قبلها حرفاً مكسوراً، وقالوا: «إنَّ ما قبل ياء النسبة لا يكون إلا مكسوراً»⁽²⁾. وهنا نلاحظ أنَّ عبارات القدماء تتسم بالدقة في قولهم: إنَّ ما قبل الياء لا يكون إلا مكسوراً، ولم يؤكدوا القول بوجود الكسرة قبل الياء، ومن أجلها جيء بالواو، فهذا قول تنقصه الدقة، وينقضه منطق اللغة القائم على التقسيم المقطعي لبناء الكلمة، والقائم على منطق اللغة القائل: إنَّ الحركات تبع للحروف، ولا تقع بداية مقطع، ولا مستقلة.

إنَّ مقولات القدماء تبين خلاف ما ذهب إليه (محمد الروابدة) بأنهم ألحوا إلى هذه الكسرة في إشارته إلى ابن يعيش⁽³⁾، وبما أنَّ البناء المقطعي قبل حذف الألف أو قلبها، وبعد إضافة ياء النسب يكشف عن إشكالية مقطعية تتمثل في وجود ياء النسب في مقطع مستقل (فَدَ/ تَدَ/ ي ي) ص ح/ ص ح ح/ ص ص فإن المقطع المتشكل من مجيء ياء النسب لا تجيزه العربية.

(1) انظر: علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص 441، دروس في علم الصرف، أبو أوس الشمسان، ج 2، ص 64، والتحويلات الصوتية في بناء الأسماء عند تصريفها، علي الجوابرة، ص 143، والنسب إلى الأسماء المنتهية بحركة مدّية، محمد الروابدة، ص 5.

(2) انظر: سرّ صناعة الإعراب، ابن جني، ج 2، ص 580، وشرح شافية ابن الحاجب، ج 2، ص 38، وشرح المفصل، ابن يعيش، ج 5، ص 148.

(3) انظر: النسب إلى الأسماء المنتهية بحركة مدية، محمد الروابدة، ص 5.

ومثل هذا البناء أيضاً في:

رحى ← رَ / حَ تتحول إلى: رهاي (رَ / حَ / ي ي)

وهذا قبل حذف الألف أو قلبها واوًا، وبالحذف والإبدال أو القلب يصبح البناء على النحو الآتي:

رحوي ← رَ / حَ / وِي يُ بالوقف والتسكين.

هدى (ص ح / ص ح ح) وبإضافة ياء النسب قبل الحذف أو القلب يصبح البناء:
هدايّ (ص ح / ص ح ح / ص ص)، وبعد مجيء الواو المجتلبة قلباً أو إبدالاً
يصبح البناء منسجماً مع البناء المقطعي في العربية:

(هَدَوِيَّ) (هُ / دَا / وِيَّيْ) (ص ح / ح / ص ح ص ص ص).

إنّ مجيء الواو في: عصوي، وفتوي، وهدي، ورحوي، وما شاكلها إنما يمثل وقاية صوتية، وهي وقاية من مقطع صوتي تأباه العربية، وليست الوقاية التي ارتضاها أبو أوس الشمسان في قوله: «أما الواو في (عصوي) فهي واو الوقاية تحول بين الحركة الطويلة (الألف) والحركة القصيرة الكسرة...»⁽¹⁾.

والحقيقة أنَّ الياء لا تثبت لكي تكون الواو وقاية بين الألف والكسرة، والكسرة ليست موجودة في الأصل قبل مجيء الواو؛ فالكسرة تابعة للواو، وهذا ما نص عليه القدماء أنَّ ما قبل ياء النسب لا يكون إلا مكسوراً.

وهنا يتحول النبر من المقطع الأول في (فتى، وعصيا، ورحى) إلى المقطع الأخير بعد اكتمال عملية النسب في (فتويّ، وعصوي، ورحوي) وهذا وضع طبيعي في انتقال النبر وتأخره؛ فإزاء اللين في هذا الموطن جاذبة للنبر أكثر، وبخاصة أنها مسبقة بمكسور،

(1) الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة في ضوء كتاب سرّ صناعة الإعراب، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثانية والعشرون، الرسالة 186، أبو أوس الشمسان، ص 73.

إضافة إلى أنّ مقاطع الكلمة قد ازدادت، وكلما طالت الكلمة تأخر النبر، وليس كما قال فوزي الشايب: «إذا كان انتقال النبر إلى الأمام يؤدي إلى تقصير الكلمة، فإنّ تأخيرها يؤدي إلى إطالة الكلمة»⁽¹⁾، وهذا مما يُستغرب أن يقع من (الشايب)؛ فالنبر نتيجة وليس سبباً؛ ولذلك فإن موقع النبر مرتبط بطبيعة بناء الكلمة، فكلما طالت الكلمة وازدادت مقاطعها تأخر النبر، وكلما قصرت وقلت مقاطعها تقدم النبر.

وقد عقد (الشايب) في هذا الكتاب مبحثين يقومان على أثر النبر في تقصير الكلمة أو إطالتها، وقد أقامهما على أساس مغلوط.

وفي خلاصة هذا المبحث، أرجح أن الألف أبدلت ولم تقلب، والدليل هو أن الألف أصبحت واواً سواء أكان أصلها الواو أو الياء، ويقول أبو علي الفارسي «فإن كانت الألف ثالثة أبدلت منها واواً عن الياء كان انقلابها، أو عن الواو»⁽²⁾، وهنا نلاحظ أنّ أبا علي قال أبدلت، ولم يقل قلبت، ومصطلح الإبدال وارد عند غير واحد من القدماء، ومنهم ابن جني. وأجد أن علة التحول في الألف قلباً أو إبدالاً إنما تكمن في الإشكالية المقطعية المتمثلة في عزل المقطع الأخير (ي) في مقطع مستقل، ولو أدمجت ياء النسب مع المقطع السابق (فتاي) *fatā* → *fatayy* فقد يقع اللبس بين الملكية والنسب، وبخاصة إذا تأثر المتكلم بالشكل الكتابي، وبوجود النبر على المقطع الأخير، ولكن مركزيته تقع على (تا).

ولذلك فإن التخلص من الألف، واجتلاب الواو يعطينا بنية مقطعية سليمة، وإيحاء بالنسب، ويبعدنا عن الوقوع في اللبس بين الملكية (ياء المتكلم) والنسب.

ب - التحوّلات المقطعية في النسب إلى الأسماء التي رابعها الألف:

النسب إلى الأسماء التي رابعها الألف يأتي متعدد الوجوه والصيغ، وهو بذلك يتقاطع

(1) قراءات وأصوات، فوزي الشايب، ص 145.

(2) التكملة، أبو علي الفارسي، ص 241، وانظر: سرّ صناعة الإعراب، ج 2، ص 579.

في بعض صيغه مع ما كان صوت الألف فيه ثالثاً، ولكنه لا يطابقه؛ فما كان صوت الألف فيه رابعاً تتعدد صيغ النسب فيه لما يقع من حذف الألف أو قلبها، أو زيادة الواو بعدها، وقد أشار العلماء إلى هذا التغير في الصيغ؛ قال سيبويه: «هذا باب الإضافة إلى كل اسم آخره ألف مبدلة من حرف من نفس الكلمة على أربعة أحرف وذلك نحو ملهى ومرمى... فهذا يجري مجرى ما كان على ثلاثة أحرف وكان آخره ألفاً... نحو حصى ورحى»⁽¹⁾.

والتغير المقطعي واضح في اختلافه بين الاسم قبل النسب، وبعده:

ملهى ————— ← مَلْ / هَـ / (ص ح ص / ص ح ح)

هذا البناء قبل النسبة، أما بعد النسب فإن البناء يتحول بقلب الألف وإلحاق ياء النسب إلى:

ملهوي ————— ← مَلْ / هَـ / وِي (ص ح ص / ص ح / ص ح ص ص).

إنّ اجتلاب الواو بالقلب بدلاً من الألف يمثل ضرورة صوتية؛ فلو ألحقنا ياء النسب دون قلب الألف فإن البناء المقطعي سيضطرب، ويتشكل بناء مقطعي لا تجيزه العربية في قولنا:

(ملهاي) ————— ← مَلْ / هَـ / يِي (ص ح ص / ص ح ح ص)

وهذا البناء يوقع في اللبس بين الملكية والنسبة، وإذا جعلنا ياء النسب الملحقة في مقطع منفصل ستظهر مشكلة مقطعية لا يقبلها نظام العربية، وذلك في بناء:

(ملهاي) ————— ← مَلْ / هَـ / يِي (ص ح ص / ص ح ح / ص ص)

وقد تشكل المقطع الأخير من (ص ص) المتمثل بالياء المضعفة الساكنة في الوقف، وهذا بناء مرفوض في العربية؛ فلذلك فإن قلب الألف واواً هو تحول صوتي من المدّ إلى اللين للوقاية من مقطع صوتي لا تجيزه العربية.

(1) سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 352، وانظر: المقتضب، ج 3، ص 147.

ومن التحولات المقطعية في هذا البناء الذي ألفه رابعة لغير التأنيث أن تلحق الواو دون حذف الألف في مثل: ملهى: ملهاوي، ومغزاوي، والبناء المقطعي بالإبقاء على الألف واجتلاب الواو يتشكل على النحو الآتي:

مَـل / هـَـ / وِـي (ص ح ص / ص ح ح / ص ح ص ص)

فقد حافظ على بناء الكلمة الأصلي، وبإلحاق ياء النسب دون اجتلاب الواو يتشكل محذور مقطعي يتمثل بوجود مقطع يتكون من (ص ص) وهو ياء النسب:

(مَـل / هـَـ / وِـي) (ص ح ص / ص ح ح / ص ص)

ولو ألحقت ياء النسب بالمقطع السابق:

ملهاي ————— ← (مَـل / هـَـ / وِـي) (ص ح ص / ص ح ح ص ص)

فإنّ اللبس واقع بين الملكية (ياء المتكلم)، والنسب.

ونلاحظ أنّ ما جاء رابعة ألفاً ليست للتأنيث في مثل: (ملهى، مغزى) يأتي النسب فيه على ثلاث حالات، وقد أشار ابن يعيش إلى ذلك في شرح المفصل بقوله: «فإن كانت الألف لغير التأنيث وهو على أربعة أحرف والرابع ألف مقصورة وثانيها ساكن ففي المتقلبة نحو (ملهى، ومغزى، ومحيا، وأعشى) ثلاثة أوجه أجودها أن تقلب الألف واواً، فيقال في النسب إلى (ملهى) ملهوي... والثاني أن تمدّ ذلك وهو ضعيف فتقول ملهاوي ومغزاوي... والثالث أن تحذف الألف فتقول: ملهَيّ ومغزَيّ...»⁽¹⁾، أي أنّ هذا البناء ينسب إليه بثلاث حالات أو صيغ، وقد وضحت حالة القلب الإبدال (ملهى إلى ملهوي)، وحالة الشبه بالممدود (ملهى إلى ملهاوي)، أما حالة الحذف فتتمثل في حذف الألف: (ملهَيّ، ومغزَيّ)، والتحول المقطعي فيها هو:

ملهى ————— ← (مَـل / هـَـ)

(1) شرح المفصل، ابن يعيش، ج 5، ص 149 - 150، وانظر: شرح شافية ابن الحاجب، ج 2، ص 40.

يتحول البناء إلى:

(ملهي) ← (مَل/ه ي ي) (ص ح ص/ ص ح ص ص)

وهو تحول يقوم على حذف الألف كلياً وكسر صوت الهاء وإحاق ياء النسب، وهذا البناء في مثل: ملهي أكثر اختصاراً من (ملهوي، وملهاوي)، ولكن دلالة النسب فيه ليست مباشرة كما هي في (ملهوي، وملهاوي)، أي أنّ بناء النسب (ملهيّ) قد تفهم النسبة منه ضمن السياق، وليست مباشرة كما في (ملهوي، وملهاوي).

أما القسم الثاني مما ألفه رابعه للتأنيث فقد وجّه العلماء النسبة فيه على الحذف، والقلب، ومعاملته معاملة الممدود؛ فقال المبرّد: «فإن كانت الألف للتأنيث ففيها ثلاثة أقاويل: أجودها، وأحقّها بالاختيار، وأصحها، وأشكلها لمنهاج القياس حذف الألف. فتقول في النسب إلى حُبلى: حُبليّ، وإلى دنيا: دنبيّ، وكذلك بشريّ، وسكريّ، ودفليّ، وما أشبه ذلك، ويجوز أن تلحق واواً زائدة... وذلك قولك: دنياوي، ودفلاوي... والقول الثالث: أن تقلب الألف واواً... تقول: حبلوي، ودفلوي، فشبهه بملهيّ ومغزيّ...»⁽¹⁾. وقد تأثر اللاحقون بكلام المبرّد؛ فهم يميلون للوجه الأولى، والأجود برأيهم، وهو حذف الألف من (حُبلى)، وما شاكلها، فهم يوردون آراءهم بالأجود، والأحسن، والأولى، ولكنهم متفقون على أن وجه الحذف هو الأولى⁽²⁾.

ومن اللافت أنّ ابن الوراق قد جعل الحذف هو الوجه، أما الوجهان الآخران: قلب الألف واواً، وزيادة الواو والتشبيه بالممدود فجعلهما على الجواز⁽³⁾، فإن كان غيره قد ساوى بين الوجه، أو رجح الحذف فإنّ (ابن الوراق) يجعل الحذف أصلاً وأولى، وغيره على الجواز، فهو يوافق (المبرّد) تماماً عندما ألح على أجودها، وأحقها بالاختيار.

(1) المقتضب، المبرّد، ج 3، ص 147، وانظر: شرح المفصل، ج 5، ص 150، وشرح شافية ابن الحاجب، ج 2، ص 39.

(2) انظر: كتاب التكملة، أبو علي الفارسي، ص 242، وشرح المفصل، ج 5، ص 150، وشرح شافية ابن الحاجب، ج 2، ص 39.

(3) انظر: علل النحو، ابن الوراق، ص 359.

ولكنّ ما ذكره العلماء هو وصف لحالات النسب بحذف الألف، أو زيادة الواو، أو قلب الألف في (حبلى، ودفلى)، ولم يقدموا تفسيراً لهذا التعدد وجوازه، ولم يكشفوا عن علة الأولوية لبعض الصيغ التي ارتضوها من النسب.

أما صيغ النسب لما جاءت الألف رابعة زائدة فإنّ التحول المقطعي فيها يجري على النحو الآتي:

1 - حبلى (حُ ب / ل - -) (ص ح ص / ص ح ح)، وهذه الصيغة تتحول بحذف الألف، وإلحاق ياء النسب إلى (حبلي) (حُ ب / ل - ي ي) (ص ح ص / ص ح ص)، أي أنّ عدد المقاطع متساوٍ في الصيغتين قبل النسب وبعده بحذف الألف.

2 - بقلب الألف واواً (حبلى) (حُ ب / ل - -)، فإنّ الصيغة تتحول إلى (حبلي) (هُ ب / ل - / و ي ي) (ص ح ص / ص ح ح / ص ح ص)، وعدد المقاطع هنا ثلاثة، والإيحاء بدلالة النسب في هذه الصيغة أوضح منه في صيغة الحذف (حبلي).

3 - أمّا بزيادة الواو، وتشبيهه بالممدود (حبلاوي، ودفلاوي) (هُ ب / ل - / و ي ي) (ص ح ص / ص ح ح / ص ح ص) فإنّ عدد المقاطع يتساوى مع مقاطع (حبلي) مع اختلاف النوع في بعضها، ولكن طول المقطع الثاني يضيف على البنية ثقلاً وطولاً إضافة إلى ما شكّله المقطع الأخير الذي لحقته لاصقة النسب.

إنّ المشترك بين حالات النسب الثلاث التي جاء عليها البناء الذي رابعه ألف زائدة هو التخلص من الألف لكي لا تكون ملازمة لياء النسب، وهذا التخلص جاء بالحذف، أو القلب، أو بالإبقاء على الألف نهاية مقطع، وزيادة الواو: حبلى ص ح ص / ص ح ح، وبالحذف تتحول إلى (حبلي) ص ح ص / ص ح ص، وفي حبلي ص ح ص / ص ح ص بقلب الألف واواً تخلصنا من الألف بقلبها واو لين، والقلب هنا لعة صوتية مقطعية.

أمّا حالة الشبه بالمدود (حبلاوي) فقد أبقينا على الألف، ولكنّ بقاء الألف يبقى على الإشكال المقطعي، وللتخلص من هذا الإشكال اجتلبت واو اللين محرّكة بالكسر لتكون بداية مقطع يضمّ ياء النسب المضعفة؛ وبذلك فالواو هنا صوت وقاية من مقطع لا تجيزه العربية، والكسر تابع للواو وليس سابقاً على وجودها.

أمّا (جمزى) التي قال فيها سيبويه: «فلا يكون جمزوي، ولا جمزاوي ولكن جمزى؛ لأنّها ثقلت وجاوزت زنة ملهى فصارت بمنزلة حبارى لتتابع الحركات»⁽¹⁾، فأحسب أنّها ليست أثقل من (دفلوي، ودفلاوي)، ولكن ربما سمعت عن العرب على هذا النسب فبقيت عليه، وأولها سيبويه بالثقل، فعدد المقاطع في جمزوي، وجمزاوي لا يزيد على مقاطع (دفلوي، ودفلاوي، وحبلوي، وحبلاوي)؛ ولذلك فإنّ حجة الثقل لا تستقيم مقارنة مع هذه الأبنية، وقياساً عليها.

ج - التحوّلات المقطعية في الأسماء المنسوب إليها وخامسها ألف:

قال سيبويه في هذا البناء، ونسبته: «هذا باب الإضافة إلى كلّ اسم كان آخره ألفاً وكان على خمسة أحرف تقول في حُبارى: حُبَارِيّ، وفي جمادى: جُمَادِيّ، وكذلك كل اسم كان آخره ألفاً وكان على خمسة أحرف»⁽²⁾، وكذلك يرى (المبرّد) بقوله: «فإن كانت الألف خامسة مقصورة فليس فيها إلا الحذف منصرفه كانت أو غير منصرفه... وذلك لأنّها كانت تحذف رابعة إذا كانت للتأنيث... فلمّا زاد العدد لم يكن إلا الحذف»⁽³⁾، والحذف في الألف خامسة تستوي فيه الألف الزائدة، والأصل كما أشار أبو علي الفارسي⁽⁴⁾.

والحجة عند العلماء، ومنهم (المبرّد، وابن الوراق)، هي طول الاسم، والحقيقة أنّ طول الاسم حجة نظرية، ونقبلها بالعرف، ولكنّ العلة المقطعية ربما هي الأولى؛ فكلمة:

(1) الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 354، وانظر: التكملة، ص 243.

(2) الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 354.

(3) المقتضب، المبرّد، ج 3، ص 148، والتكملة، ص 243.

(4) انظر: التكملة، أبو علي الفارسي، ص 243، وعلل النحو، ص 360.

(حُبَارِي) حُـ / بـَـ / رـَـ (ص ح / ص ح ح / ص ح ح)

فهي تنتهي بصوت المدّ، ولو ألحقت ياء النسب بالمقطع الأخير لتشكّل لدينا مقطع مديد (حُـ / بـَـ / رـَـ ي ي) (ص ح / ص ح ح / ص ح ح ص ص)، وهذا المقطع نادر قليل في العربية، وكلّما استطاعت اللغة التخلص منه فعلت ذلك، وتظهر إشكالية أخرى في بقاء هذا المقطع، وهي اللبس نتيجة تقاطع الملكية والنسب في (حُبَارِي) بانعدام الكسر قبل الياء.

ولو قصرت الألف (حُبَارِي) ص ح / ص ح ح / ص ح ص فإن اللبس لا يزول، ويختفي الإيحاء بالنسب، والنسب مطلب التغيير، ولما كان الأمر كذلك فقد لجأت العربية إلى حذف الألف، وإلحاق ياء النسب (حُبَارِي) حُـ / بـَـ / رـَـ ي ي، والحذف هنا يقع على الألف كلياً، فيصبح البناء المقطعي الجديد بحذف الألف، وإضافة ياء النسب المضعفة (ص ح / ص ح ح / ص ح ص ص)، ولو ألحقنا الياء المضعفة مع الإبقاء على الألف وحافظنا على البنية المقطعية فإنّ ياء النسب المضعفة ستأتي مستقلة في مقطع منفصل، وهذا لا تجيزه العربية (حُبَارِي) حُـ / بـَـ / رـَـ ي ي، (ص ح / ص ح ح / ص ح ح / ص ص)، أي أنّ بقاء الألف يشكل لبساً في موطن، ويشكّل معضلة مقطعية بالإبقاء على ياء النسب المضعفة معزولة في مقطع مستقل يتكون من (ص ص) وذلك في الوقف، وهذا بناء لا يجتمع عليه نظام العربية.

المبحث الثاني

التحوّلات المقطعية في النسب إلى الأسماء المنتهية بياء المدّ

تكثر التغيرات في بنية الأسماء المنقوصة عند النسب، وما أقف عليه هنا هو الاسم المنقوص المنتهي بياء المد التي يصيبها القلب أو الحذف عند إلحاق لاصقة النسب الياء المضعفة.

ويعالج الباحث في هذا المبحث ثلاثة مطالب تتمثل في: المنقوص الثلاثي، والمنقوص الرباعي، والمنقوص الخماسي، وهي المنتهية بياء المد، وقبل أن أشرع في الحديث في هذه المطالب فلا بد من طرح بعض الأسئلة اللازمة لأهميتها في معالجة الموضوع، وهذه الأسئلة هي:

- 1 - هل ندرس المنقوص بناءً على الصيغة الماثلة، وعدم الوقوف على الصيغ المفترضة في مثل افتراض تحول الياء ألفاً ثم قلب الألف واواً؟
 - 2 - هل ندرس المنقوص نكرة محذوف الياء (شج، عيم)، أم ندرسه معروفاً (الشجي، العمي)؟
 - 3 - هل نراعي الربط بين المفاهيم الصوتية عند القدماء، وربطها بمصطلحاتها الصوتية عند المحدثين، وبخاصة ما يخص المقطع الصوتي؟
- هذه الأسئلة تمثل المفاتيح التي لا بدّ منها لمن يريد دراسة الظواهر الصرفية عامة، والنسب بخاصة من منطلق صوتي.

وفي هذه الدراسة ستكون هذه الأسئلة ومضامينها حاضرة في معالجة النسب للأسماء المنقوصة معالجة صوتية لبيان التحوّلات المقطعية في هذه الظاهرة اللغوية.

1 - المطلب الأول: التحولات المقطعية في الاسم المنقوص الثلاثي:

الاسم المنقوص الثلاثي هو ما كانت الياء فيه ثالثة، وذلك في مثل (شج، وعم، ورض)، وهذه الأسماء محذوفة الياء لأنها نكرة، والأصل فيها قبل الحذف (شجي šajī)، (عمي ami)، (رضي raḍī)، وتحول الياء هنا يمثل موضع خلاف؛ بما قاله سيبويه في ذلك: "قولهم في عم: عموي، وفي رد: ردوي، وقالوا كلهم في الشجي: شجوي، وذلك لأنهم رأوا فَعَلَ بمنزلة فَعَلَ في غير المعتل... فأقروا الياء وأبدلوا الواو، وصيروا الاسم إلى فَعَلَ، لأنها لم تكن لتثبت ولا تبدل مع الكسرة... أقروا الياء على حالها وأبدلوا"⁽¹⁾.

ويظهر أنّ قضية الأصل قد أثرت في آراء العلماء، وفي أحكامهم اللغوية، وأنّ أكثر اللاحقين يقتفون أثر السابق؛ فهذا أبو علي الفارسي ينص صراحة على القلب: «وإن كانت الياء ثالثة نحو عم وشج فإنك تبدل من كسرة الحرف الثاني فتحة... فإذا أبدلت من الكسرة الفتحة صار الاسم على فَعَلَ... فتقول عموي وشجوي»⁽²⁾، وسواء أكان الأمر يقوم على قلب الياء ألفاً ثم قلبها واواً، أو إبدال الياء واواً بحذف الياء، وجلب الواو فإنّ العلة في ذلك مقطعية، وأرى أنّ الانتقال من الياء إلى الواو إنما جاء بالحذف والإبدال؛ فالتعليل الصوتي يتعامل مع بنية ظاهرة أولى من تعامله مع بنية مفترضة تتدرج إلى بنية ظاهرة منطوقة يقع عليها التحول.

وقد نص رضي الدين الأسترابادي على قلب الياء واواً بقوله: «إنّ الياء الثالثة المكسور ما قبلها تقلب واواً... وتُجعل الكسرة فتحة»⁽³⁾، وما تمسكهم بقلب الياء ألفاً إلا لمحاولتهم أن تكون عملية حذف الألف وإبدالها واواً عملية مَطرَدة، ولتهيئة وجود الفتحة قبل اجتلاب الواو؛ لأنّ ما قبل الواو محرك بالفتح.

ويذهب بعض المحدثين، ومنهم (يحيى عابنة) إلى وجود الألف المتبوعة بالكسرة

(1) الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 343، وانظر: المقتضب، ج 3، ص 361.

(2) التكملة، أبو علي الفارسي، ص 244، وانظر: علل النحو، ص 357، وشرح المفصل، ج 5، ص 651.

(3) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأسترابادي، ج 2، ص 44.

قبل اجتلاب الواو في مرحلة مفترضة، وفي ذلك يقول: «الأصل في (العموي) عندما تكون العمى، al'amāiyyu أن تلتقي فيها الألف المدية التي تشكل جزءاً من بنية الاسم مع كسرة لاحقة النسب، فتتزلق الواو بينهما للفصل بين الحركات، ثم تقصر الفتحة الطويلة (الألف) إلى فتحة قصيرة»⁽¹⁾، ويلاحظ أنّ القول بوجود الكسرة قبل اجتلاب الواو في النسب قد ورد عند عابنة في النص السابق، وعند محمد الروابدة، وعند علي الجوابرة، فهم يرون أن ياء النسب المضعفة مسبقة بكسرة قبل اجتلاب واو الوقاية، وأنّ البناء يمرّ بمراحل عدة مفترضة، ومنها قضية الانزلاق الحركي⁽²⁾.

إنّ الافتراض بمرور البناء بهذه المراحل، وقضية الانزلاق الحركي، وافتراض وجود كسرة تسبق ياء النسب المضعفة قبل اجتلاب الواو إنّما هي افتراضات بعيدة، وبعضها لا يقبله منطق اللغة، «فلا يمكن أن تبدأ الكلمة العربية بحركة»⁽³⁾، والمقصود بداية المقطع. إنّ صيغة النسب تحتم مسبقاً أن يكون ما قبل الواو مفتوحاً، ولما كانت الكلمة المنسوب إليها منتهية بياء المد ويحرك ما قبلها بالفتح فقد وضع إشكال مقطعي، على النحو الآتي: (شجي šajī) وبتحريك الجيم بالفتح (شجي šajā) فإنّ ياء المد في شجي قد أصبحت معزولة في مقطع مستقل (šajā ص ح / ص ح / ح ح) وهذا النمط المقطعي لا يوجد في العربية؛ فلا يوجد مقطع يتكون من صوت المد، وبما أنّ الصيغة المطلوبة هي صيغة النسب فإنّ ياء المد تحذف وتبدل واو، وهنا لا أرى أنّ الياء قد قلبت واواً بل أبدلت، ولذلك فإنّ التحول المقطعي في المنقوص الثلاثي يسير على النحو الآتي:

شجي (ص ح / ص ح ح) ← شجي (ص ح / ص ح ح ح)

- (1) الصرف العربي التحليلي: نظرات معاصرة، يحيى عابنة، ص 362.
- (2) انظر: النسب إلى الأسماء المنتهية بحركة مدية، محمد الروابدة، ص 10، والتحويلات الصوتية في بنية الأسماء عند تصنيفها، علي الجوابرة، ص 154.
- (3) علم الأصوات، برتيل المبرج، تعريب: عبد الصبور شاهين، ص 167، وانظر: دراسة الصوت اللغوي، ص 307، ومدخل إلى علم الأصوات، ص 207، والمدخل في علم الأصوات المقارن، ص 88.

بفتح الجيم فتتوالى الفتحة وياء المد، والحركات لا تتوالى، فتستقل الياء في مقطع مستقل، وهذا البناء المقطعي غير موجود في العربية، ولذلك يقع الإبدال طلباً لصيغة النسب فتجتلب الواو، وقد مهد لذلك وجود الفتحة على ما قبلها فهي (أي الفتحة)، جاءت قبل القلب، كما يقول الأشموني: «والتحقيق أنّ الفتح سابق للقلب، وذلك أنّه إذا أريد النسب إلى نحو (شج)، فتحت عينه...»⁽¹⁾. (شجويّ) (ص ح / ص ح / ص ح ص ص). وقد لفت انتباهي أنّ (الروابدة والفقراء) قد عنونا الدراسة بالنسب إلى الأسماء المنتهية بحركة مدّية، ولكنهما عالجاً النسب إلى ما انتهى بياء مشددة ضمن هذه الدراسة ولم تقتصر على ما انتهى بالمد.

وأجد أنّه لا فرق في التغيرات التي تطرأ على النسب إذا ما كانت ياء المدّ الثالثة فيه سواء أكان معرفة أم نكرة (شج، أو الشجي) إلا أنّ بعض العلماء يفترض وجود الياء في النكرة ونطلق للنسب بوجودها ثم تحولها بالإبدال، وبعضهم يرى أنّ أول عمل نقوم به هو إعادة الياء ثم تبدأ عملية التحول في النسب⁽²⁾.

والمقصود بإعادة الياء أي (شجي) بمعاملتها كأنها معرفة، وهو افتراض لا بدّ منه لتنتقل مراحل تحوّل البناء إلى صيغة النسب.

وقد توهم القدماء وجود حركات قبل أصوات المد من جنسها؛ ولذلك فإنّ أول مرحلة في النسب إلى المنقوص الثلاثي عند بعضهم هي قلب الكسرة التي قبل الياء فتحة، وهذا وهم، وقد نص ابن يعيش على وجود هذه الكسرة بقوله: «فإن كانت الياء ثالثة قبلها كسرة نحو عمّ وشج فإنك تبدل من الكسرة فتحة...»⁽³⁾، والرأي نفسه عند (الأستراباذي) بقوله: «وتقلب الياء الأخيرة الثالثة المكسور ما قبلها واواً، ويفتح ما قبلها»⁽⁴⁾، وما يؤكد عدم

(1) شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ج 4، ص 317.

(2) انظر: المستقصى في علم التصريف، عبد اللطيف الخطيب، ج 2، ص 863.

(3) شرح المفصل، ج 5، ص 151.

(4) شرح شافية ابن الحاجب، ج 2، ص 42، وانظر: المستقصى في علم التصريف، عبد اللطيف =

وجود كسرة قبل ياء المنقوص التقسيم المقطعي للكلمة؛ فلو وضعنا كسرة قبل الياء في كلمة (شَجِي) (شَـ / جـِـ)، فإن ياء المد ستقع في مقطع منفصل وحدها، وهذا النمط المقطعي لا يوجد في العربية، ولا تقبله؛ فالمقطع لا يتكون من صوت مدّ.

والحركات لا تتوالى فالكسرة المفترضة قبل الياء حركة، وياء المد حركة طويلة، وقد وقف العلماء على هذا الملمح، ونبهوا عليه، وعلى الوهم فيه، فقال إبراهيم أنيس: «ولكنّ القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أنّ هناك حركات قصيرة مثل حروف المدّ... والحقيقة أنّ هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع»⁽¹⁾.

وقد يُعذر القدماء لأنهم نظروا لأصوات المدّ من منظار الخط والرسم العربي أنّها موجودة في بناء الكلمة فعاملوها معاملة الصوامت التي تسبق بحركات، ولكن لا عُذر للمحدثين الذين يرون أنّ ياء النسب المضعفة مسبوقة بلاصقة الكسر قبل مجيء الواو (شَجِي) (شَـ / جـِـ)، فهم يفترضون البناء قبل اجتلاب الواو أنه على النحو الآتي: (شَـ / جـِـ ي ي) ومقاطعته هي: (ص ح / ص ح / ح ص ص)، وهذا افتراض لا أساس له من الصحة؛ فالكسرة تابعة لواو الوقاية في النسب؛ لأنّ الحركات حادثة بعد الحروف، وليست قبلها⁽²⁾.

وفي دراسة خصصها باحث حديث للمقطع الصوتي ودوره في تفسير التقاء الساكنين نجد وهماً مزدوجاً، وتناقضاً، وهنا أقتبس ما قاله نصاً: «إنّ الاسم المنقوص ينتهي بمصوّطٍ طويل، يلتقي عند النسب بمصوت قصير، وهو محال مقطعيّاً، إذ العربية لم تعرف تتابع صوتي مدّ محضين، وهي إذا ظهر هذا الضرب من التتابع جنحت إلى إلغائه.

لذا لجأ العربي إلى شطر المصوت الطويل إلى مكونه ولكنه بغية السهولة في النطق لجأ إلى المغايرة الصوتية بقلب الكسرة فتحة، والياء الاحتكاكية واوا... ففي الشجي مثلاً:

= الخطيب، ج 2، ص 863.

(1) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 39.

(2) انظر: الخصائص، ابن جني، ج 2، ص 322.

عَشَ / شَ / حَ / يَ ي ← عَشَ / شَ / حَ / وَا / يَ ي ← عَشَ / شَ / حَ / وَا / يَ ي⁽¹⁾.

ونلاحظ التناقض في النص السابق؛ فهو يقول: إنّ الاسم المنقوص ينتهي بمصوت طويل، يلتقي بمصوت قصير، وهو محال مقطعيًا، نعم هو محال مقطعيًا لأن الحركات لا تتوالى، ولكن كيف أجاز وجود كسرة قبل ياء المد، وهي الكسرة التي يرى أنها قلبت فتحة؟ ونلاحظ أنه قرر وجود الكسرة قبل ياء النسب المضعفة مسبقاً قبل اجتلاب الواو قلباً أو إبدالاً، وهذا لا ينسجم ومنطق اللغة، وقد تبين من بعض الآراء السابقة عدم اطراد النظرة للبنية المقطعية، وبخاصة وجود الحركة سابقة للمصوت الصامت، في مثل الكسرة التي تسبق ياء النسب المضعفة، وعدم جواز التقائها مع ياء المد، وكذلك الاضطراب في القول بوجود كسرة قبل ياء المد تقلب فتحة.

ولم يلتفتوا إلى تفسير مجيء الواو قبل ياء النسب بل اكتفوا بالوصف، والحقيقة أنّ الواو تجتلب للوقاية من بناء مقطعي لا تجيزه العربية، ويصعب أدائه على المتكلم، مع أنّ القول بوجود ياء مضعفة قول فيه نظر، وسأقف في دراسة لاحقة على هذا الموضوع، وربط هذه الياء بتغير موقعية النبر، والتفريق بين المدّ واللين.

إنّ القول بوجود كسرة قبل ياء النسب قبل اجتلاب الواو، قول مغلوط ولا صحة له أو فيه، وكذلك القول بوجود كسرة قبل ياء المد، ومعلوم أنّ المقطع لا يبدأ بصوت ذائب، والذوائب لا تتوالى⁽²⁾.

2- المطلب الثاني: التحوّلات المقطعية في النسب إلى الاسم المنقوص الرباعي، (ما كانت ياء المد فيه رابعة).

يخص الحديث هنا المنقوص الذي جاءت الياء فيه الصوت الرابع، ومنه: الداعي، والقاضي، والساعي.

(1) التقاء الساكنين في ضوء نظرية المقطع الصوتي، صباح عطوي عبود، ص 301.

(2) المدخل إلى علم الأصوات، غانم الحمد، ص 207.

قال أبو علي الفارسي: «وإن كانت الياء المكسور ما قبلها رابعة فالأحسن أن تحذف... وإن شئت أبدلت»⁽¹⁾، ونلاحظ أنّ وقوع الياء رابعة يسير النسب معها على حالتين هما: الإبدال أو الحذف، وإذا نظرنا إلى التحولات في حالة الإبدال أو القلب في (القاضي، الداعي)، فإنّ البناء المقطعي للكلمة مجردة من التعريف هو (قاضي، داعي) (قاضي: قَهَ / ضَهَ)، (داعي: نَحَ / عَهَ) (ص ح ح / ص ح ح)، وفي حال إلحاق ياء النسب المضعفة يتكون البناء المقطعي من النسيج الآتي: (قاضي + يَ) (ص ح ح / ص ح ح / ص ص)، وهذا المقطع الأخير مرفوض في العربية، وللتخلص من هذا البناء المرفوض تقلب الياء واوًا، والذي أراه أنّ الياء تحذف، وتجتلب الواو إبدالاً وليست قلباً، ويفتح ما قبلها (القاضي + يَ)

(ص ح ص / ص ح ح / ص ح ح) القاضويّ (ص ح ص / ص ح ح / ص ح ح / ص ح ص)
(ص ص)

وهنا نلاحظ تغير البناء المقطعي كماً ونوعاً.

ونلاحظ أنّ عدد المقاطع قد ازداد، وهذا يمثل ثقلًا في البناء يضاف إلى الثقل المتأاتي من طبيعة المقاطع (الطويل المفتوح في (قا ص ح ح)، والطويل المغلق بصامتين (ويّ ص ح ص ص)، ولما كان هذا الثقل واضحاً فقد فضل القدماء الحذف، أي حذف الياء الرابعة، وإلحاق ياء النسب مباشرة، وذلك مثل:

القاضي *alqādī* > تتحول إلى *alqādiyy*

وكذلك الداعي *addā<ī* > تتحول بالنسب إلى *addā<iyy*

ومقاطع كلمة القاضيّ في حالة النسب هي: (ص ح ص / ص ح ح / ص ح ص / ص ح ص) فهي أخف من (القاضوين) وأحسب أن الاتجاه في النسب إلى القلب أو الإبدال

(1) التكملة، أبو علي الفارسي، ص 244، وانظر: شرح شافية ابن الحاجب، ج 2، ص 44، والصرف وعلم الأصوات، ص 107، والمستقصى في علم التصريف، ج 2، ص 864.

(القاضي) ناتج عن الإحساس بعدم وفاء صيغة (القاضي) بالنسب وصيغته المطلوبة، إضافة إلى أثر الرسم العربي الذي يفرق بين المدّ واللين نطقياً، ولكنه لا يفرّق كتابة إلا بظهور التشديد على ياء اللين.

وأشار عبد الصبور شاهين إلى ذلك بقوله: "ونرى أنّ الاستعمال هو الذي يقدم الحذف أو القلب، والاستعمال يميل إلى القلب"⁽¹⁾.

ويرى القدماء أنّ علة حذف الياء في (القاضي)، وهي الأصل في الكلمة إنّما تكمن في سكون هذه الياء، وسكون الياء الأولى من ياء النسب وبرأيهم التقى ساكنان، والحقيقة أنّ هذه الياء هي صوت مدّ، وما دفعهم للقول بسكونها هو إصرارهم على أنّ أصوات المدّ بمنزلة الصوامت يمكن أن تسبق بحركات من جنسها، وتسكّن؛ ولذلك يطلقون عليها ساكنة.

وبما أنّ هذه الياء الأصلية نهاية مقطع فلا يجوز أن تأتي ياء النسب في مقطع مستقل، لأن المقطع (ص ص) أو (ص ص ح) مرفوض في العربية.

ولو أخذنا برأي القائلين بوجود كسرة قبل الياء الأصلية في (القاضي) فمعنى ذلك أنّ تلك الكسرة هي نهاية مقطع، وأنّ ياء المدّ ستكون بداية مقطع، والمقطع في العربية لا يبدأ بالمد؛ لأن صوت المد حركة مشبعة، ولا يتكون المقطع من صوت مدّ.

والبناء المقطعي المفترض عند من يرى أنّ الياء الأصلية في (القاضي) مسبوقة بكسرة هو (القاضي ص ح ص / ص ح ح / ص ح ح / ح ح) وهذا يوقعنا في إشكال مقطعي ترفضه العربية، ويتمثل في تشكيل مقطع مكون من (ح ح) وهي ياء المدّ، وهذا مرفوض في العربية؛ ولذلك فإنّ القول بوجود كسرة قبل ياء المد لا يتجاوز الوهم بسبب نظرهم لأصوات المدّ أنها بمنزلة الصوامت، وبأثر من الرسم العربي، والشبه بين ياء المدّ،

(1) المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، ص 162.

وياء اللين، وبذلك فإنّ الأمر في تحول النسب في ما كانت الياء فيه رابعة أيسر ما ذهب إليه (علي الجوابرة) من تعدد المراحل، والانزلاق، وكثرة المراحل المفترضة⁽¹⁾.

3- المطلب الثالث: التحولات المقطعية في النسب إلى ما فوق الرباعي من المنقوص.

تقع ياء المدّ في المنقوص خامسة، وسادسة، وفي هذه الأبنية يرى العلماء أنّ الياء الأصلية في بناء الكلمة تحذف عند النسب وإلحاق ياء النسب المضعفة.

قال أبو علي الفارسي: «وتقول في النسب إلى مشتريٍّ مشتريٍّ لا غير»⁽²⁾، وهو بذلك يشير إلى النسبة إلى الخماسي الذي خامسه الياء، وقال الأستراباذي: «وأما الياء المكسور ما قبلها إذا كانت خامسة فصاعداً فلا كلام في حذفها...»⁽³⁾.

أما علة حذف الياء خامسة فما فوق فإنّها ليست طول الكلمة كما أشار القدماء، بل إنّ العلة مقطعية، ولكنّ إحساس القدماء بضرورة كسر ما قبل ياء النسب، وصعوبة كسر الياء الساكنة وهي ياء المدّ إنّما هو إحساس بإشكالية المقطع، ولكنّ فكرة المقطع الصوتي لم تتضح عندهم كوضوحها في العصر الحاضر، إضافة إلى الوهم بأنّ صوت المدّ بمنزلة الصامت لوجوده في بناء الكلمة.

وإنّ الحقيقة الصوتية لصوت الياء في (المهتدي، والمستعلي)، إنّما هي ياء مدّ، والكتابة الصوتية تبين ذلك إضافة للبناء المقطعي:

المهتدي *almuhtadī* > (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح)

المستعلي *almusta<lī* > (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح)

(1) انظر: التحولات الصوتية في بنية الأسماء عند تصريفها، علي الجوابرة، ص 156.

(2) التكملة، أبو علي الفارسي، ص 244.

(3) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأستراباذي، ج 2، ص 45، وانظر: المقرب، ابن عصفور، ص 459، وشرح الأشموني، ج 4، ص 315.

وإذا أخذنا البناء بتجريده من التعريف فإن الياء في (مهتدي) خامسة، وفي (مستعلي) سادسة، وإجماع العلماء على حذف هذه الياء وذلك لسكونها وضرورة أن يكون ما قبل ياء النسب مكسوراً.

إنّ البناء المقطعي للكلمات التي جاءت فيها الياء خامسة أو سادسة ثم نسب إليها يمثل نمطاً مرفوضاً إذا بقيت الواو الأصلية؛ وذلك على النحو الآتي:

المهتدي عـل / مُهـ / تـد / حـي ي (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص)
ح / ص ص

المستعلي + ي ي عـل / مُس / تـع / لـي ي (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص)
ح ص / ص ح ح / ص ص

وبزيادة ياء النسب والإبقاء على الياء الأصلية فإن الإشكال المقطعي يبرز بوجود ياء النسب المضعفة المكونة من صامتين في حالة الوقف (ص ص)، أو صامتين تليهما حركة في حالة التحريك والوصل (ص ص ح)، وهذا البناء المقطعي مرفوض في العربية. وللتخلص من هذا الإشكال المقطعي تحذف الياء الأصلية من بناء الكلمة، وتلحق بها ياء النسب المضعفة ليتحول البناء إلى:

المهتدي عـل / مُهـ / تـد / حـي ي (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص)
المستعلي عـل / مُس / تـع / لـي ي (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص)
ح ص ص

وربما كان تعليل القدماء بالثقل مقبولاً إذا وضعناه في سياقه الزمني، ووفق رؤيتهم، ولكن لا عذر للمحدثين في ذلك؛ فمنهم من يرى أن ياء المد مسبوقه بكسرة، وبذلك تجتمع ثلاث كسرات؛ لأنّ ياء المدّ تعادل حركتي كسر، وبإضافة ياء النسب مسبوقه بكسرة دون فاصل بين هذه المتتابعات تظهر مشكلة في صعوبة النطق، وللتخفيف

تحذف ياء المد (الكسرة الطويلة)⁽¹⁾.

ووقع (الروابدة) في الوهم نفسه بقوله في الاستثقال، وظهور المزدوج الحركي، ويطلق عبارة عامة دون تحليل بقوله: «والقول فيه (أي الخماسي) كالقول في سابقه (أي الرباعي) من حيث إنّ الحذف أو اجتلاب الواو يكون لتحقيق بناء مقطعي يوافق النظام المقطعي في العربية»⁽²⁾، والحقيقة أنّه كلام عام لا يعتمد على بيان الإشكال المقطعي، ولكنه يقيس على ما عرضه في بناء الرباعي (قاضٍ) علماً أنّه عالجه بطريقة مغلوطه؛ ولذلك فقد قاس على معلومة أو رأي غير دقيق.

وقد يقول قائل إنّ المقطع الصوتي (ص ح ح ص) موجود في العربية في مثل (سارّ، وقارّ) فلماذا لم تثبت الياء في (المستهدي، والمستدعي) وتلحق بها ياء النسب، ويكون البناء المقطعي المفترض هو (المهتدي + يّ) (ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص ص)، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى تأكيد القدماء على ضرورة كسر ما قبل ياء النسب، وهي إشارة تختزن في داخلها الإشارة إلى موقعية النبر؛ فوجود الكسرة قبل ياء النسب ينقل النبر من مقطع سابق إلى المقطع الجديد، ولذلك فإنّ إفادة معنى النسب لا تقتصر على وجود الياء المضعفة، ولكنّ النبر وموقعيته يمثلان عاملاً مهماً في إعطاء معنى النسب ودلالته.

إنّ حذف ياء المدّ الموجودة في الاسم أصلاً مثل (المهتدي) إنّما هو نتاج ضرورة مقطعية؛ فهي نهاية مقطع طويل مفتوح (ص ح ح)، ويصعب مجيء ياء النسب المضعفة في مقطع منفصل (ص ص)، ولذلك فإن صيغة النسب، والمعنى الذي توحى به الصيغة يستدعي بنية مقطعية تناسب هذا المنحى، وتوافق النسيج المقطعي في العربية، وباء المدّ في الاسم تحذف ولا تقصر، ولو قصرت لبقي النبر مكانه، ولم ينتقل إلى المقطع

(1) انظر: التحولات الصوتية في بناء الأسماء عند تصنيفها، علي الجوابرة، ص 157.

(2) النسب إلى الأسماء المنتهية بحركة مدّية، محمد الروابدة، ص 11.

(ج ي ي) (ص ح ص ص)، من المهتدي، وكذلك الحال في المستعلي، فإن التغير فيها إنما يقوم على حذف ياء المدّ ثم كسر ما قبلها، وإلحاق ياء النسب.

وبعد، فهذه دراسة استرشد الباحث فيها بما للمقطع الصوتي من أثر في الأداء، وتغير البنية في الصيغ الصرفية، ومع أنّ القدماء قد وظفوا عبارات الثقل في معرفة أسباب التحول إلا أنهم كانوا ييوحون بإشكالية المقطع الصوتي، ولكن وفق أدواتهم، وسياقهم الزمني، وما أسعفتهم به مصطلحاتهم، ومع ذلك بقي بعض المحدثين أسرى مقولات القدماء يكررونها مستسلمين لها دون الإفادة من تطور الزمن وأدواته.

الخلاصة والنتائج

تشكّل ظاهرة النسب نوعاً من الإضافة المختصرة؛ ولذلك أطلق عليها القدماء وبخاصة سيبويه باب الإضافة، وبالحاق ياء النسب المضعفة للاسم المنسوب إليه تتشكل لدينا صيغة لغوية من الاسم تتضمن دلالة الوصف والإضافة.

ولما كانت ياء النسب تتكون من صوتين (ص ص) في حالة الوقف، أو (ص ص ح) في حالة الحركة والوصل فقد شكل هذا المقطع معضلة لما فيه من إشكال مقطعي؛ فهذا النمط المقطعي لا يوجد في العربية، ولا تقبله.

وللتخلص من هذا النمط المقطعي فلا بدّ من أن يُسبق بحركة وهي الكسرة، والكسرة تأتي تابعة للصامت، ولو بقي البناء على الألف أو ياء المدّ فإنّ ذلك يشكل بنية مقطعية مرفوضة تتمثل في (ملهى + ي ي) م ل / هـ / ي ي (ص ح ص / ص ح ح / ص ص)، وكذلك (الشجي) فإنّ ياء النسب تسبق بياء المدّ، ولذلك فإنّ ياء المدّ تقع نهاية مقطع، وتستقل ياء النسب بمقطع منفصل لا تجيزه العربية.

وما جاء في الرباعي هو على شاكلة الثلاثي المقطعية، فالبناء المقطعي في (فتى، عصا) في المقصور، (والشجي، والخلي) في المنقوص.

ولما كان البناء في الثلاثي والرباعي يحتمل الإبقاء على صوت المد بقلبه فقد جاء في الثلاثي قلب الألف والياء، فالبناء قصير ويحتمل القلب، وطبيعة النسيج المقطعي أصبحت منسجمة بالقلب، وكذلك الحال في الرباعي الذي يرد فيه القلب، والحذف، والفيصل فيه الانسجام المقطعي.

أمّا الخماسي والسداسي فإن حذف صوت المدّ الألف أو الياء إنما يقع لضرورة

مقطعية، ولطول الكلمة الذي يشكل زيادة في عدد المقاطع وهو ما عبّر عنه القدماء بالثقل؛ ولذلك فإنّ مصير المدّ في الخماسي وما زاد هو الحذف فقط، ثم إلحاق ياء النسب.

وتخلص الدراسة إلى النتائج الآتية:

- 1 - أجمع العلماء على قلب صوت المدّ عندما يكون ثالثاً في المقصور والمنقوص، وسواء أكان أصل الألف واواً أو ياءً فإنها تقلب واواً، وهذا يؤكد أنّ النسب الرئيس في القلب إنّما هو سلامة البناء المقطعي، وأنّ قضية ربط التحولات بالأصل ليست مطردة.
- 2 - يلاحظ أنّ الاسم في الثلاثي يبقى على القلب، وذلك للحفاظ على بنية معتدلة، فلو وقع الحذف قد يختل البناء المقطعي، وقد يقع اللبس.
- 3 - يلاحظ أنّ ما جاز فيه الحذف والقلب أو الإبدال قد اتجه فيه المتكلم إلى القلب أو الإبدال، ولم يتجه للحذف، ومثال ذلك استعمال (شجوي، وملهوي، وقاضوي) أكثر من استعمال (شجيّ، وملهيّ، وقاضيّ)، وربما يعود ذلك إلى إحساس المتكلم والسامع أنّ الاستعمال بالقلب قد يوحي بمعنى النسب، ودلالته أكثر ممّا يؤديه الحذف.
- 4 - كشفت الدراسة عن خلط عند القدماء في معاملتهم أصوات المدّ معاملة الصوامت، وأنها تسبق بحركة، وتسكّن، وهذا غير دقيق؛ فأصوات المدّ حركات طويلة.
- 5 - ويظهر من مقولات القدماء أنّهم على قناعة بوجود كسرة قبل ياء النسب، وذلك قبل اجتلاب واو الوقاية، وهذا غير دقيق؛ لأنّ الكسرة تجتلب مع الحرف، وتابعة له.
- 6 - يذهب كثير من المحدثين إلى أنّ ياء النسب مسبوقة بكسرة، وأنّ قلب صوت المدّ الألف أو الياء إنّما يقع بسبب وجود الكسرة، وهذا غير دقيق، لأنّ الكسرة تأتي تابعة لصوت الوقاية.

- 7 - يرى بعض المحدثين أنّ علة القلب في المقصور، والمنقوص هي ما يتشكل من الانزلاق بين الحركات لتتشكل أشباه الحركات، وهذا زعم مفترض، ويزيد في عدد المراحل المفترضة التي تجعل من هذه الافتراضات اللامنتظية زعماً مرفوضاً لكثرة المراحل، وعدم منطقيتها.
 - 8 - بالتحول من الصيغة المنطوقة في الاسم إلى صيغة النسب فإنّ موقع النبر يتغير متجهاً إلى المقطع الأخير.
 - 9 - يمثل التشابه في الرسم بين ياء المدّ، وياء اللين لبساً في المكتوب، وقد ينعكس على المنطوق، ولذلك فإنّ دخول بعض المتغيرات من اللواصق على بنية النسب يمثل عاملاً مهماً في إزالة اللبس الذي قد يقع في مثل (قاضي) قبل النسب (وقاضي) بعد النسب، وكذلك ملهي، وملهوي، ومن هنا يفضل اجتلاب الواو للوقاية المقطعية، ولإزالة اللبس.
 - 10 - جاءت بعض الدراسات الحديثة تكرر مقولات القدماء بمصطلحات حديثة، وكثير منها تكرر بعضها بافتراض صيغ لا وجود لها، وباستسلامها لبعضها، نتيجة تبعية التلميذ لأستاذه أو الاستسلام للمطبوع.
 - 11 - وإذا أقدم هذه الدراسة عن جزء من باب النسب يتمثل في (المقصور، والمنقوص)، فإنني أجد أنّ موضوع المقطع الصوتي لم يعط أهمية لكشف أثره، ودوره في تغير البنى اللغوية، وإيقاع التحولات المقطعية مراعاة لما يقع في البنية من تغير ومراعاة للنسيج العربي الذي يقبل أنماطاً محددة من المقاطع الصوتية.
- والله ولي التوفيق.

قائمة المراجع

- 1 - الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة في ضوء كتاب سرّ صناعة الإعراب، أبو أوس الشمسان، حوليات الآداب والعلوم الإنسانية، الحولية الثانية والعشرون، مجلس النشر العلمي، الكويت، 2002م.
- 2 - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، دار الطباعة الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1979م.
- 3 - التقاء الساكنين في ضوء نظرية المقطع الصوتي، صباح عبود، دار الرضوان للنشر، عمّان، 2014م.
- 4 - التحولات الصوتية في بنية الأسماء عند تصريفها، علي الجوابرة، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2007م.
- 5 - التكملة، أبو علي الفارسي، دار الكتب - جامعة الموصل، تحقيق: كاظم بحر المرجان، 1981م.
- 6 - الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، د. ت.
- 7 - دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، د. ط، 1990م.
- 8 - دروس في علم الصرف، ج 2، أبو أوس الشمسان، مكتبة الرشد، الرياض، 1997م.
- 9 - سرّ صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق حسن هنداي، دار القلم، دمشق، 1985م.
- 10 - شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد، المكتبة الأزهرية للتراث، د. ط، د. ت.

- 11 - شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسين الأستراباذي، حققه محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 1982م.
- 12 - شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د. ط، د. ت.
- 13 - الصرف التحليلي نظرات معاصرة، يحيى عبابنة، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2016م.
- 14 - الصرف وعلم الأصوات، ديزيرة سقال، دار الصداقة العربية، بيروت، 1996م.
- 15 - العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، هنري فليش، تعريب: عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، د. ط، 1983م.
- 16 - علل النحو، ابن الوراق، تحقيق: محمود جاسم الدرويش، إبداع للتصميم والطباعة، بغداد، د. ط، 2002م.
- 17 - علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، المنيرة، د. ط، 1984م.
- 18 - علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، أزمدة للنشر والتوزيع، عمّان، 1998م.
- 19 - قراءات وأصوات، فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث، إربد، 2012م.
- 20 - اللغة العربية معناها ومبناها، تَمَام حَسَّان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1979م.
- 21 - الكتاب، سيويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1983م.
- 22 - المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم الحمد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د. ط، 2002م.
- 23 - المدخل في علم الأصوات المقارن، صلاح حسنين، مكتبة الآداب، د. ط، 2005م.
- 2006م.

- 24 - المقتضب، أبو العباس المبرّد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ط، 2010م.
- 25 - المستقصى في علم التصريف، عبد اللطيف الخطيب، مكتبة دار العروبة، الكويت، 2003م.
- 26 - المقرّب، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- 27 - المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، د. ط، 1980م.
- 28 - النسب إلى الأسماء المنتهية بحركة مدّية، محمد الروابدة، وسيف الدين الفقراء. مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة، 2009م.



منظومة في أوجه همزة (إنّ)

للعلامة: محمّد الصالح بن حامد الحضيري الفرّاني

(ت 1101هـ / 1690م)

د. أحمد محمّد جاد الله

(كلية الآداب - البيضاء - جامعة عمر المختار)

المستخلص

هذا البحث تحقيق ودراسة لنصّ لغويّ يرجع إلى القرن (11هـ / 17م)، وهو عبارة عن نظم تعليميّ، موسوم بـ: «منظومة في أوجه همزة (إنّ)»، للعلامة: محمّد الصالح بن حامد الحضيريّ الفرّانيّ (ت 1101هـ / 1690م). ويستمدُّ أهمّيّته من منظور التاريخ الثقافيّ لليبيا عامّة وفرّان خاصّة، إضافة إلى طرافة المنظومة في بابها. وقد جاء في مقدّمة ومبحثين وخاتمة؛ شمل المبحث الأوّل مطلبين؛ خُصّص الأوّل منهما للتعريف بالناظم، وتضمّن مدخلاً موجزاً عن عصره وبيئته العلميّة والثقافيّة، كما تضمّن ترجمته ومكانته العلميّة. وخُصّص المطلب الثاني: للتعريف بالنظم، فاحتوى ديباجة مختصرة عن تاريخ النظم التعليميّ وخصائصه، ثمّ نظرة مباشرة في هذه المنظومة. وجاء المبحث الثاني -أيضاً- في مطلبين: خُصّص الأوّل للتعريف بالمنهج المتّبع في التحقيق، ووصف النسخة الخطيّة، وصورها. وتضمّن المطلب الثاني النصّ المحقّق. واحتوت الخاتمة النتائج والتوصيات، مقفّوة بفهرس المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحيّة (الدالة): (نظم، إنّ، حضيريّ، نحو، فرّان)

بسم الله الرحمن الرحيم

تزخر مكتبتنا العربية بعددٍ غير قليل من المصنّفات النحويّة؛ فالتأليف في هذا العلم بدأ في وقت مبكّر، وقد تنوّعت تلك المؤلّفات نثرًا ونظمًا، ومن المنظومات ما اشتمل على كلّ الأبواب النحويّة، ومنها ما خُصّص لأحد أبواب النحو أو بعض مسائله، وقد جرت عادة العلماء على نظم العلوم والمسائل كي يسهل حفظها واستحضارها.

ولمّا وقفت على منظومة الحضيريّ هذه، رأيتهما جديرة بالدراسة والتحقيق؛ لطرافتها في بابها، ولأنّ ناظمها عالم جليل من علماء بلادنا، الذين من حقّهم علينا أن نعرّف بهم، وننشر نتاجهم العلمي، وننفذ عنه غبار الإهمال والنسيان. وحرّيّ بالذكر أنّي إذ أنشر هذا النصّ اللغويّ (النظم التعليميّ)، لا أقدمه على أنّ فيه إضافة لقواعد النحو، أو جديدًا في مسائله وقضاياها، بقدر أهميّته من منظور التاريخ الثقافيّ لذلك الجزء القصيّ من الوطن العزيز. وقد جاء هذه العمل في مقدّمة ومبحثين وخاتمة:

المبحث الأوّل: الدراسة، وشمل مطلبين:

المطلب الأوّل: خصّصته للتعريف بالناظم.

المطلب الثاني: خصّصته للتعريف بالنظم.

المبحث الثاني: التحقيق، وشمل - أيضًا - مطلبين:

المطلب الأوّل: المنهج المتّبع في التحقيق، ووصف النسخة الخطيّة.

المطلب الثاني: النصّ المحقّق.

واحتوت الخاتمة النتائج والتوصيات، مقفوة بفهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

الدراسة

المطلب الأول: التعريف بالناظم

أولاً: مدخل موجز عن عصره وبيئته

1 - الحالة السياسيّة في عصره:

في العهد العثمانيّ الأوّل (1551-1711م)، كانت فزان تحت حكم دولة أولاد محمّد الفاسي، التي أسّست سنة (957هـ / 1550م)، واستمرّ حكمهم بعد ظهور العثمانيين عليهم، ومنحهم حكماً ذاتياً سنة (985هـ / 1577م)، وظلّوا الحاكمين على فزان حتّى قُتل آخر حاكم منهم في عهد يوسف باشا القرمانلي سنة (1226هـ / 1811م).

ولم يعرف الاستقرار السياسيّ إلى فزان سبيلاً في عهد أولاد محمّد، بسبب تمردهم المستمرّ على السلطان العثمانيّ، وإعلان الثورات عليه، وامتناعهم عن دفع الخراج، ولا سيّما أنّهم وجدوا في المناطق المجاورة لفزان عمقاً استراتيجياً يلوذون به عندما تأتيهم الحملات العثمانيّة التآديبيّة⁽¹⁾.

في هذا الجوّ المضطرب سياسياً وُلد الشيخ محمّد الصالح، ونشأ في أسرته التي كان لها دور في فضّ النزاعات بين الحكومتين، فعاصر الشيخ ما قام به والده وشيخه ومرابطو فزان وشيوخها، من وساطات في حلّ النزاع، وإبرامهم اتفاقية بين العثمانيين وأولاد محمّد، في عهد محمّد الساقزيّ العثمانيّ في طرابلس، ومحمّد بن جهيم الفاسيّ في فزان، سنة (1036هـ / 1627م)⁽²⁾.

(1) يُنظر: فزان ومراكزها الحضاريّة: 47.

(2) يُنظر: الحياة العلميّة والثقافيّة في فزان خلال الفترة ما بين القرن السابع عشر والقرن التاسع عشر: =

2 - بيئته العلميّة والثقافيّة:

على الرغم من أنّ العامل السياسيّ يلقي بظلاله غالباً على باقي مناحي الحياة سلبيّاً أو إيجاباً، إلا أنّ المراكز الثقافيّة في فزان لم تتأثّر تأثراً ملحوظاً بالصراع الدائر آنذاك، ويؤكد هذه الحقيقة أنّ فزان عُرِفَت في ذلك العصر بنشاط الزوايا العلميّة والتربويّة؛ إذ تحدّثنا المصادر أنّ الشيخ محمّداً الصالح نشأ في زاوية أجداده، التي هي امتداد لزاوية جدّه الأكبر الشيخ الناعميّ الفاسيّ التي أسّسها في بلدة الجديد الشارف في القرن السابع الهجريّ، وتناوب عليها أبنائوه وأحفاده من بعده، ثمّ انتقلت إلى الجديد الحاليّ⁽¹⁾.

ومن عوامل ازدهار العلم والثقافة في فزان أنّ الحكّام العثمانيين، وسلاطين أولاد محمّد، كانوا يقدرّون العلماء ويجلّونهم؛ فقد كان سلطان فزان الطاهر بن ناصر محبّاً للعلم وأهله، وهذا ما نلمسه في قول عثمان بن عليّ بن أبي بكر، تلميذ الشيخ محمّد الصالح: «وقد كان كثير الجود، محسناً لطلبة العلم والقرآن، وكان الشيخ عليّ بن أبي بكر، كثير النصّح والإرشاد له، بالنظم والنثر، وقد وعظه مرّة بنظم طويل عجز الأمير عن فهم بعضه، وأعجب بحسن سبكه»⁽²⁾.

هذا إلى كونها مركزاً تجارياً مهمّاً في طريق التجارة بين شمال القارّة وجنوبها، حيث كان العلماء والفقهاء يستقلّون القوافل ويعقدون حلّقات العلم ويلقون الدروس مدّة وجودهم في فزان، ومنهم من ألقي عصا التسيار في فزان؛ كما فعل الشيخ الناعميّ، عندما كان قادماً في قافلة للحجّ منتصف القرن التاسع الهجريّ⁽³⁾.

= 491/1

(1) يُنظر: المسك والريحان في ما احتواه عن بعض أعلام فزان: 24.

(2) ترجمة الشيخ عليّ الحضيريّ (خ): 1، 2. نقلاً عن: الشيخ محمّد الصالح بن حامد الحضيريّ مؤلفاً ومفتياً: 585.

(3) يُنظر: تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور: 84، 85؛ والشيخ محمّد الصالح بن حامد الحضيريّ مؤلفاً ومفتياً: 585.

ثانيًا: ترجمته، ومكانته العلميّة

1 - أُولَيْتِهِ (اسمه، وكنيته، ونسبته):

هو محمّد الصالح، بن حامد، بن حامد (الكبير)، بن إبراهيم، بن محمّد (حضيريّ)، بن إبراهيم، بن محمّد (الفاسيّ)، بن عثمان، أبو عبد الله⁽¹⁾، الحضيريّ؛ نسبة إلى جدّه محمّد حضيريّ، الإدريسيّ الحسنيّ الشريف، الجديديّ السبهاويّ الفرّانيّ؛ نسبة إلى منطقة الجديد بسبها الواقعة في إقليم فرّان بالجنوب الغربيّ من هذا القطر الذي عُرف فيما بعد باسم ليبيا.

2 - مولده، ونشأته، ورحلته:

وُلد في منطقة الجديد بسبها، وفيها نشأ وترعرع، وبها تلقّى العلوم والمعارف، عن عيّنه وعمدته الشيخ عليّ بن أبي بكر الحضيريّ⁽²⁾، ثمّ ارتحل إلى طرابلس، والتقى بعلمائها، فكانت بينه وبينهم مناظرات ومساجلات⁽³⁾.

وجدير بالذكر أنّ عائلة الحضيريّ أنجبت عددًا من العلماء، وأنّ إقامتهم في صحراء فرّان لم تعقهم عن التنقّل من بلد إلى بلد ومن قطر إلى آخر؛ تتبّعًا لمنابع العلم ومصادر المعرفة، وعلى الرغم من اتّساع منطقتهم إلّا أنّهم شكّلوا حلقة وصل بين الشمال الإفريقيّ وما وراء الصحراء⁽⁴⁾.

وفي عام 1047هـ/ 1637م، أذن له والده بالرحيل إلى مصر، وهناك مكث تحت رعاية أخواله من آل السنهوريّ يستكمل طلب العلم، وأرسل معه راحلتين تحمّلان الذهب إلى خزنة الأزهر الشريف، وغيرًا تحمل المؤن والزاد إلى طلّاب العلم⁽⁵⁾.

(1) عن وثيقة محفوظة لدى أحفاده، ولديّ مصوّة عنها، ويُنظر: المسك والريحان في ما احتواه عن بعض أعلام فرّان: 123.

(2) سيأتي ذكره في شيوخه.

(3) يُنظر: المسك والريحان: 123، 126.

(4) يُنظر: تذييل المعيار: 63/1.

(5) عن الوثيقة المحفوظة لدى أحفاده.

وفي إحدى رحلاته إلى طرابلس رفقة ابنه سالم، حوالي عام 1090هـ / 1679م، اجتمع بهم الشيخ عبد السلام العالم التاجوري (1058-1139هـ / 1648 - 1727م)، ووثق ذلك اللقاء في قصيدة ترحيبية، منها قوله [من الطويل]:

أَصَالِحَ هَذَا الْعَصْرِ، وَالْفَاضِلَ الَّذِي طَرَابُلُسُ غَرْبِ أَشْرَقَتْ بِقُدُومِهِ
كَاشَرَا قِ فَرَانٍ بِهِ قَبْلُ إِذْ غَدَتْ تَتِيهِ عَلَى كُلِّ الْقُرَى بِعُلُومِهِ
مُحِبُّكُمْ عَبْدُ السَّلَامِ مُسَلِّمٌ كَثِيرًا عَلَى نَادِيكُمْ بِعُمُومِهِ
وَلَا سِيَّمَا نَجُلٌ لَكُمْ شَاعَ عِلْمُهُ فَلَيْلَهُ مَا أَذْكَى سَنَاءَ فُهُومِهِ
وَيَظْلُبُ مِنْكُمْ كُلَّكُمْ صَالِحَ الدُّعَا لَعَلَّ بِهِ تُجَلَّى جَمِيعُ هُمُومِهِ⁽¹⁾

3 - شيوخه:

أ- الحضيرى، علي بن أبي بكر، أبو الحسن (980-1061هـ / 1572-1651م)، عمه وعمدته⁽²⁾، وهو يروي عن جماعة منهم:

- السنهورى، سالم بن محمد (ت 1015هـ / 1606م)⁽³⁾.

- اللقاني، إبراهيم بن حسن (ت 1041هـ / 1632م)⁽⁴⁾.

- الشبراوى، محمد⁽⁵⁾.

ب - الطهطاوى، محمد⁽⁶⁾، وهو يروي عن جماعة منهم:

- السنهورى، سالم بن محمد (ت: 1015هـ / 1606م)⁽⁷⁾.

(1) فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم، (خ): 124 ب، 125 أ، ويُنظر: الحياة الثقافية في ليبيا في العهد العثماني الأول (عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه أنموذجًا): 261، 262.

(2) المسك والريحان: 126، ومقدمة تحقيق (شرح الحضيرى على مختصر خليل): 13.

(3) المسك والريحان: 104.

(4) نفسه: 105.

(5) نفسه: 105، ولم أقف على تاريخ وفاته.

(6) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب: 372، ولم أقف على تاريخ وفاته.

(7) قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر: 53، والمنهل العذب: 372.

- الكلبي، أحمد بن عيسى، شهاب الدين (ت: 1027هـ / 1617م)⁽¹⁾.
- اللقاني، إبراهيم بن حسن (ت: 1041هـ / 1632م)⁽²⁾.
- الزرقاني، يوسف بن أحمد (ت: 1047هـ / 1637م)⁽³⁾.
- 4 - تلامذته:

تلمذ له طلاب كثيرون، ذكرت المصادر ثلاثة منهم:

- أ - الحضيري، عثمان بن علي، أبو عمر، الشهير بنبراس الظلام (1050-1113هـ / 1640-1701م)⁽⁴⁾، ابن عمه، وهو من «أجل طلبة فزان الآخذين عن سيدي محمد الصالح»⁽⁵⁾.
- ب - الأوجلي، محمد الصالح بن عبد الرحمن، أبو عبد الله (ت بعد: 1102هـ / 1691م)⁽⁶⁾.

ت - التاجوري العالم، عبد السلام بن عثمان بن عز الدين بن عبد الوهاب بن عبد السلام الأسمر (1058-1139هـ / 1648-1727م)⁽⁷⁾.

ث - الحساني، محمد بن علي الطرابلسي، أبو عبد الله، الشهير بالسوداني⁽⁸⁾.

(1) قطف الثمر: 53، والمنهل العذب: 372.

(2) نفسه: 372. (3) نفسه: 372.

(4) المسك والريحان: 123، 127.

(5) فتح العليم (خ): 125 أ. ويُنظر: الحياة الثقافية في ليبيا في العهد العثماني الأول (عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه أنموذجًا): 263.

(6) المسك والريحان: 123، وهو: الشيخ العلامة: أبو عبد الله، محمد الصالح بن عبد الرحمن بن سليم الأوجلي البرقي، قاضي أوجلة، كانت له رحلة إلى طرابلس الغرب سنة (1092هـ)، من تلاميذه: أحمد ابن عبد الله بن أبي بكر الغدامسي (ت: 1118هـ)، وعلي بن عبد الصادق الجبالي (ت: 1138هـ)، تدل مصنفاته على سعة علمه وتبحره خصوصًا في علم العقائد. يُنظر: الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية: 248، والحياة الثقافية في ليبيا في العهد العثماني الأول (عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه أنموذجًا): 187.

(7) الحياة الثقافية في ليبيا في العهد العثماني الأول (عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه أنموذجًا): 261، 230.

(8) المسك والريحان: 127، ولم أقف على تاريخ وفاته. وقد وهم أبو بكر الحضيري (المسك والريحان: 123) =

5 - مؤلفاته:

ذكر التاجوريُّ أنَّه «لم يؤلّف شيئاً»⁽¹⁾، والصواب ما ذكره أبو بكر الحضيريُّ، وهو أنَّ «له مؤلّفات عديدة»⁽²⁾، وقد أورد له أحمد الدردير الحضيريُّ عناوين:

أ - شرح على عقيدة شيخه عليّ الحضيريّ⁽³⁾.

ب - مجموع فيه أسئلة الشيخ عليّ الحضيريّ لشيخه سالم السنهاوريّ⁽⁴⁾.

ومن مؤلفاته التي وقفت عليها:

ت - منظومة في أوجه همزة (إن). موضوع البحث.

ث - رسالة في (أركان الحجّ التي لا تجبر بدم)، بين يديّ قطعة منها.

6 - مكانته العلميّة:

اشتهر بحفظه لفروع المذهب، تدلّ على ذلك فتاويه المشهورة؛ من ذلك أنَّه أتاه رجل مستفتياً في مسألة، وكان له خصم، فقال الشيخ: «إن كان كما قلت، فالحقّ معك»، فاخصمهما عند القاضي، فحكم لغير صالح السائل، فرجع الرجل إلى الشيخ وأخبره، فسكت

= حينما ذكر أنَّ محمّد الصالح الحضيريّ: «تزامن مع عُمر السودانيّ»، والصواب أنَّ عُمر السودانيّ أخذ عن والده محمّد بن عليّ السودانيّ، وهو أخذ عن الحضيريّ. حيث ذكر فالح الظاهريّ (المنهل العذب: 372) أنَّ أستاذه السيّد محمّد بن عليّ السنوسيّ أخذ بطرابلس الغرب عن الإمام أبي العباس أحمد بن أبي زيد عبد الرحمن الطبوليّ الشريف الحسنيّ، وهو عن شيوخ كثير؛ منهم أبو حفص عُمر بن محمّد بن عليّ الحسّانيّ، وهو عن والده، وهو عن الشيخ العلامة محمّد الصالح الحضيريّ السبهاويّ الفرزانيّ.

(1) فتح العليم (خ): 125 أ، ويُنظر: الحياة الثقافيّة في ليبيا في العهد العثمانيّ الأوّل (عبد السلام بن عثمان التاجوريّ وتراجم شيوخه أنموذجاً): 262.

(2) المسك والريحان: 123.

(3) قال أبو بكر الحضيريّ (المسك والريحان: 127): وحكى لي بعضهم أنَّه وقف على شرح للعقيدة لتلميذه سيّدي عثمان بن عليّ الحضيريّ، وحكى بعضهم أيضاً أنَّه وقف على شرح للعقيدة لسيّد أحمد الأصفر بن إبراهيم بن حامد الحضيريّ، وللناظم سيّدي عليّ شرح على العقيدة، فحينئذ اجتمع أربعة شراح، وهذه عادة من الله جرت في هذه المنظومة، كلّ من يبتدئها بالشرح، ينتهي من باب العقيدة، ويمنعه مانع من إكمال باقي أبوابها، حتّى صارت جميع شروحها في التوحيد خاصّة.

(4) المسك والريحان: 127.

ساعة ثم قال: «نظرت في المذهب، فما وجدت قولاً حكم به عليك إلا طرة الخرشي على خليل»، فكتب ذلك الرجل للقاضي بما قاله الشيخ، فرجع في حكمه وقضى بالمشهور⁽¹⁾.

ومما ذكروا أيضاً: أنَّ عالماً من فقهاء زويلة يسمع بالشيخ عليّ الحضيري، فأتى للجديد بقصد رؤيته ومعرفة علمه، فدخل المسجد الكبير فوجد الشيخ محمداً يدرّس والناس مجتمعون حوله، فسأل بعض الحاضرين: أهذا سيدي عليّ؟ ف قيل له: لا، هذا تلميذه سيدي محمد الصالح، وأشار له إلى سيدي عليّ، وكان متكئاً على حائط غير بعيد عنهم، فتعجب ذلك العالم الزويلي من غزارة علم سيدي محمد الصالح وتقديره العلوم بحضور شيخه⁽²⁾.

ولرسوخ قدمه في العلم كانت تأتيه المسائل من البلاد القريبة والبعيدة، فكانت ترد عليه من غدامس، وكثيراً ما كانت تأتيه من مفتي طرابلس الشيخ أبي عبد الله محمد ابن مقيل⁽³⁾.

7 - حليته:

حلاه التاجوري بقوله: وكان سيدي محمد الصالح عالماً، متفنياً، محققاً بحكمه، ذا إصابة في الفتوى حسنة، له الأجوبة الرائقة اللفظ نظماً ونثراً⁽⁴⁾.

كما حلاه أحمد الدردير الحضيري بقوله: «كان شيخاً، عالماً، فقيهاً، ولياً، صالحاً، عاملاً، مؤلفاً، متكليماً، بارعاً في العلوم»⁽⁵⁾.

8 - وفاته:

توفي - رحمه الله - في بلدة الجديد بسبها، «ودُفن في قبة آله، شرقيّ شيخه سيدي

(1) يُنظر: المسك والريحان: 123، 124. (2) يُنظر: نفسه: 124.

(3) نفسه: 124، 125. وابن مقيل هو: محمد بن محمد بن مقيل، مفتي طرابلس الغرب، وُلد بطرابلس عام (1054هـ/ 1644م)، تخرّج بالشيخ أحمد المكني وغيره، توفي (1101هـ/ 1690م). يُنظر: فحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان: 116، 117.

(4) يُنظر: فتح العليم (خ): 125 أ، والحياة الثقافية في ليبيا في العهد العثماني الأول (عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه أنموذجاً): 262.

(5) المسك والريحان: 123.

عليّ، ورجلاه عند رأس والده الشيخ سيّدي حامد⁽¹⁾.

وقدّر أبو بكر الحضيريّ أنّه توفّي «في الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجريّ»⁽²⁾؛ أي: بين عامي (1075-1100)، ولكنّ معاصره عبد السلام التاجوريّ لم يدع مجالاً للتقدير حينما ذكر أنّه توفّي عام 1101هـ، قال: «وأظنّه في ثاني الربيعين»⁽³⁾، الموافق: يناير 1690م.

المطلب الثاني: التعريف بالنظم

أولاً: مدخل موجز عن تاريخ النظم التعليميّ وخصائصه.

1 - تاريخ النظم التعليميّ:

إنّ من أهمّ ما طرأ من تجديد في أغراض الشعر العربيّ ما عُرف بالنظم التعليميّ؛ وقد وُجد هذا اللون من الفنّ الأدبيّ العقليّ في الأدب العربيّ منذ أقدم العصور؛ فمن يدقّق في الأدب الجاهليّ يجد فيه ذكر تاريخ القرون الخالية والأمم البائدة، ولا سيّما عند أولئك الشعراء الذين كانوا على شيء من الثقافة؛ كأميّة بن أبي الصلت، وعديّ بن زيد، والأخنس بن شهاب، كما يجد فيه شعر الأخلاق والحكم المستمدّة من بقايا تعاليم الأنبياء، أو المستوحاة من التجارب الحياتيّة للشعراء؛ أمثال قيس بن ساعدة، وزهير ابن أبي سلمى. إلّا أنّ بابه فُتح على مصراعيه في العصور الإسلاميّة بعد مرحلة تدوين العلوم، ولا سيّما العصر العبّاسيّ؛ إذ ولجّه كبار العلماء والأدباء، ثمّ لحق بركبهم من لحق إلى يوم الناس هذا⁽⁴⁾.

وقد ظهر هذا النوع من الفنّ في بلادنا منذ أكثر من أربعة قرون؛ حيث أحصت دراسة د. بشيّة ستّة وعشرين علّماً، وذكرت نماذج من أعمالهم الفنيّة التي نظموها في مخلف

(1) نفسه: 127. (2) نفسه: 123.

(3) فتح العليم (خ): 124 ب، ويُنظر: الحياة الثقافيّة في ليبيا في العهد العثمانيّ الأوّل (عبد السلام بن عثمان التاجوريّ وتراجم شيوخه أنموذجاً): 261.

(4) يُنظر: المنظومات التعليميّة ودورها في التعليم: 106-.

العلوم، كان أولهم العلامة الفقيه علي بن أبي بكر الحضريّ الفزائي⁽¹⁾. وجدير بالذكر أنّ الدراسة لم تشر إلى العلامة محمّد الصالح بن حامد الفزائيّ، ونظمه الذي بين أيدينا.

2 - بين النثر والنظم والشعر:

لا يختلف اثنان في أنّ النظم - بموسيقاه وإيقاعه - أوقع في النفس، وأسرع رسوخاً في الذاكرة، من النثر؛ يقول العكاريّ (ت: 1313هـ / 1895م):

وَبَعْدُ، فَالْنَّظْمُ، وَإِنْ مُزَاحَفًا أَسْهَلُ مِنْ نَثْرٍ وَإِنْ مُزَخْرَفًا

أي أنّ النظم المرادف للشعر - وإن كان مزاحفًا - أسهل في الضبط والحفظ من النثر، وإن كان النثر مزيّنًا بالبلاغة؛ لنشاط النفس وميلانها للنظم دون النثر⁽²⁾. ولذلك اختاروه قالبًا لحفظ ثقافتهم، وجعلوا منه خزانة لعلومهم ومعارفهم، يقول الجاحظ: «فإنّ حفظ الشعر أهون على النفس، وإذا حُفظ كان أعلق وأثبت، وكان شاهدًا، وإن احتيج إلى ضرب المثل كان مثلاً»⁽³⁾.

ويختلف النظم التعليمي عن النصّ الشعريّ في افتقاره إلى عنصري العاطفة والخيال؛ إذ النظم موجه إلى العقل؛ يقول عمر فروخ: «أمّا النظم فهو الكلام الموزون المقفّ، فإذا امتاز النظم بجودة المعاني، وتخير الألفاظ، ودقّة التعبير، ومتانة السبك، وحسن الخيال، مع التأثير في النفس، فهو الشعر»⁽⁴⁾.

3 - خصائص النظم التعليمي:

من خصائص النظم أنّه يعرّفنا بالقدرات العقلية والملكات الأدبية لناظمه، ويوقفنا على مدى ازدهار الحياة العلمية والثقافية في عصره وبيئته.

ومن خصائصه أنّ معظم ما أنشئ منه جاء في قالب الرجز؛ لسلاسته وخفة مزاجه،

(1) يُنظر: النظم التعليمي في ليبيا أعلام ونماذج: 172-.

(2) يُنظر: الجواهر السنية على النظم المحاذي للأجرومية: 56.

(3) الحيوان: 284/6.

(4) تاريخ الأدب العربي: 44، 45.

وسهولة موسيقاه، وجواز الزحافات فيه مفردة ومزدوجة، ولتنوع قوافيه؛ إذ أكثر بنائه على الرجز المزدوج، الذي يتفق فيه حرفا العروض والضرب، يقول الرافعي: «وهم مجمعون على استعمال هذا النمط من الرجز الذي يستقل فيه كل مصراعين بقافية، حتى لقبوه بحمار الشعر؛ لسهولة الحمل عليه»⁽¹⁾.

ومن مميزات هذا الفن طول نفس أصحابه؛ حيث إن بعض المنظومات يصل عدد أبياتها إلى الألف بيت؛ كالفية ابن مالك في النحو والصرف، وألفية السيوطي في مصطلح الحديث، وألفية العراقي في السيرة النبوية، وطيبة النشر، والشاطبية، بل إن منها ما تجاوز عدد أبياتها المئة ألف بيت، وسبب ذلك هو محاولة الناظم استقصاء قواعد علم ما في منظومة واحدة، وقابلية الرجز المزدوج للتوسع والتطوير.

ثانيًا: نظرة مباشرة في هذا النظم.

1 - اسمه، وبحره، وعدد أبياته، ونسبته

لم يدون اسم النظم في المخطوط، فاخترت أن أسميه (منظومة في أوجه همزة إن)؛ اقتباسًا من قول الناظم في مقدمته:

وَبَعْدُ: فَالْقَصْدُ بِذَا النِّظَامِ حَصْرُ وُجُوهِ (إِنْ) بِالتَّمَامِ

وهو - كغالب الأنظمة العلمية - من بحر الرجز، المزدوج، عدد أبياته تسعة وثلاثون بيتًا، استغرقت المقدمة منه أربعة أبيات، والخاتمة كذلك أربعة أبيات، وجاء المقصد في واحد وعشرين بيتًا.

وقد صحت بلا شك نسبة هذا النظم إلى ناظمه؛ فقد كتب في الورقة الأولى: «قال الشيخ العالم العلامة المحقق، سيدي محمد الصالح بن سيدي حامد الحضيريّ الفزاني»، وبالاتصال مع بعض أهل العلم من آل الحضيريّ أكدوا لي نسبة المنظومة إلى ناظمها، رحمه الله تعالى.

(1) تاريخ آداب العرب: 152.

2 - موضوعه، ومصادره:

خَصَّصَ الناظم - رحمه الله - نظمه هذا لمسألة أوجه أو أحوال همزة (إِنَّ)؛ حيث ذكر أَنَّ لها ثلاثة أوجه فقال:

أَوْجُهَا ثَلَاثَةٌ: بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ، وَالْوَجْهَيْنِ؛ فَافْهَمْ تَدْرِ
وَصَرَّحَ بمصادره حينما قال:

وَفَتْحُهَا خُرِرَ بِالتَّصْحِيحِ لِلْأَزْهَرِيِّ شَارِحِ (التَّوْضِيحِ)
مَعَ أَصْلِهَا،.....

وهي: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) لابن هشام (ت: 761هـ)، وحاشية الشيخ خالد الأزهرِّي (ت: 905هـ) عليه، المسماة: (شرح التصريح على التوضيح)، أو (التصريح بمضمون التوضيح)، ويدفعنا ذلك إلى مداورة المسألة من خلال هذه المصادر:

1 - كسر همزة (إِنَّ):

ذكر ابن مالك «أنه يجب الكسر في ستّة مواضع»⁽¹⁾، فقال:

فَاكْسِرْ فِي الْإِبْدَاءِ، وَفِي بَدْءِ صَلََّةٍ وَحَيْثُ (إِنَّ) لِيَمِينٍ مُكْمَلَةً
أَوْ حُكَيْتُ بِالْقَوْلِ، أَوْ حَلَّتْ مَحَلَّ حَالٍ؛ كَ: زُرْتُهِ وَإِنِّي ذُو أَمَلٍ
وَكَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فِعْلٍ عُقْلًا بِاللَّامِ؛ كَ (اعْلَمْ إِنَّهُ لَذُو ثَقَى)⁽²⁾

«وأورد عليه أنه نقص مواضع يجب كسر (إِنَّ) فيها»⁽³⁾، استدركها بعض شراح الألفية، وهي: إذا وقعت بعد (حيث)، أو بعد (إذ)، وإذا وقعت صفة، أو خبرًا عن اسم ذات⁽⁴⁾، وقال الأزهرِّي موافقًا ابن هشام: تتعيّن «(إِنَّ) المكسورة في مواضع عشرة، لا

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 1 / 353.

(2) ألفية ابن مالك في النحو والصرف: 94.

(3) شرح ابن عقيل: 1 / 354.

(4) يُنظر: شرح ابن عقيل: 1 / 354، 355، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 299-301.

يجوز فيها أن يسد المصدر مسدها ومسد معموليها⁽¹⁾، وهي المواضع العشرة نفسها التي ضمّنها الحضيريّ نظمها، فقال:

فَكَسَرُهَا قَدْ جَاءَنَا فِي عَشْرَةٍ مَضْبُوطَةٍ لِمَنْ وَعَى مُشْتَهَرَةٌ

2 - فتح همزة (إن):

أما الفتح فقد وضع له ابن مالك ضابطاً عاماً، فقال:

وَهَمَزَ (إِنَّ) افْتَحَ لِسَدِّ مَصْدَرٍ مَسَدَهَا، وَفِي سِوَى ذَلِكَ اكْسِرِ

وذكر ابن عقيل ثلاثة مواضع فقال: يجب فتحها إذا قُدرت بمصدر؛ كما إذا وقعت في موضع: مرفوع فعل، أو منصوبه، أو في موضع مجرور حرف⁽²⁾.

وبقيت عليه خمسة مواضع استدركها ابن هشام، وهي: أن تقع مبتدأ، أو خبراً عن اسم معنئ غير قول ولا صادق عليه خبرها، أو مجرورة بالإضافة، أو معطوفة على شيء من ذلك، أو مبدلة منه⁽³⁾. وقال الأزهري موافقاً ابن هشام -أيضاً-: تتعين «(أن) المفتوحة في مواضع ثمانية يجب فيها أن يسد المصدر مسد (أن) ومسد معموليها»⁽⁴⁾، وهذه الثمانية -أيضاً- هي التي ضمّنها الحضيريّ نظمها، فقال:

وَفَتْحُهَا حُرِّرَ بِالتَّصْحِيحِ لِلْأَزْهَرِيِّ شَارِحِ (التَّوْضِيحِ)
مَعَ أَصْلِهَا، وَعَدَهَا ثَمَانِيَةً مُبَلَّغًا لِلْمُشْتَهِي أَمَانِيَهُ

3 - جواز الكسر والفتح:

اقتصر ابن مالك على أربعة مواضع يجوز فيها فتح همزة (إن) وكسرها، عندما قال:

بَعْدَ (إِذَا فُجَاءَةً)، أَوْ قَسَمَ لَا لَامَ بَعْدَهُ يَوْجَهَيْنِ نُمِي

(1) شرح التصريح على التوضيح: 300.

(2) يُنظر: شرح ابن عقيل: 1/ 350، 351.

(3) يُنظر: أوضح المسالك: 301، 302.

(4) شرح التصريح على التوضيح: 302.

مَعَ تَلَوِّ فَاءِ الْجَزَاءِ، وَذَا يَطْرُدُ فِي نَحْوِ: خَيْرُ الْقَوْلِ إِنِّي أَحْمَدُ⁽¹⁾
وزاد في (أوضح المسالك) خمسة مواضع، وهي: أن تقع في موضع التعليل، أو بعد
واو مسبوقه بمفرد صالح للعطف عليه، أو بعد (حتّى)، أو (أمّا)، أو (لا جرم)⁽²⁾. ووافق
الأزهري ابن هشام في عدّها تسعة⁽³⁾، وتابعهما الحصري، فقال:
وَالْكَسْرُ وَالْفَتْحُ يَجُوزَانِ مَعَا فِي تِسْعَةٍ مَعْلُومَةٍ قَدْ وَقَعَا



(1) ألفية ابن مالك: 94.
(2) يُنظر: أوضح المسالك: 304-307.
(3) يُنظر: شرح التصريح: 304.

المبحث الثاني

التحقيق

المطلب الأول: المنهج المتَّبَع في التحقيق، ووصف النسخة الخطيَّة.

أولاً: المنهج المتَّبَع في التحقيق:

- 1 - كتابة النصّ بما يوافق قواعد الإملاء الحديثة، ووضع علامات الترقيم المناسبة، وإجراء بعض التعديلات المسموح بها للمحقِّق مع الإشارة إلى ذلك في الحواشي، وإضافة بعض العناوين بين معقوفين [] .
- 2 - استدعاء الآيات القرآنيَّة بالرسم العثمانيّ من المصحف الحاسوبيّ.
- 3 - ضبط أبيات النظم والشواهد الشعريَّة بالشكل، مع تخريجها من مظانِّها.
- 4 - عزو المسائل والنصوص، وترجمة الأعلام.
- 5 - تبين موضع بداية كلّ ورقة من ورقات المخطوط.

ثانياً: وصف النسخة الخطيَّة:

نسخة محفوظة في مكتبة شيخ شيوخنا الفقيه أبي القاسم التواتي في الجغبوب، رحمه الله تعالى، كُتبت بخطِّ واضح، شبه نسخيٍّ، تقع في (04) صفحات، في كلّ صفحة (17) سطراً، ومتوسِّط عدد الكلمات في السطر (09) كلمات، عليها تعليقات في الحواشي، وهي نسخة تامَّة، خالية من الطمس والسقط، نادرة الأخطاء، ناسخها: العلامة الفقيه: أبو القاسم التواتي؛ حيث جاء في آخرها: «انتهى وكفى، والصلاة على النبيّ المصطفى، على يد كاتبها بنفسه لنفسه ولمن شاء الله بعده: أبي القاسم بن محمّد

التَّوَاتِيَّ بن أحمد التمنظيطي، غفر الله له ولوالديه ولأقاربه وأحبابه، ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، ولجميع مشايخه البارزين له المانحين له الخيرات، الباذلين له النصح الواقفي عن الوقوع في المهلكات.

التعريف بالناسخ:

هو السيّد: أبو القاسم بن محمّد بن أحمد بن أبي القاسم بن أحمد بن يحيى التواتي التمنظيطي العباسي، نسبة إلى تَمْنُطِيط بإقليم توات في صحراء الجزائر، قدم جدّه أحمد بن أبي القاسم على الأستاذ الأكبر السيّد محمّد بن عليّ السنوسي بمكة المشرفة عام (1265هـ / 1849م)، وتولّى مشيخة زوايا سيوة والزيتون ومرزق وووا وغيرها من زوايا فزان، وهو أحد العلماء الذين اختارهم الأستاذ للتدريس بزوايا الجغبوب. أمّا أبوه فصحب الأستاذ السيّد محمّدًا المهديّ السنوسيّ في رحلته إلى الكُفْرة عام (1314هـ / 1896م)، وبها وُلد له ابنه أبو القاسم عام (1323هـ / 1905م)، ونشأ في حجر أبيه نشأة علميّة.

وعندما كان الشيخ أبو القاسم مقيمًا بجالو - في مدّة مرض والده - عام (1345هـ / 1927م)، التقى بسيدي عُمر المختار الذي اختاره ليكون كاتبًا له إلى أن غزا الطليان أجدابية، فانتقل مع والدته إلى الكُفْرة، التي ما لبث أن غادرها إلى تشاد فرارًا من التوغّل الإيطاليّ، فيما عُرف آنذاك بـ(الهيج)، وذلك عام (1347هـ / 1929م)، ثمّ التحق بالسودان الشرقيّ؛ لغرض إكمال تعليمه عام (1353هـ / 1934م)، فانتسب إلى زاوية الميرغنيّ ونهل من علمائها، وفي عام (1357هـ / 1938م) قفل راجعًا إلى تشاد فأقام ببلدة فايا، وعُيّن قاضيًا بها، ثمّ تقلّد منصب الإفتاء إلزامًا، كما انتدب من قبل الحكومة الفرنسيّة لتدريس اللغة العربيّة في مدارسها. وفي عام (1376هـ / 1957م) عاد إلى ليبيا، ولكنّه ما لبث أن رجع إلى تشاد، ليكون رجوعه النهائيّ إلى بلده عام (1379هـ / 1960م). وفي ليبيا عُيّن بموجب مرسوم ملكيّ نائبًا لرئيس محكمة الاستئناف الشرعيّة بسبها، وذلك عام (1381هـ / 1962م)، ثمّ نُقل إلى الجامعة الإسلاميّة بالبيضاء عام (1384هـ /

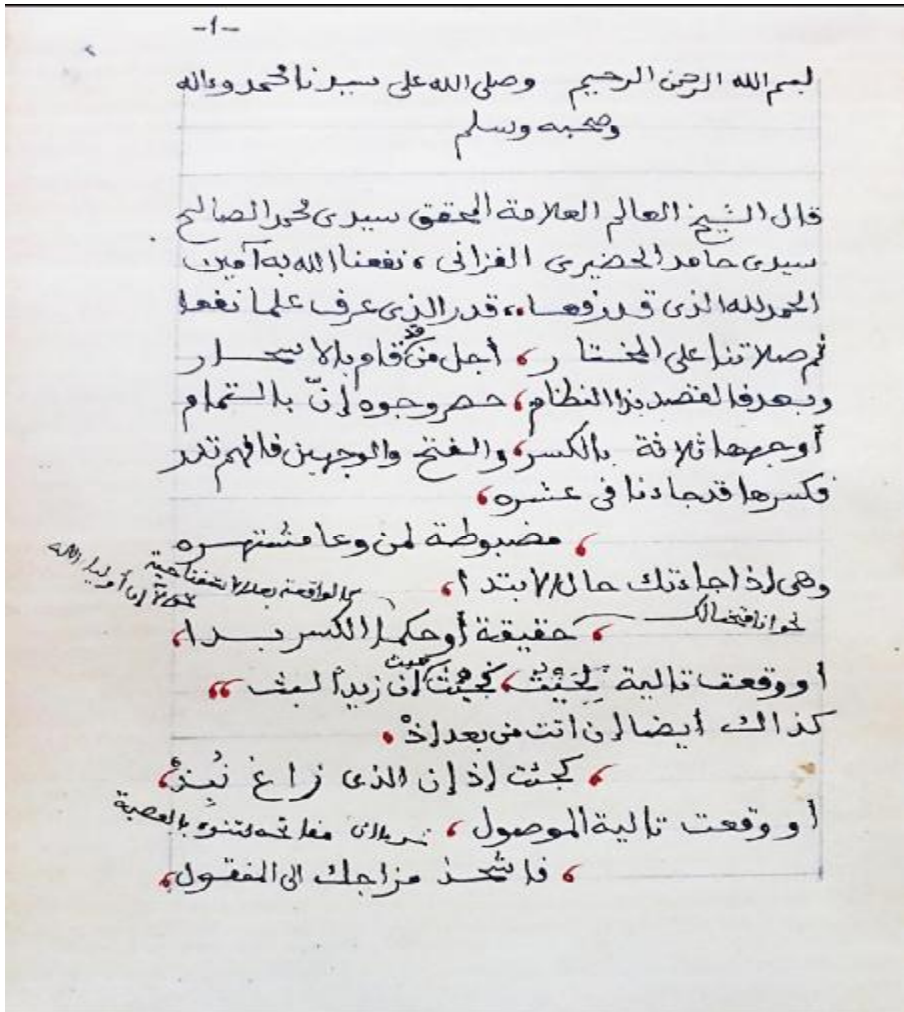
1965م)، ثم عُيِّن مديراً لمعهد الجغبوب الديني، ثم مديراً لمعهد الكُفْرة الديني، إلى أن أُحيل إلى التقاعد سنة (1390هـ / 1970م).

هذا، وقد أخذ الشيخ -بعد والده - عن عدد من مشايخ ليبيا والسودان وشنقيط، ولعل أشهرهم السيّد أحمد الشريف السنوسي (1351هـ / 1933م)، والسيّد محمد إدريس السنوسي (1403هـ / 1983م). ومن أشهر تلاميذه والآخذين عنه: القاضي التقيّ بن محمد عبد الله الشنقيطي، (ت 1432هـ / 2011م)، والسيّد المسند أحمد مالك بن محمد العريّ بن أحمد الشريف السنوسي (ت 1434هـ / 2013م).

وبعد هذه الحياة الحافلة بالاجتهاد، والزخرة بالعطاء العلميّ أسلم الشيخ أبو القاسم روحه إلى بارئها، وذلك يوم الجمعة (16 شعبان 1401هـ / 19 يونيو 1981م)، بعد أن أثرى المكتبة المالكيّة بمؤلّفات قيّمة، لاقت القبول والاستحسان، منها: مرجع المشكلات في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والجنايات على مذهب الإمام مالك، ورفع الالتباس في وجوب الصوم والفطر برؤية قطر دون آخر على جميع الناس، والإسعاف بالطلب في اختصار شرح المنهج المنتخب، وتلخيص شرح التكميل، وتنبيه الأولاد فيما كان عليه السلف الصالح والأجداد⁽¹⁾.

(1) يُنظر: جهود علماء ليبيا في التأليف في الفقه المالكيّ (العلامة الشيخ أبو القاسم التواتي أنموذجاً)، أ. محمد محمود موسى يونس، المجلة الليبية العالمية، ع 38، أبريل 2018م، كليّة التربية، المرج، جامعة بنغازي، 12 - 23.

ثالثاً: صورة النسخة الخطيّة:



(لوحة 1)

- ۹ -

وعكس هذا ان انت في الحشر **نعم** الله انه قاض
 ، فالفتح فيها قال اهل النحو
 او وقعت جوابا ايضا لقسم ،
 ، بالواو او بفعله الكسر ان ختم
 او وقعت محكية او حالاً ، فكسرها يلزم ع المقلات
 او وقعت وصفاً الى اسم عين ، نحو مرتب رجل انه قاض
 ، قال الكسر واجب بدون مين
 او وقعت من بعد فعل عطف ، نحو زيد انه قاض وكما علم انه قاض
 ، عنها باللام لا بتداه حقيقاً
 او وقعت عن اسم ذات خبراً ،

١
فما لكسر واجب لها قد ظهر
وفتحها خبر بالتصحيح ، لا زهري شارح التوضيح
مع أصلها وعدّها ثمانية ، مبلغاً للمشتري أعانيه
أولها حيث أنكفأ عليه ، لتوكن مرفقاً مسأله
أو وقعت مفعولة / لا الزى ، فلو لم يكن أنا أنزلنا اليهم

أو وقعت نائبة أو مبتدأ، فالرفع فيهما جميعاً قد جردا
أو أخبروا بها عن اسم المعنى، فاعرف أن كل مكان أشي

بجہ

فاصلی
عواطفی آنک

مفتوحا آخر حرك
ديك ملك من ملك
بالحق، اودبوا الوداد
شعرا انهم ياكلون
الطعم

أهـ آياتنا الملك
نعم وأرضنا شاحدة

يعبدون لا يصرفون عليه،
 مسترها قد شرحوها إليه،
 أو وقعت ضرورة بالخرف، أو بالاضافة لغیر الخرف،
 أو وقعت معطوفة أو مبدلة،
 مما ذكرناه فخذها بحملها،
 والكسر والفتح يجوزان معا،
 في تسعة معلومة قد وقعنا
 وهي إذا أتت بك بعدد الجزاء،
 بعد إذا فجاءة قد جاوزا
 أو وقعت في موضع التعليل،
 يجوز الوجهين عن دليل،
 أو بعد فعل قسم قد ثبتت،
 أو وقعت عن قول أيضاً خبراً،
 وتبعد عنها قول اليها خبراً،
 وقال القولين شخص واحد،
 أو بعد واو سبقت لمفرد،
 وبعد حتى هكذا يجوز،
 وهي وجوب كسر ان ابداً،
 حيث أتت حتى هنا لا يبدأ

-٤-

ولن أت الجرا والعطف ، ففتح لن واجب بالوصف
بعراً ما يجوز الوجهين ، وبعد لا جرم دون عين
نظمي لأن هاهنا قد انقضى ،
نحسب الطاقة فيه ووضي
ولست من رجال هذا الفن

، وقد كتبت بها خمس الخن
في الله جل وهو حسبي وكفي ،
، صل على الرسول له المصطفى
وآله وصحبه الأخيار ، قد فرغنا أهل التقى والأبرار
انتهى وكفى ، والصلاة على النبي للمصطفى
على يدك تبرأ بنفسه لنفسه ولن شاء الله بعده أبو القاسم
ابن محمد التواق ابن أحمد المصطفى غفر الله له ولوالديه
ولا قاربه وأحبائه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء
منهم والأموات ، ولجميع مشائخه البارزين له الناجحين
له الخيرات الباذلين له النصح الوافي عن الوقوع
في المهلكات رحمهم الله رحمة تامة ورضى الله عنهم وعفوا
عنهم في الدنيا والآخرة آمين والحمد لله رب العالمين
ام

المطلب الثاني: النصُّ المحقق

[1]

»/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

قال الشيخ العالم العلامة المحقق، سيدي محمد الصالح بن سيدي حامد الحضيري
الفرزاني - نفعنا الله به، آمين:

[المقدمة]

1. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ رَفَعَا قَدْرَ الَّذِي عَرَّفَ عِلْمًا نَفَعَا
2. ثُمَّ صَلَّائِنَا عَلَى الْمُخْتَارِ أَجَلٌ مَنْ قَدْ قَامَ بِالْأَسْحَارِ
3. وَبَعْدُ: فَالْقَصْدُ بِدَا النِّظَامِ حَضْرُ وَجُوه (إِنَّ) بِالسَّامِ
4. أَوْجُهَا ثَلَاثَةٌ: بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ، وَالْوَجْهَيْنِ⁽¹⁾؛ فَافْهَمْ تَدْرِ

[المقصد]

5. فَكَسْرُهَا قَدْ جَاءَنَا فِي عَشْرَةٍ مَضْبُوتَةٍ لِمَنْ وَعَى⁽²⁾ مُشْتَهَرَةٍ
6. وَهِيَ: إِذَا جَاءَتْكَ حَالُ الْإِبْتِدَا حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا، الْكَسْرُ بَدَا⁽³⁾

(1) «تتعيّن (إنَّ) المكسورة حيث لا يجوز أن يسدّ المصدر مسدها ومسّد معموليها، و(أنّ) المفتوحة حيث يجب ذلك، ويجوز أن صحّ الاعتباران» أوضح المسالك: 298/1، قال ابن مالك:

وَهَمَزَ (إِنْ) افْتِخَ لِسَيِّدٍ مَصْدِرٍ مَسِيدِهَا، وَفِي سَوَى ذَاكَ اكْبَسَرَ
ألفيّة ابن مالك والنحو والصرف 94.

(2) في المخطوط: «وعا»، والصواب ما أثبتته؛ لأنّ أصله يائي.

(3) الموضع الأول من المواضع العشرة التي يتعيّن فيه كسر همزة (إنَّ): أن تقع في الابتداء حقيقة؛ نحو: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1]؛ إذ لو فتحت لصارت مبتدأ بلا خبر؛ لأنّ المفتوحة في تأويل مفرد، والمفرد لا يستقلّ به الكلام، و﴿فِي لَيْلَةٍ﴾ متعلّق ب﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ لا بالاستقرار. أو حكماً؛ نحو: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ [يونس: 62]؛ لأنّ (إنَّ) الواقعة بعد (ألا) الاستفتاحية واقعة في الابتداء حكماً. يُنظر: شرح التصريح: 300/1.

7. أَوْ وَقَعْتَ تَالِيَةً لِـ (حَيْثُ) ك: جِئْتُ حَيْثُ إِنَّ زَيْدًا لَيْثُ⁽¹⁾
8. كَذَلِكَ - أَيْضًا - إِنَّ أَتَتْ مِنْ بَعْدِ (إِذْ) ك: جِئْتُ إِذْ إِنَّ الَّذِي زَاعَ نُبَيْدُ⁽²⁾
9. أَوْ وَقَعْتَ تَالِيَةً الْمَوْصُولِ فَاشْحَذْ مِزَاجَكَ إِلَى الْمَنْقُولِ⁽³⁾
10. / وَعَكْسُ هَذَا إِنَّ أَتَتْ فِي الْحَشْوِ فَالْفَتْحُ فِيهَا قَالَ أَهْلُ النَّحْوِ⁽⁴⁾
11. أَوْ وَقَعْتَ جَوَابًا أَيْضًا لِقَسَمٍ بِالْوَاوِ أَوْ بِفِعْلِهِ، الْكَسْرُ اخْتَمَ⁽⁵⁾
12. أَوْ وَقَعْتَ مُحْكِيَةً⁽⁶⁾، أَوْ حَالًا فَكَسَرُهَا يَلَزِمُ⁽⁷⁾، ع الْمَقَالَا

(1) الموضع الثاني: أن تقع بعد (حيث)؛ كما مثل الناظم: «جِئْتُ حَيْثُ إِنَّ زَيْدًا لَيْثُ»؛ لأن (حيث) لا تضاف إلا إلى الجمل، وفتح (إِنَّ) يؤدي إلى إضافتها إلى المفرد، لأن المفتوحة في تأويل مفرد كما مر. يُنظر: شرح التصريح: 300 / 1.

(2) الموضع الثالث: أن تقع بعد (إِذْ)؛ كما مثل بقوله: «جِئْتُ إِذْ إِنَّ الَّذِي زَاعَ نُبَيْدُ»؛ لأن (إِذْ) مثل (حيث)؛ لا تضاف إلا إلى الجمل. يُنظر: شرح التصريح: 300 / 1.

(3) الموضع الرابع: أن تقع بعد موصول اسمي، أو حرفي؛ نحو: ﴿وَأَتَيْنَهُ مِنَ الْكَوْزِ مَا إِنَّ مَلَاحِظَهُ لَبُذْءٌ﴾ [القصص: 76]؛ فـ(ما) موصول اسمي، ووجب كسر (إِنَّ) بعدها لوقوعها في صدر الصلة، وصلته الموصول غير (أَل) يجب أن تكون جملة. يُنظر: شرح التصريح: 300 / 1. وفي المخطوط: «المفقول»، وهو تصحيف.

(4) وتُفتح همزة (إِنَّ) إذا وقعت في حشو الصلة؛ نحو: جاء الذي عندي أنه فاضل، فإنه يجب فتحها؛ لأنها مع معموليها مبتدأ تقدم خبره في الطرف قبله، والمبتدأ وخبره صلة (الذي). ومثله قولهم: (لا أفعله ما أن حراء مكانه)، بفتح (أَنْ)؛ لوقوعها في حشو الصلة تقديرًا؛ إذ التقدير: ما ثبت أن حراء مكانه، فليست في التقدير تالية للموصول؛ لأنها فاعل بفعل محذوف، والجملة الفعلية صلة (ما) الموصول الحرفي الظرفي، والمعنى: لا أفعله مدة ثبوت حراء مكانه. وإنما وجب كسرها في نحو: أعجبني الذي أبوه إنه منطلق، مع أنها واقعة في حشو الصلة؛ لأنها خبر اسم عين. يُنظر: شرح التصريح: 301، 300 / 1.

(5) الموضع الخامس: أن تقع جوابًا لقسم لم يذكر فعله؛ نحو: ﴿حَمَّ ۖ وَالْكَبَّ الْأَمِينِ ۖ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الدخان: 3-1]، أو ذكر وجاءت اللام؛ نحو: أقسمت إن زيدًا لقائم؛ لأن جواب القسم يجب أن يكون جملة. يُنظر: شرح التصريح: 301 / 1.

(6) الموضع السادس: أن تقع محكية بالقول؛ نحو: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: 30]؛ لأن المحكي بالقول لا يكون إلا جملة أو ما يؤدي معناها. فإن وقعت بعد القول غير محكية فُتحت؛ نحو: أخضك بالقول أنك فاضل؛ لأنها هنا للتعليل؛ أي: لأنك فاضل، ونحو: أتقول أن زيدًا عاقل؛ لأن القول هنا بمعنى الظن. يُنظر: شرح التصريح: 301 / 1.

(7) الموضع السابع: أن تقع حالاً مقرونة بالواو؛ نحو: ﴿كَأَمَّا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ [الأنفال: 5]، فجملة (إِنَّ) ومعموليها في موضع نصب على الحال. أو غير مقرونة بالواو؛ نحو: =

13. أَوْ وَقَعْتَ وَصَفًا إِلَى اسْمٍ عَيْنٍ فَالْكَسْرُ وَاجِبٌ بِدُونِ مَينٍ⁽¹⁾
 14. أَوْ وَقَعْتَ مِنْ بَعْدِ فِعْلٍ عُقْلًا عَنْهَا بِلَامٍ الْإِبْتِدَاءُ حَقَّقًا⁽²⁾
 15. أَوْ وَقَعْتَ عَنْ اسْمٍ ذَاتٍ خَبَرًا فَالْكَسْرُ وَاجِبٌ لَهَا قَدْ ظَهَرَ⁽³⁾

16. وَفَتْحُهَا حُرِّرَ بِالتَّصْحِيحِ لِلْأَزْهَرِيِّ⁽⁴⁾ شَارِحِ (التَّوْضِيحِ)
 17. مَعَ أَصْلِهَا⁽⁵⁾، وَعَدَهَا ثَمَانِيَّةً⁽⁶⁾ مُبَلِّغًا لِلْمُسْتَهْيِ أَمَانِيَّةً

= جاء زيد إته فاضل. ولم تُفتح (إِنَّ) فيهما - وإن كان الأصل في الحال الأفراد - لأنَّ (أَنَّ) المفتوحة مؤولة بمصدر معرفة، وشرط الحال التنكير. يُنظر: شرح التصريح: 1/ 301.

(1) الموضع الثامن: أن تقع صفة لاسم عين؛ نحو: مررت برجل إته فاضل؛ لأنَّ الفتح يؤدي إلى وصف أسماء الأعيان بالصادر، وهي لا توصف بها إلا بتأويل، وذلك مفقود مع (إِنَّ). بخلاف الواقع في حشو الصفة فإنها تُفتح؛ نحو: مررت برجل عندي أنه فاضل، فإن الوصف بالجملة لا بالمصدر. يُنظر: شرح التصريح: 1/ 301، 302.

(2) الموضع التاسع: أن تقع بعد عامل عُقِلَ عن عمله فيها باللام الابتدائية؛ نحو: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1]؛ لأنها لو فُتحت لزم تسليط العامل عليها، ولام الابتداء لها صدر الكلام، وما له صدر الكلام يمنع ما قبله أن يعمل فيما بعده، وهذه اللام - وإن كانت متأخرة في اللفظ - رتبته التقديم على (إِنَّ)، وإنما أُخِّرَتْ لئلا يدخل حرف توكيد على مثله، ولم تؤخَّرْ (إِنَّ) لقوتها بالعمل. وإنما فُتحت في نحو: علمت أن زيدا لقعده؛ لأنَّ اللام ليست للابتداء؛ لدخولها على الفعل الماضي. يُنظر: شرح التصريح: 1/ 302.

(3) الموضع العاشر: أن تقع خبراً عن اسم ذات غير منسوخ؛ نحو: زيد إته فاضل؛ لأنَّ المصدر لا يُخبر به عن أسماء الذوات إلا بتأويل، وذلك ممتنع مع (أَنَّ)، أو منسوخ، ومنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: 17]؛ فجملة (إِنَّ) ومعمولها خبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وما عطف عليه، وهي أسماء ذوات. يُنظر: شرح التصريح: 1/ 302.

(4) هو: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرّي، زين الدين، كان يُعرف بالوقاد، وُلد بجرجا من صعيد مصر عام (838هـ)، ونشأ وعاش في القاهرة، وتوفيَّ عائداً من الحج قبل أن يدخلها، عام (905هـ)، له مؤلفات مفيدة عديدة. يُنظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: 190/1.

(5) عدّها ابن هشام تسعة مواضع، ففصل بين المعطوفة والمبدلة. أوضح المسالك: 1/ 302.

(6) قال الأزهرّي: تتعين «(أَنَّ) المفتوحة في مواضع ثمانية يجب فيها أن يسدَّ المصدر مسدَّ (أَنَّ) ومسدَّ معمولها». شرح التصريح: 1/ 302.

18. أَوْلَهَا: حَيْثُ أَتَتْكَ فَاعِلَةٌ⁽¹⁾ لِلنَّحْوِ⁽²⁾ كُنْ مُدَقِّقًا مَسَائِلَهُ
19. أَوْ وَقَعَتْ مَفْعُولَةٌ، إِلَّا الَّذِي -قَدْ حُكِيَتْ بِالْقَوْلِ- كَسَرُهَا احْتِزِي⁽³⁾
20. أَوْ وَقَعَتْ نَائِبَةٌ⁽⁴⁾، أَوْ مَبْتَدَأٌ⁽⁵⁾ فَالْفَتْحُ فِيهِمَا جَمِيعًا قَدْ بَدَأَ
21. أَوْ أَخْبَرُوا بِهَا عَنِ اسْمِ الْمَعْنَى فَاعْرِفْ تَنْلُ كُلَّ مَكَانٍ أَسْنَى
22. / بِقَيْدٍ: أَنْ لَا يَصْدُقَنَّ عَلَيْهِ مُسْنَدُهَا، قَدْ شَرَطُوا إِلَيْهِ⁽⁶⁾ [3]

- (1) الموضع الأول من المواضع الثمانية التي يتعين فيه فتح همزة (إن): أن تقع فاعلة؛ نحو: ﴿أَوَّلَ يَكْفِيهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا﴾ [العنكبوت: 51]؛ التقدير: أولم يكفهم إنزالنا. يُنظر: شرح التصريح: 302 / 1.
- (2) في الأصل: «النحو»، والصواب ما أثبتته.
- (3) الموضع الثاني: أن تقع مفعولة غير محكية بالقول؛ نحو: ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ﴾ [الأنعام: 81]؛ أي: إشراككم، بخلاف المحكية بالقول فإنها واجبة الكسر، كما تقدّم.
- يُنظر: شرح التصريح: 302 / 1.
- (4) الموضع الثالث: أن تقع نائبة عن الفاعل؛ نحو: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ [الجن: 1]؛ أي: استماعٌ نفر. يُنظر: شرح التصريح: 303 / 1.
- (5) الموضع الرابع: أن تقع مبتدأ في الحال؛ نحو: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّا نَرَى الْأَرْضَ﴾ [فصلت: 39]؛ أي: رؤيتك الأرض من آياته. أو مبتدأ في الأصل؛ نحو: كان عندي أنك فاضل. يُنظر: شرح التصريح: 303 / 1.
- والفرق بين قول الناظم أولاً: «إِذَا جَاءَتْكَ حَالُ الْإِيتِدَاءِ»، وقوله هنا: «أَوْ وَقَعَتْ نَائِبَةٌ، أَوْ مُبْتَدَأٌ»: أنها إذا وقعت في الابتداء تكون داخلية في أول جملة مستقلة، وإذا وقعت مبتدأ تكون مع معموليها في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء.
- (6) الموضع الخامس: أن تقع خبراً عن اسم معنى غير قول، ولا صادق عليه خبرها؛ نحو: اعتقادي أنه فاضل، فيجب فتحها؛ لأنها خبر (اعتقادي)، وهو اسم معنى غير قول، ولا يصدق (فاضل) على (اعتقادي)؛ وإنما فتحت لسد المصدر مسدّها ومسدّ معموليها، والتقدير: اعتقادي فضله. ولم يجز كسرهما على أن تكون مع معموليها جملة مخبراً بها عن (اعتقادي) لعدم الرابط؛ لأن اسم (إن) لا يعود على المبتدأ الذي هو (اعتقادي)، فتبقى الجملة بلا رابط. بخلاف: (قولي إنه فاضل)، فيجب كسرهما؛ لأنها وقعت خبراً عن (قولي)، ولا تحتاج إلى رابط؛ لأن الجملة إذا قصد حكاية لفظها كانت نفس المبتدأ في المعنى، والتقدير: قولي هذا اللفظ لا غيره. أما إذا أريد أن جملة (أن) منصوبة بـ(قولي) كانت من تنمة المبتدأ، فتحتاج إلى خبر، ولا يصح فتحها لفساد المعنى؛ لأن القول لا يخبر عنه بـ(الفضل). وبخلاف: (اعتقاد زيد إنه حق) فيجب كسرهما أيضاً؛ لأن خبرها، وهو (حق)، صادق على الاعتقاد، ولا مانع من وقوع جملة (أن) ومعموليها خبراً عن المبتدأ؛ لأن اسم (أن) رابط بينهما، ولا يصح فتحها؛ لأنه بصير: اعتقاد زيد كون اعتقاده حقاً، وذلك لا يفيد؛ لأن الخبر لا بد أن يستفاد منه ما لا يستفاد من المبتدأ.
- يُنظر: شرح التصريح: 303 / 1، 304.

23. أَوْ وَقَعَتْ مَجْرُورَةً بِالْحَرْفِ⁽¹⁾ أَوْ بِالْإِضَافَةِ لِغَيْرِ الظَّرْفِ⁽²⁾
24. أَوْ وَقَعَتْ مَعْطُوفَةٌ أَوْ مُبْدَلَةٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ؛ فَخُذْهَا مُجْمَلَةً⁽³⁾



25. وَالْكَسْرُ وَالْفَتْحُ يَجُوزَانِ مَعًا فِي تِسْعَةِ مَعْلُومَةٍ قَدْ وَقَعَا
26. وَهِيَ: إِذَا أَتَيْتُكَ بَعْدَ (فَا الْجَزَا)⁽⁴⁾ بَعْدَ (إِذَا فُجَاءَةً) قَدْ جُوزَا⁽⁵⁾
27. أَوْ وَقَعَتْ فِي مَوْضِعِ التَّعْلِيلِ فَجَوِّزِ الْوَجْهَيْنِ عَنْ دَلِيلٍ⁽⁶⁾

- (1) الموضع السادس: أن تقع مجرورة بالحرف؛ نحو: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: 6]؛ لأنَّ المجرور بالحرف لا يكون إلّا مفردًا. يُنظر: شرح التصريح: 1/ 304.
- (2) الموضع السابع: أن تقع مجرورة بالإضافة إلى غير ظرف؛ نحو: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ يَثَلِّ مَا أَتَاكَ تَطْفُونُ﴾ [الذاريات: 23]؛ ف﴿مَثَلٌ﴾ مضاف إلى ﴿أَتَاكَ تَطْفُونُ﴾، و﴿مَا﴾ صلة؛ أي: مثل نطقكم؛ لأنَّ المجرور بالمضاف حقه الأفراد إذا لم يكن المضاف ظرفًا يقتضي الجملة، فإن كان كذلك كُسرَت كما تقدّم في (حيث) و(إذ). يُنظر: شرح التصريح: 1/ 304.
- (3) الموضع الثامن: أن تقع تابعة لشيء من ذلك، وهي إمّا أن تكون: معطوفة على شيء من ذلك؛ نحو: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَسَلَّكْتُكُمُ﴾ [البقرة: 122]؛ ف﴿وَأَنِّي فَسَلَّكْتُكُمُ﴾ معطوف على ﴿نِعْمَتِيَ﴾، وهو مفعول به، والمعنى: اذكروا نعمتي وتفضيلي. أو مبدلة من شيء من ذلك؛ نحو: ﴿وَأَذْكُرُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: 7]؛ ف﴿أَنَّهُمَا لَكُمْ﴾ بدل اشتمال من ﴿إِحْدَى﴾، والتقدير: إحدى الطائفتين كونها لكم.
- (4) الموضع الأول من المواضع التسعة التي يجوز فيها كسر همزة (إنَّ) وفتحها، باعتبارين مختلفين: أن تقع بعد فاء الجزاء؛ نحو: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَلِكُهُ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54]، قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب بفتح همزة (إنَّ)، والباقون بالكسر [نشر القراءات العشر: 4/ 2288]؛ فالكسر على جعل ما بعد فاء الجزاء جملة تامة على معنى: فهو غفور رحيم، والفتح على تقدير أنَّ ومعموليهما مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فالغفران والرحمة حاصلان، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: فالحاصل الغفران والرحمة. يُنظر: شرح التصريح: 1/ 304، 305.
- (5) الموضع الثاني: أن تقع بعد (إذا) الفجائية؛ كقوله: [من الطويل]
وَكُنْتُ أَرَى زَيْدًا كَيْمَا قِيلَ سَيِّدًا إِذَا إِنَّهُ عَبْدٌ إِقْفَا وَاللِّهَازِمِ
[كتاب سيبويه: 3/ 144]. ف(إذا أنه) يروى بكسر (إنَّ) وفتحها؛ فالكسر على معنى الجملة؛ أي: فإذا هو عبد القفا، فالجملة مذكورة بتامها، والفتح على معنى الأفراد، فإذا العبودية؛ أي: حاصلة، على جعلها مبتدأ حُذِفَ خبره. يُنظر: شرح التصريح: 1/ 305.
- (6) الموضع الثالث: أن تقع في موضع التعليل؛ نحو: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: 28]، قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر بالفتح، والباقون بالكسر [نشر القراءات العشر: 4/ 2653]؛ فالفتح على تقدير لام العلة؛ أي: لأنه، وحرف الجزاء إذا دخل على (أَنَّ) لفظًا أو تقديرًا فتح همزتها، فهو تعليل إفرادي. والكسر على أنه تعليل مستأنف بياني، فهو في المعنى جواب سؤال مقدر تضمّنه ما قبله، فكأثمهم لما قالوا: ﴿إِنَّا

28. أَوْ بَعْدَ فِعْلٍ قَسَمٍ قَدْ ثَبَّتَتْ لَا لَمْ بَعْدَهَا، يَوْجَهَيْنِ أَتَتْ⁽¹⁾
 29. أَوْ وَقَعَتْ عَنْ قَوْلٍ أَيْضًا خَبَرًا وَبَعْدَهَا قَوْلٌ إِلَيْهَا خَبَرًا
 30. وَقَائِلُ الْقَوْلَيْنِ شَخْصٌ وَاحِدٌ مِثَالُهُ: قَوْلِي إِنِّي حَامِدٌ⁽²⁾

= كَمَا مِنْ قَبْلِ دَعْوَاهُ ﴿ قِيلَ لَهُمْ: لَمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: ﴿ إِنَّهُ، هُوَ أَكْبَرُ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ فهو تعليل جملي. يُنظر: شرح التصريح: 1/ 305، 306.

(1) الموضوع الرابع: أن تقع بعد فعل قسم ولا لام بعدها؛ كقول رؤية: [من الرجاء]

أَوْ تَحْلِفِي بِرَبِّكَ الْإِلَهِيِّ أُنِّي أَبُوءُ ذِيَالِكَ الصَّبِيِّ

[ديوانه: 190]. يُروى بكسر (إِنَّ) وفتحها؛ فالكسر على الجواب للقسم، والبصريون يوجبونه، واختاره الزجاجي. والفتح مختار الكسائي والبغداديين، وأوجه أبو عبد الله الطوال بتقدير (على)، و(أَنَّ) مؤولة بمصدر معمول لفعل القسم، وهو (تحلفي)، بإسقاط الخافض، وعلى هذا ليست جواباً للقسم؛ لأنها مفردة، وجواب القسم لا يكون إلا جملة، وإذا امتنع أن يكون جواباً للقسم كان الفعل إخباراً بمعنى الطلب للقسم، لا قسمًا؛ إذ الأصل في الجواب أن يكون مذكورًا لا محذوفًا، ولو أضر فعل القسم، وذكرت اللام، أو لم تذكر، أو ذكرت اللام وذكر فعل القسم، تعين الكسر إجماعًا من العرب؛ نحو: والله إنَّ زيدًا لقائم أو قائم، وحلفت إنَّ زيدًا لقائم، وحكى ابن كيسان عن الكوفيين جواز الوجهين إذا أضر الفعل ولم تُذكر اللام؛ نحو: والله إنَّ زيدًا قائم، وأنهم يفضلون الفتح في هذا المثال على الكسر، وأنَّ أبا عبد الله الطوال منهم بوجه، وهذا لا يقدر في دعوى الإجماع السابقة عن العرب، فإنَّ الكوفيين، ومنهم الطوال، لم يثبت لهم سماع بذلك.

يُنظر: شرح التصريح: 1/ 306، 307.

(2) الموضوع الخامس: أن تقع خبرًا عن قول ومخبرًا عنها بقول، وقائل القولين شخص واحد، وقد مثل له الناظم بقوله: «قَوْلِي إِنِّي حَامِدٌ» يجوز فتح همزة (إِنَّ) وكسرها؛ فإذا فتحت فالقول على حقيقته من المصدرية؛ أي: قولي حمدُ الله، وإذا كسرت فهو بمعنى المقول؛ أي: مقولي إِنِّي حَامِدٌ، «فالخبر على الأول مفرد، وعلى الثاني جملة، وهي مستغنية عن العائد؛ لأنها نفس المبتدأ في المعنى، على حدِّ قوله -تعالى-: ﴿ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ ﴾ [يونس: 10]». شرح شذور الذهب: 193، 194.

ولو انتفى القول الأول فتحت وجوبًا؛ نحو: عملي أَنِّي أحمدُ الله؛ لأنها خبر عن اسم معنى غير قول، والتقدير: عملي حمدُ الله، ولا يجوز كسرها لعدم العائد على المبتدأ.

ولو انتفى القول الثاني كسرت وجوبًا؛ نحو: قولي إِنِّي مؤمن؛ فالقول بمعنى المقول مبتدأ، وجملة (إِنِّي مؤمن) خبره، وهي نفسها في المعنى، فلا تحتاج لرابط، ولا يصحُّ الفتح؛ لأنَّ الإيمان لا يُخبر به عن القول لاختلاف مورديهما؛ فإنَّ الإيمان مورد الجَنان، والقول مورد اللسان.

ولو وُجد القولان ولكن اختلف القائل لهما كسرت وجوبًا فيهما؛ نحو: قولي إنَّ زيدًا يحمدُ الله، فالكسر على ما مرَّ قبله، ولا يصحُّ الفتح لفساد المعنى؛ إذ لا يصحُّ أن يقال: حمدُ زيدٍ الله؛ لأنَّ حمد زيد غير قائم بالمتكلم، فكيف يسند المتكلم إلى نفسه.

يُنظر: شرح التصريح: 1/ 307.

31. أَوْ بَعْدَ وَائٍ سُبِقَتْ بِمُفْرَدٍ صَلَحَ لِلْعَطْفِ عَلَيْهِ، قَيِّدٌ⁽¹⁾

32. وَبَعْدَ (حَتَّى) هَكَذَا يَجُوزُ وَجْهَانِ، فَاحْفَظْ نُكْتَةً تَقُوزُ⁽²⁾

33. وَهِيَ: وَجُوبٌ كَسَرَ (إِنَّ) أَبَدًا حَيْثُ أَتَتْ (حَتَّى) هُنَا لِلإِبْتِدَاءِ

34. / وَإِنْ أَتَتْ لِلجَرِّ أَوْ لِلْعَطْفِ فَفَتْحُ (إِنَّ) وَاجِبٌ بِالْوَصْفِ⁽³⁾ [4]

[الخاتمة]

35. نَظْمِي لِـ: (إِنَّ) هَا هُنَا قَدْ انْقَضَى بِحَسَبِ الطَّاقَةِ فِيهِ، وَمَضَى

36. وَلَسْتُ مِنْ رِجَالِ هَذَا الْفَنِّ وَقَدْ نَظَّمْتُهَا بِحُسْنِ الظَّنِّ

37. فِي اللَّهِ جَلٍّ، وَهُوَ حَسْبِي وَكَفَى صَلَّى عَلَى الرَّسُولِ طَهُ الْمُصْطَفَى

38. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ فُودَوْنَا أَهْلَ الثُّقَى الْأَبْرَارِ

(1) الموضع السادس: أن تقع بعد واو مسبوقه بمفرد صالح للعطف عليه؛ نحو: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ [طه: 118، 119]، قرأ نافع وشعبة ﴿وَلَا تَعْرَى﴾ بالكسر، والباقون بالفتح [نشر القراءات العشر: 4/ 2472]؛ فالكسر إما على الاستئناف، فتكون جملة منقطعة عما قبلها، أو بالعطف على جملة (إِنَّ) الأولى، وهي: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ﴾، وعليهما فلا محل لها من الإعراب. والفتح بالعطف على ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾، من عطف المفرد على مثله، والتقدير: إِنَّ لَكَ عدم الجوع، وعدم الظم. واحتراز الناظم بقيد: «صَلَحَ لِلْعَطْفِ عَلَيْهِ» من نحو قولك: إِنَّ لِي مَالًا وَإِنْ عَمْرًا فاضل، فَإِنَّ (مَالًا) مفرد غير صالح للعطف عليه؛ إذ لا يصح أن يقال: إِنَّ لِي مَالًا وَفَضْلَ عَمْرٍو، فيجب كسر (إِنَّ). يُنظر: شرح التصريح: 308 / 1.

(2) رفعه ضرورة، وحُفِّه الجزم في جواب الطلب.

(3) الموضع السابع: أن تقع بعد (حَتَّى) من حيث هي، ثم تارة يجب كسرها، وتارة يجب فتحها، وليس المراد جواز الفتح والكسر في محل واحد كما مرَّ قبله، بل يختص الكسر بالابتدائية؛ نحو: مرض زيد حتى إنهم لا يرجونه؛ لأنَّ (حَتَّى) الابتدائية منزلة منزلة (أَلَّا) الاستفتاحية، فتُكسر همزة (إِنَّ) بعدها. ويختص الفتح بالجارّة والعاطفة؛ نحو: عرفت أمورك حتى أتاك فاضل، فـ(حَتَّى) في هذا المثال تصلح لأن تكون جارة، ولأن تكون عاطفة، و(أَنْ) فيهما مفتوحة، فإن قُدِّرَتْ (حَتَّى) جارة فـ(أَنْ) في موضع جرٍّ بها، وإن قُدِّرَتْها عاطفة فـ(أَنْ) في موضع نصب، والتقدير على الجرّ: عرفت أمورك إلى فضلك، وعلى النصب: عرفت أمورك وفضلك، أمّا فتحها في الجرّ فلدخول الجارّ عليها، وأمّا فتحها في النصب فلعطفها على المفعول. يُنظر: شرح التصريح: 308 / 1.

انتهى وكفى، والصلاة على النبي المصطفى

على يد كاتبها بنفسه لنفسه ولمن شاء الله بعده: أبي القاسم بن محمد التّوّاتي بن أحمد التمنطيبي⁽¹⁾، غفر الله له ولوالديه ولأقاربه وأحبابه، ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، ولجميع مشايخه⁽²⁾ البارّين له المانحين له الخيرات، الباذلين له النصح الواقى عن الوقوع في المهلكات، رحمهم الله رحمة تامة، ورضي عنهم وعفا عنهم في الدنيا والآخرة، آمين، والحمد لله ربّ العالمين. اهـ.



(1) في المخطوط: «المطبيعي»، والصواب ما أثبتّه.

(2) في المخطوط: «مشائخه»، والصواب ما أثبتّه؛ لأنّ الباء في مفرد أصليّة.

الخاتمة

النتائج والتوصيات:

- 1 - تكمن أهميّة هذا النصّ اللغويّ (النظم التعليميّ) في أنّه يلقي بصيصاً من الضوء على التاريخ الثقافيّ لليبيّا عمومًا وفزان خصوصًا، ويوقفنا على الملكات العقلية والقدرة العلميّة لناظمه، ومدى ازدهار الحياة الثقافيّة في عصره وبيئته.
- 2 - وُلد الناظم وعاش في جوّ يسوده الاضطراب السياسيّ، إلّا أنّ ذلك لم يُلقي بظلاله على الحركة العلميّة والحياة الثقافيّة في فزان؛ إذ استمرّت الزوايا في أداء مهامّها العلميّة والتربويّة، وكان أهل العلم يجدون من الحكّام العثمانيّين، وسلاطين أولاد محمّد، كلّ احترام وإجلال.
- 3 - يُعَدُّ الشيخ محمّد الصالح الحضيريّ، شخصيّة علميّة لبييّة خالصة؛ ففي فزان مولده، وفي منطقة الجديد بسبها نشأته وتأسيسه المعرفيّ وتكوينه العلميّ، داخل بيت الحضيريّ، بزاوية آبائه بالجديد.
- 4 - النظم التعليميّ فنٌّ أدبيّ عقليّ، وُجد في الأدب العربيّ منذ أقدم العصور، إلّا أنّ بابه فُتح على مصراعيه في العصور الإسلاميّة، بعد مرحلة تدوين العلوم، ولا سيّما العصر العبّاسيّ، وقد ظهر في بلادنا منذ أكثر من أربعة قرون.
- 5 - يمتاز النظم عن النثر بأنّه أوقع في النفس، وأسرع رسوخاً في الذاكرة، ولذلك اختاروه قلباً لحفظ ثقافتهم ومعارفهم، ويختلف النظم التعليميّ عن النصّ الشعريّ في افتقاره إلى عنصري العاطفة والخيال.
- 6 - من خصائص النظم أنّ معظم ما أنشئ منه جاء في قالب الرجز المزدوج، الذي

يستقلّ فيه كلُّ مصراعين بقافية؛ لسلاسته، وسهولة موسيقاه، وتنوّع قوافيه، وقابليّته للتوسّع والتّطويل.

7 - هذه المنظومة - كغالب الأنظمة العلميّة - جاءت على بحر الرجز المزدوج، عدد أبياتها تسعة وثلاثون بيتًا، استغرقت المقدّمة منها أربعة أبيات، والخاتمة كذلك أربعة أبيات، وجاء المقصد في واحد وعشرين بيتًا.

8 - خصّص الناظم - رحمه الله - نظمه هذا لمسألة أوجه أو أحوال همزة (إنّ)، وصرّح بمصادره، موافقًا إيّاها في عدِّ مواضع وجوب كسر همز (إنّ) عشرة، ومواضع وجوب الفتح ثمانية، والمواضع التي يجوز فيها الوجهان تسعة.

وختامًا يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بالموروث اللبّيّ العلميّ والثقافيّ، وذلك بالبحث عن أعلامه، والتنقيب عن أعمالهم، وتحقيقها ودراستها ونشرها.



فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أَوَّلًا: المخطوطة.

- 1 - فتح العليم في مناقب سيّدي عبد السلام بن سليم، عبد السلام العالم التاجوري، ابن عثمان بن عز الدين بن عبد الوهّاب بن عبد السلام الأسمر (1058-1139هـ)، دار الكتب الوطنيّة، تونس، برقم 550.

ثانيًا: المطبوعة.

- 2 - ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ابن مالك، أبو عبد الله محمّد جمال الدين الأندلسي (ت 672هـ)، تحقيق د. سليمان بن عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1432هـ / 2010م.
- 3 - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمّد، جمال الدين (ت 761هـ)، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، صيدا، 1424هـ / 2003م.
- 4 - تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 5، 1999م.
- 5 - تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط 5، 1984م.
- 6 - تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، جون رايت، تعريب: عبد الحفيظ المييار، وأحمد البازوري، مكتبة الفرّجانيّ، طرابلس، ليبيا، 1972م.

- 7- تذييل المعيار، التاجوري العالم، عبد السلام بن عثمان بن عز الدين بن عبد الوهاب ابن عبد السلام الأسمر (1058-1139هـ / 1648-1727م)، تحقيق جمعة الزريقي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2008م.
- 8 - الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ناصر الدين محمد الشريف، دار البيارق، عمان، بيروت، 1420هـ / 1999م.
- 9 - الجواهر السنية على النظم المحاذي للأجرومية، محمد بن أحمد العكاري الطرابلسي (1240-1313هـ)، تحقيق د. أحمد محمد جاد الله، دار النور المبين، عمان، 2016م.
- 10 - الحيوان، الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت: 255هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار احياء التراث العربي، لا ط، 1969م.
- 11 - ديوان الأصمعيّات، اختيار: الأصمعيّ، عبد الملك بن قريب، أبي سعيد (ت 216هـ)، تحقيق د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط 3، 2011م.
- 12 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، بهاء الدين بن عبد الله القرشي الهاشمي العقيلي (ت: 769هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، لا ط، 1419هـ / 1998م.
- 13 - شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، جمال الدين ابن مالك، محمد ابن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي (ت: 672هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ / 2001م.
- 14 - شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح، خالد بن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت 905هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ / 2000م.

- 15 - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، جمال الدين عبد الله الأنصاري (ت: 761هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1417هـ / 1996م.
- 16 - شعر أبي زيد الطائيّ، جمعه وحققه: د. نوري حمودي القيسيّ، مطبعة المعارف، بغداد، 1967م.
- 17 - فزان ومراكزها الحضاريّة، أبوبكر عثمان القاضي، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، بيروت، لا ط، لا ت.
- 18 - قطف الثمر في رفع أسانيد المصنّفات في الفنون والأثر، صالح بن محمّد الفلّانيّ (ت: 1218هـ)، تحرير وتقديم أ. د. حمّاه الله ولد السالم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لا ط، لا ت.
- 19 - كتاب سيبويه، سيبويه، عمّر بن عثمان بن قنبر (ت: 180هـ)، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط3، 1408هـ / 1988م.
- 20 - الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، الغزيّ، نجم الدين محمّد بن محمّد (ت: 1061هـ)، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1418هـ / 1997م.
- 21 - مجموع أشعار العرب (وهو مشتمل على ديوان رؤية، وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه)، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسيّ، دار ابن قتيبة، الكويت، لا ط، لا ت.
- 22 - المسك والريحان في ما احتواه عن بعض أعلام فزان (خلال الفترة ما بين القرن التاسع والثالث عشر الهجري/ الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديّ)، أحمد الدردير بن محمّد العالم الحضيّريّ (أحد علماء القرن الثالث عشر الهجريّ)،

تحقيق أبوبكر عثمان أبوبكر القاضي الحضيري، الشركة العامة للورق والطباعة، الخمس، ليبيا، 1996م.

23 - معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، يحيى بن زياد (ت: 207هـ)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، إشراف: مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 1422هـ / 2001م.

24 - المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي (1840-1918م)، راجعه فالح بن محمد الظاهري، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، لا ط، لا ت.

25 - نشر القراءات العشر، أبو الخير شمس الدين ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي (ت: 833هـ)، تحقيق د. أيمن رشدي سويد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، 1439هـ / 2018م.

26 - نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، أحمد بن الحسين النائب الأنصاري (1840 - 1918م)، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، لا ط، لا ت.

ثالثاً: الوثائق والأبحاث والرسائل العلمية:

27 - جهود علماء ليبيا في التأليف في الفقه المالكي (العلامة الشيخ أبو القاسم التواتي أنموذجاً)، أ. محمد محمود موسى يونس، المجلة الليبية العالمية، ع. 38، أبريل 2018م، كلية التربية، المرج، جامعة بنغازي.

28 - الحياة الثقافية في ليبيا في العهد العثماني الأول: عبد السلام بن عثمان التاجوري (1058 - 1139هـ / 1648 - 1727م) وتراجم شيوخه أنموذجاً، أ. عمار محمد جحيدر، حولة المجمع (مجلة مجمع اللغة العربية، طرابلس)، ع. 4، 2006م.

29 - الحياة العلميّة والثقافيّة في فَرّان خلال الفترة ما بين القرن السابع عشر والقرن التاسع عشر، عبد الله إبراهيم، أعمال المؤتمر الأوّل للوثائق والمخطوطات في ليبيا، زلّتين، 1988م.

30 - شرح الحضيّريّ على مختصر خليل، الحضيّريّ، عليّ بن أبي بكر (ت 1061هـ)، من بداية (باب ينقّد البيع) إلى نهاية (فصل أسباب الحجر)، تحقيق امحمد عبد السلام الدعبوس، إشراف: د. أحمد عُمر أبو حجر، رسالة ماجستير، كليّة الآداب والعلوم، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا، 2008م.

31 - الشيخ محمد الصالح بن حامد الحضيّريّ (ت 1101هـ) مؤلّفًا ومفتيًا: دراسة وصفيّة تحليليّة، عبد السلام سالم حمزة عليّ، مجلّة الجامعة الأسمرية، ع خاصّ 2 (2019): (جهود العلماء الليبيين في خدمة المذهب المالكيّ في القديم والحديث).

32 - المنظومات التعليميّة ودورها في التعليم، جواد غلام عليّ زاده، ديوان العرب، منبر حرّ للثقافة والفكر والأدب، نيسان (أبريل) 2010م.

33 - النظم التعليمي في ليبيا... أعلام ونماذج، د. عبد الستار العريفي بشيّة، أعمال المؤتمر الدوليّ للغة العربيّة، دبي، مايو 2015م.

34 - وثيقة مرسلّة من الشيخ سيدي حامد بن حامد الحضيّريّ إلى مشيخة الأزهر الشريف، محفوظة لدى عائلة الحضيّريّ.



إسهام المترجم في التخطيط المصطلحي

دراسة في ترجمة المصطلح وتطوير معاجم الاختصاص

د. خليفة أبوبكر الأسود

(كلية اللغات - جامعة طرابلس)

تقديم:

يهدد التوسع السريع في مختلف ميادين المعرفة العلمية والتكنولوجية بالدول المتقدمة التطور اللغوي الطبيعي في الدول النامية، وذلك نتيجة لعملية نقل التكنولوجيا من المجتمعات المتطورة إلى مجتمعات الأقل تطوراً. وتتطلب ظاهرة التطور العلمي التكنولوجي، وما يؤدي إليها من تغيرات اجتماعية تشهدها مجتمعاتنا العربية عمليات تكييف لغوي يواكب تلك الاكتشافات والاختراعات العلمية التي تصلنا من خلال الترجمة والتواصل الثقافي مع المجتمعات الغربية. وإنَّ الباعث على هذه الدراسة هو ما يترتب على نقل العلوم من تأخير في تعريب المصطلحات العلمية التكنولوجية، وتأخير توطين المعارف وتأخير التطور العلمي التكنولوجي في مجتمعاتنا. وغالباً ما يكون المترجم في صدارة هذه العملية وفي صميمها، حيث يسهم في نقل مصطلحات ومفاهيم علمية وتكنولوجية من المجتمعات المتطورة إلى المجتمعات النامية.

كما تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الجهود التي يبذلها المترجم في ترجمة المصطلح العلمي التخصصي من الإنجليزية إلى العربية. وتستند الدراسة إلى ترجمة «معجم (ماجرو - هل) للمصطلحات العلمية» إلى العربية حيث عمل المترجم على توفير المكافئ اللغوي للمصطلحات التي لا يوجد لها مكافئ في اللغة المنقول

إليها. ولتحقيق هدفه، يقوم المترجم بتوظيف إحدى طرق صك المصطلح المتاحة في اللغة الهدف، أو يبتكر طريقة جديدة لصوغ المصطلح الجديد. ومن المعلوم أن الطرق المعتمدة لصوغ المصطلح ونقله إلى العربية هي: الاشتقاق، والقياس والنحت، والتعريب، أو الاقتراض اللغوي، ولكن كثيراً ما يلجأ المترجم إلى استعمال طريقة جديدة لصوغ مقابل لغوي للمصطلح الأجنبي، وغالباً ما يكون ذلك بتوظيف تركيب لغوي، كاستخدام المركبات الإضافية أو الوصفية، لتحقيق الغرض. ويعد هذا التدخل العمدي لتكييف وظيفة التركيب اللغوي باستخدامه طريقة جديدة لصوغ المقابل العربي للمصطلح الأجنبي، ضرباً من ضروب التخطيط اللغوي اصطلاح اللغويين على وسمه بالتخطيط المصطلحي لغرض ترقية اللغة وتطوير معاجم الاختصاص، وهذا ما تتمحور حوله هذه الدراسة.

1 - مفاهيم ومصطلحات:

وفي إطار هذه الدراسة، ثمة مصطلحات لها مدلولات أساسية ينبغي تعريفها، وهي: الترجمة والمصطلح، والتخطيط المصطلحي. الترجمة هي عملية نقل الأقوال والأفكار من لغة ما إلى أخرى مع المحافظة على روح النص المنقول، وقد عرّف رومان جاكبسون (1959:233) الترجمة أنها «تأويل وتفسير الإشارات المكتوبة واللفظية باستعمال لغة أخرى»، أو بمعنى آخر، تفسير الكلام بلغة أخرى.

أما لفظة «مصطلح» فقد ورد تحديد دلالتها في المعجم الوسيط من خلال عبارة «اصطلاح القوم»، وتعني «زال ما بينهم من خلاف، واصطلحوا على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا»، فالاصطلاح بهذا هو اتفاق طائفة على شيء مخصوص، والمصطلح هو اتفاق جماعة ما على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن مدلوله الأول ويخصص له مدلول جديد، أو إخراج اللفظ من معنى عام إلى آخر خاص، لمناسبة بينهما. وأن تتفق تلك الجماعة على مدلوله في فرع محدد من فروع المعرفة.

وقد عرّف زرنِيخي (Zirnikhi: 2016) (عن فلبر 1986: Felber) التخطيط المصطلحي أنه «الإجراءات التي ينبغي اتخاذها لأجل تطوير اللغة وترقيتها من خلال أنشطة منظمة لصوغ مصطلحات فنية بهدف تصنيف معاجم متخصصة». ولوأمعنا النظر في هذا التعريف للتخطيط المصطلحي، نجد أنّه يقع في إطار تنفيذ السياسة اللغوية (تخطيط متن اللغة). وفضلاً عن هذا فإن حدود تخطيط المصطلح لا تقف عند أنشطة صوغ المصطلحات وتصنيفها، بل تتعدى هذا الحد، هيرمانز (Hermans 1991: 688). «أي أنّ التخطيط المصطلحي يتمثل في القرارات التي يتخذها المخططون اللغويون ذات العلاقة بتطوير المصطلح»، ومن ثم، يمكننا أن نستنتج من هذين التعريفين أن القاسم المشترك بينها هو أن التخطيط المصطلحي لا يقتصر على تكييف متن اللغة في مستوى الممارسات والأنشطة العملية وتنفيذ السياسات، بل يتعداه إلى مستوى رسم السياسات اللغوية (تخطيط مكانة اللغة ووظائفها).

ويعد التخطيط المصطلحي جزءاً من التخطيط اللغوي، الذي يعرفه روبرت كوبر⁽¹⁾ بأنه «النشاط المتعمد الهادف إلى التأثير على السلوك اللغوي للآخرين فيما يتعلق باكتسابهم للغة وما يخص بنيتها والوظائف التي تؤديها في المجتمع». ولكون دراسة المصطلح أحد مباحث علم اللغة، تُصنّف أنشطة تطوير المصطلح في إطار التخطيط اللغوي، ما يعني تداخل التخطيط اللغوي مع المصطلحي، وهو ما يحدث فعلياً في مجامع اللغة العربية كافة، حيث يتخذ أعضاء المجمع القرارات اللازمة لترقية اللغة، ثم يتخذون الإجراءات والأنشطة اللازمة لتنفيذها. ونستنتج من هذه التعريفات أن التخطيط المصطلحي لا يتجاوز كونه جهوداً قصدية يقوم بها المختصون أو المؤسسات للتأثير على السلوك اللغوي للآخرين في ما يتعلق ببنية المصطلح ووظيفته في الاستعمال اللغوي.

(1) روبرت كوبر «التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي»، مترجم، منشورات مركز الثقافة العام، بنغاري، ص: 91. (2006).

2 - التخطيط اللغوي والتخطيط المصطلحي:

التخطيط اللغوي نشاط يمارس منذ زمن قديم⁽¹⁾، وهو يتعلق بإقرار سياسة لغوية وتنفيذها، حيث شهدت اللغة العربية عدداً من السياسات والممارسات التي هي من صميم أعمال المخططين اللغويين. وللمثيل عليها نذكر بعض الشواهد، من بينها، أمر الخليفة الراشد عثمان بن عفان بجمع القرآن في مصحف واحد وحرق بقية المصاحف مخافة التغيير والتحريف، وأمر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان باستبدال اللغة اليونانية باللغة العربية في مصر والشام، وبالفارسية في بلاد فارس، ورفع منزلتها على تلك اللغات، وكذلك إدخال النقط والحركات على الرسم القرآني، وأيضاً تعد القرارات التي تتبناها المجامع اللغوية العربية كافة المتعلقة بالاستعمال اللغوي والأعمال والأنشطة المتمثلة في تصنيف المسارد والمعاجم التي تصدرها هذه المجامع، وما تقوم به المؤسسات والمترجمون والمعجميون والمهتمون بتطوير اللغة وترقيتها كافة ضرورياً متعددة من التخطيط اللغوي والتخطيط المصطلحي. وللا التزام بحدود هذه الدراسة نكتفي بهذه الشواهد، وحسبنا في هذا السياق إيضاح القرائن التي تضع التخطيط المصطلحي عموماً في سياق التخطيط اللغوي.

من ثمّ، وقياساً على تعريف كوبر (1989) للتخطيط اللغوي الذي ينص على التدخل المتعمد للتأثير على السلوك اللغوي للآخرين، فإن ما يقوم به المترجم عند اختياره لمفردة ما، أو اختياره لتركيبة لغوية محدّد من بين ما يتوفّر لديه من اختيارات على مستوى المصطلح، هو تخطيط مصطلحي في إطار تخطيط لغوي يؤثر على السلوك اللغوي للقراء في اختياراتهم اللغوية المستقبلية. ويكون تأثير اختيارات المترجم أكثر

(1) يعدّ أمر الإمام عليّ رضي الله عنه لأبى الأسود الدؤلي أن يضع بعض القواعد لحماية لغة القرآن من العجمة والتحريف ضرباً من التخطيط ورسم السياسة اللغوية، كما يعدّ العمل الذي قام به أبو الأسود الدؤلي من بين أعمال التخطيط اللغوي المتعلقة ببنية اللغة. فوضع أصول النحو، حيث وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف والرفع والجر والنصب، ثمّ وضع الحركات والتنوين، ووضع النقط وشكّل أحرف المصحف... الخ بعد ذلك.

وضوحاً على مستوى المصطلح سواء كان كلمة واحدة، أو تركيباً لغوياً عندما يتعلق الأمر بترجمة المصطلحات العلمية والتكنولوجية المبتدعة حديثاً عند نقلها من اللغات الأجنبية إلى العربية، إذ يؤدي استعمال المترجم لمفردة أو مصطلح تخصصي إلى شيوخ تلك المفردة أو ذلك المصطلح، ومن ثم، قبوله ورواجه بين مستعملي اللغة. وما هذا الاختيار والاستعمال الذي يقوم به المترجم إلا مثال صريح على التخطيط المصطلحي الذي بدوره يسهم في تطوير المعجم الاختصاصي، وأن عموم ما يقوم به المترجم من تبني مفردات أو تراكيب لغوية معينة أو استعماله ضرباً من ضروب اللغة، عوضاً عن أخرى، ما هو إلا تخطيط لغوي وتخطيط مصطلحي متداخلان.

وإن ما يقوم به المترجم، ترجمة أو وضع مصطلحات جديدة عندما لا يجد مصطلحاً جاهزاً في اللغة الهدف، وعندما لا تسعفه أساليب وطرق صك المصطلح في اللغة المنقول إليها (العربية)، هو تخطيط مصطلحي حقيقي. وتقوم هذه الدراسة تحديداً، كما سنرى لاحقاً، على ترجمة معجم لمصطلحات العلوم والتقنية، حيث لم يتعامل المترجم مع المعجم في هذه الحالة، بكونه أداة يستعملها المترجم لإنجاز الترجمة، بل هو مادة الترجمة ذاتها، فما يقترحه المترجم من مقابلات عربية للمصطلح الأعجمي (مفردات بسيطة أو مركبة)، يعد تخطيطاً مصطلحياً، وتطويراً للمصطلح العربي، ولذلك فالتخطيط المصطلحي في العربية يعكس الطرق والأساليب لصك المصطلح أو صوغ الكلمة في اللغة.

3 - طرق بناء الكلمة وصوغ المصطلح في العربية:

أوضح مصطفى الشهابي في كتابه⁽¹⁾ أن العربية التي نزل بها القرآن هي لهجة قُرَيْش المُضَرِّيَّة، وأنه كان للعرب في بلادهم قبل الإسلام لهجات شتى، وعندما جُمِعت اللغة العربية ودُوت، لم يُعَوَّل إلا على ألفاظ القرآن الكريم، وألفاظ الشعر الصحيح، وكلام أعرق القبائل العربية، وأبعدها عن التأثير بلغات الأعاجم، كقيس، وتميم، وهذيل، وأسد، وهذا ما ذهب إليه أحمد رضا في كتابه «مولد اللغة».

(1) «المصطلحات العلمية في القديم والحديث»، ص (9).

ومنذ المراحل الأولى لتقعيد استعمال اللغة العربية، وعلى مدى تاريخها الطويل منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا، نمت مفردات هذه اللغة بطرق أربع لبناء الكلمة وصوغ المصطلحات، وهي: الاشتقاق، والقياس، والنحت، والتعريب (الاقتراض)⁽¹⁾، وتعد هذه الطرق الأربع هي الوسائل المعتمدة لترقية العربية ونموها، وهي الطرق التي لا تزال تستعملها المجامع اللغوية والمترجمون والمعجميون إلى يومنا هذا لأجل تطوير اللغة العربية.

وقد نُقلت إلى العربية قديماً كتب الفلسفة والمنطق من اليونانية، ووُضِعَتْ ألفاظٌ اصطلاحية كثيرة جداً، معظمها عربي وقليلها معرّب، وكان معظم الذين نقلوا العلوم العقلية القديمة إلى العربية من السريان، حيث نقلوا من اليونانية ومن الفارسية ومن الهندية إلى لسانهم (السريانية)، ثُمَّ نقلوها إلى العربية، ويشير الشهابي في كتابه أيضاً إلى أننا إذا ألقينا نظرة على مجمل المصطلحات العلمية في تلك الأيام، نجد أنّ النقلة اتّبَعُوا في وضعها وسائل ناجعة أهمّها⁽²⁾:

1 - تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية، وتضمينها المعنى العلمي الجديد.

2 - اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معرّبة للدلالة على المعنى الجديد.

3 - ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها.

4 - تعريب كلمات أعجمية وعدّها صحيحة.

وإذا أمعنا النظر في الفقرتين (3) و (4) السابقتين نجد أن مصطفى الشهابي، أحد الرواد في دراسات المصطلح وأحد أبرز المعجميين المعاصرين، قد ترك الباب مفتوحاً

(1) لا بد من التمييز بين مصطلحي الاقتراض والتعريب، فالأقتراض هو إدخال اللفظ الأعجمي إلى العربية دون إخضاعه لنظاميها الصوتي والصرفي، أما التعريب فهو «أن تتفوه به العرب على مناهجها» أي إخضاع اللفظ لأبنية كلام العرب. راجع، للشهابي ص 18-19، ومظهر ص 7، وللخفاجي ص 16 و Ali (1987).

(2) الشهابي، المرجع السابق.

في مجال ابتداع طرق جديدة لصوغ المصطلح واستغلال المركبات في تطوير اللغة العربية وفي وترقيتها.

ويقترح الشهابي أنّ هذه القواعد هي التي ينبغي اتباعها في وضع مصطلحات العلوم الحديثة. ومن الواضح أن أولئك النقلة قد ساروا على مذهب القائلين بضرورة الدوام على الاشتقاق والتعريب لتنمية العربية وتوسيعها بالعلوم الدخيلة. والذين وضعوا ونقلوا العلوم العقلية قديما كانوا عارفين بأسرار اللغة العربية، ولذلك جاءت مصطلحاتهم فصيحة محكمة ومستنبطة من صميم العربية، أمّا النقلة اليوم فليس لهم ما كان للسابقين من معرفة بأسرار اللغة.

وقد ورد في كتاب «تجديد العربية»⁽¹⁾: بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون» تحذير المؤلف من التوسع في استخدام طريقة تعريب المصطلحات الأعجمية على نطاق واسع، وأبان أنها تنتج لنا أحيانا معرّبات ثقيلة المبنى والمخرج بمقياس ذوقنا الحاضر، وأورد في الكتاب بعض الأمثلة وأردفها بالسؤال التالي: كيف يستطيع القارئ الذي لا صلة لديه باللغات الأوروبية أن ينطق الكلمات الأعجمية المركبة من ألفاظ متباينة وأهجية متنافرة كما في الأمثلة التالية:

- الأورنيثور هنكوس بارادوكسوس: (حيوان ثديي يعيش في أستراليا). ص 12.
- الأنثروبثيكوس تركلوديطس: (حيوان برمائي يعيش في أفريقية). ص 12.
- الهويسوبير منودونتينا: (حيوانات ثديية اسمها مركب من ألفاظ يونانية ولاتينية)، ص 13.
- الأنثراكوثرييدا: (اسم اصطلاحي يدل على طائفة من الثدييات من البائدة)، ص 13.

(1) إسماعيل مظهر، ص ص 12 - 13 (بدون تاريخ).

وأردف صاحب كتاب «تجديد العربية»، أنّ العرب في الماضي عربوا وفق سليقتهم، وفصاحتهم، ولكن مما يؤسف له الأسف كله، أن الذين يتعلمون تعليما حديثاً اليوم، بل جلّهم، لا يعرفون من دقائق لغتهم إلا القليل، ومن ثمّ، وجذتْ النقلة في زمننا هذا لا يقتصرون على الاشتقاق والتعريب فحسب في نقل المصطلحات العلمية، بسبب ضعف سيطرتهم على العربية، بل وجذّتهم يوظفون طرق التركيب، لا سيما المركبات الإضافية في ترجمة العلوم الحديثة، ونجد المترجمين اليوم يفضلون استعمال المركبات اللفظية الشائعة الاستعمال في اللغات الأجنبية.

وأحسب أن وتيرة صك المصطلحات وترقية اللغة العربية بسبب ثورة المعلومات والتكنولوجيا لا تسير بذات السرعة التي تسير بها سرعة توليد المفاهيم والمصطلحات في اللغات الأجنبية، ويرجع ذلك لسبب أساسي هو أن العرب اليوم ليسوا ممن يُوجد المعرفة أو ينتجها، بل هم اليوم مستهلكون لها، ولذلك يجتهدون لإثراء لغتهم بالمصطلحات الشائعة لما يستجد في اللغات الأجنبية، معتمدين على الطرق المعتمدة، ولا يجيزون توظيف التراكيب اللغوية في اللغة بالمصطلحات.

ومن الجدير بالذكر، أنّ السياسة اللغوية خلال فترتي الحكم العثماني والاستعمار الأوربي للوطن العربي صيّرت اللغة العربية لغة غير رسمية، ولم تكن هي أداة التعليم في البلاد العربية، الأمر الذي ترتب عليه أن أصاب البلاد العربية حالة من العجز والشلل في مجالات الابتكار والانتاج العلمي، فعندما يتوقف الناطقون بلغة ما عن التفكير بمواضيع العلوم، يتوقف تطور تلك اللغة ونمو مفرداتها العلمية، لأن المصطلحات العلمية غالباً ما يقوم العلماء بصوغها في المختبرات والمعامل العلمية، ولأن المصطلحات وليدة الحاجة لا يتم توليدها إلا عندما يشعر الناس بالحاجة إليها، ومن هنا أصيبت اللغة بعجز وشلل في تطورها وصك المصطلحات العلمية بها.

ونتيجة لذلك افتقرت العربية إلى المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة. ولكي تلحق العربية بما وصلت إليه لغات الشعوب المتقدمة علمياً وتقنياً وتستوعب ما

يمكن ترجمته إليها بالاعتماد على الطرق التقليدية التي أقرتها المجامع اللغوية لبناء الكلمات وصك المصطلحات، يقوم المترجمون بتوظيف واستعمال طرق جديدة، إلى جانب الطرق التقليدية، لنقل المصطلحات العلمية إلى العربية. ومن بين هذه الطرق المركبات الإضافية وما يسميه بعض الدارسين بالمركبات الوصفية⁽¹⁾، ويعد التركيب ضرباً من ضروب بناء الكلمة العربية، حيث كان يستخدم في القديم ولكن على نطاق ضيق، إلا أنّ الحاجة إلى استعمال المركبات ازدادت بفعل الحاجة إلى نقل العلوم الحديثة إلى العربية.

وتلعب التراكيب اللغوية دوراً أساسياً في صك المصطلحات وفي (نقلها) أو ترجمتها من لغة إلى أخرى، وفي هذا الصدد، يقول الديداي⁽²⁾ نقلاً عن ابن خلدون، «على مقدار جودة المحفوظ أو المسموع، تكون جودة الاستعمال من بعده ثم إجادة الملكة من بعدهما،.... فبارتقاء المحفوظ ترتقي الملكة الحاصلة وينسج على منوالها». ويعني ابن خلدون بالمحفوظ أو المسموع الصورة الذهنية للتراكيب اللغوية في الذاكرة، وما التركيب المصطلحي في رأي ابن خلدون إلا نسج على منوال الصورة الذهنية للتركيب اللغوي في ذاكرة المترجم أو الواضع للمصطلح، حيث يتمثل المترجم أو المصطلحي صورة التركيب اللغوي في ذهنه وتصير في خياله كالقالب، ويتم توظيف التراكيب اللغوية في صوغ المصطلح على المنوال ذاته، تماماً كما يفعل البناء بالقالب والصانع الذي ينسج أصناف من الأقمشة بالنول على منوال واحد.

وهذا ما وصلت إليه دراسات علم النص الحديثة مع التركيز على مقتضيات الإعراب والبيان، حيث تنتظم التراكيب المصطلحية في نطاق الجملة وتتسلسل مع تراكيب الجملة التي قسّمها النحويون وفقاً للنسبة القائمة بين عناصرها كالآتي:

1 - المركب الإسنادي (بين جزئيه اسناد أصلي)، الجملة الإسمية والجملة الفعلية.

(1) راجع (Drozdzik (1966).

(2) الديداي (62 - 2000م).

2 - المركب التقييدي: بين جزئيه نسبة تقييدية، يكون أحد الجزئين فيها قيداً للآخر، مثل: المركب الإضافي، يربط بين جزئيه نسبة تقييدية (الإضافة)، وأيضاً:

3 - المركب الوصفي: يربط بين جزئيه نسبة تقييدية (الوصف).

4 - مركبات أخرى غير الإسنادية وغير التقييدية (الجر والمجرور، المركب التضميني (يتضمن حرف عطف أو جر).

ومن الجدير بالذكر أن تماسك المركب المصطلحي مستمد من خارج اللغة، أي أنه مستمد من حقل التخصص نفسه، أي من المفهوم الذي يعكسه ويعبر عنه.

4 - معطيات الدراسة:

قبل البدء في عرض معطيات هذه الدراسة، من الأنسب تقديم بسطة سريعة عن شيوع طريقتين لصك المصطلحات وصوغها، لافتين النظر إلى ما يتعلق بترجمة المصطلحات العلمية إلى العربية. وقد اعتمد المترجمون والمعجميون، كما سنرى لاحقاً، هاتين الطريقتين في نقل المصطلح العلمي التقني إلى العربية. وتتمثل الطريقة الأولى في التوسع في استعمال المركبات الإضافية، والثانية في شيوع استعمال مركبات تقييدية (وصفية). وسوف نتناول في الفقرتين التاليتين بنية المركبات الإضافية والمركبات الوصفية ودورهما في صوغ المصطلح العلمي في العربية، واستغلال المعجميين والمترجمين لهذه المركبات في ترقية اللغة.

أ - المركب الإضافي:

الإضافة كما يعرفها مصطفى الغلاييني⁽¹⁾ هي «نسبة بين اسمين على تقدير حرف الجر، توجب جر الثاني أبداً، مثل كتاب التلميذ، وخاتم فضة، وصيام النهار، ولؤلؤ الدمع، ويُسمى الأول مضافاً، والثاني مضافاً إليه. والإضافة أربعة أنواع (لامية، وبيانية وظرفية، وتشبيهية). فالإضافة اللامية ما كانت على تقدير حرف اللام، وتفيد الملك

(1) الغلاييني، ص 205.

والاختصاص، مثل: دار الخليفة، ودار السينما. والبيان ما كانت على تقدير حرف «من»، وتفيد أن يكون المضاف إليه جنساً للمضاف، مثل: خاتم فضة وثوب حرير. والظرفية ما كانت على تقدير حرف «في»، وتقديرها أن يكون المضاف إليه ظرفاً زمانياً أو مكانياً للمضاف، مثل: صوم رمضان، ورفيق المدرسة، أما التشبيهية فهي ما كانت على تقدير «كاف التشبيه»، وضابطها إضافة المشبّه به إلى المشبّه، مثل: ذهب الأصيل، ولجين الماء. ويمكننا أن ننسب اعتماد المترجمين لطريقة التوسع في توظيف المركبات الإضافية إلى ما ذهب إليه إبراهيم مصطفى⁽¹⁾ (1937:77)، بقوله:

أنّ باب الإضافة على قصره في البحث، وقلة ما فيه من الأحكام، باب كثير الدوران في العربية، وأسلوب واسع الاستعمال، بل هي أداة عظيمة شائعة تستعمل في كثير من المواضع بيانا للمعاني المختلفة، وأداء للأغراض المتنوعة، وأنّ على النحاة أن يدرسوها درساً واسعاً مفصلاً، دقيقاً عميقاً، لا ليبينوا أثرها في اللفظ وحكمها في الإعراب، بل ليعرفوا سبيلها في البيان وأثرها في تصوير المعاني، ومدى تصرف العرب فيها وتوسع العربية بها.

ونستنج من هذا الاقتباس أنه دعوة إلى دراسة مستفيضة لظاهرة الإضافة الكثيرة الدوران في الاستعمال اللغوي المعاصر، وفيه إشارة بالأبواب ينبغي قصر استعمال الإضافة على أثرها في اللفظ وحكمها في الإعراب، بل يجب استعمالها أيضاً وتوظيفها في توسع العربية بها. ومن المعاني التي تنطوي عليها عبارة توسع العربية بها في هذا السياق، استعمال المركب الإضافي في إثراء العربية بالمركبات اللفظية، الأمر الذي يوسع وظيفة الإضافة لتصبح أداة في تطوير المصطلحات العربية المنقولة عن اللغات الأجنبية، فضلاً عن وظيفتها الأساسية وهي أنها أداة نحوية. ويعد هذا الغرض من استعمالات الإضافة ضرباً من ضروب التخطيط اللغوي، حيث يتمثل في تغيير وظيفة اللغة. وينطبق هذا الاستعمال بشكل صريح مع تعريف (Rubin and Jernudd (1971) للتخطيط اللغوي كما

(1) إحياء النحو، ص 77 (1937م).

ورد في كتاب «التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي»، وكذلك ينطبق هذا الاستعمال على تعريف كوبر للتخطيط اللغوي «التخطيط اللغوي تغيير متعمّد في اللغة، تغيير في بنية اللغة وأصواتها، أو في وظائفها، أو في كليهما، من أجل إيجاد حلول للمشكلات اللغوية».

وإذا تتبعنا المعاجم التخصصية الحديثة في العلوم والتقنية، نجد أن هذه الدعوة التي أطلقها المجدد والمخطط اللغوي ابراهيم مصطفى قد لقيت قبولاً لدى المترجمين والنقلة المعاصرين للمصطلحات العلمية. وتُمثّل هذا القبول في شيوع المركبات الإضافية والوصفية في المسارد والمعاجم التي نشرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة⁽¹⁾، الذي أولى اهتماماً خاصاً بمشكلات تعريب المصطلحات والمفاهيم العلمية من اللغات الأجنبية، وكذلك في المعاجم العلمية التخصصية التي تنشرها مكتبة لبنان⁽²⁾، أكثر دور النشر اهتماماً بالصناعة المعجمية.

وقد أبانت نهاد الموسى⁽³⁾ «أن ظاهرة الإضافة - بالمسح العابر لعينات سريعة من العربية في القديم والحديث - هي إحدى أكثر الظواهر دوراً في الاستعمال اللغوي،... ولا يكاد سطر مما يكتب بالعربية يخلو من مثال من أمثلة الإضافة»، وأن شيوع استعمال ظاهرة التركيب المصطلحي قد فتح أمامها أرجحية تدعو إلى التوسع في استعمالها أكثر مما هو متاح لغيرها من أدوات بناء الكلمة وصك المصطلح. ويضيف عباس حسن⁽⁴⁾ ما مفاده أن العَلَم ينقسم باعتبار لفظه إلى عَلَم مفرد وعَلَم مركّب، فالمفرد ما تكوّن من كلمة واحدة، مثل: صالح ومأمون وحليمة، أمّا المركّب ما تكوّن من كلمتين أو أكثر، وهو ثلاثة أقسام: المركّب المزجي والمركّب الإسنادي والمركّب الإضافي، ويتركب الأخير من مضاف ومضاف إليه، مثل: عبد العزيز، وسعد الله، وعزّ الأهل.

(1) هارون (1991م).

(2) أحمد الخطيب (1981-1982م).

(3) نهاد الموسى، ص: 5-55، (1976).

(4) عباس حسن، الجزء الأول، ص 292-300.

ويمكننا أن نستنتج مما تقدّم، أن المركب الإضافي، كما يراه النحويون، يؤدي وظيفة العلم (العلم المركّب)، ويبيّن عباس حسن (ج 1، ص 26) أيضاً، أنّ للاسم علامات خمس، وهي الجرّ والتنوين والنداء وقبول أل التعريف والإسناد، فإذا صدقت واحدة من هذه العلامات مع الكلمة كانت دليلاً على أنها اسم، وقد أشار ابن مالك⁽¹⁾ إلى علامات الاسم في ألفيته بقوله:

بالجر، والتنوين، والنداء، وأل ومُسْنَدٍ، للاسم تمييز حصل

ونجد أن النداء والإسناد يحدث كلاهما مع المركبات الإضافية، مثل: يا عبد العزيز، وسافر عبد العزيز، ومن ثمّ، فإن توظيف المركبات الإضافية في هيئة علم مركب للدلالة على مسميات محسوسة وغير محسوسة، يعد دليلاً على مدى اتساع استعمال ظاهرة الإضافة في صوغ المصطلح، ودليلاً بيّن على توظيف المركبات الإضافية في أداء وظائف الأسماء، سواء كانت أسماء العلم أو الجنس، وعند استعمال الإضافة في ترجمة المفاهيم والمصطلحات العلمية والفنية والهندسية، تصبح أداة معجمية تؤدي وظيفة جديدة فضلاً عن وظيفتها الأخرى وهي أنها أداة نحوية.

ب - المركبات الوصفية:

في البدء، يقتضي التعريف بمصطلح المركب الوصفي كما ورد في أدبيات التخطيط المصطلحي، حيث يعكس المركب الوصفي مفهوم تركيب غير قياسي لا يقوم على نظامية ولا تواتر في العناصر المكونة له. وقد يكون هذا المركب تركيباً لغوياً يتكون من اسم مقيد بصفات أو أفعال أو ظروف أو من بعضها أو منها مجتمعة. وقد شاع استعمال مثل هذه المركبات في الاستعمال المصطلحي في المعاجم العربية المعاصرة وأخص منها التخصصية ثنائية اللغة، حيث نجده يستخدم لترجمة المصطلحات العلمية وفي توفير مقابلات عربية للمصطلحات الأجنبية، ويقرّ الباحث هذا الضرب ويطلقون عليه أسماء مختلفة.

(1) راجع، ابن عقيل، ص. 16، (1990م).

فقد أطلق دروزدك⁽¹⁾ (Drozdk: 1966) على هذا النوع من التركيب المصطلح الوصفي، ووصفه بأنه ظاهرة أُنسجت بها المرحلة الحالية من التطور اللغوي في العربية المعاصرة، ويبرر دروزدك شيوع هذه الظاهرة (طريقة توليف تركيب لغوي من عدد من المفردات) أنها بديهية حدسية ناتجة عن ترجمة المصطلحات الأجنبية إلى العربية، ويرجع سبب شيوعها إلى قصر الاعتماد في صوغ المصطلحات العربية على الطرق التقليدية لصوغ المصطلح (اشتقاق، قياس، نحت، تعريب)، ولذلك ندر صوغ المصطلحات الجديدة وندرت المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي.

ويصف المجرب⁽²⁾ المركب الوصفي بعبارة «الاشتقاق بالترجمة» أو «الاشتقاق المعنوي»، ويضيف أن هذه الطريقة يتم توظيفها لصك مصطلحات جديدة في العربية وما هي إلا ترجمة لمعنى المصطلح لأجنبي، وهو منهج شائع في اللغات الطبيعية، كما يشير إلى تواتر استعمال هذه الطريقة في المعاجم الإنجليزية العربية ثنائية اللغة مثل: معجم "Oxford English - Arabic Dictionary of Current Usage"، حيث وردت فيه أمثلة منها: ترجمة مصطلح "camera" إلى العربية بـ «آلة التصوير الفوتوغرافي»، وترجمة مصطلح "ideal" إلى «مثل أعلى»... الخ.

وأشار إلى هذا التركيب أحمد مختار عمر⁽³⁾ في كتابه «صناعة المعجم الحديث» وأسماء «التعابير السياقية»، ويمثل له بأمثلة مثل: «السكة الحديدية» و «الماء الثقيل» و «بقرة بني إسرائيل».

ولقد ذهب رجز⁽⁴⁾ (Riggs (1982: 145 إلى أن المركب الوصفي أكثر مقبولة وشيوعاً في العلوم الطبيعية والتقنية مقارنة بشيوعه وقبوله في العلوم الاجتماعية. وأضاف إلى أنه يجد المشتغلين بالعلوم الطبيعية والتقنية أكثر ميلاً إلى صك واستعمال مركبات

(2) المجرب (2011) Almgrab, ص 495.

(1) دروزدك (1966) ص 14.

(3) أحمد مختار عمر (2009)، ص 25.

(4) رجز (1982)، ص 145.

وصفية للدلالة على المفاهيم والأفكار الجديدة. ويُرجع رجز *Riggs* هذا الميل والقبول للمركبات الوصفية لدى العلماء والتقنيين إلى سببين اثنين، هما:

أن التعرف على مصطلح جديد يدل على مفهوم أو فكرة جديدة أسهل في العلوم الطبيعية منها في العلوم الاجتماعية.

ب) العلوم الاجتماعية أكثر وضوحاً لدى دارسيها من العلوم الطبيعية، ولذلك يعد إيجاد مصطلح مكوّن من كلمة واحدة ومكافئ للمصطلح الأجنبي الجديد أكثر يسراً في العلوم الاجتماعية منه في العلوم الطبيعية.

وقد نبّه لغويون أمثال بلومفيلد (*1933Bloomfield*)، ومعجميون أمثال زقسيطة (*1971Zgusta*)، إلى شيوع هذه الظاهرة في اللغات عموماً، وأفاد بلومفيلد (1933) أنّ: «متحدثي اللغة ممن يبتكرون مفردات جديدة في لغاتهم يستخدمون مفردات ذات علاقة بمدلول المفردة الأجنبية الجديدة. ويضيف:

وإذا لم تتوفر لديهم مفردات ذات علاقة بمدلول المفردة الأجنبية، يقومون بوصفه بكلمات أخرى متوفرة لديهم، ويترتب على هذا التوسع في مدلول المفردة المستعملة. ونجد هذه الظاهرة في لغة الهنود الأمريكيين، حيث يلجؤون إلى استعمال تعابير وصفية في لغاتهم أكثر من استعمالهم للاقتراض اللغوي. [ترجمة الباحث]

وأطلق زقسيطة⁽¹⁾ (*1971Zgusta*) على ظاهرة استغلال وحدات معجمية متاحة في اللغة في ترجمة المفاهيم الثقافية التقنية متعددة العناصر، عبارة «المركبات الوصفية»، ووصفها بأنها هي: «الوحدات المعجمية متعددة العناصر ومتكررة الحدوث في الاستعمال اللغوي، وتستخدم عادة في التعبير عن وحدة دلالية، ويؤدي هذا المركب ذات الوظيفة التي تؤديها الوحدات المعجمية المكونة من مفردة واحدة.

(1) زقسيطة (*1971*) *Zgusta, M.*

وتُعدّ هذه المركبات التي تضمّ (مفردتين وأكثر) ذوات وظائف نحوية مختلفة، غالباً ما تتكون من اسم ومفردة أو مفردات أخرى تقيّد أو تحدد ذلك الاسم، وتعرف في العربية بالمركب التقييدي⁽¹⁾، حيث يعرفه التنوخي بأنّه «المركب المؤلف من صفة وموصوف، نحو: الرجل الفاضل، أو من عبارة تتكون من تركيب لغوي مما لا يدخل ضمن المركب الإسنادي، ولا المركب المزجي، ولا المركب الإضافي»

وتجدر الإشارة إلى أنّ بنية هذه المركبات غير مستقرة وغير ثابتة، وغالباً ما يتم اختصارها وتقليل عدد المفردات المكونة لها كلما تبلور مفهوم المصطلح ودلالته في أذهان من يستخدمون اللغة⁽²⁾، وإن ما يوحد هذه المركبات، على الرغم من تعدد عناصرها، هو وحدة مدلولها، أي دلالتها على فكرة أو مفهوم أو شيء واحد.

5 - منهجية الدراسة:

ينتهج الدارسون لمسائل المصطلح وطرق وضع المصطلحات في الغالب أحد نهجين، حيث ينتهج الفريق الأول، بناء على التجربة والخبرة، النهج الإرشادي التوجيهي الذي يقوم على اقتراح ضوابط ومعايير لتكريس تقاليد علمية تساعد، في نظرهم، على تطور اللغة وعلى تفادي الانحرافات الناتجة عن اضطراب آليات وضع المصطلح وآليات ضبطه، ليصير أكثر تحديداً للمعنى ووفاء بمدلوله، وينتهج الفريق الثاني النهج الوصفي القائم على وصف الاستعمال اللغوي للمصطلحات في لغة ما ودراستها وتحليلها، ومن ثم إقرار الاستعمال اللغوي كما يمارسه مستخدمو اللغة، وليس كما يقترحه اللغويون.

وكما أسلفت التنبيه في هذا السياق، فإنّ هذه الدراسة مبنية على عمل معجمي مترجم من لغة أجنبية (اللغة الإنجليزية) يعكس الاستعمال الفعلي للغة متمثلاً في ممارسة ترجمة المصطلح العلمي، وليست مبنية على نصائح إرشادية تقترح كيف يكون

(1) راجع، محمد التنوخي (2003)، ص 407.

(2) راجع دروزدك المرجع السابق (1966).

استعمال اللغة، ولذلك فهي نتيجة لممارسة الترجمة العلمية وهي إفادة وبيان لما يقوم به المترجم، وليس ما يقترحه مصنفو المعجم وعلماء المصطلحية. فقد اعتمدت في هذه الدراسة المنهج القائم على الاستعمال الفعلي للغة وطرق صك المصطلحات التي يمارسها المترجمون والمصطلحيون في نقل المفاهيم والمصطلحات الأجنبية إلى العربية.

5.1 - وتهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

أ - إبراز الحاجة إلى تدخل عمدي لتكييف وظائف التراكيب اللغوية لأداء مهام جديدة في العربية المعاصرة، وهو ما يعرف بالتخطيط اللغوي المصطلحي لأجل تذليل المشكلات اللغوية في مجال المصطلحية وإيجاد حلول لمسألة الفقر الذي تعانيه اللغة في المصطلح العلمي التقني والتغلب على صعوبات التواصل بين العربية وغيرها من اللغات الأجنبية.

ب - إبراز الدور الذي يسهم به المترجم في مجال التخطيط المصطلحي وترقية معاجم الاختصاص من أجل ترقية اللغة وتطويرها.

ج - إلقاء الضوء على مدى قصور إسهام الطرق التقليدية في صوغ المصطلح ومحدوديته من خلال إسهام المترجم في صوغ المصطلح العلمي وتطوير المعجم الخاص وعلى الخيارات الأخرى التي ينتهجها المترجمون عند وقوفهم على ضعف إسهام الخيارات التقليدية في تطوير معاجم الاختصاص.

5.2 - مادة البحث:

تقوم هذه الدراسة على بيانات ومعطيات تم استخلاصها من أحد الأعمال المعجمية المترجمة عن اللغة الإنجليزية، وهو معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا⁽¹⁾، ويُعد هذا المعجم، نسخة عربية ثنائية اللغة مترجمة عن:

McGRAW-HILL DICTIONARY OF SCIENTIFIC AND TECHNICAL TERMS

(1) معهد الإنماء العربي، بيروت لبنان.

ولذلك فمادة البحث مستخلصة من ترجمة علمية لمعجم متخصص، يعكس إسهام المترجم⁽¹⁾ في تطوير معجم الاختصاص، وفضلاً عن عدد من شارك في الترجمة، كانوا ينتمون إلى عدد (12) اثنتي عشرة جامعة ومجمعين (مجمع القاهرة ومجمع دمشق)، ومعهد عال وهيئة علمية. وأفاد رئيس لجنة تحرير المعجم المذكور أنّ هذه الترجمة هي من أول المشروعات العلمية التي قام بها معهد الإنماء العربي، ويشيد بما تتميز به من شمولية اصطلاحية تضم مصطلحات ما يزيد على مئة تخصص علمي وتقني، وكما ورد في تقديم المعجم، تعد من أنجح المحاولات العالمية في تجاوز مشكلة التداخل العلمي الحديث بين فروع المعرفة المتعددة.

3.5 - عيّنة الدراسة:

نظراً إلى صعوبة إخضاع مجتمع البحث للدراسة بكامله كما هي الحال في معجم مكون من أربعة مجلدات ضمت أكثر من مئة ألف مصطلح، يمكن اختيار عينة ممثلة لإخضاعها للدراسة وتعميم النتائج على مجتمع البحث بكامله. والعينة جزء من مجتمع البحث ممثل لخصائصه كافة ويمكن إخضاعها للدراسة. وكلما كان مجتمع البحث متماثلاً ومتجانساً في سماته وخصائصه فإنّ صغر حجم العينة لا يؤثر سلباً على دقة نتائج البحث أو تعميم نتائجه. وتعد المصطلحات العلمية التي يتم صوغها الأسلوب بذاته والطريقة (اشتقاق - نحت - قياس - اقتراض - تركيب) وحدات متجانسة من مجتمع البحث. لذلك تقوم هذه الدراسة على عينة ممثلة لمجتمع البحث وهو «معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا» المكون من عدد (108000) ثمانية ومئة ألف مصطلح تقني، تغطي عدد (102) اثنين ومئة علم وفرع معرفي متخصص. ويتكون المعجم من أربعة مجلدات تضم (3675) خمساً وسبعين وست مئة وثلاثة آلاف صفحة من الحجم الكبير. وقد تم بطريقة عشوائية اختيار عينة البحث (أحد فصول المعجم المقسم إلى (26) ستة وعشرين فصلاً، بعدد الحروف الهجائية الإنجليزية)، وقد تم عشوائياً اختيار

(1) بلغ عدد المترجمين الذين أسهموا في إنجاز هذه المعجم أربعة وأربعين مترجماً.

الفصل الموسوم بحرف «T» باللغة الإنجليزية، ويشكّل هذا الفصل عدد (209) تسع ومئتي صفحة من هذا المعجم، تضم (3806) ستة وثمان مئة وثلاثة آلاف مصطلح، وبذلك بلغت نسبة عدد صفحات عينة البحث 5.6% من مجتمع البحث، كما بلغت نسبة عدد مصطلحات عينة البحث 3.5% من عدد مصطلحات مجتمع الدراسة. وإذا ينصح بعض من الباحثين أن حجم العينة تحدده طبيعة الدراسة وطريقة تحليل البيانات، فإنّ هذه النسب المتحصل عليها من مجتمع البحث تعد ممثلة لجمهور البحث ومناسبة لتحقيق أهدافه، ويبين الجدول رقم (1) حجم مجتمع البحث والعينة المستخلصة منه.

جدول (1) عينة البحث

النسبة المئوية	عينة البحث	مجتمع البحث	
5.6%	209	3675	عدد الصفحات
3.5%	3806	108000	عدد المصطلحات

6 - تحليل البيانات:

تعرض الجداول التالية بالأرقام أمثلة مستخلصة من عينة البحث تمثل الطرق التقليدية لبناء الكلمة وصوغ المصطلح في العربية وهي: (الاشتقاق والقياس والنحت والتعريب (الاقتراس اللغوي)، وكذلك الطرق غير التقليدية (المركبات الإضافية والمركبات الوصفية).

جدول (2)

أمثلة لمصطلحات تمّ صوغها بطريقتي النحت والتركيب المزجي

ر. م	طريقة صوغ المصطلح	المصطلح العربي	المقابل الأجنبي
1	نحت	كهروحراري	Thermionic
2	تركيب مزجي	مرسل - مستقبل	transmitter-receiver
3	تركيب مزجي	طن - ميل	ton-mile
4	تركيب مزجي	طن - كيلومتر	ton-kilometer

النحت في اللغة العربية هو توليد كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر بأخذ جزء من الكلمتين أو الكلمات المصدر للكلمة المنحوتة، ولا تقتيد عملية النحت بضوابط محددة أو قياس معين. وقد نحت العرب قديماً من الجملة ومن الكلمات، وأسهمت هذه الطريقة في بناء مفردات عديدة، إلا أنَّ استعمالها حديثاً صار محدوداً جداً بسبب صعوبة استرجاع المفردات المكونة للمنحوت كما تدل الأمثلة الآتية: نقحرة (نقل الحروف)، وحلماً (حلل بالماء)، وغوسل (غُول وعسل)، وزمكان (زمان ومكان)، ولذلك جاءت نسبة إسهام هذه الطريقة في مجتمع الدراسة وفي عينتها ضعيفة جداً بحيث لم تتجاوز مصطلحاً واحداً.

أما التركيب المزجي فهو تركيب من كلمتين امتزجتا حتى صارتا كلمة واحدة مثل: سيبويه، وبورسعيد وحضرموت، ونيودلهي... الخ، وما يجعل المركب المزجي يختلف عن النحت هو أنَّ الكلمتين الممزوجتين يُحَافِظ عليهما كاملتين دون حذف أجزاء منهما وهو ما ييسر على القارئ فهم المفردات المكونة للمركب، كما تشير الأمثلة في الجدول (2) أعلاه.

جدول رقم (3)

مصطلحات تم صوغها بطريقة القياس

ر. م	المصطلح العربي	المقابل الأجنبي		المصطلح العربي	المقابل الأجنبي
1	نخالة	Tailings	7	لوزة	Tonsil
2	فرقة	Talking	8	قصبة	Trachea
3	دباغة	Tanning	9	زراع	Transplantation
4	هاتف	Telephone	10	شفاف	Transparent
5	نسيج	Tissue	11	جفن	Thesium
6	زناد/ قاذح	Trigger			

كما يُعدُّ القياس أحد طرق بناء الكلمة وصلك المصطلح وإثراء اللغة وترقيتها في القديم والحديث. وللقياس أهمية كبيرة جداً لا يمكن لأحد إنكارها، لأنَّه

ينبغي المتكلم عن سماع كل ما يقوله العرب، وكما يعرفه النحويون القدامى بأنّه: «حمل مجهول على معلوم، وحمل ما لم يُسمَع على ما سُمِع». ويصدق هذا التعريف أيضاً على مصطلح المجاز، كما وصفه أنيس⁽¹⁾ «ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة»، وأوضح أنّ الناس عادة تنحرف باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة للتعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم والتجارب في حياتهم، وهكذا وجدنا مصطلحي المجاز والقياس يستعملهما اللغويون للتعبير عن ذات المدلول، وإن كان استعمال القياس كثيراً ما يستعمله اللغويون في وصف الظواهر اللغوية ويستعمل مصطلح المجاز في تصوير المعاني البلاغية كما يفعل الشعراء والأدباء.

وقد تمّ إثراء العربية المعاصرة بألفاظ قديمة المبنى جديدة الدلالة مثل: الدبابة والطيارة والمدفع واللغم والطائرة والمذيع والقطار والثلاجة. وكما تشير الأمثلة في الجدول رقم (3)، ينبغي أن تكون ثمة علاقة دلالية بين المصطلح المنقول (الأصل) والمصطلح الجديد، فمصطلح «نخالة» (برادة الحديد) تم قياسه على لفظة نخالة (ما نُخل من الدقيق)، فتشترك اللفظتان نخالة (القديمة) المقاس عليها، وبرادة (سحالة الحديد) المستحدثة في وصف مدلولين تجمعهما سمة واحدة (ما ينخل أو يسحل).

جدول (4)

مصطلحات تم صوغها بطريقة الاشتقاق

ر.م	المصطلح العربي	المقابل الأجنبي		المصطلح العربي	المقابل الأجنبي
1	ورم	Tumor	5	تتبع	Tracking
2	فرقة	Talking	6	مُهْدِيّ	Tranquilizer
3	دباغة	Tanning	7	تحول	Transformation

(1) إبراهيم أنيس، ط: الرابعة 1980م، ص 127.

يُعدُّ الاشتقاق الصرفي من أهم طرق تنمية اللغة العربية وتكاثر مفرداتها، وهو عملية توليد بعض المفردات من الجذر الصرفي للكلمة لتمكين اللغة من التعبير عن المفاهيم والأشياء الجديدة والمستحدثة في المجتمع. وتتمُّ عملية الاشتقاق بإضافة سابقة أو لاحقة أو واسطة تغرس في وسط الكلمة أو جمع هذه العناصر مع الجذر الصرفي للمصطلح المشتق. وقد أسهمت هذه الطريقة إسهاماً كبيراً في تطور العربية في القديم والحديث وترقيتها.

جدول (5)

مصطلحات تم صوغها بطريقة الاقتراض اللغوي

ر. م	المصطلح العربي	المقابل الأجنبي		المصطلح العربي	المقابل الأجنبي
1	تفتة (نوع من القماش ناعم الملمس)	Taffta	5	تتبع	thrombin
2	تانجلو (شجرة هجين من اليوسفي والمندرين)	Tanglo	6	تايفر (طائرة اعتراضية مقاتلة)	Tiger
3	تانتاليت (معدن أسود كالحديد)	Tantalite	7	تربوميتون (مركب بللوري عديم اللون)	terbumeton
4	تيرام (مادة صلبة بلورية عديمة اللون)	Theram	8	تنريق (أحد ثلاثين نوعاً من التدييات الحاشرة المحلية في مدغشقر)	Tenrec

الاقتراض اللغوي هو نقل كلمة أو مصطلح أجنبي من لغتها الأصلية إلى لغة أخرى، وتتجسد هذه الظاهرة في نمطين من أنماط الاقتراض، يتمثل الأول في إدماج اللفظ

في اللغة المنقول إليها دون تكييفه مع نظاميها الصرفي والصوتي، ويسميه العرب كلمة دخيلة، ويتمثل النمط الثاني في قياس اللفظ الأجنبي على الألفاظ العربية وتكييفه وفق الضوابط الصوتية والصرفية للغة المنقول إليها حتى يتوافق مع النطق السليم فيها، وبكون اللفظ إلى العربية أقرب، وهي ما يعرف في العربية بظاهرة التعريب. وقد اقترض العرب قديماً من الفرس واليونان ألفاظاً للتعبير عن أشياء ليست في بلاد العرب.

وقد جاءت الأمثلة في الجدول (5) لتعكس هذه الظاهرة، وقد بلغت نسبة إسهام هذه الطريقة في نقل المفاهيم الأجنبية أعلى من نسبة إسهام الاشتقاق الذي هو أساس النظام الصرفي في العربية، بل إنَّ نسبة المصطلحات المقترضة فاقت النسب الممثلة للنحت والتركيب المزجي والاشتقاق والقياس مجتمعة. ويدل هذا على فاعلية هذه الطريقة في إثراء اللغة بالمصطلحات العلمية عموماً والحديثة خاصة. ولا يفوتنا أن ننبه إلى أنَّ المترجم لا يقتصر على النقل بطريقة الاقتراض، بل إنه يقوم أيضاً بابتداع مصطلحات مقابلة جديدة للفظ الأعجمي بطرق أخرى لبناء الكلمة، مثل ترجمة معنى اللفظ أو وصفه كما سنرى فيما بعد، فضلاً عن الطرق التقليدية، كما تبين مادة هذه الدراسة والعينة المستخلصة.

والاقتراض ظاهرة ممثلة في جميع لغات العالم التي تواصلت أو حدث لها احتكاك مع لغة أخرى مختلفة عنها في مفرداتها وثقافة مجتمعتها. وتسهم هذه الطريقة إسهاماً غزيراً في تطور اللغة وتعزيز قابليتها للترجمة. وكما يحدث التطور في المجتمع، يحدث تطور وتغيير في لغته. فكل تطور في حياة الأمة يترك أثراً في لغتها. ونرى هذا يتمثل في مصطلحات الحياة العامة، مثل: شارع الحرية، مصرف الأمان، قصر الضيافة، طفل الأنابيب، مول ليبيا. وجميع هذه المصطلحات تم صوغها قياساً على ظاهرة الإضافة أو التركيب الإضافي. وقد بلغت نسبة إسهام هذه الطريقة في عينة الدراسة (المصطلحات التي تم صوغها بطريقة المركب الإضافي) (32.2%)، وقياساً على هذه النسبة، يمكننا

معرفة أنَّ إسهام المركب الإضافي في صوغ المصطلحات العلمية المترجمة من الإنجليزية إلى العربية إسهام كبير.

وقد صُنِّفت المركبات الإضافية المكونة لعينة الدراسة إلى ثلاثة أنواع من المركب الإضافي حسب بنية المركب ذاته، بكونه مركباً إضافياً: عربي البنية (يتكون من اسمين عربيين)، أو مركب إضافي هجين (يتكون من اسم عربي وآخر أعجمي)، أو مركب إضافي أعجمي (يتكون من اسمين أعجميين). وسنعرض في الجداول التالية نماذج من الأمثلة التي تعكس هذا التقسيم للمركب الإضافي في هذه العينة:

جدول (6)

نماذج من المركبات الإضافية المكونة من أسمين عربيين

ر. م	المصطلح العربي	المصطلح الأجنبي	ر. م	المصطلح العربي	المصطلح الأجنبي
1	التهاب الوتر	<i>Tendonitis</i>	15	فصيلة الثعراوات	<i>Tabanidae</i>
2	رتبة اللويحيات	<i>Tabulate</i>	16	صنع الأقراص	<i>Tableting</i>
3	درجة الحرارة	<i>Temperature</i>	17	فلوريد الفضة	<i>Tachiol</i>
4	مهبّ العاصفة	<i>teeth of the gale</i>	18	نفايات السلخ	<i>Tankage</i>
5	مدّة التفكيك	<i>tear-down time</i>	19	رتبة الفهقيات	<i>Tetraodontiformes</i>
6	خشب الساج	<i>Teakwood</i>	20	رهاب الحرارة	<i>Thermophobia</i>
7	رتبة المتراضات	<i>Textulariina</i>	21	رهاب التشوه	<i>Teratophobia</i>
8	ميدان الرمي	<i>target range</i>	22	فصيلة الشاييات	<i>Theaceae</i>
9	تمييز الهدف	<i>Target discrimination</i>	23	رتبة الشاييات	<i>Theales</i>
10	قطارة القار	<i>tar distillate</i>	24	تدفئة الديناميت	<i>Thawing</i>
11	محقق الشريط	<i>tape verifier</i>	25	سرّاقة عيّات	<i>Thief</i>
12	عظم الكعبر	<i>Talus</i>	26	غدة الجفن	<i>tarsal gland</i>
13	بكرة تجميع	<i>take up reel</i>	27	قلح الأسنان	<i>Tartar</i>
14	سفينة تموين	<i>Tender</i>	28	سرعة الشريط	<i>tape speed</i>

جدول (7)

نماذج من المركبات الإضافية (الهجين)

المصطلح العربي	المصطلح الأجنبي		المصطلح العربي	المصطلح الأجنبي
ميل تافل	tafel slpoe	9	بوابة تينتر	tainter gate
تدفئة الديناميت	Thawing	10	فصيلة التالتريات	Talitridae
مُولّد تيفنان	thevenin generator	11	شرائط تالبوت	talbot's bands
حمض التيونيك	thionic acid	12	رتبة التنايسيات	Tanaidacea
فصيلة الثروسيات	Throscidae	13	مكثف تانتالم	tantanlum capacitor
مقياس توماس	thomas meter	14	حمض التوركلين	taurocholic acid
ظاهرة تومسون	Thomson effect	15	حمض الترتريك	tartaric acid
تيوميد الخل	Thioacetamide	16	طريقة تايلور	Taylor process

جدول (8)

نماذج من المركبات الإضافية الأجنبية

المصطلح العربي	المصطلح الأجنبي	المصطلح العربي	المصطلح الأجنبي
كلوريد التايونيل	thyonyl chloride	كربيد التنتاليم	tantalum carbide
فلوريد الثوريم	thorium fluoride	كلوريد التنتاليم	tantalum chloride
يوديد التيمول	thymol iodide	هيدروكلوريد التربين	terpene hydrochloride
تبيوهيد انتيون	Thiohydantion	أسيئات التاليوم	thallium acetate
تيوبنتال الصوديوم	theiopental sodium	نترات التاليوم	thallium nitrate

وهكذا تُعدّ الجداول المثبتة أعلاه صورة واضحة لثلاثة من ضروب المركبات الإضافية التي وردت في عينة هذه الدراسة، وتعكس هذه المركبات مدى شيوع استعمال المركب الإضافي وتداوله في نقل المصطلحات العلمية الإنجليزية إلى العربية.

أمّا الجدول رقم (9)، فيعرض أمثلة للمركبات الوصفية الشائعة في ترجمة المصطلح

العلمي إلى العربية ودورها في جَسْر الهوة بين العربية واللغات الأجنبية وفي التعبير عن المفاهيم والأفكار والمستحدثات العلمية. وأحسب أن من أسباب شيوع ظاهرة المركبات الوصفية في العربية، كثرة استعمالها في اللغات الأجنبية في هيئة مصطلحات علمية وفنية يجد العلماء والتقنيون العرب أنفسهم في حاجة إلى نقلها إلى اللغة العربية في وقت قصير، وغالباً ما تتم بطريقة حدسية أو بديهية، كما أشار دروزدك (1966) آنفاً. ويمكننا الاستشهاد بأمثلة مختلفة للتدليل على هذا النوع من المركبات.

فمن الأمثلة المقتبسة من معجم مصطلحات البترول والصناعة النفطية، ما يلي:

القوى الدافعة الكهربائية المستحثة (*Induced electromotive force*) ص 223.

خام بترولي عالي الكثافة (*high gravity group*) ص 208.

وكما أسلفت فإن هذه الظاهرة ناقشها عدد من الدارسين، أمثال: دروزدك (1966) (Drozdk)، ووصفها سميتون⁽¹⁾ (Smeaton: 1973: 123-35) بأنها أسماء مركبة (*compound designations*). وقد ناقشها كل من ستكوفتش⁽²⁾ (Stetkevych (1970)، وأيلون (1989) (Ayalon). ومما يبرر تداول هذه المركبات وشيوع أغلبها في الاستعمال فشل علماء اللغة والاختصاصيين في العلوم الطبيعية والتقنية في إيجاد مصطلحات بالاختصار على توظيف الطرق التقليدية لبناء الكلمة أو المصطلح العربي.

جدول (9)

مصطلحات تم صوغها بطريقة التركيب الوصفي

ر. م	المصطلح العربي	المقابل الأجنبي
1	التأخر الزمني المكتوم للمرسل والمجيب	<i>transponder suppressed time delay</i>
2	رصاصة مذنبية	<i>tracer bullet</i>

(1) سميتون (1973: 123 - 35).

(2) ستكوفتش (1970) (Stetkevych).

ر.م	المصطلح العربي	المقابل الأجنبي
3	فصيلة ثلاثيات الأصابع	Trydactylide
4	فولاذ تنقستي	tungston steel
5	رتبة الأشجار الدولابية	Trochodendrates
6	برعم ذوقي	taste bud
7	وحدة حسابية مزدوجة	twin arithmetic unit
8	مرافق قنطري نَقَال	travelling gantry crane
9	محطة طرفية رافدة	tributary station
10	التصوير بالألوان	Technicolour
11	خطأ خط العرض التماسي	trangent latitude error
12	التحليل بنقطة الغليان الحقيقية	true-boiling point analysis
13	مستقبل التردد الراديوي المولف	tuned-radio-frequency receiver
14	امتداد رأس النسيقة	torpedo warhead extension
15	ضابط الفقد الصافي في التشغيل النغمي	tone-operated net-loss adjuster
16	النموذج الذري توماس فيرمي	thomas Fermi atom model
17	القانون الثالث للتحريك الحراري	third law of thermodynamic
18	سداسي فلوروفسفات رباعي أثيل الأموميوم	tetraethylammonium hexafluorophosphate
19	مرشد المطار الراديوي الشامل ذو التردد العالي جداً	terminal very high frequency omnirange
20	مُجْهَر نَقَاذ الكُتْرُونِي	transmission electron microscope

7 - المناقشة:

ما يمكننا استخلاصه من هذه البيانات، أنّ هذه الدراسة تمثل شواهد توضيحية لطرق نقل المصطلحات أو ترجمتها إلى العربية، وما يقوم به المترجمون من إسهامات في تطوير المصطلحات والمعاجم. وتوضح هذه البيانات بشكل صريح النسبة الضئيلة من المصطلحات التي تم صوغها بالطرق التقليدية الأربع. إذ لم تتجاوز 16% من إجمالي المصطلحات في عينة هذه الدراسة، وفي الوقت ذاته، تُظهِر هذه الدراسة أنّ الإسهام

الأكبر في نقل المصطلحات إلى العربية جاء من إسهام طريقتي المركبات الإضافية والمركبات الوصفية، حيث أسهمت المركبات الوصفية بأكثر من 50٪ من الإجمالي، ثم تلتها المركبات الإضافية بنسبة 32٪، وهذا مؤشر إلى الدور الذي يؤديه المترجم في تخطيط المصطلح وفي تبني وسائل وطرق جديدة في صوغ المصطلح، فضلاً عن الطرق التقليدية المعروفة، كما يوضح الجدول (10).

جدول (10)

النسب المئوية لتمثيل طرق صوغ المصطلحات العلمية

ر. م	طريقة صوغ المصطلح	عدد المصطلحات	النسبة المئوية
1	النحت والتركيب المزجي	4	0.1%
2	الاشتقاق	130	3.4%
3	القياس	106	2.7%
4	الاقتراض اللغوي (التعريب)	362	9.5%
5	التركيب الإضافي	1228	32.2%
6	التركيب الوصفي	1976	51.9%
	الإجمالي	3806	99.8

ولمناقشة مدى نجاح هذه الدراسة في تحقيق أهدافها المثبتة (راجع الفقرة 1.5)

وهي:

1 - إبراز الحاجة إلى تخطيط لغوي يتمثل في تدخل عمدي لتكييف وظائف التراكيب اللغوية لأداء مهام جديدة تتمثل في ترقية العربية وتعزيز قابليتها للترجمة التخطيط المصطلحي؛ لأجل إيجاد حلول لمسألة الفقر الذي تعانيه اللغة في المصطلح العلمي التقني. وقد دلت النتائج، (راجع الجدول 10)، على الحاجة إلى هذا التخطيط المصطلحي من خلال النسب المئوية التي أسهمت بها المركبات في نقل المفاهيم والمستحدثات العلمية التقنية إلى العربية.

2 - الدور الذي يسهم به المترجم في مجال التخطيط المصطلحي وترقية معاجم الاختصاص من أجل ترقية اللغة وتطويرها. وقد أبرزت الدراسة هذا الدور، وتمثل في عملية نقل هذا المعجم الموسوعي إلى العربية بمصطلحاته المتنوعة التي شملت أكثر من مئة فرع معرفي من فروع العلم والتقنية. وعلى الرغم من القصور الذي يعاني منه المترجمون المعاصرون في الإلمام التام بأسرار العربية (راجع الفقرة (3) أعلاه) على عكس ما كان يتمتع به من نقلوا العلوم العقلية قديماً (كانوا عارفين بأسرار العربية)، فإن المترجم لم يقف مكتوف اليدين أمام تحدي ترقية العربية المعاصرة بابتداعه طرقاً جديدة تمثلت في توظيف التراكيب اللغوية (الإضافية والوصفية) في ترجمة المصطلح وتطوير معاجم الاختصاص.

3 - كذلك أبرزت النتائج مدى ضعف إسهام الطرق التقليدية في صوغ المصطلح ومحدوديته (16%)، وسطوة الخيارات الأخرى التي ينتهجها المترجمون المتمثلة في استخدام المركبات بنوعها الوصفي والإضافي (83%) في تطوير معاجم الاختصاص.

وتؤكد نتائج الدراسة ظاهرة التوسع في وظائف المركبات الإضافية والوصفية بتوظيفها والإفادة منها في صوغ المصطلح العلمي وعدم حصرها في الأغراض النحوية وحدها، كما اقترح إبراهيم مصطفى⁽¹⁾ أن الإضافة أداة عظيمة شائعة تستعمل في كثير من المواضع. من ذلك بيان المعاني المختلفة، وأداء الأغراض المتنوعة، وأن على النحاة أن يدرسوها درساً واسعاً، دقيقاً عميقاً، لا ليبينوا أثرها في اللفظ وحكمها في الإعراب، بل ليوضحوا سبيلها في البيان وأثرها في تصوير المعاني، ومدى تصرف العرب فيها، وتوسع العربية بها.

وقد تناغمت نتائج هذه الدراسة مع الدعوة التي أطلقها هذا المخطط اللغوي لتصبح وحدة معجمية اختصاصية تؤدي دور أسماء الأعلام، متمثلاً في نسبة المصطلحات العلمية التي تمت صياغتها بهذه الطريقة. وهذا الدور الجديد للمركبات الإضافية وسّع

(1) إحياء النحو، السابق، ص 77. (1937).

وظيفتها لتصبح أداة معجمية ذات علاقة بمفردات المعجم الاختصاصي، فضلاً عن دورها الأصلي أنها أداة نحوية.

وإذا أخذنا في الاعتبار الحسبان عدد المركبات الإضافية والمركبات الوصفية المتضمنة في هذه الدراسة من مجموع العينة، ولو قارنّا هذه النسب مع النسب الأخرى لطرق صك المصطلحات المعتمدة لدى مؤسسات التخطيط اللغوي العربية (الاشتقاق والقياس والنحت والتعريب)، نرى مدى شيوع استعمال الطريقتين أداة في صوغ المصطلحات العلمية. وفي الوقت الذي أصدر فيه مجمع اللغة العربية في القاهرة - أكثر المجامع العربية اهتماماً بمسألة التعريب - قرارات⁽¹⁾ تجيز استعمال الاشتقاق والقياس والنحت والتعريب - عند الضرورة - على طريقة العرب في تعريبهم، فإنّ المجامع اللغوية العربية كافة، والمؤسسات العربية المهمة بالتخطيط اللغوي والمصطلحي، بما في ذلك مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط - التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لم يصدر عن أي منها توصية أو قرار بجواز استخدام المركب الإضافي أو المركب الوصفي في صوغ أو ترجمة المصطلح العلمي.

وتكشف هذه الدراسة عملية تخطيط لغوي قائمة على ممارسات المترجمين في نقل المصطلح العلمي إلى العربية. ويعد هذا البيان القائم على الاستعمال اللغوي أمراً لا يجوز تجاهله، بل إنّه ينبه المخططين اللغويين إلى النظر من جديد في وظائف هذه المركبات اللغوية وتقنين استعمالها في تطوير المعجم الاختصاصي. وهذا ما عنيناه عند اختيارنا عبارة إسهام المترجم في التخطيط المصطلحي وفي تطوير المعجم الاختصاصي عنواناً لهذه الدراسة.

وفي ختام هذه الدراسة، نوصي الدارسين والباحثين بإجراء المزيد من الدراسات والبحوث في استعمالات الإضافة والمركبات الوصفية ودورها في تطوير المصطلح العربي، لإبراز أثرهما على أنهما أدوات في ترقية العربية.

(1) الخطيب، موجز بأهم القرارات التي اتخذها مجمع اللغة العربية في القاهرة، 1982م.

المراجع العربية:

- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، (د. ت).
- ابن مالك، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، منشورات دار جروس للنشر والتوزيع، لبنان (د. ت).
- أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، 1980م.
- التنوخي، محمد، معجم علوم العربية، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، 2003م.
- الديداي، محمد، الترجمة والتواصل: دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، 2000م.
- حسن، عباس، النحو الوافي: الجزء الثالث، دار المعارف، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، 1963م.
- الخطيب، أحمد شفيق، معجم مصطلحات البترول والصناعة، مكتبة لبنان، بيروت 1981م.
- أحمد شفيق، موجز بأهم القرارات التي اتخذها مجمع اللغة العربية في القاهرة (د. ت) معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية (إنجليزي - عربي)، الطبعة الخامسة، مكتبة لبنان، 1982م.
- رضا، أحمد، مولد اللغة» دار الرائد العربي، بيروت، 1983م.
- الشهابي، مصطفى، «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث»، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، طبعة ثانية منقحة ومزودة، 1965م.

- عمر، أحمد مختار، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، 2009م.
- الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، 1974م.
- كوبر، روبرت، التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي، ترجمة خليفة أبوبكر الأسود، منشورات مركز الثقافة العام، بنغاري، 2006م.
- مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، القاهرة، 1977م.
- مظهر، إسماعيل، تجديد العربية، بحث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون، مكتبة النهضة المصرية، (د. ت.).
- الموسى، نهاد، «اللغة العربية بين الثبات والتحول: مثل من ظاهرة الإضافة» حوليات الجامعة التونسية، العدد 13 (1976)، ص 55-7.
- هارون، عبدالسلام، المعجم الشامل لمصطلحات مجمع اللغة العربية في العلوم التقنية والهندسية، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- الهيئة القومية للبحث العلمي، معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا (انجليزي - عربي)، معهد الإنماء العربي، بيروت 1982م.

المراجع الأجنبية:

- Ali, Abdul Sahib Mehdi (1987), *A linguistic Study of the*
- *Development of Scientific Vocabulary in Standard Arabic,*
- *Kigan Paul International, London and New York.*
- Almgrab, Ramadan Ahmad (2011) *Methods of Creating and Introducing*
- *New Terms in Arabic Contributions from*
- *English-Arabic Translation, In International Conference*

- *on Language, Literature and Linguistics* , IPEDR vol.26
- (2011) © (2011) IACSIT Press, Singapore.
- Ayalon, Ami (1987) *Language and Change in the Arab Middle East*, Oxford University Press, Oxford, New York.
- Bloomfield, L (1935) *Language: Revised edition*, 1973 London.
- UK.
- Cooper, Robert L. (1989) *Language Planning and Social Change*,
- Cambridge University Press, New York, USA.
- Drozdik, Ladislav (1966) *Reduction of Multicomponential Terms in*
- *Modern Written Arabic*, In *Asian and African Studies*
- *JL, II pp. 14-23.*
- Haugen, Einar (1966) *Linguistics and language planning*, In
- *Sociolinguistics*, ed. by, William Bright. pp.50-61. The Hague, Mouton.
- Jakobson, Roman (1959) *On Linguistic Aspects of Translation*, in
- Brower (1959), PP. 232-9.
- Riggs, F.W (1982) *Descriptive Terminology: Its Reference for the*
- *Social Science*, In: *Infoterm*, Series 7, pp. 144-160.
- Rubin, Joan and Bjorn Jernudd (eds.), (1971) *Can Language Be*
- *Planned? Sociolinguistic Theory and Practice for*
- *Developing Nations*. Honolulu: The University Press of
- Hawaii.
- Smeaton, B. Hunter (1973) *Lexical Expansion Due to Technical*
- *Change as Illustrated by the Arabic of Al-Hasa, Saudi*
- *Arabia*, Published by: Indiana University, Bloomington.

-
- Stetkevych, Jaroslav (1970) *The Modern Arabic Literary*
 - *Language: Lexical and Stylistic Development*, Chicago,
 - London.
 - Zgusta, Mouton (1971) *Manual of Lexicography*, Juana Linguirum
 - series Maior, 39, Academia, The Hague, Mouton
 - Zirnikhi, Abolfazl (2016) *Towards a Systematic Model for*
 - *Terminology Planning*, Cambridge Scholars Publishing,
 - Lady Stephenson Library Catalogue, Newcastle Upon
 - Tyne, United Kingdom

مدى تداول الاصطلاح العلمي في مستوى لغة القراءة والكتابة ومستوى لغة المثقفين

أ. ابتسام صالح علي
(باحثة)

واجهت اللغويين المعاصرين والمجامع العلمية مسألة نقل الأسماء والاصطلاحات والألفاظ الأجنبية إلى العربية، وكان السؤال الملح هو: هل يكون ذلك بالتعريب أو عن طريق الترجمة؟

وقد قمت بهذه الدراسة التي ستظهر لنا مستويات لغتنا المعاصرة، وأي مستوى من المستويات له قابلية لاستيعاب الاصطلاحات العلمية؟ وهل تبقى هذه الاصطلاحات بالمستوى الذي دخلت به أو تتغير؟ وستوضح لنا أسباب تراكم الاصطلاحات وعدم تداولها، واختلافها على الرغم من الجهود المبذولة في توحيدها.

وفي لغتنا المعاصرة نرى كثيراً من التعابير العلمية الجديدة، وذلك نتيجة للتطورات والابتكارات العلمية السريعة التي تظهر في العالم، وما يتولد عنها من ظهور مخترعات وأجهزة جديدة وأشياء غريبة على بلادنا، فمنها ما يدخل باسمه فيعرب، ومنها ما يؤتى له بمعنى عربي يقابله فيترجم، ومنها ما يدخل فيعرب ويترجم، فنرى البعض يستعمل اللفظ العربي، والبعض الآخر اللفظ المترجم، والبعض يستعمل هذا اللفظ أو ذاك، دون أن يعرف أنه معرب أو مترجم، فما يستحسنه الشخص يستعمله في حياته.

(1)

الاستبانة المستخدمة في الدراسة

أردت معرفة مدى انتشار الاصطلاحات الجديدة التي دخلت لغتنا، وما هو المستعمل

وما هو المرفوض منها؟ وما هي العوامل المؤثرة على انتشاره؟ فقمتم بإعداد استبانة لغوية؛ لمعرفة تلك الأمور.

أ - هدف الاستبانة: الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1 - ما مدى انتشار الاصطلاحات المعربة أو المترجمة في مستوى محدد؟ إلى أي درجة يصل تداول المستهدفين لتلك الاصطلاحات الجديدة من ناحية الاستعمال في الكتابة والحوارات؟ وكما نعرف أن العامل الأساسي في بقاء الاصطلاحات العلمية هو استعمال تلك الاصطلاحات، ففي الغالب أن ما يستحسنه الناس يستعملونه، ويكتب له البقاء، والذي يستهجنه الناس يكتب له الاندثار.

2 - ما مدى معرفتهم بالظواهر اللغوية الموجودة داخل لغتهم، وأقصد هنا التعريب بوجه الخصوص، والفرق بينه وبين الترجمة؟

3 - هل لديهم الدراية بمؤسسات تخص التعريب والترجمة؟

4 - ماذا يفضلون من ناحية الاستعمال المعرب أو المترجم؟

5 - ما موقف الناس من هذا السيل العارم من المفردات الأجنبية التي تدخل لغتهم، وما هي الإشكاليات في نظرهم، التي تعيق الاصطلاحات؟.

6 - أكل الاصطلاحات العلمية الموجودة في المعاجم، تؤدي نفس المعنى الذي يتداول بين الناس أم لا؟

ب - الأقسام والفئات التي ورّعت عليهم الاستبانة:

كما نعلم أن الدراسة تشمل مستويين فقط، فلا يمكن حصر جميع الناس، ولا يمكن حصر جميع التخصصات، فقمتم باختيار تخصصات متنوعة بين العلمي والأدبي، فلا أريد حكر الدراسة على قسم علمي أو مجال أدبي فقط، فحاولت أن أكون موضوعية في اختيار الأقسام من أجل الوصول إلى نتائج سليمة، وكانت هذه الأقسام هي:

1 - قسم الهندسة (ميكانيكا سيارات - بناء وتشديد).

2 - قسم علم النبات.

3 - قسم علم الاجتماع.

4 - قسم الإعلام.

وزعت الاستثمارات خلال العام الدراسي الحالي (2010م - 2011م) داخل الأماكن الآتية:

1 - أكاديمية الدراسات العليا قسم (هندسة ميكانيكا - هندسة بناء - النبات).

2 - كلية الفتح قسم (هندسة ميكانيكا - النبات - الإعلام).

3 - كلية المعلمين والمعلمات بجنزور / قسم (علم الاجتماع).

4 - المعهد العالي للهندسة بجنزور / قسم هندسة بناء).

5 - إذاعة الشبابية للبث المرئي.

أما الفئات التي أجريت عليها الدراسة، فقامت بترشيح (المذيعين وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد العليا وطلبة الدراسات العليا) لمستوى لغة القراءة والكتابة، وأما مستوى لغة المثقفين، فرشحت (طلبة الجامعات والمعاهد العليا بجميع مراحلها)، فاعتبرت هؤلاء نموذجاً لإجراء الاستثمارات عليهم، ويرجع ذلك إلى أنهم أكثر الفئات استعمالاً لمستوى لغة القراءة والكتابة، ومستوى لغة المثقفين، فهم يستعملون العربية بما فيها من ظواهر في قراءاتهم وكتاباتهم وحواراتهم.

ج - مادة الاستبانة:

جمعت الاستبانة حوالي (290) اصطلاحاً، وكانت بين المترجمة والمعرّبة، عرضت على الأشخاص المستهدفين بالدراسة، وهناك حوالي (78) اصطلاحاً، لم أتمكن من

كتابتها وعرضها ضمن الاستثمارات، وذلك لأنني لم أجد الرغبة الكافية عند الأشخاص، ولكل أسبابه. وضعت الاصطلاحات في استثمارات وقسمتها إلى أربعة أعمدة، كان العمود الأول يحمل أصل الاصطلاح باللغة الأجنبية، ما عدا قسمي (النبات والبناء)، وذلك لأنه تعذر علي الوصول إلى جميع الألفاظ بصيغتها الأجنبية، والعمود الثاني يحمل الاصطلاح المعرب، والعمود الثالث يحمل الاصطلاح المترجم، وأما العمود الرابع فيحمل تخصص هذه الاصطلاحات.

أما الألفاظ الموجودة داخل الاستبانة فقامت باختيارها بحسب الاعتبارات الآتية:

1 - اخترت الألفاظ المعربة التي لها مقابل بالترجمة، فهناك ألفاظ قد تعرب فقط، لا توجد لها ترجمة، وقد يحدث العكس.

2 - حاولت التنوع في اختيار الألفاظ بين القديمة والحديثة؛ لأن هناك ألفاظاً قديمة محافظة على بقائها.

3 - اخترت لكل قسم ألفاظاً في مجال تخصصه، ليكون الشخص على دراية بالاصطلاحات المعروضة أمامه.

وقمت بتوزيع كثير من الاستثمارات على الأقسام المذكورة، ولكن عدد الاستثمارات التي استخرجت منها النسب (220) استمارة، وكانت الاستثمارات بالشكل التالي:

- المستوي التعليمي:.....

- اجعل خطأ تحت الاصطلاح الذي تستعمله.

اصطلاحات علم الاجتماع⁽¹⁾

أصل الاصطلاح	الاصطلاح المعرّب	الاصطلاح المترجم
Anomie	الأنومي	الغربة
Myth	الأسطورة	بيانات قصصية
Strategy	الاستراتيجية	خططية
Ethnography	الإنثوجرافيا	دراسة وصفية
Anthropology	الإنثروبولوجيا	علم الإنسان
Ontology	الإنثولوجيا	علم الوجود
Ecological mobility	الإيكولوجي	حرك
Bourgeoisie	البرجوازية	الطبقة الوسطى للمواطنين
Polyandry	البولياندري	أسرة أبوية
Polygyny	البوليغني	تعدد الأزواج
Technology	التكنولوجيا	تقنية
Theology	التيولوجيا	اللاهوت
Demography	الديموجرافيا	علم السكان
Social welfare	الرفاهية	رعاية اجتماعية
Resianes	الرواسب	بقايا العواطف الإنسانية
Cybernetics	السبرانية	علم الضبط
Sociography	السوسيوجرافيا	الأنشطة الإجرامية
Linguistics	اللغويات	اللسانيات
Monogamy	المونوجامي	تعدد الزوجات
Morphology	المورفولوجيا	هيكلية المجتمع

(1) جميع هذه الاصطلاحات أخذت من معجم علم الاجتماع، د. عبد الهادي جوهري، القاهرة، (د.ت.).

(1) اصطلاحات علم النبات (2)

الاصطلاح المترجم	الاصطلاح المعرّب	الاصطلاح المترجم	الاصطلاح المعرّب
الباذنجان	القهبب	حبّ قروح العين	الشّاذنج
القُرّاص	الأقحوان	البُرّنون	الشّافنج
كمون حلو	الأنيسون	حبّ القنب	الشّهدانج
بزر الكرفس	فطر اساليون	الحبق	النوذنج
البندق	الجَلّوز	حزمة اللّيف	الكستنج
شحم النخلة	الجُمّار	التمر الهندي	آزاد
القطن	الجوذق	الرّطبة	الخَيْد
الغصن الناعم	الخرفج	شجر السّرو	الشّمشاذ
التمر الهندي	الصّبار	زهر الرّمان	جُلنار
الحبق	الغاغ	اللّوبياء	الدّجر
حبّ هندي شديد الحرافة	الفلّفل	الجوز الهندي	الشّعصور
العنب الأسود	الوين	شقائق النعمان	الشّقير
الحند فوق	الدّرّق	جوز الهند	النارجيل

(1) جميع هذه الاصطلاحات أخذت من معجم النبات والزراعة/ محمد حسن آل ياسين. مطبعة المجمع العلمي العراقي 1989م.

(ماعد اصطلاح «الحندقوق» أخذ من المعرّب للجواليقي ص 178).

(2) أغلب هذه الاصطلاحات أصلها فارسي مثل: (الجوذق، الجُمّار، الصّبار....)، وبعضها هندي مثل: (الفلّفل....)، وبعضها يوناني مثل: (فطر اساليون....).

اصطلاحات الإذاعة والإعلام⁽¹⁾

أصل الاصطلاح	الاصطلاح المعرب	الاصطلاح المترجم
Television	التلفزيون	الإذاعة المرئية
Video	الفيديو	شريط التسجيل المرئي
Zinc etching	حفر على الزنك	حفر الأشكال الطباعية
Vitaphone	الفيثافون	جهاز إنطاق الأفلام الصامتة
Vitarama	الفيثاراما	طريقة عرض سينمائي
Vitascope	الفيثاسكوب	جهاز عرض سينمائي
Vision mixer	المازج التلفزيوني	المساعد الفني
Vistavision	الفستافزيون	طريقة إعداد الأفلام
Camera	الكاميرا	آلة التصوير المرئي
Cassette	الكاسيت	شريط
Microphone	الميكروفون	المجهاز لاقط الصوت
Tragedy	التراجيديا	المأساة
Tragicomedy	الدراما الحديثة	الدراما الجادة
Telescope	التليسكوب	منظار مقرب
Telephone	التليفون	هاتف
Telephoto	التليفوتو	العدسة المقربة
Telegraph	التلغراف	رسالة بصرية
Technique	التقنية	المعالجة الفنية
Studio	الاستوديو	حجرة بث وتسجيل البرامج
Sound mixer	الماكساج	مزج الأصوات
Scenario	السيناريو	النص
Revisor\Press\Secretary	سكرتير التحرير	منقح/ مراجع
Reportage	الريبورتاج	التحقيق الصحفي

(1) أُخذت هذه الاصطلاحات من معجم المصطلحات الإعلامية (إنجليزي/ عربي). د. كرم شلبي، ط 2 بيروت: دار الجيل، 1994م.

أصل الاصطلاح	الاصطلاح المعرب	الاصطلاح المترجم
<i>Prologue</i>	البرولوج	الافتتاح
<i>Polyvision</i>	البوليفزيون	الرؤية المتعددة
<i>Panav</i>	البانافزيون	العرض على الشاشة العريضة
<i>Ortho_ chromatic film</i>	فيلم أوكروماتيك	فيلم أبيض وأسود
<i>Comedy</i>	الكوميديا	مسرحية هزلية
<i>Nemo</i>	النيمو	التصوير الخارجي
<i>Monotype</i>	المونوتيب	آلة جمع الحروف

اصطلاحات البناء والتشييد⁽¹⁾

المصدر الذي أخذ منه الاصطلاح	الاصطلاح المعرب	الاصطلاح المترجم
م.ج.ق.ع.1 ص39	الاسنسير	المصعد
م.ج.ق.ع.1 ص41	الإنجار	حجرة الغسيل
معرب.ج.ص99	الباله	الجاروف
معرب.ج.ص247		بناء تحت الأرض
م.ج.ق.ع.1 ص38	البرطيل	الحجر الكبير
م.ج.ق.ع.1 ص39	البوية	الطلاء
م.ج.ق.ع.1 ص41	الثوى	حجرة الضيوف
معرب.ج.ص241	الجر دلالسطل	الدلو
م.ج.ق.ع.1 ص40	الدرازين	حاجز السلم
م.ج.ق.ع.1 ص40	الترباس	المرتاج
معرب.ج.ص201	الدروب	الأبواب
م.ج.ق.ع.1 ص42	الدش	السحساح
معرب.ج.ص202	الدھليز	الممر
معرب.ج.ص224	الزرفين	حلقة الباب
م.ج.ق.ع.1 ص254	الزرواق	مادة لزجة للتزيين
م.ج.ق.ع.1 ص42	السيفون	المنعب
م.ج.ق.ع.1 ص39	الشقة	الشق
م.ج.ق.ع.1 ص41	الصّالون	البهو
م.ج.ق.ع.1 ص42	الصنبر	الحنفية
مصدر الذي أخذ منه الاصطلاح	الاصطلاح المعرب	الاصطلاح المترجم
معرب.ج.ص152	الطبقة / الطابق	البناء المرتفع
م.ج.ق.ع.1 ص39	الطبقة	الدور
م.ج.ق.ع.1 ص41	الفسحة / الصالة	الردهة

(1) الرمز (م.ج.ق. = مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، أما الرمز (معرب.ج = معجم المعرب للجواليقي). وأغلب هذه الاصطلاحات أصلها فارسي مثل: (الإنجاز، الباله، روب، الدھليز، الزرفين، الطبقة....)

المصدر الذي أخذ منه الاصطلاح	الاصطلاح المعرّب	الاصطلاح المترجم
م.ج.ق.ع.1ص.40	القفل المسوكر	القفل المبهم
م.ج.ق.ع.1ص.39	القيشاني	البلاط
م.ج.ق.ع.1ص.42	المطهرة	دورة المياه
م.ج.ق.ع.1ص.39	الأسكفة	العتبة العالية
م.ج.ق.ع.1ص.42	البنيو	الأبزن
م.ج.ق.ع.15ص.60	الكوبري	جسر
م.ج.ق.ع.1ص.42	العنبر	المخزن

اصطلاحات ميكانيكا السيارات⁽¹⁾

أصل الاصطلاح	الاصطلاح المعرب	الاصطلاح المترجم
Oil filter	أويل فلتر	مصفاة دهن
Oil	أويل	زيت/ دهن
Puncture	بنجر	ثقب
Pipe(s)	بايب/ بايبات	انبوب
Plier	بلايس	زردية
Pankah	بنكة	مروحة
Plug spanner	بلك سبانة	مفتاح ربط سدادي
Plug	بلك	شمعة قذح
Pedal	بايدار	دواسة
Resistance	رجستن	مقاومة
Rubber	ربل/ ربل	مطاط
Radiator	راديتة	جهاز تبريد المحرك
Spare	سبير	احتياط
Spanner	سبانة	مفتاح ربط
Steering wheel	ستيرن	مشغل
Steering gear	ستيرنكير	جهاز التوجيه
Tyre	تاير	إطار
Thermostat	ثرموستات	منظم الحرارة
Gauge	كيج	عداد
Gearshift	كيرشفت	مغير السرعة
Horn	هورن	بوق
Hand brake	هند بريك	مكبح يدوي
Heater	هيتير	مسخن

(1) جميع هذه الاصطلاحات أخذت من مجلة اللسان العربي، ع 32، ص 94-98.

أصل الاصطلاح	الاصطلاح المعرّب	الاصطلاح المترجم
Housing	هاوزن	غطاء
Injection valve	ولف انجكشن	صمام المحقن
Light	لايت	ضوء
Motor	ماطور	محرك
Oil pump	أويل بمب	مضخة دهن
Jack	جك	مرفاع
Thermo switch	ثرموسويج	مفتاح حراري
Transistor	ترانزستور	صمام الكتروني
Tyre gauge	تايركيغ	مقياس نفخ الإطارات
Valve	ولف	صمام
Wheel	ويل	عجلة
Washer	واشر	حلقة معدنية
Wires	وايرات	أسلاك
Water pump	ووتر بمب	مضخة ماء
Battery	باتري	بطارية
Dynamo	داينمو	مولد كهربائي
Fuse	فيوز	مصهر
Filter	فلتر	مصفي
Aerial	أريل	هوائي
Chassis	شاصي	هيكل السيارة

ملاحظات: ضع أمام  الإجابة التي تختارها:

* هل تعرف الفرق بين التعريب والترجمة؟

- نعم. ☐ - لا. ☐

* لماذا اخترت الاصطلاح المعرب؟

- لسهولة نطقه. ☐
- لانتشاره وتداوله. ☐
- من أجل مواكبة التطورات العلمية الحديثة. ☐

* ما هي مشكلة الاصطلاح العلمي في نظرك؟

- قلة انتشاره بين الناس واختصاره على المتخصصين. ☐
- عدم وجود معاجم متخصصة له. ☐
- عدم توحيده بين الأقطار العربية. ☐

* هل كل الاصطلاحات تؤدي نفس المعنى الذي تعرفه؟

- نعم. ☐ - لا. ☐

* سجل الكلمات التي لا تؤدي نفس المعنى هنا:

.....-.....-.....-.....

* هل تعرف مؤسسات متخصصة في التعريب والترجمة؟

☐

- لا.

☐

- نعم.

* أنت مع:

☐

- التعريب.

☐

- الترجمة.

* سبب اختيارك هو:

.....

(2)

تحليل نتائج الاستبانة

وبعد جمع الإجابات على تلك الاستمارات، جمعتُ تلك الاصطلاحات واستخرجتُ النسب بين المستويين، وفرزتُ كل تخصص وحده؛ وذلك من أجل معرفة أثر المجالات في الاصطلاحات العلمية، هل تختلف كثيراً أو قليلاً عن بعضها البعض؟ فوجدت بعد الحصر طبيعة تداول الاصطلاح المعرب والمترجم على النحو الآتي:

1 - مستوى لغة القراء والكتابة: كانت نسبة تداول الاصطلاح المعرب = (39 ٪)، أما تداول الاصطلاح المترجم فنسبته = (61 ٪).

2 - مستوى لغة المثقفين: كانت نسبة تداول الاصطلاح المعرب = (31 ٪)، وأما تداول الاصطلاح المترجم فنسبته = (67 ٪).

يوجد اختلاف بين النسب في استعمال المعرب والمترجم، لكن لا يوجد تفاوت كبير بين المستويين في استعمالهم. فاستعمال المترجم بهذه النسبة دليل على أن اللغة العربية، لغة قوية قادرة على مواصلة التطورات، وأن لديها الثروة الكافية من المفردات، فهي لغة حية بما تحتويه من وسائل توليد اصطلاحات جديدة.

أما النسب المتحصل عليها في استعمال التخصصات العلمية للمعرب والمترجم فكانت بالشكل التالي:

التخصص	نسبة المعرب	نسبة المترجم
الإعلام	72 ٪	27 ٪
الاجتماع	44 ٪	55 ٪
النبات	—	100 ٪
البناء	27 ٪	72 ٪
ميكانيكا	40 ٪	59 ٪

هذه النسب المتحصل عليها كما رأينا متفاوتة، فهذا الأمر تترتب عليه قضايا، وهي:

- 1 - وجود تلك المعربات داخل المعاجم والدوريات من دون استعمال، هذا دليل علي أنه لا حاجة إليها، فيعتبر هذا إثراء للغة العربية.
- 2 - أغلب الناس من كلا المستويين لا يعرفون ما هو التعريب، وكيف يتم؟ فالترجمة اغلبهم يعرفونها، لكن الإشكالية عندهم في التعريب.
- 3 - لا توجد دراية كافية - لدى العدد الذي حصر - بأن هناك كتباً ومعاجم ومؤسسات متخصصة في هذا الأمر.
- 4 - نرى هناك تضارباً في معاني بعض الألفاظ ويختلف استعمالها لدى الناس، عما وجدته في المعاجم المتخصصة، صحيح أن الألفاظ تتطور دلياً مع الوقت وتتغير، ولكن هذه اصطلاحات عامة على مستوى العالم، وذلك مثل لفظ (البرجوازية Bourgeoisie)، فمعناها لدى الناس (الطبقة العليا / أصحاب الأموال)، وجاءت في معجم علم الاجتماع للدكتور عبد الهادي جوهري، بمعنى (الطبقة الوسطى للمواطنين).

(3)

الحلول المستنبطة من خلال الاستبانة

لكي نقف على حقيقة تضارب هذا الأمر، ونضع حلولاً منطقية لتلك القضايا وخاصة من ناحية وضع الاصطلاحات ومن ثم تداولها. مراعاة أمور، واعتبارها الأساس في اختيار الألفاظ أو الاصطلاحات التي تنشر من الهيئات الخاصة، والحد من مشكلة تراكم تلك الألفاظ، وهي كما يأتي:

أ - احتلال الترجمة المرتبة الأولى، وذلك يتوجب ترجمة الألفاظ الداخلة إلى اللغة. ما دام هناك ما يقابلها في العربية ولا بد من الأخذ بشروط الترجمة*، ومما رأيته من خلال توزيعي لتلك الاستمارات هذه النقاط:

1 - سرعة إيجاد تراجم لتلك الاصطلاحات الجديدة، لمواكبة التطور الجديد الذي حدث.

2 - عند القيام بعملية الترجمة، لا بد من اختيار ألفاظ تنطبق تمام الانطباق تؤدي المعنى المطلوب وتكون قصيرة بلفظة أو لفظتين، وليست بجملة طويلة. فنلاحظ أن قسم الإعلام يفضل استعمال المعرب على المترجم، وكان هذا أحد الأسباب. وأما قسم علم الاجتماع فكانت ترجمته للألفاظ طويلة كذلك، لكن يفضلون استعمال المترجم؛ لأن الألفاظ المعربة، لديهم فيها بعض الصعوبة في النطق، فكانوا مضطرين إلى استعمال المترجم أكثر. فكلما كانت الترجمة قصيرة وبألفاظ سهلة، وتؤدي المعنى المطلوب، كُتب لها التداول والبقاء.

3 - إذا عرّبنا ذلك اللفظ، لا نرجع بعد حين و نريد ترجمته، فهذا يعدّ تضيقاً للوقت، ففي الوقت الذي تبحث فيه لترجمة ذلك اللفظ بعد تعريبه، دخلت ألفاظ جديدة إلى اللغة في حاجة إلى الترجمة، ففي هذه الحالة لا نأتي بترجمة هذا ولا ذاك.

4 - تعميم تلك الترجمة على جميع الهيئات التعليمية، والمحطات الإذاعية؛ لأنها المصدر الأساسي لتوزيع المعلومات.

ب- أن يأتي التعريب في المرتبة الثانية، بعد الترجمة، فحين لا نجد تراجم لبعض المسميات. لأنها قد تدخل بأسماء مخترعها أو مواقع اكتشافها، أو لسبب من الأسباب الأخرى، لا نقف عند هذا، بل ندع التعريب هو الحكم الفصل في هذه المسألة فهذا يجعل اللغة تواكب التطور من غير ضرر عليها.

ج- ملائمة الذوق العربي: مما يجب مراعاته عند ترجمة وتعريب الاصطلاحات الأجنبية، أن تكون ملائمة للذوق العربي، لأن ما شاع عندهم واستحسنوه واستسهلوه في الأداء كتب له البقاء، لأن الاستعمال وحده الحكم في بقاء الاصطلاحات واندثارها، فهذا ما نلاحظه في أسماء بعض النباتات مثل: (الشافنج - النونج - الشمشاذ....) فهذه

صعبة لم تحافظ على بقائها، لأن الذوق العربي لم يتقبلها، ونلاحظ كذلك أن بعض الأقسام يفضلون في دراستهم استعمال الاصطلاحات بالعامية أو اللهجة المحلية، وذلك مثل قسم علم البناء، فيفضلون استعمال الاصطلاحات العامية؛ لأنها أكثر انسجاماً واستجابة لذوقهم ولعملهم ودراستهم.

(4)

إجابات الأسئلة المطروحة من خلال الاستبانة

كانت هناك أسئلة مرفقة بتلك الاستمارات، سنرى إجابة كل سؤال في موضعه، إحداها:

أ - هل تعرف الفرق بين التعريب والترجمة؟

كانت الإجابة علي هذا السؤال سلبية إلى حد ما، فجاءت نسبة الذين لا يعرفون (54 ٪). والذين لديهم الدراية نسبتهم كانت (45 ٪).

والمشكلة تكمن في أن أغلب الناس يعرفون بأن هناك إدخال الكلمة الأجنبية ورسمها بحروف عربية ولكن لا يعرفون أنّ هذا يسمى (تعريب)!. وهنا يلعب المستوى التعليمي، والثقافي دوراً كبيراً فبعض الحاصلين على شهادات عليا، كانت لديهم الدراية أكثر من أشخاص لا يزالون في الجامعات.

ب - هل تعرف مؤسسات متخصصة في التعريب والترجمة؟

هذا السؤال إجابته سلبية بشكل كبير، كانت الإجابة بلا. بنسبة 90 ٪. فهذه تعدّ مشكلة كبيرة، وتقصيراً في حق لغتنا، كيف نرى طلبة وصلوا إلى هذه المراحل من التعليم، ولا يعرفون ماهية الألفاظ التي يتكلمون بها داخل لغتهم التي تمثلهم وينتمون إليها، وما يخصّ تلك اللغة؟!

من أجل إدراك هذه الإشكاليات، والحد منها يجب إعطاء خلفية عن هذا الموضوع للتلاميذ في المراحل المتوسطة من التعليم، ويتم ذلك بإعادة صياغة مناهج الثانويات،

إذ إنها تدرّس اللغة العربية في السنة الأولى من هذه المرحلة لجميع التخصصات، فلا ضير لو أسقطت بعض الدروس المتكررة التي درسوها في المرحلة الأساسية من التعليم، ووضعت دروس تخصّ التعريب والترجمة لتعرفهم أكثر عن لغتهم، وكل ما يتبعها من مؤسسات أو هيئات متخصصة.

هذه النسب غير مرضية، سواء كنا لغويين أم مجرد منتمين إلى هذه اللغة - أي لسنا متخصصين فيها - فهل يعقل أن ينتمي شخص للغة ولا يعرف أصلها من غريبها؟ صحيح يترك للمتخصصين الأصول المنتمية إليها تلك الألفاظ، والبحث والتعمق في مسائلها، ولكن يجب على كلّ شخص ينتمي إلى هذه اللغة، معرفة الظواهر اللغوية التي تحدث للغته، ولو أخذ فكرة بسيطة عن الأمر.

أردتُ معرفة رأي الناس، ماذا يفضلون الترجمة أو التعريب، من ناحية استعمالهم للاصطلاحات العلمية؟ فقمّت بتوجيه سؤال للأشخاص الذين حصرتهم الاستبانة، وكان السؤال بالشكل التالي:

جـ- أنت مع:

☐ - الترجمة. ☐ - التعريب.

سبب اختيارك هو:

هنالك من أجاب على هذا السؤال بأكمله، وهنالك من اكتفى بذكر اختياره فقط، وجاءت النسبة متساوية في كلا المستويين:

- مستوى لغة القراءة والكتابة:

نسبة تفضيلهم للترجمة = (68٪)، نسبة تفضيلهم للتعريب = (31٪).

- مستوى لغة المثقفين:

نسبة تفضيلهم للترجمة = (68٪)، نسبة تفضيلهم للتعريب = (31٪).

فالكثير عبّر عن أسباب تفضيله لاستعمال الترجمة أو للتعريب، وكانت أغلبها متشابهة:

آراء الذين يفضلون استعمال الترجمة، جاءت بالشكل التالي:

- الترجمة توضح لنا المفهوم، وتعطينا المعنى الأصلي، فيتضح الاصطلاح.
- من السهل معرفة وحفظ الاصطلاح.
- تمكنا من معرفة الكلمتين بالعربية والإنجليزية [اللغات الأجنبية] بينما
- التعريب يعرب فقط، ويمكن أن تسأل بعدها عن الكلمة بالإنجليزية فلا تستطيع الإجابة.
- باستعمال الترجمة، تحتفظ كل لغة بما تمتلكه من ألفاظ.
- وجود مصادر خاصة بالترجمة، أما التعريب فلا.
- وجود بعض الاصطلاحات ركيكة على السامع، ولا يسهل تداولها.
- من أجل تطوير لغتنا فهي غير قاصرة.
- لا بد من المحافظة على لغتنا بإيجاد اصطلاحات جديدة.
- أقرب للمعنى المتداول في المجتمع.
- آراء الذين يفضلون استعمال المعرب وكانت كالاتي:
- من أجل فهم باقي اللغات.
- أسهل من حيث الاستخدام.
- لأن الأجانب أخذوا من تاريخنا، ونحن نأخذ منهم، لا ضير في ذلك.
- لمواكبة التطورات العلمية.
- ندجاً للتعريب لزيادة ثقافتنا وتنمية لغتنا العربية.

- ذلك كون التعريب يعطي لفظاً مقارباً للاصطلاح الأجنبي، بحيث لا يكون هناك تباين واضح في اللفظ في مختلف دول العالم.
- فالتعريب موجز ومختصر، أما الترجمة فتكون على هيئة جمل مطولة للفظ مختصر
- يجب أن نسمى الأشياء بمسمياتها.
- المحافظة على أصل الكلمة.
- لأن الاصطلاحات المعربة عالمية، والتعريب تقريب.
- العودة إلى اللغة الأم، واللغة هوية البلد.
- يجعل اللغة العربية أكثر شمولية، تتماشى مع كل اللغات، ومواكبتها للعلوم والتقنية.
- لكل شخص وجهة نظر، وذوق وميول تحكم على الأشياء، وهنا قد يحكم التخصص كثيراً، كما رأينا نسب التخصصات السالف ذكرها، وكذلك تحكم درجة التعلم في هذا الأمر الذي لفت انتباهي بأن مستوى لغة المثقفين — طلبة الجامعات والمعاهد العليا — كانت أسباب تفضيلهم للترجمة أغلبها سببان وهما: (حتى يسهل الفهم للطالب، وتصل المعلومة بالشكل الصحيح). أما الذين على درجة عالية من العلم، رؤيتهم أبعد من ذلك، وهذا ما رأيناه من ذكرهم لأسباب تفضيلهم للترجمة أو التعريب. وهنالك أمر مشترك بين النقاط السالف ذكرها، وهي أن كلا من المجموعتين، تُفضل "اللفظ السهل"، فهذا يؤكد أن ما استحسنه واستسهله الناس كُتب له البقاء، إذا هو أصبح منتشراً متداولاً.
- فهذه الآراء فعلاً تدعو إلى الترجمة ومن ثم التعريب أي لا نلجأ إلى التعريب إلا عند الحاجة؛ وذلك مثل: كأسماء الآلات التي تسمى باسم مخترعيها، فهنا نضطر للتعريب.

إشكاليات الاصطلاح العلمي:

يجب أن يكون الاصطلاح العلمي دقيقاً في معناه، وعلاقته بمدلوله تكون وثيقة

من حيث دلالة المعني، ويكون الاصطلاح سهل النطق، مستساغاً لدى الجميع متداولاً بين الناس، ولكن ما نراه الآن من مشاكل تواجه هذا الاصطلاح كثيرة، ولعل أصعبها حلاً عدم توحيده. ويمكن سرد هذه الإشكالات كالآتي:

1 - غياب النقل الدقيق:

تتطلب عملية النقل (التعريب والترجمة) من الناقل حذقاً تاماً باللغة العربية، واللغة المنقول منها، وذلك بأن يكون واسع الاطلاع على اللغة العربية، فاهماً لمفرداتها وأوزانها، واشتقاقاتها، ومجازاتها. وباللغة المنقول منها بمفرداتها وأصولها، حتى إذا ما نُقل اللفظ الأجنبي، كان هذا اللفظ المنقول واضحاً سهلاً مقبولاً لدى الناس خاصتهم وعامتهم.

لكن قد تغيب تلك المزية في الناقل، ويترتب عليها كثير من الإشكاليات، ومنها:

أ - تعدد الدلالات العلمية للاصطلاح العلمي الواحد في المجال الواحد⁽¹⁾.

ب - غياب الترجمة الدقيقة: لا بد من اللفظ المترجم أن يكون معبراً عما وُضع له. وعلى المترجم أن يستخدم الوسائل اللغوية في توليد الاصطلاحات الجديدة، بشكل دقيق فمثلاً: عندما تُرجم اسم الآلة «تليفون» بـ«هاتف»، فهنا الترجمة غير دقيقة؟ لأنّ هذا اللفظ على صيغة اسم فاعل لفعل «هتف»، والمفترض أن توضع له صيغة اسم الآلة في العربية كـ «مهتف» كما وضعت له مقابلات أخرى منها: المسرة، والمقول...⁽²⁾. وكذلك عند اختيار الضمائر والظروف وغيرها من المباني التي تعتمد عليها العربية في اكتمال معني الجملة، أثناء الترجمة الطويلة بأكثر من كلمة، نختار المبني المناسب، فمثلاً: (قولنا للاصطلاحين «*ultra violet rays*» و«*infra red rays*» الأشعة فوق البنفسجية و الأشعة تحت الحمراء، باستعمال ظرفي المكان «فوق» و«تحت» يخرجنا عن المقصود

(1) سيأتي الحديث عنها.

(2) انظر: مجلة مجمع اللغة بالقاهرة، ج 1 (أسماء عربية لمسميات حديثة) ص 111.

أصلاً من «*ultra, infra*» فالأولى للمعني نقول «الأشعة فوق البنفسجية» و«الأشعة دون الحمراء»⁽¹⁾.

ج - ترجمة المعرّب بمعرّب آخر: وذلك مثل: لفظ «السرداب»، وهو بناء تحت الأرض، عندما تم ترجمتها استعانوا بلفظ معرّب وهي «البدروم»، وهي تؤدي نفس المعني أي «بناء تحت الأرض».

د - أحياناً يقوم اللّغوي بذكر الكلمة بدون ذكر التعليق: ويأتي آخر ويتعرض للشرح لها مثل: لفظ «الدّهليز» فـ «الجواليقي» اكتفى بذكره فقط و«مجمع اللغة بالقاهرة» قام بترجمته بكلمة «الممر».

2 - قلة وجود معاجم متخصصة في التعريب:

قلة المصادر العلمية في المكتبات العامة، ومكتبات الجامعات، وحتى المراجع اللّغوية، فلا توجد معاجم كافية متخصصة بل هنالك الخلط بين المترجم والمعرّب داخل المراجع ومجلاتها المتخصصة في ذلك والمعاجم، فعند جمعي للاصطلاحات العلمية التي أجريت عليها الاختبار، لم أجد معجماً منفرداً بحد ذاته وافياً في مجال معين، بل اختلاط الاصطلاحات المعرّبة والمترجمة، مما يجد الباحث الصعوبة في إيجاد ما يريد أو يبحث عنه.

3 - التباين في آراء أعضاء المراجع:

يلاحظ الباحث أو المتتبع لأعمال المراجع بأن هنالك فرقاً في التعريب ولترجمة من لغوي لآخر، ولعل السبب الجوهرى هو غياب المنهجية الموحدة في عملية التعريب، فكل من له وجهة نظر من الأعضاء في ميدان التعريب يبديها، وينشرها في المجمع دون الرجوع إلى القواعد الأساسية التي يسير عليها التعريب، وقد يكون السبب اختلاف التخصصات فكل واحد منهم يفسر القواعد، ويوظفها حسب تخصصه.

(1) مجلة مجمع اللغة بالقاهرة، ج 51، (المصطلح العلمي في التعريب، د. عبد المنعم صابر)، ص 174.

4 - بطة حركة المآامع:

يرآع سبب هذه الإشكالية إلى التشتت الموجود بين المآامع، فلو وجدت هيئة خاصة مستقلة تحت كنف المآامع، تقوم بالتوصيل بين المآامع، حفظاً للوقت؛ لأن هناك وقت بعيد بين المؤتمرات والندوات التي تجري سنوياً.

هذه أغلب المشاكل التي تؤثر على الاصطلاح العلمي من حيث بنائه وبقائه، ولكن يرى الناس بنسبة 47 ٪ أن المشكلة الأكبر هي: عدم معرفتهم بالاصطلاح العلمي، واقتصاره على المتخصصين، فهم يرون الأولى أن يعرفوا ما هو التعريب؟ وما الفرق بينه وبين الترجمة؟ فاقتصاره فقط على المتخصصين لا يجوز، لأن الأمر يخص لغتنا، فليست الناس كلها متخصصة في هذا المجال، فعلى المآامع اللغوي الليبي بذل مزيد من الجهد، والحد من هذه الإشكالية، فيقوم، على الأقل، بتوزيع نشرات تتحدث عن هذا الموضوع على الهيئات التعليمية، بجانب الحل الذي طرحته فيما سبق⁽¹⁾.

نتائج الجهود الجماعية والفردية:

من أجل عملية توحيد الاصطلاح العلمي، وماله من أهمية للغتنا، بذلت الجهود الكثيرة وما زالت تبذل؛ فأنشئت المآامع والمؤسسات والهيئات، وقد يجتهد الشخص بمفرده، وذلك من أجل الوصول إلى غاية واحدة، هي الحفاظ على اللغة العربية، والرقي بها، ومواكبة التطورات العلمية، فأسفرت هذه الجهود عن إنتاج الكتب والمعاجم والدوريات، لكن تلك الإنتاجات - للأسف - مبعثرة لا تربط بينهما رابطة منسقة، ويستقل كل إنتاج عن الآخر، وذلك بسبب بُعد السعة بين الأقاليم العربية، واستقلال كل إقليم عن الآخر، وما يتحصل المتنقل بينهما من صعوبات مختلفة. وسأعرض هنا أهم الجهود التي بذلت سواء كانت جماعية أم فردية. من الطبيعي أن تتقدم الجهود الفردية على جهود الجماعة في عمل من الأعمال البشرية، لأن الفرد يقرر وحده أن يفعل من الأعمال ما

(1) انظر البحث ص 15.

يشاء، ويرغب أن يؤديه كما يريد، من دون قيد، ويكون العمل الفردي هو الأساس الذي ينطلق منه العمل الجماعي، فحركة الترجمة والتعريب بدأت بشكل فردي، ولكن العمل الفردي بالتأكيد يحتاج ويستند إلى العمل الجماعي إذا أريد التوسع والتطور فيه؛ وذلك لأن الأعمال الفردية لا تربطها رابطة موحدة فتكون مبعثرة بعض الشيء.

أما الجهود الجماعية وبالأخص المجامع فهي تخدم اللغة العربية، وتضع أهدافاً ومناهج تسير عليها، لكن هذه المجامع تدرس العربية من كل جوانبها بجميع تخصصاتها، وقد يدرسون هذا ويهملون ذاك، وقد يتأخر عضو من أعضائهم، وقد تتعذر لديهم سبل المواصلات، وغير ذلك كثير من الإشكاليات التي قد تواجههم، لاسيما الموارد المالية التي قد تصعد وتهبط، وتتأثر أعمال المجامع بهذا الصعود والهبوط. فهل مجموعة من الأفراد يستطيعون وضع القرار المناسب، لحل قضية لغوية ما، ولا يعارضهم المجمع الآخر؟ فميول وذوق شخص ما فيهم، قد يؤثر على رأى مجموعة بأكملها، وإن تراخي أي مجمع من المجامع في الالتزام بالقوانين يضر لغة بأكملها، وذلك ما نراه من بلبلة حاصلة في توحيد الاصطلاحات، ولو نظرنا إلى المصادر التي يلجأ إليها الشخص من أجل الوصول إلى مفردة معينة سواء كانت مترجمة أو معربة، فقد يتوه بين الكتب والمعاجم ومن خلال البحث وجدت أن هناك ثلاثة أنواع من المصادر للألفاظ وهي:

1- ألفاظ موجودة داخل الدوريات: نجد داخل مجلات المجامع وبعض المؤسسات هنالك اصطلاحات مرتبة أحياناً هجائياً، وأحياناً لا تخص أي مجال من مجالات العلوم. وهذه النوعية قد يتوه الشخص بين المجلات في البحث، ويضيع الكثير من الوقت، لكن نرى مجمع اللغة بالأردن، قام بعمل قيم، حيث يمكن أن يستفيد منه طلاب العلم الذين لا يزالون يدرسون في الثانويات والمعاهد ويسهل عليهم عملية البحث داخل الدوريات؛ وذلك بنشر تلك الألفاظ سواء مترجمة أو معربة داخل كتب ليست كبيرة بحجم المعاجم الكبيرة، وكانت في مواضيع متعددة كالتمريض وميكانيكا السيارات

واصطلاحات التكييف والتبريد والأدوات الصحية... الخ. ونذكر على سبيل المثال ما يخص الاصطلاحات العسكرية⁽¹⁾:

- الاصطلاحات العسكرية / اصطلاحات الصيانة / ط 2 / سنة 1994م.
- الاصطلاحات العسكرية / اصطلاحات المشاة / ط 2 / سنة 1994م.
- الاصطلاحات العسكرية / اصطلاحات الدروع / ط 2 / 1994م.
- الاصطلاحات العسكرية / اصطلاحات التحويل والنقل / ط 2 / 1994م.
- الاصطلاحات العسكرية / اصطلاحات المساحة / ط 2 / 1994م.
- الاصطلاحات العسكرية / اصطلاحات المدفعية / ط 2 / 1995م.
- الاصطلاحات العسكرية / اصطلاحات الهندسة / ط 2 / 1995م.
- الاصطلاحات العسكرية / اصطلاحات اللاسلكي / ط 2 / 1995م.
- الاصطلاحات العسكرية / اصطلاحات سلاح الجو والاستخبارات / ط 2 / 1996م.

2- معاجم تصدرها مؤسسات رسمية: وهذه كالتي تصدرها المجامع، وتكون بحجم كبير كمعجم «الوسيط» الذي أصدره «مجمع اللغة العربية بالقاهرة»، وكذلك «المعجم الموحدة» التي أصدرتها «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم»، فهذه المعاجم وغيرها يستفيد منها الباحث، حيث تضم كثيراً من الألفاظ وتكون معتمدة من الهيئات الجماعية، فهي توفر بعض الوقت على الباحث.

3 - معاجم فردية: وهذه المعاجم كما قلنا في السابق ينتجها أفراد بعينهم، وهي في الدقة لا تختلف كثيراً عن معاجم المؤسسات، وتتميز في أنها أكثر انتشاراً وتداولاً.

(1) هذه المعاجم على هيئة كتب موجودة في مكتبة مجمع اللغة العربية بطرابلس / ليبيا.

ولو نظرنا إلى هذه الجهود التي يقوم بها كل من تهمّه هذه القضية وهذه القرارات والإصدارات التي نراها في كل ندوة ومؤتمر، لوجدناها في صالح الاصطلاح العلمي، إذا ما هو الأمر الغائب الذي يساعد علي تجاوز هذه الإشكاليات! هو غياب سلطة تنفيذية، تابعة للأنظمة السياسية الحاكمة التي تملك القرار السياسي الفعلي، تفرض الأعمال التي يُتفق عليها من قبل الهيئات والمؤسسات التي تهتم بالأمر.

نتائج الدراسة

إنّ لغتنا العربية هي ركن ثابت من أركان شخصيتنا، وهي الأداة التي سجلت أفكارنا في الماضي وتسجلها في الحاضر والمستقبل. وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر بالمستقبل، ويتمثل واجبنا نحوها في المحافظة على سلامتها وتخليصها مما قد يشوبها من اللحن والعجمة، وعلينا أن لا ننظر إليها بوصفها مجموعة من الأصوات، وجملة من الألفاظ والتراكيب، بل يتعين علينا أن نعتبرها كائناً حياً، فنؤمن بقوتها وغزارتها ومرونتها وقدرتها على مساقرة التقدم في شتى المجالات. ومن خلال هذا البحث توصلت إلى النتائج الآتية:

1 - عند صياغة واختيار الاصطلاح العلمي لا بد من الالتزام بمعايير موحدة توضع من أجل ضبط الاصطلاح العلمي عند نقله، وذلك كتقديم الترجمة على التعريب، ولا نلجأ إلى التعريب إلا عند الضرورة.

2 - الالتزام عند صياغة الاصطلاح العلمي بالأوزان العربية قدر الإمكان، مع تقديم اللفظ الخفيف على الثقيل في النطق.

3 - أن تكون صياغة الاصطلاح ملائمة لما اصطلح عليه، مثلاً: (عند اختيار اسم لآلة ما، نختار له لفظاً يكون على وزن من أوزان اسم الآلة).

4 - ضرورة اختصار إجراءات صياغة الاصطلاح العلمي؛ حيث إن الإجراءات

الحالية تمرّ بخطوات معقدة لتثبيت هذا الاصطلاح، وهي: دراسة لجان المجمع له، ثم موافقة مجلس المجمع، ثم عرضه في مؤتمر المجمع، وأخيراً آراء المتخصصين؛ فهذه رحلة طويلة يقطعها الاصطلاح ليخرج إلينا بالصيغة النهائية، ومن الأفضل أن تُلغى تلك المراحل، وتجمع في مرحلتين فقط:

المرحلة الأولى: متكونة من لغويين — في اللغة العربية والأجنبية — ومتخصصين في العلوم الأخرى، ويقام لهم مكتب مستقل يخضّ الاصطلاحات العلمية، ويكون تحت رعاية المجمع اللغوي.

المرحلة الثانية: عرض ما أقره على لجنة اتحاد المجامع اللغوية، وتكون هذه اللجنة على اتصال دائم مع «مكتب تنسيق التعريب»، الذي بدوره يقوم بنشر تلك الاصطلاحات بعد الاتفاق عليها.

5 - ضرورة نشر ثقافة التعريب؛ حيث إنه من خلال هذه الدراسة النظرية والعملية وجدت أن كثيراً من المتعاملين مع الاصطلاح العلمي لا يفرقون بين اصطلاحات تعد معروفة وبديهية مثل الترجمة والتعريب، فتدّني نسبة معرفة الناس بالتعريب ومفهومه وكيفية، وعن مؤسساته وهيئاته، أمر لا بد من العناية به. فهذا يستدعي الإسراع في تفادي هذا الجهل، وعلى المجمع اللغوي الليبي؛ إصدار النشرات مطبوعة، وتوزيعها على الهيئات التعليمية خاصة، والقيام بتقرير مادة أو إضافة موضوعات في التعريب والترجمة في مناهج الثانوية؛ ليكون الطالب قادراً على التفريق بين هذين الاصطلاحين، فكيف نريد توحيد الاصطلاحات العلمية المترجمة أو المعربة، وهم لا يعرفون معنى التعريب أساساً؟!

6 - التنسيق بين الجهود الفردية والجماعية، وذلك بإرجاع كل ما ينتج إلى مكتب تنسيق التعريب، الذي من مهامه التنسيق بين الأعمال التي تخص الترجمة والتعريب، وهو بدوره يقرر المعجم المناسب، الذي يرجع إليه كل باحث، ويكون هذا المعجم متفقاً عليه من قبل المجامع كلّها.

7 - وجود سلطة تنفيذية تفرض الأعمال التي تُنتج، ويتفق عليها من قبل مكتب تنسيق التعريب والمؤسسات التي تهتم بالأمر، وهذه لا بد من ربطها بالحكومات؛ وذلك لتكون السيطرة محكمة عامة على جميع الهيئات سواء أكانت خاصة أم عامة.

8 - تعزيز قضية التوحيد، بوصلها بوسائل الإعلام؛ وذلك بعرض برامج تخصص الاصطلاحات العلمية لتساعد في انتشارها وتوحيدها، وذلك لأنّ وسائل الإعلام وخاصة الإذاعة المرئية (التلفزيون) هي الأسرع في تداول الأشياء، فهي تصل إلى كل مكان.



المصادر والمراجع

أولاً: المعاجم:

- أبو منصور الجواليقي، المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط 2 دار الكتب، 1969م.

- عبد الهادي جوهري، علم الاجتماع القاهرة، (د. ت).

- كرم شلبي، المصطلحات الإعلامية (إنجليزي / عربي)، ط 2 بيروت: دار الجيل، 1994م.

- محمد آل ياسين، النبات والزراعة، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1989م.

ثانياً: الدّوريات:

- مجلة مجمع اللغة بالقاهرة:

* ج 1، (أسماء عربية لمسميات حديثة).

* ج 51 (المصطلح العلمي في التعريب، عبد المنعم صابر).

- مجلة اللسان العربي:

* ع 32، (التعريب بين النظرية والتطبيق، لمحمد بلاسي).

من أخطاء المجمعين

(قاصر، شيق، وريث، ملفت)

أ. مفتاح بريك الغرياني

(عضو المجمع المشارك)

(1)

[قاصر / مقصور]

وهو من الأخطاء الفاشية في بعض التراث المجمع، فهم يستعملون كلمة (قاصر) في موضع (مقصور)، والقاصر: العاجز، أو الصغير، والصواب أن يقال: هذا الأمر مقصور على كذا بصيغة اسم المفعول، فالشيء مقصور عليه، لا قاصر عليه، وقد أنكر هذا الخطأ بعض نقدة اللغة كإبراهيم اليازجي⁽¹⁾، وعبد القادر المغربي⁽²⁾، وعباس أبي السعود⁽³⁾، والدكتور عبد الجواد الطيب⁽⁴⁾، ومحمد المبارك⁽⁵⁾، وزهدي جار الله⁽⁶⁾، وحسن الجافي⁽⁷⁾، وصلاح الدين الزعبلاني⁽⁸⁾، ومحمد السيد الداودي⁽⁹⁾.

(1) لغة الجرائد، ص 16.

(2) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج 2، العدد الثالث، ص 89.

(3) أزهير الفصحى في دقائق اللغة، ص 94. (4) في محيط الدراسات اللغوية، ص 174.

(5) فقه اللغة وخصائص العربية، ص 333.

(6) الكتابة الصحيحة، ص 255.

(7) مجلة الثقافة العربية، العدد الثامن، ص 72.

(8) أخطاؤنا في الصحف والدواوين، ص 245.

(9) الرسالة الأولى، ص 6.

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومؤتمر المجمع:

1 - «إن صناعة الإنشاء في الدول العربية كادت تكون قاصرة على دولة مراكش». عبارة عبد الله كنون (عضو المجمع): ج 21: 23 سنة 1966.

2 - «وقد تطورت هذه الأنواع من الكتب إلى نوع آخر لم يعد قاصراً على موضوع واحد». عبارة الدكتور عبد الله الطيب (عضو المجمع) ج 71: 243، ع: 2. س: 8. نوفمبر 1992.

3 - «وبحثي اليوم قاصر على ما ثبتت له روايتان». عبارة سعيد الأفغاني (عضو المجمع): مؤتمر الدورة (42): 219. س: 9. 1978.

4 - «وليس الأمر قاصراً على طلاب الجامعة». عبارة الدكتور إبراهيم بيومي مذكور (الأمين العام للمجمع): مؤتمر الدورة (37): 617. س: 18 سنة 197.

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق:

5 - «ومعاجمها قاصرة عليه». عبارة الدكتور شوقي ضيف (رئيس المجمع) ج 87: 1. س: 9. ع: 2. مايو 2000.

6 - «وأصبح استعمالها يكاد يكون قاصراً على إذاعة الأخبار». عبارة الدكتور شاعر الفحام (رئيس المجمع) مج 74 ج - 3: 494. س: 2. أبريل 1999.

7 - «أما عمل الأستاذ النجار، فقاصر على استدراك الأشعار التي لم ترد في أكمل دواوين الشاعر». عبارة الدكتور شاعر الفحام (رئيس المجمع) مج 63 ج 3: 513. س: 2. يوليو 1988.

8 - «ولم تكن عنايته قاصرة على التراث العربي». التحرير بالمجمع (آراء وأبناء) مج 48 ج 1: 248. س: 4. يناير 1973.

9 - «لأن يكون هذا الحفل قاصراً على معنى التقدير». عبارة الدكتور حسني سيح (رئيس المجمع). مج 46 ج 3: 573. س: 19. يوليو 1971.

الشواهد على استعمال (مقصور) بصيغة اسم المفعول من (قصر):

1 - قال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: 72].
(قصرن على أزواجهن، أي: حبسن فلا يردن غيرهم، ولا يطمحن إلى من سواهم):
(تهذيب اللغة): (قصر)⁽¹⁾.

2 - «وناقة مقصورة على العيال: يشربون لبنها». تهذيب اللغة، والمصباح، وتكملة
القاموس للزبيدي، واللسان: (قصر)

3 - وقال الصاغاني في (تكملة الصحاح): «وقصرت الجمل، فهو مقصور» مادة:
(قصر).

4 - وقال صاحب (المصباح) من مادة: (قصر): «وقصرت الصلاة بالبناء للمفعول
فهي مقصورة».

5 - وفي (اللسان) من مادة: (قصر): «قصرت الشيء على كذا، إذا لم تجاوز به
غيره»، وهو نص (القاموس المحيط) أيضاً.

6 - وفي حديث (أسماء الأشهلية): «إنا معشر النساء محصورات مقصورات»
(اللسان): (قصر).

7 - روى الجاحظ (ت 255هـ): «وقالوا: اللسان مقصور على القريب العاجل،
والقلم مطلق في الشاهد، والغائب»⁽²⁾.

8 - وقال الجاحظ أيضاً في (رسالة مناقب الترك): «وكانت لهذه المعاني والأسباب
مسخرة، ومقصورة عليها»⁽³⁾.

(1) انظر: تفسير القرطبي، ج 8: 6359، وفيه: (قال: مجاهد).

(2) البيان والتبيين، ج 1، ص 80، س: 30.

(3) رسائل الجاحظ، ج 1 ص 7، س: 5.

- 9 - وقال الجاحظ أيضاً في (رسالة الجد، والهزل): «وربما كان مقصوراً على مقدارها»⁽¹⁾.
- 10 - وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: «هل الإمامة مقصورة على عرش قريش خاصة»⁽²⁾.
- 11 - وقال أبو سفيان حمد بن إبراهيم الخطابي (ت 388هـ): «ولو ذكر الكلام لكان مقصوراً على الوجه الذي تناوله الذكر»⁽³⁾.
- 12 - وقال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت 276 هـ): «وأفردت (للغريب) كتاباً؛ كي لا يطول هذا الكتاب؛ وليكون مقصوراً على معناه»⁽⁴⁾.
- 13 - وقال العماد الأصفهاني (ت 589هـ): «وكانت محاسن الأقوال، والأفعال عليه مقصورة»⁽⁵⁾.

(2)

[شَيْق / شَائِق]

من أخطاء الاشتقاق في لغة بعض المجمعين قولهم مثلاً: «حديث شَيْق». يشيع في لغة بعض المجمعين قولهم مثلاً: «هذا حديث شَيْق»، و«هذا الأسلوب شَيْق»، والصواب أن يوصف الأسلوب بأنه (شائق): اسم فاعل من شاقه الشيء، أي: هَيَّج شوقه، أمّا (شَيْق)، فهو صفة مشبّهة، ومعناها: مشتاق، أو محبٌ، وهو وصف للشخص نفسه، لا للحديث ولا يصح أن يكون الحديث مشتاقاً.

جاء في (الصاحح)، و(المحكم) وتهذيب اللغة، من مادة: (شوق): (الشوق)، والاشتياق): نزاع النفس إلى الشيء، يقال: شاقني الشيء يشوقني، وأنا مشوق، و(شاقني) شوقاً، و(شوقني):

(1) المصدر السابق، ج 1 ص 275، س: 9.

(2) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، مج 5، ص 122، س: 1.

(3) إعجاز القرآن، 52. س: 6 (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).

(4) تأويل مشكل القرآن، 32. السطر الأخير.

(5) خريدة القصر: قسم شعراء المغرب والأندلس، ج 3: 497. س: 18، الدار التونسية.

هاجني، وفي (الجمهرة): مشوق. مادة: (شقو)، وفي (المصباح المنير): «اشتقت إليك، فأنا مشتاق، وشيّق»، مادة (شوق). وقال صاحب (القاموس المحيط): «شاقني حبها: هاجني، وككّيس المشتاق» مادة (شوق). وفي (أساس البلاغة) من مادة: (شوق): شقتني إليك، وشوّقتني، وقلب شيّق).

وقال صاحب (اللسان) من مادة: (شوق): «يقال: شاقني الشيء يشوقني، فهو شائق». وقال صاحب بن عبّاد في (المحيط في اللغة) من مادة (شوق) ما نصّه: «قلب شيّق: مشوق، وشاقني حبها، وذكرها، وهو يشوقني».

وجاء في (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس الرازيّ من مادة: (شوق): «الشين، والواو، والقاف: أصل يدل على تعلّق الشيء، والشوق هو نزاع النفس، يقال: شاقني يشوقني شوقاً، وذلك لا يكون؛ إلّا عن علق حبّ».

وقال الصغاني في (تكملة الصحاح) من مادة: (شوق): «والشيّق مثل: ميّت: المشتاق، وأصله: (شيوق) على وزن: (فيعل)».

وجاء في (تكملة القاموس) للزبيديّ من مادة: (شوق):

وقوله: أنشده (ابن الأعرابي):

إلى ظعن للمالكية غدوة فيا لك من مرأى أشاق، وأبعداً⁽¹⁾
فسره، فقال: وجدناه شائقاً بعيداً.

وفيما يلي عثرات بعض المجمعين في التراث العربي المجمع في هذا التعبير:

أولاً. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق:

1 - «وكان على لجنة المجلة تصحيحها، والموضوع شيّق». عبارة السيد محمد يوسف (عضو المجمع)، مج 52 ج 3: 583. س: 4. يوليو 1977.

(1) من شواهد المحكم، واللسان، والتاج: (شوق).

- 2 - «أعلام ثلاثة أحوالوا المدرسة آنثذ إلى مجمع آخر بعلمهم الغزير، ودروسهم الشيقة»: عبارة الدكتور أمجد الطرابلسي (عضو المجمع)، مج 47 ج 1: 195 كانون الثاني 1972، وقد عثر المغفور له في قوله: أحوال بد(إلى)، والصواب أن يقول: أحوالوا على.
- 3 - «وأعجبت بأسلوبه العلمي الأدبي الشيق». عبارة مختار الدين أحمد (عضو المجمع المراسل)، مج 52، ج 3: 678: 17. يوليو 1977.
- 4 - «فيعرض ما فيها عرضاً شيقاً». عبارة الدكتور عدنان الخطيب (عضو المجمع)، مج 66، ج 2: 334. س: 13. ابريل 1991.
- 5 - «وها أنا أبحث وصفاً شيقاً لبلاد الشام». عبارة العلامة حمد الجاسر (عضو المجمع)، مج 71، ج 2: 244. س: 1. ابريل 1996.
- ثانياً. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والبحوث والمحاضرات:
- 6 - «كان لها أثر في كتابة هذا البحث الشيق». عبارة عبد الرزاق محيي الدين (عضو المجمع) بحوث مؤتمر الدورة (40): 177. س: 14. 1974.
- 7 - «أشكر الأستاذ المحاضر على هذه المحاضرة الشيقة». عبارة الدكتور إبراهيم أنيس (عضو المجمع)، بحوث مؤتمر الدورة (30): 177. س: 1. 1965.
- 8 - «كان لقاءنا حاراً، وشيقاً». عبارة الدكتور إبراهيم مذكور (الأمين العام للمجمع)، ج 20: 359. س: 5. 1966.
- 9 - «وبحوثه الشيقة». عبارة توفيق الطويل (عضو المجمع)، ج 49: 223. ع: 1. س: 20. مايو 1982.
- 10 - «ولا شك أن الموضوع شيق، وسأفكر فيه». عبارة توفيق الحكيم (عضو المجمع)، محاضر جلسات الدورة (21): 27. س: 8. 1978.

11 - «وبحوثه شَيْقَة قِيَمَة». عبارة الدكتور عدنان الخطيب (عضو المجمع)، ج 72: 183. ع: 2. س: 7. مايو 1993.

ثالثاً. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني:

12 - «محاضرته الممتعة الشيقة»: عبارة الدكتور عدنان الخطيب (عضو المجمع) ج: 37: 89. س: 11. كانون الأول 1989.

الشواهد على قولهم (شَيْق):

- 1 - قال أبو زيد الطائي، واسمه حرملة بن المنذر، وهو مخضرم:
من مبلغ قومنا النائن إذا شحطوا أنّ الفؤاد إليهم شَيْق ولع⁽¹⁾
قال البغدادي في (خزانة الأدب): (شَيْق): مشتاق، وأصله: شيق بوزن فيعل⁽²⁾.
- 2 - وقال أبو الطيب المتنبي (ت 354 هـ) - وهو من شواهد الاستئناس:-
ما لاج برق، أو ترثم طائر إلا انثيت، ولي فؤاد شَيْق⁽³⁾
جاء في شرح ديوان (المتنبي) المنسوب خطأ إلى (العكبري)⁽⁴⁾، وهو لابن عدلان،
واسمه: علي بن عدلان بن حماد الربيعي الموصلي النحوي المتوفى في القاهرة في سنة
666 هـ، ما يلي: قال ابن عدلان:

(الشَيْق): يجوز أن يكون بمعنى فاعل من: شاق، يشوق، كالجيد، والطيب، والهيّن،

(1) الطرائف الأدبية، ص 98، والأغاني 2/ 478، والخزانة ج 6، ص 235.

(2) الخزانة، ج 235.

(3) ديوانه، ج 2/ 450.

(4) يرجع الفضل في تحقيق هذه النسبة، وتصحيح هذا الخطأ إلى الدكتور مصطفى جواد، وذلك في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج 22، ج 2/ 1: 37-47 كانون الثاني، وشباط 1947، ج 3/ 4: 110-121 آذار، ونيسان 1947، وانظر أيضاً ما كتبه الدكتور عبد الرحمن العثيمين في مقدمة تحقيق كتاب (التبيين عن مذاهب النحويين).

وزنه (فَعِيل)، وهو كثير، كالسيّد، والصيّب، ويجوز أن يكون على وزن (فَعِيل) بمعنى مفعول يقول: ما لاح برق؛ إلّا، وشوقي⁽¹⁾.

وقال أبو العلاء المعري (ت 449 هـ) في شرح هذا البيت: «أنا مشتاق مهيج القلب؛ لذكر المجموعة»⁽²⁾.

وقال عبد الرحمن البرقوقي (ت 1944) في شرح هذا البيت: «الشّيق: المشتاق»⁽³⁾.

3- ومن شواهد الاستئناس أيضاً قول البهاء زهير (ت 656 هـ):

يا قاتلي، إني عليك لمشفقٌ يا هاجري، إني إليك لشّيق⁽⁴⁾

4- وقول أحمد شوقي (ت 1932 م):

ألقت إليك بنفسها ونفيسها وأتتك شّيقة حواها شّيق⁽⁵⁾

- وقول أحمد شوقي أيضاً:

العيد من رسل العناية، فاعتبط بصنوف ما حمل الرسول الشّيق⁽⁶⁾

- وقوله أيضاً:

وقد بعثتهما إليك قصيدة أفأنت منتظر، كعهديك شّيق⁽⁷⁾

ومن شواهد (شائق):

1 - قول عارق الطائي، واسمه قيس بن جروة الأجي، وعارق لقب له، وهو شاعر

جاهلي⁽⁸⁾:

(1) ديوان المتنبي بشرح ابن عدلان، ج 2/ 332.

(2) شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري، (معجز أحمد)، ج 1/ 102.

(3) شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي، ج 3/ 74.

(4) ديوانه، 676. (5) الشوقيات، ج 1/ 239.

(6) الشوقيات، ج 1/ 485. (7) المرجع السابق، ج 2/ 493.

(8) انظر ترجمته في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، الحماسية رقم (605)، ج 3/ 1447؛ وخزانة الأدب للبغداد، =

- ألا حيّ قبل البين من أنت عاشقه ومن أنت مشتاق إليه، وشائقه⁽¹⁾
- 2 - وقول قيس بن الملوّح (ت 65 هـ، أو 68 هـ تقريباً)، وهو شاعر أمويّ:
- أَمَسْتَقْبَلِي نَفْحَ الصَّبَا، ثُمَّ شَائِقِي بِيَرْدِ ثَنَا يَا أُمَّ حَسَّانَ شَائِقِ⁽²⁾
- 3 - وقوله أيضاً:
- لَعَمْرُكَ إِنَّ الْبَيْتَ بِالْقَبْلِ الَّذِي مررت، ولم أَلَمْ عليه لشائِقِ⁽³⁾
- 4 - وقول جميل بثينة، واسمه جميل بن عبد الله بن معمر (ت 82 هـ):
- أَلَمْ خِيَالٍ مِنْ بَثِينَةٍ طَارِقٍ عَلَى النَّأْيِ مُشْتَاقٍ إِلَيَّ، وَشَائِقِ⁽⁴⁾
- 5 - وقول عبد الرحمن بن سيحان بن أرطاة، وهو شاعر إسلامي مقلّ:
- حَنَّتْ إِلَى بَرْقٍ، فَقَلَّتْ لَهَا قِرِي بَعْضَ الْحَنِينِ، فَإِنَّ شَجْوَكِ شَائِقِي⁽⁵⁾
- 6 - وقال الشريف الرضيّ (ت 406 هـ):
- يَا دَارَ مَا طَرَبْتَ إِلَيْكَ النُّوقَ إِلَّا، وَرَبْعَكَ شَائِقُ، وَمَشُوقِ⁽⁶⁾
- 7 - وقال ابن سناء الملك (ت 608 هـ):
- يَحْنُ تَقْبِيلُهُمْ إِلَى يَدِهِ كَمَا يَحْنُ الْمَشُوقُ لِلشَّائِقِ⁽⁷⁾

= ج 7/440، والأغاني، ج 6/8899 8901.

(1) البيت في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، الحماسية رقم (605) ج 3/1447، والحماسية رقم (780) ج 4

1742؛ وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري، 379؛ والأغاني ج 26/8897.

(2) ديوانه، 160؛ والأغاني ج 2/450؛ والسمط ج 1/273.

(3) ديوانه، 159؛ والأغاني ج 2/479؛ والخزانة ج 6/152، وفيها: «ولم أَلَمْ عليهم»، ورواية الأغاني، والديوان:

«ولم أَلَمْ عليه». (القبل) بالتحريك: النشز من الأرض يستقبلك. (اللسان).

(4) الأغاني ج 8/2870؛ وديوانه، 142.

(5) المصدر السابق ج 2/658، 664؛ وانظر ترجمته في المصدر السابق ج 2/660-678.

(6) ديوانه، ج 2/200.

(7) ديوانه، ج 2/211.

8 - وقال البهاء زهير (ت 656 هـ):

أأرحل من مصر، وطيب نعيمها فأني مكان بعدها لي شائق⁽¹⁾

9 - وقال (العماد الأصفهاني ت 589 هـ) في ترجمة حمّاد الخراط: «وله من أبيات شائقة رائعة»⁽²⁾.

وقال العماد الأصفهاني أيضاً في ترجمة السيد أبي الحسن علي بن أحمد بن عرام: «أوردت جملة من نظمه الفائق الرائق، ولفظه الرائع الشائق»⁽³⁾.

(3)

[الورث / الوارث]

ومن أخطاء الاشتقاق في التراث المجمعيّ العربيّ قول (المعجم الوسيط) من مادة: (ورث): (الورث): أحد الورثة، ولم ينقل عن اللغويين الأثبات لفظ (الورث)، وإنّما هو (الوارث)، والجمع. الورثة، والوراث، وعليه نص المعجمات، وأعلّاه: القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ [البقرة: 233] (البقرة: 233).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿وَجَعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: 85].
وقوله - جل وعلا -: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [الذّٰيات يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ] [المؤمنون: 10 - 11].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: 23].

وقوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلُهُمْ أَبْنَاءَ وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5].

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 58].

(1) ديوانه، 180.

(2) خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء الشام، ج 2، 144. س: 7.

(3) المصدر السابق: قسم شعراء مصر، ج 2، 165. س: 14.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: 10].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: 89].

وفي الحديث في دعاء النبي ﷺ: (اللَّهُمَّ أمتعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني)⁽¹⁾: (اللسان): (ورث).

وروى عنه ﷺ قوله: (العلماء ورثة الأنبياء)⁽²⁾، وقال عليه الصلاة، والسلام لعلي رضي الله عنه: (أنت أخي ووارثي، قال: وما أراثك؟ قال: ما ورثت الأنبياء قبلي، كتاب الله، وسنتي)⁽³⁾، وانظر مادة (ورث) في معجم ألفاظ القرآن الكريم⁽⁴⁾ هذا، وقد تصدى لتخطئة (الورث): إبراهيم البازجي⁽⁵⁾، وعبد القادر المغربي⁽⁶⁾ وصلاح الدين الزعبلوي⁽⁷⁾، ومحمد العدناني⁽⁸⁾، وزهدي جار الله⁽⁹⁾، والدكتور مازن المبارك⁽¹⁰⁾.

(4)

[الملفت / اللافت]

ومن أخطاء الاشتقاق أيضا قول بعض المجمعين: (الملفت للنظر)؛ فقد ورد هذا

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب (اللَّهُمَّ متعني بسمعي) رقم 3604؛ والبخاري في الأدب المفرد رقم 650؛ والحاكم ج 1 523؛ وصححه، ووافقه الذهبي؛ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ج 3/ 188.

(2) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق وضبط محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.

(3) المصدر السابق، 519.

(4) المجلد الثاني. منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبع بالهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط (2) القاهرة 1970.

(5) لغة الجرائد، مجلد الضياء، ص 20، السنة الأولى سنة 1989. مطبعة المعارف، القاهرة.

(6) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد الثاني، ج 4، نيسان 1922.

(7) أخطاؤنا في الصحف والدواوين، 281، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1939.

(8) معجم الاخطاء الشائعة، 266، مكتبة لبنان ط (2) بيروت 1980.

(9) الكتابة الصحيحة، 329، دار الكتب، بيروت 1968.

(10) نحو وعي لغوي، 201، مؤسسة الرسالة، بيروت 1979.

التركيب في عبارة الدكتور عبد الهادي التازي (عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة) في الجزء الثالث والسبعين من مجلة المجمع ص 200. ع: 1. س: 15 نوفمبر 1993، في قوله: «والملفت للنظر في حياة الفقيده...»، وفي هذا التعبير خطأ أولهما أن (ملفت) اسم فاعل من فعل رباعي لم تثبته المعاجم، وما نصّت عليه المعاجم هو الثلاثي (لفت)، والخماسي: (تلقت، والتفت)، هذا من حيث الاشتقاق، أما من حيث المعنى، فإنّ (اللفت) معناه الصرف، لا التوجيه، والصواب أن يقال: نبّهه على كذا، أو وجهه إلى كذا، أو بصره بكذا، ومن شواهد (اللفت) بمعنى الصرف قوله تعالى: (أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا). (يونس: 78).

ومن معاني (اللفت) أيضاً: (اللّي) أي: لّي الشيء عن جهته، كما تقبض على عنق إنسان، وأشد:

ولفتن لفتات لهنّ خضاد⁽¹⁾.

وأصل (اللفت) لّي الشيء عن الطريقة المستقيمة، كما في اللسان، والصاح، وشرح القاموس، وفي الحديث: (إنّ الله يبغض البليغ من الرجال الذي يلفت الكلام، كما تلفت البقرة الخلا بلسانها)⁽²⁾، و(اللفت): الشق، وكل ما رميته إلى جانبك، فقد لفته، و(لفت) الشيء لفتاً: عصده، كما يلفت الدقيق بالسمن. (اللسان)، و(المحكم)، و(تهذيب اللغة)، و(الصاح)، و(النهاية). وقد تصدّى لتصحيح هذا الخطأ أحمد العوامري⁽³⁾، وعباس أبو السعود⁽⁴⁾.



(1) من شواهد تهذيب اللغة واللسان بلا عزو.

(2) الحديث الشريف في (النهاية في غريب الحديث والأثر)، و(اللسان) من مادة: (لفت).

(3) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الأول ص 159 160.

(4) أزهير الفصحى، 195؛ وشموس العرفان، 85.

المصادر والمراجع

- 1 - أخطاؤنا في الصحف والدواوين. صلاح الدين الزعبلوي المطبعة الهاشمية بدمشق، 1939.
- 2 - الأدب المفرد للبخاري، المكتبة السلفية بالقاهرة.
- 3 - أزاهير الفصحى في دقائق اللغة، عباس أبو السعود، دار المعرفة، القاهرة.
- 4 - أساس البلاغة للزمخشري، تحقيقي عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، ط(2) بيروت 1982.
- 5 - إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق د. محمد خلف الله أحمد، د. محمد زعلول سلام، دار المعارف، ط(2) القاهرة 1968.
- 6 - الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط(9) بيروت 1990.
- 7 - الأغاني للأصبهاني، ج 2، ج 8، ج 26، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، القاهرة 1969.
- 8 - الأمالي الشجرية لابن الشجري، ج 1، تحقيق د. محمود الطناحي، الخانجي القاهرة 1992.
- 9 - البيان والتبيين للجاحظ، ج 1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الخانجي، ط(4) القاهرة 1975.
- 10 - بغية الوعاة للسيوطي، ج 2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط(2) القاهرة 1979.
- 11 - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق السيد محمد صقر، دار التراث، ط(2) القاهرة 1973.

- 12 - تفسير القرطبي، ج 8، دار الثقافة، بيروت.
- 13 - تكملة القاموس للزبيدي، تحقيق ضاحي عبد الباقي، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1988.
- 14 - تكملة الصحاح للصاغاني، تحقيق عبد العليم الطحاوي، دار الكتب، القاهرة 1974.
- 15 - تهذيب اللغة للأزهري، طبعة محققة بالدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1964-1975.
- 16 - التبيين عن مذاهب النحويين للعكبري، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلام. بيروت 1986.
- 17 - خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (قسم الشعراء المغرب والأندلس)، ج 3، تحقيق آذرتاش آذرنوش، نقّحه وزاد عليه: محمد المرزوقي، ومحمد العروسي، والجيلاني بن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر، 1972.
- 18 - خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (قسم شعراء مصر)، ج 2، تحقيق أحمد أمين، د. شوقي ضيف، د. إحسان عباس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج 1، القاهرة 1951.
- 19 - خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام)، ج 2، تحقيق د. شكرى فيصل، من شورات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1959-1964.
- 20 - خزانة الأدب للبغدادى، ج 6، ج 7، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1977.
- 21 - ديوان المتنبي بشرح بن عدلان ج 2، ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت 1987؛ وبشرح عبد الرحمن البرقوقي، ج 3، دار الكتاب العربي، بيروت.

- 22 - ديوان البهاء زهير، تحقيق، محمد طاهر الجبلاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بالقاهرة، 1977.
- 23 - ديوان ابن سناء الملك، ج 2، تحقيق محمد إبراهيم نصر، دار الكاتب العربي بالقاهرة، 1969.
- 24 - ديوان الشريف الرضي، بيروت.
- 25 - ديوان جميل بن عبد الله بن معمر، جمع وتحقيق د. حسن نصار، مكتبة مصر، ط(2) القاهرة 1969.
- 26 - ديوان مجنون ليلى، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة 1975.
- 27 - الرسالة الأولى. محمد السيد الداودي، مطبعة الشرق بالسنبلاوين، 1972.
- 28 - رسائل الجاحظ، ج 1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الخانجي، القاهرة 1975.
- 29 - سمط اللآلي، تحقيق عبد العزيز الميمني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936.
- 30 - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، مج 5، تحقيق حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت 1964.
- 31 - شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ج 3 / 4، أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط(2) القاهرة 1967 - 1972.
- 32 - شرح ديوان المتنبي للمعري، ج 1، تحقيق عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة 1986.

- 33 - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، للعسكري، تحقيق. عبد العزيز أحمد، الحلبي القاهرة 1963.
- 34 - شمس العرفان بلغة القرآن، عباس أبو السعود، دار المعارف، القاهرة 1980.
- 35 - الشوقيات، أحمد شوقي، ج 1 / 2، تحقيق د. أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة 1980.
- 36 - الصحاح، للجوهري، تحقيق عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط(3) بيروت 1984.
- 37 - الطرائف الأدبية، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 38 - فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار مكتبة الفكر، ط(4) طرابلس 1970.
- 39 - في محيط الدراسات اللغوية، د. عبد الجواد الطيب، المكتبة الأزهرية، القاهرة 1988.
- 40 - فوات الوفيات لابن شاعر الكتبي، ج 2، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- 42 - قل ولا تقل، د. مصطفى جواد، مكتبة النهضة العربية، بغداد 1988.
- 43 - القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ترتيب الطاهر الزاوي، الدار العربية للكتاب، ج 1، ط (3) ليبيا - تونس 1980.
- 44 - الكتابة الصحيحة، زهدي جار الله، بيروت، 1968.
- 45 - لغة الجرائد إبراهيم اليازجي، مجلة الضياء، السنة الأولى (88/89) مطبعة المعارف.

- 46 - لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبد الله الكبير ومحمد أحمد حسب الله
وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة 1979.
- 47 - مجلة المجمع العلم العربي بدمشق، المجلد الثاني العدد الثالث، آذار 1922.
- 48 - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد 22 ج 1 / 2، ج 3 / 4، 1947.
- 49 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 46 ج 3. يوليو 1971.
- 50 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 48 ج 1. يناير 1973.
- 51 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 52 ج 2. أبريل 1977.
- 52 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 52 ج 3. يوليو 1977.
- 53 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 66 ج 2. أبريل 1991.
- 54 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 74 ج 3. يوليو 1999.
- 55 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 47 ج 1. كانون الثاني 1972.
- 56 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 71 ج 2. أبريل 1996.
- 57 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 63. يوليو 1988.
- 58 - مجلة مجمع اللغة العربية بعمّان، ج 37. كانون الأول 1989.
- 59 - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الأول 1935.
- 60 - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 20. 1966.
- 61 - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 49. مايو 1982.
- 62 - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 21. 1966.
- 63 - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 71. نوفمبر 1992.

- 64 - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 87. مايو 2000.
- 65 - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 52. 1983.
- 66 - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 72. مايو 1993.
- 67 - مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدورة الثلاثين، 1965.
- 68 - مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدورة الأربعين، 1974.
- 69 - مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدورة السابعة والثلاثين، 1972.
- 70 - مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدورة الثانية والأربعين، 1978.
- 71 - محاضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدورة (21) 1978.
- 72 - مجلة الثقافة العربية، العدد الثامن، أغسطس 1977، ليبيا.
- 73 - المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، طبعة محققة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، -1958 1999.
- 74 - المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت 1994.
- 75 - المصباح المنير، للفيومي، تحقيق د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة 1977.
- 76 - معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، مكتبة لبنان، ط (2) بيروت 1980.
- 77 - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المجلد الثاني، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط (2) 1970.
- 78 - المعجم الوسيط المجلد الثاني، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط (2) 1972.

- 79 - معجم مقاييس اللغة العربية، لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 3، الحلبي ط(2)، القاهرة 1970.
- 80 - المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- 81 - النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ود. محمود الطناحي، الحلبي، القاهرة.



الدكتور محمد منصف القماطي (1950.2020)

وتجربته في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ليبيا⁽¹⁾

د. محمد عمر علي بن حسين

(كلية الآداب - جامعة طرابلس)

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فقد ظلت اللغة العربية باقية منذ أن جعلها الله لغة كتابه الخالد، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف 2]، وتكفل الله بحفظ كتابه فنالت شرف الراعية والبقاء، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر 9].

واللغة العربية تعني الذاكرة الثقافية للشعوب العربية والإسلامية، بكل ما تعنيه كلمة ثقافة من معنى، ثقافة بناها أسلافنا في ماضيهم المجيد، وكانت اللغة الوعاء الذي تضمن تلك الثقافة بكل ألوانها وأطيافها، وما قصرت يوماً عن التعبير عن مقاصدهم وعلومهم وفنونهم في شتى الميادين.

(1) هذه الورقة البحثية شارك بها الباحث في ندوة علمية بعنوان: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، أقامتها كلية اللغات في جامعة الزاوية، بليبيا، (يوم 5/3/2020م). بالاشتراك مع مجمع اللغة العربية الليبي، ومركز البحوث والدراسات بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وكانت بعنوان: «تجربة الدكتور محمد منصف القماطي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ليبيا».

[هذا العدد من مجلة المجمع، جامع بين دراسة للأستاذ الجليل عضو المجمع الدكتور محمد منصف القماطي / وهذه الدراسة عنه، وقد رحل إلى جوار ربّه يوم (2 - 9 - 2020) قبل صدور العدد الذي بين يديك، تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جنانه]. التحرير.

وتبوأت اللغة العربيّة في العصر الحديث منزلة في المحافل الدوليّة؛ فهي منذ عام 1973م. أصبحت في ضمن اللغات الرسميّة في الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة، وهيئاتها الفرعيّة، مع الإنجليزيّة، والفرنسيّة، والإسبانيّة، والصينيّة، والروسيّة، وأدخلت لغة رسميّة في 1 يناير عام 1983م في مجلس الأمن، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، وهي لغة رسميّة كذلك في منظمّة الأمم المتّحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ومنظمّة الأمم المتّحدة للأغذية والزراعة (الفاو)، ومنظمّة الصحة العالميّة، ومنظمّة العمل الدوليّة، ومنظمّة الوحدة الإفريقيّة (الاتحاد الإفريقيّ حالياً)، وهي لغة اثنتين وعشرين دولة، ويتحدّث بها ما يزيد على أربعمئة واثنين وعشرين مليون عربيّ، كما أنّها لغة عبادات جميع المسلمين في العالم⁽¹⁾.

وواجبنا ثُجاء هذه اللغة الشريفة أن نجتهد في تعليمها ونشر ثقافتها لدى أبنائنا أوّلاً، ولدى الراغبين في تعلّمها من الناطقين بغيرها؛ ولذا حظي تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها باهتمام قسم اللغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة بكلّيّة التربية، ثمّ قسم اللغة العربيّة بكلّيّة اللغات، بجامعة طرابلس؛ فأُسّست شعبة للناية بهذا النوع من التعليم في أواخر السبعينيّات، وعُيّنت هذه الشعبة برسم الخُطط الدراسيّة لطلّابها، ووضع المناهج التعليميّة المناسبة، ودرّس بها أساتذة جامعيّون لبيّون وعرب معارون تخصصوا في العلوم اللغويّة والأدبيّة، واطلعوا على أساليب تدريس اللغات الحيّة، وكانت لهم إسهامات في إعداد المقرّرات الدراسيّة، وتألّف الكتب، منها كتاب: اللغة العربيّة: قواعد ونصوص، للدكتور عماد حاتم، وكتاب: العربيّة لغير العرب، للدكتورين أحمد سمير بيبرس، وعبد الله عبد الحميد سويد، وكتاب: اللغة العربيّة لغير الناطقين، الجزء الأوّل ألفه الدكتور محمّد منصف القماطيّ، والجزء الثاني ألفه الدكتور عبد الله عبد الحميد سويد⁽²⁾.

(1) اللغة العربيّة في الأمم المتّحدة، للأستاذ عبد الستار محفوظ، موقع اليوم العالميّ للغة العربيّة على الإنترنت:

<https://www.un.org/ar/events/arabiclanguageaday/history.shtml>، تاريخ الاقتباس (25 / 2 / 2020م).

(2) انظر: «بعض الأخطاء اللغويّة لدى متعلّمي العربيّة الأجانب، دراسة تحليليّة»، للدكتور: محمّد منصف =

والدكتور محمد منصف القماطي أحد الذين أرسوا دعائم هذه الشعبة من خلال إسهاماته المتميزة مدرّساً، ورئيساً لها مشرفاً على شؤونها العلمية، وقد أجرى عدّة تجارب واختبارات، نتج عنها تأليف كتابه السابق الذكر، ووضع اختبارات موضوعيّة، وإعداد أبحاث في مجال تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها⁽¹⁾، شارك بها في محافل علميّة عالميّة، إلى جانب إسهاماته في تعليم اللغة العربيّة لغير ناطقيها في مؤسّسات ومراكز علميّة أخرى.

ودراستي التي أقدمها في هذه الندوة تُعنى بالتعريف بالدكتور محمد منصف القماطي وتجربته في مجال تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، ووضعها في سياقها العامّ بين التجارب في ليبيا، وسارت الدراسة وفق خطوات هي:

مقدّمة: تتضمّن بإيجاز الحديث عن خلود اللغة العربيّة ومكانتها في العصر الحديث، واهتمام جامعة طرابلس بتعليمها لغير ناطقيها، والتعريف بموضوع الدراسة، وخطواتها.

المبحث الأوّل - التعريف بالدكتور محمد منصف القماطي.

المبحث الثاني - الدراسات السابقة التي تناولت التجارب الليبيّة في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها.

المبحث الثالث - دراسات الدكتور القماطي وتجربته البحثيّة في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها.

المبحث الرابع - كتاب اللغة العربيّة لغير الناطقين بها للدكتور محمد منصف القماطي.

الخاتمة.

التوصيات.

= القماطي، بحث ضمن كتاب: تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها: قضايا وتجارب، ص 25 - 28.

(1) انظر: المصدر نفسه، ص 28.

ويسعدني أن أعبر عن شكري لكلية اللغات بجامعة الزاوية على إقامة هذه الندوة، ولمن شارك في إقامتها، مجمع اللغة العربية الليبي، ومركز البحوث والدراسات بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وآمل أن تُكلّل جهود الندوة بالنجاح، وأن تجد توصياتها سبيلاً إلى التنفيذ؛ لرفع مستوى الاهتمام بتعليم العربية في بلادنا. والله وليّ التوفيق.

(1)

التعريف بالدكتور محمد منصف القماطي

هو العالم اللغوي محمد منصف بن عبد الله القماطي، من أهل طرابلس الغرب، بها ولد عام (1369هـ / 1950م)، حرّص والده منذ بلوغه سن الخامسة على أن يلتحق بحلقات تحفيظ القرآن (الكتاب)، فشرع في قراءة القرآن على الشيخ امحمد عبد العال المسلاتي بمسجد الخيمير بمنطقة جبّانة الحفرة بطرابلس، ثم على خاله الشيخ محمد سعد العزبي الملقّب بالسويدي، إلى أن أتم حفظه، ولم تمنعه دراسته بالمسجد من التحاقه بالتعليم العام، فأتّم به الابتدائية عام 1964م، والإعدادية عام 1967م، ثم نال إجازة المعلمين الخاصة في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي عام 1971م. وانتقل بعدها للدراسة بالجامعة الإسلامية بالبيضاء، بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ونال منها إجازة العالمية (الليسانس)، عام 1975م.

عُيّن معيداً بجامعة طرابلس عام 1977م، ليوفد بعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر السبعينيات، فالتحق بجامعة ميشغن؛ فأتّم بها في معهد تعليم اللغة الإنجليزية (E.L.I) دورة تعليم اللغة الإنجليزية عام 1978م، ونال منها درجة الإجازة العالية (الماجستير) في اللسانيات عام 1981م، ثم أوفد إلى السودان؛ فالتحق بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ونال منها درجة الإجازة الدقيقة (الدكتوراه)، في صوتيات القرآن الكريم، عام 1418هـ / 1997م.

اشتغل بالتدريس الجامعي بجامعة طرابلس وغيرها من الجامعات الليبية، في

المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا، وأشرف على إعداد بحوث التخرج والرسائل العلمية ومناقشتها.

كما اشتغل بالخطابة الجُمُعيّة لنحو ثلاثين عامًا، ودرّس العلوم الشرعيّة واللغويّة بمساجدها وزواياها، وأسهم في تدريس موظفي الدوائر الحكوميّة وأئمة المساجد وخطبائها في دورات علميّة.

وكانت له دروس تُبثّ عبر الإذاعتين المرئيّة والمسموعة، منها دروسه في برنامج «نحو النور لتعليم الكبار» (محو الأميّة)، الذي كان يُبثّ عبر الإذاعة المرئيّة الليبيّة من عام 1971م إلى عام 1974م. ودرّسه لشرح كتاب «الشّفاء» للقاضي عيّاض، بمسجد القُرَافِيّ، الذي بثّ عبر قناة التناصح الفضائيّة خلال الأعوام (2014 – 2019م). وله دروس في شرح كتاب «الرّوضُ الأُنْف» للإمام السُّهَيْليّ، بمسجد القُرَافِيّ، تبثّ إلى وقتنا هذا (عام 2020م) عبر قناة التناصح الفضائيّة، شرع فيها عام 2019م.

له إسهامات في تأليف الكتب وكتابة البحوث العلميّة، تتّصل باللسانيّات وغيرها من المجالات، وسأتناول في المبحثين الثالث والرابع بعضها ممّا له صلة بتعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها.

ويُعَدُّ الدكتور محمّد منصف القماطيّ أحد الرّوّاد الليبيين الأوائل المُبرّزين في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، وهو معدود في قائمة الخبراء العرب في هذا المجال⁽¹⁾.

وقد اجتمعت له عدّة أسباب جعلت تجرّبه في مجال تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها رائدة، منها:

1 - إجادته نطق أصوات اللغة العربيّة من مخارجها الصحيحة، وإداؤها بما ما

(1) انظر: دليل الخبراء العرب في مجال تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، الصادر عن المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، حيث ورد ذكره تحت الرقم المسلسل (83) في ص 86، مصحوبًا بسيرته العلميّة.

تستحقه من صفات ذاتية أو عرضية، وهذه الميزة نالها من حفظه القرآن وإتقانه تلاوته منذ الصغر.

2 - معرفته أحكام تجويد القرآن، التي تُعنى بدراسة مخارج الأصوات وصفاتها وما يطرأ عليها من أحكام صوتية؛ بغية إتقان نطق حروف القرآن وأصواته. وله في هذا المجال كتاب: «أحكام تجويد القرآن الكريم»، ألفه لطلبة ثانوية العلوم الشرعية، 2001م، 2002م.

3 - دراسته وتخصّصه في الأصوات، وخبرته في تدريس هذا المقرر. وله في هذا المجال كتاب: «الأصوات اللغوية ووظائفها»، ألفه عام 1986م. وهو كتاب غاية في بابه، استفاد منه طلاب جامعة طرابلس، وظلّ من أهم مراجع تدريس المقرر إلى يومنا هذا، إضافة إلى دراستي الماجستير والدكتوراه اللتين عُنيتا بدراسة الأصوات.

4 - تخصّصه العام في اللغة العربية وآدابها، وزاده الثقافيّ الواسع من معارف العربية وفنونها.

5 - إسهامه المبكر في تعليم اللغة لغير ناطقيها، بإشراف أساتذة متخصصين؛ إذ أسهم في إعداد الدروس وإلقائها على طلاب اللغة العربية في جامعة ميشكن خلال عامي 1981، 1982م. عندما كان يُعدّ رسالة الماجستير بها. وله في هذا المجال - أيضاً - كتاب بعنوان: «اللغة العربية لغير الناطقين بها»، وهو الكتاب الذي سيتناوله المبحث الرابع من هذه الدراسة، واشترك في تأليف كتاب: «تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها»، الذي نشرته كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس الغرب، وكانت طبعته الثانية عام 1992م. كما اشترك في إعداد: «امتحان القدرة اللغوية لغير الناطقين بالعربية» (إقلاع)، النموذج (أ)، الصادر عن كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس الغرب، في أواخر التسعينيات.

وما يحمد للدكتور القماطي في سيرته أخلاقه الحميدة مع طلابه؛ فقد كان يعاملهم بكلّ تجلّة واحترام، ويشجّعهم على المشاركة وإبداء الرأي أثناء المحاضرات

والدروس، وكان حريصاً على تحقيق مصالحهم العلميّة، ويتحمّل عنهم عبء تكاليف الكتب وتصوير المقرّرات الدراسيّة التي كان يدرّسها.

(2)

الدراسات السابقة التي تناولت التّجارب الليبيّة في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها

(1) دراسة الباحثة: حميدة محمّد فرج، بعنوان: تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، بين النظريّة والتطبيق، 2010م⁽¹⁾.

وسعت دراستها إلى تحقيق أهداف مجملها:

أ - دراسة وصف النشاط اللغويّ عن طريق الملاحظة.

ب - كشف أفضل طرائق تدريس اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، وكيفيّة معالجة الضعف اللغويّ لديهم.

ج - الاطلاع على تجارب تعليم اللغة العربيّة لغير ناطقيها من خلال الكتب والمذكرات المطبوعة.

ولتحقيق أهداف الدراسة جعلتها الباحثة في أربعة فصول:

الفصل الأوّل في ثلاثة مباحث، تناولت فيها الباحثة اللغة العربيّة من حيث: ثقافتها، وأهدافها، وخصائصها، وعلماء نحوها وصرفها، وقواعدها الموحّدة واختلاف مناهجها.

والفصل الثاني في ثلاثة مباحث، تناولت فيها الاتجاهات والنظريّات التي تتبع في تكوين مهارات تعلّم اللغة العربيّة لغير ناطقيها، فتناولت بالدراسة: مهارة الاستماع والمحادثة، ومهارة القراءة والكتابة، والوسائل التعليميّة.

(1) رسالة علميّة نالت بها الباحثة درجة الإجازة العالية (الماجستير) في الدراسات اللغويّة، من قسم اللغة العربيّة، بأكاديميّة الدراسات العليا، بليبيا، عام 2010م.

واشتمل الفصل الثالث على ثلاثة مباحث، تناولت فيها الأصوات العربية وأثرها في عملية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، فتحدثت عن الأصوات العربية وحروفها، والأصوات وطريقة نطقها، والكتابة الصوتية.

وتناولت في الفصل الرابع تقويم المصنّفات الليبية في تعليم اللغة العربية لغير أبنائها، ووزّعت المصنّفات على ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول المصنّفات المعدة بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وفي المبحث الثاني المصنّفات المعدة بكلية الدعوة الإسلامية، وفي المبحث الثالث المصنّفات المعدة بجامعة طرابلس.

وتضمّنت خاتمتها النتائج التي توصّلت إليها.

(2) دراسة الدكتور: محمد عمر بن حسين، بعنوان: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ليبيا، مركز الشهداء أنموذجاً، قراءة في المحتوى اللغوي والثقافي لمقرّر المركز، 2013م⁽¹⁾.

وجاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمركز، من خلال الحديث عن نظام الدراسة بالمركز، والوسائل المستخدمة به، واسم المقرّر ومؤلفيه، وإخراجه فنياً، ومنهجه العام.

المبحث الثاني: محتوى المقرّر اللغوي، من خلال دراسة مستوى المقرّر: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، وما تضمّنه المقرّر من أحكام الكتابة العربية.

المبحث الثالث: محتوى المقرّر الثقافي، من خلال الإشارة إلى ما تضمّنته نصوص المقرّر من قيم تمثّل روافد الثقافة، كقيمة الاتحاد، والتعاون، ومساعدة الآخرين، والجود، والمنافسة، وغيرها من القيم الأخرى.

(1) شارك بها في المؤتمر الدولي للغة العربية، تحت عنوان: انتشار اللغة العربية وثقافتها في العالم قديماً وحديثاً، الذي انعقد في ديبوك في الفترة من (27 - 29 من ذي القعدة 1434هـ / 3 - 5 من أكتوبر 2013م)، كتاب المؤتمر، الجزء الثالث، ص 1 - 19.

وتضمّنت خاتمة الدراسة نتائج استمدت منها التوصيات الآتية:

أ - جعل وعاء الدارسة الزمنيّ بالمركز ستّة فصول دراسيّة بدلاً من ثلاث سنوات دراسيّة، وتقسيم المقرّر إلى ستّة أجزاء.

ب - الاهتمام بالقاعدة النحويّة في مستواها العمليّ والنظريّ؛ وإيجاد السبل الكفيلة بتقديّمها للدارس في صورة أقرب إلى الشمول؛ بحيث لا يتخلّف منها المشهور والمتداول في الاستعمال.

ج - الاعتناء بمحتوى المقرّر الثقافيّ، وجعله خالياً من أيّ محتوى يتنافى هو وثقافة الدارسين.

د - إدخال التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربيّة، من خلال تزويد المركز بمعمل لتعليم اللغة، وغيره من التقنيات التي تعين على التعليم والتعلّم.

هـ - إخراج المقرّر في نسختين: نسخة ورقية، ونسخة إلكترونية تتوافر فيها تقنيات تتيح للدارسين التواصل مع المقرّر في فترات الانقطاع عن الأستاذ.

و - تدريب الأساتذة على تقنيات تعلّم اللغات، من خلال إقامة الدورات التدريبية، والاستفادة من المؤتمرات العلميّة التي تُعنى بتعليم العربيّة لغير الناطقين بها، ومواكبتها والعمل بتوصياتها.

(3) دراسة الأستاذ الدكتور: محمّد مصطفى بن الحاج، بعنوان: جهود جمعية الدعوة الإسلاميّة العالميّة في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، 2013م⁽¹⁾.

تناول فيها إسهامات جمعية الدعوة الإسلاميّة في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها داخل ليبيا وخارجها.

(1) شارك بها في الملتقى العالميّ لخدمة اللغة العربيّة، الذي انعقد بتونس، يومي 18-19 من ديسمبر، عام 2013م. برعاية رئيس الجمهوريّة التونسيّة الأسبق الدكتور محمّد المنصف المرزوقي، ونشرت بصحيفة الدعوة الإسلاميّة، التي تصدر عن جمعية الدعوة الإسلاميّة العالميّة، في عدديها: 1431، 1432.

وقد أوضحت الدراسة أنّ الإسهامات الداخلية تمثّلت في جهود كَلِيّة الدعوة الإسلامية، والمعهد التأهيلي بالكَلِيّة، ومدرسة مُجَمّع الشهداء في مدينة طرابلس، وفصّلت القول في دور كلٍّ منها، وأوجه إسهاماته.

وأوضحت الدراسة أنّ إسهامات جمعية الدعوة الإسلامية الخارجية تعدّدت وتنوّعت في كثير من الدول، في إفريقيا، وآسيا، وأوروبا، من خلال إعداد المناهج والمقرّرات، وتنظيم الدورات، وفتح الكَلِيّات، وإيفاد الأساتذة للمشاركة في التدريس وإلقاء الدروس والمحاضرات، والإشراف الإداري، وتزويد عدد من الجامعات الإفريقية بمكتبات متكاملة، وقد حرّص الباحث على بيان هذه الإسهامات بالأرقام.

هذا العرض والبيان الذي قدّمته دراسة الدكتور محمّد مصطفى بن الحاج لجهود جمعية الدعوة الإسلامية التي تأسّست عام 1972م، وتأسّست كَلِيّتها التي تمثّل أهم قنواتها العلميّة والثقافيّة عام 1974م، وتأسّست مدرستها لتعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها (مُجَمّع الشهداء في مدينة طرابلس) عام 1984م، خلص منه الباحث إلى إظهار موازنة عجلَى وشاملة بين تاريخ الجمعية المجيد، وواقعها الذي تعيشه، وآفاق مستقبلها، ونتيجة لوضعها الحاليّ، رأى الباحث «أنّه لا يتأتّى لنا الكلام عن هذه الآفاق إلّا إذا قامت الدولة الحقيقيّة في ليبيا، وصارت لها هيبتها الرسميّة في الداخل والخارج من خلال السلطات التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة، واتّضحت لديها الصورة الحقيقيّة لجمعية الدعوة الإسلامية: رسالتها، وأهدافها، ومكانتها عالميًّا، وما لها من ارتباطات دوليّة، وما أمامها من مسؤوليّات وتحديات؛ فلقد وقعت الجمعية ضحيّة تصوّرات غير واقعيّة، تخيلتها جهات متعدّدة، ابتداء من مرحلة المجلس الانتقاليّ حتّى اليوم؛ فأدّت تلك التصورات - وباختصار شديد - إلى نتائج سلبية، أثّرت على مسيرة الجمعية المضطربة حتى الآن».

(4) دراسة الدكتور: خديجة البدوي بعنوان: التَّجربة الليبيّة في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، 2018م⁽¹⁾.

تناولت الباحثة في دراستها الجهود الليبيّة المعاصرة التي انطلقت من أوائل سبعينيّات القرن الماضي، من خلال مبحثين:

المبحث الأول: رصد التَّجارب التربويّة العمليّة، المتمثّلة في المناهج والبرامج التعليميّة، من خلال:

- الحديث عن أهميّة تكوين كوادر مؤهلة لإعداد المناهج وتأليف الكتب الدراسيّة، وإسهام جمعيّة الدعوة الإسلاميّة في هذا المجال.
- الحديث عن برامج تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها في مراحلها المختلفة: مرحلة المبتدئ، مرحلة المتوسّط، مرحلة المتقدّم، مرحلة الجامعيّ، وإسهامات المؤسسات الليبيّة في هذا الصدد.

المبحث الثاني: توثيق المؤلّفات والمقرّرات والدراسات والبحوث المتخصّصة في مجال تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، الليبيّة منها، والدوليّة المدعومة ليبيّا.

وخلصت الباحثة إلى نتيجة «أنّ ثمة جهودًا واضحة في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، تجسّدت في تجارب ليبيّة مبكّرة و متميّزة على مستوى التطبيق والتنظير. وأوصت الدراسة بعدد من التوصيات تجلّت في محاور أهمها: العمل على توحيد الرؤى والاستراتيجيّات وتنسيق جهود العاملين في هذا المجال، وتعزيز تبادل المعلومات والخبرات والمصادر فيما بينهم، وإعداد أساتذة مؤهلين متخصصّين، والعناية بالتدريب والمتابعة والتقويم، وتشجيع البحوث والدراسات والكتب والمقرّرات الدراسيّة وتقويمها وتحليل محتواها وفقًا للمناهج العلميّة في تحليل المحتوى، وتوظيف التقنيات الحديثة

(1) شاركّت بها في المؤتمر الدوليّ للتعليم في ليبيا، الذي انعقد بكلّيّة الآداب بجامعة مصراتة، في الفترة من (28-29 من مارس 2018م)، كتاب المؤتمر، الجزء الأوّل، ص 453 - 480.

والمعامل والمختبرات في البرامج التعليمية، والاستفادة من التجارب الناجحة في هذا المجال».

(3)

دراسات الدكتور القماطي وتجربته البحثية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

يتناول هذا المبحث تجربة الدكتور القماطي البحثية من خلال ما كتبه في هذا الصدد، وهو ثلاث دراسات:

(1) مقترحات لتذليل الصعاب في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، 1985م⁽¹⁾.

تحدث في مدخلها بإيجاز عن أهمية اللغة العربية، وارتباطها بنهضة الأمة الإسلامية، وتعليمها لغير العرب في القديم والحديث.

ثم تحدث عن دورة تعليم اللغة العربية بجمعية الدعوة الإسلامية وكتبتها، وأشار إلى تجارب مدرسيها وجهودهم في إخراج كتابين: تعليم اللغة العربية للمبتدئين، وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

كما تحدث عن دورة تعليم اللغة العربية بجامعة طرابلس، التي عُني بإقامتها قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية آن ذاك، وبرنامجهما التعليمي، من حيث الوعاء الزمني، والمادة العلمية، في كل مستوى من مستويات التعلم، والتجارب التي أنجزت، أو كانت تحت الإنجاز، المتمثلة في تأليف سلسلة من الكتب لمعالجة العقبات اللغوية التي تعترض الطلاب.

(1) شارك بها في ندوة التربية الإسلامية التي أقامتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية، بالاشتراك مع وزارة التعليم المالية، وإدارة الشؤون الدينية بسلطنة ترنقانو، والمنعقدة في سلطنة ترنقانو، في الفترة من 15-19 من ذي القعدة 1405هـ / 2-6 من أغسطس 1985م، واطلعت عليها من خلال نسخة المؤلف.

وتناول الباحث التعريف بالتجارب والمقابلات التي أجراها مع الطلاب لمعرفة الصعاب التي تواجههم، وإيجاد الحلول لها وتذليلها، وفصل القول في الصعاب التي توزعت على: صعاب في نطق الأصوات، وصعاب في الكتابة، وصعاب في فهم معاني المفردات فهمًا دقيقًا، وصعاب في نطق المركبات؛ مبيّنًا كلّ ذلك بالشواهد التي رصدها ودوّنها.

وقد عمل الباحث على قياس صعاب مهارتي الاستماع والقراءة، وما نتج عنها من أخطاء، من خلال امتحانات تناولت أربعة أقسام: الأصوات، والمفردات، والتركيب، والنصوص، وقاس مهارة التحدّث من خلال المقابلة الشخصية والتعبير الشفوي، وقاس مهارة الكتابة بالتعبير التحريري.

ثمّ ختم الباحث دراسته بمقترحات خاصّة وعامة لتذليل الصعاب التي كشفت عنها الدراسة.

(2) بعض الأخطاء اللغوية لدى متعلّمي العربية الأجانب، دراسة تحليلية، 1991م⁽¹⁾.

استهلّ الدراسة بالحديث عن أهميّة تعليم اللغة العربيّة لغير ناطقيها، وأسباب انتشار تعليمها، والكتب التي ألّفت بليبيا في هذا المجال، ثمّ عرّف بشعبة تعليم اللغة العربيّة للأجانب بكلّيّة التربية سابقًا، وكلّيّة اللغات حاليًا، من حيث الوعاء الزمنيّ للبرنامج التعليميّ بها، والكتب والمقرّرات التي تدرّس بالبرنامج، ومفردات المقرّرات، والمستهدفون بالبرنامج، والمهارات التي يسعى البرنامج لتحقيقها وتنميتها لدى الطالب. ثمّ انتقل ليوضّح مشكلة البحث التي تتلخّص في أنّ الطالب يعاني صعوبات في المهارات الأربع: الاستماع، التحدّث، القراءة، الكتابة.

(1) شارك بها في الاجتماع الذي دعا إليه جهاز التعاون الدوليّ لتنمية الثقافة العربيّة الإسلاميّة، بالمنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، بتونس، في الفترة من (23-25 من صفر 1412هـ / 2-4 من سبتمبر 1991م)، ونشرتها المنظمة في ضمن البحوث المشاركة في الاجتماع في كتاب بعنوان: تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها: قضايا وتجارب، بتونس، 1992م.

وافترض الباحث أنّ هذه الصعوبات لها أسبابها المتّصلة باللغة، والبيئة، والطالب؛ فجمع أخطاء الطّلاب في أعمالهم التحريريّة والشفهية؛ فتكوّنت عنده مادّة علميّة خاضعة للتحليل والتفسير والاستنتاج، من خلال عيّنة عشوائية، ذات جنسيّات مختلفة، ومستويات علميّة متباينة، في سنوات دراسيّة متعدّدة، مستبعدًا الأخطاء الإعرابيّة والإملائيّة؛ لأنّ كلّاً منهما يحتاج لدراسة مستقلّة.

ثمّ شرع في تصنيف الأخطاء بعد فرزها إلى أربع مجموعات، أتبعها بتحليل لها، نتج عنه ظهور أربع عقبات تعترض الطالب، وتحول بينه وبين سلامة الأسلوب، وصحة العبارة، وهذه العقبات هي:

أ - العقبات الصوتيّة: إذ بيّنت الدراسة الأصوات الصامتة والصائتة التي يقع اللحن عند النطق بها لدى عيّنة من الطّلاب.

ب - العقبات اللّهيّة: أظهرت الدراسة تأثر الطّلاب الأجانب باللّهجات العاميّة في نطق بعض الكلمات وخصائصها الصوتيّة.

ج - عقبات الترجمة: أو وضحت الدراسة أنّ ترجمة الطّلاب الأجانب الحرفيّة يؤدّي إلى تراكيب خاطئة لا تنسجم هي وقواعد اللغة العربيّة.

د - عقبات القياس الخاطي: أوضحت الدراسة أنّ المتعلّم قد يلجأ إلى القياس الخاطي؛ فيقع في الخطأ الذي لا تبيحه العربيّة، كأن يقيس جمع مفردة على أخرى، كجمع طفل على طفل، قياساً على: جمل وجمال.

ويسجل الباحث في خاتمة الدراسة أنّ العقبات المذكورة ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها، وإلى البيئة العربيّة التي فيها الطالب الأجنبي، وإلى الطالب المتعلّم نفسه، بخبرته اللغويّة السابقة واستنباطاته اللغويّة، وأنّ هذه العقبات يمكن أن تعالج من خلال:

- حلول خاصّة ملائمة لكلّ عقبة من العقبات.

- حلول عامّة لمعالجة الظواهر السلبية في تعلّم العربيّة.

وفصّلت خاتمة الدراسة الحديث في الحلول المشار إليها.

(3) تعليم اللغة العربيّة للعاملين من غير الناطقين بها، تَجْرِبَة لِيبيّة، 1996م⁽¹⁾.

استهلّ الباحث دراسته بتحرير دلالة كلمة «العاملين» الواردة في عنوانها؛ ليحدّد عيّنة الدراسة المتمثلة في: الطبيب، والممرضة، والمهندس الزراعيّ، والأستاذ الجامعيّ، ورجل السلك الدبلوماسيّ، والحارس الليليّ، وغيرهم.

وتناولت الدراسة تَجْرِبَة لِيبيّة شخصيّة، تُعْنَى بتعليم اللغة العربيّة لغير ناطقيها، من خلال العيّنة المشار إليها في مؤسّسات ثلاث:

أ - شعبة تعليم اللغة العربيّة للأجانب بقسم اللغة العربيّة بكلّيّة التربية سابقاً، فكلّيّة اللغات فيما بعد، بجامعة طرابلس.

ب - قسم الشؤون التعليميّة بكلّيّة الدعوة الإسلاميّة التابع لجمعية الدعوة الإسلاميّة، بليبيا.

ج - معهد العلاقات الدوليّة التابع لمكتب الاتصال الخارجيّ (وزارة الخارجيّة). وقسمت الدراسة عيّنتها المدروسة إلى فئات هي:

أ - مسلمون يرغبون في تعلّم العربيّة؛ لأنّها لغة التشريع والعبادة.

ب - مسلمون وغير مسلمين، لهم صلة بالعرب من خلال أعمالهم التي يزاولونها، كالأطباء والممرّضات، ويجيدون لغة وسيطة.

ج - الأساتذة الجامعيّون؛ لتذليل الصعاب التي يواجهها بعض طلابهم العرب في تواصلهم باللغة الوسيطة.

د - رجال السلك الدبلوماسيّ؛ تسهيلاً لهم على أداء مهامهم.

(1) شارك بها في ندوة تعليم اللغة العربيّة للعمالّة الأجنبيّة في الوطن العربيّ، الدوحة، في الفترة من (24-26 من ديسمبر 1996م).

هـ - مسلمون أو غير مسلمين لا صلة لهم مباشرة بالعرب في أعمالهم، ولا يجيدون لغة وسيطة للتفاهم بها مع الناس.

و - مسلمون وغير مسلمين تدفعهم رغبات شخصية لتعلّم اللغة العربيّة لأيّ غرض كان، لهم صلة أو ليس لهم صلة، يجيدون لغة وسيطة أو لا يجيدونها.

ثم تناولت الدراسة أهداف المؤسّسة التعليميّة والطالب العامّة والخاصّة.

كما تناولت الدراسة المناهج والمقرّرات، وأوضح الباحث أنّ مناهج ومقرّرات العيّنة المستهدفة يجب أن تكون مركّزة ومؤدّية للأهداف المرجوّّة؛ بسبب خصوصيّة عيّنة الدارسة، وعرض الباحث تجرّيبته في هذا المجال، التي تقوم على دعامتين:

الأولى - تحصيل المتعلّم الأساسيّ الضروريّ.

الثانية - تحصيل المتعلّم الوظيفيّ الضروريّ، من خلال التركيز على بيئة المتعلّم في عمله، وما يحيط بها، وما يستخدمه من أدوات ومعدّات، والمفردات والأساليب والعبارات المستخدمة للتواصل في أثناء فترة العمل، وعرضت الدراسة طائفة من المفردات والتراكيب التي تخصّ بعض الأعمال على سبيل التمثيل في كلّ من: حقل الطبّ، وحقل التعليم الجامعيّ، وحقل النفط.

ثمّ عرضت الدراسة بعض العقبات التي تواجه وضع المنهج.

وأشارت إلى أنّ هذا النوع من المناهج يحتاج إلى تضافر جهود جهات متعدّدة ذات علاقة بالعاملين، من حيث التنظيم والتمويل.

وحُتِّمَت الدراسة بنتائج مجملها:

أ - تعليم اللغة العربيّة للعاملين غير الناطقين بها له أهداف عامّة وخاصّة.

ب - تعليم اللغة العربيّة للعاملين غير الناطقين بها له مناهج خاصّة تحقّق هدفين:

- هدفًا أساسيًا يشتمل على المهارات التي يجب أن يعرفها كل متعلّم لغة ثانية.
- هدفًا وظيفيًا، يتلاءم هو وطبيعة عمل المتعلّم في القطاعات المختلفة.
- ج - وجوب تتضافر جهود قطاعات مختلفة للإشراف الإداري والدعم المالي لنجاح مثل هذه البرامج.

(4)

كتاب اللغة العربيّة لغير الناطقين بها للدكتور محمد منصف القماطي

يمثّل هذا الكتاب الجزء الأوّل المقرّر على السنة الأولى بشعبة تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، بكلّيّة اللغات، بجامعة طرابلس، يليه الجزء الثاني الذي ألفه الدكتور عبد الله عبد الحميد سويد.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الكتاب في طبعته الأولى عن جامعة طرابلس عام 2001م حُرّف فيه اسم مؤلفه؛ ففي صفحة الغلاف والصفحة التي تأتي بعدها ورد باسم: د. أحمد القماطي، وجاء في آخر المقدمة باسم: أحمد محمد منصف عبد الله القماطي.

ولم يبق ما يشير إلى اسم مؤلفه الصحيح سوى ما ذكر في الجزء الثاني في الصفحة (3) من مقدّمة الدكتور عبد الله عبد الحميد سويد، فقد ذكر في هامشها رقم (1): أنّ الجزء الأوّل للسنة الأولى من إعداد الأستاذ محمد منصف القماطي، كما فعل الدكتور محمد منصف القماطي الشيء ذاته في مقدّمة كتابه؛ إذ ذكر في الصفحة (7) في هامشها (1) أنّ الجزء الثاني من تأليف الدكتور عبد الله عبد الحميد سويد.

وسيكون حديثي عن الكتاب من خلال الآتي:

أ - هدف الكتاب: هو تعليم مهارة الاستماع والتحدث والقراءة والفهم وتنميتها.

ب - المستهدف بالكتاب: الطّلاب الذين يدرسون بالمستوى الأوّل.

ج - محتويات الكتاب: اشتمل الكتاب على وحدتين:

الوحدة الأولى تناولت الأصوات الصامتة، والأصوات الصائتة، وتعريف الصامت من الحركة، والحرف المشدد، والتنوين، و«أل» التعريف قمرية وشمسية، وشغلت هذه الموضوعات (19) درسًا، في (90) صفحة، وذلك على النحو الآتي:

الوحدة الأولى:

1	أصوات: ب، م، و، ف.
2	أصوات: ت، د، س، ز.
3	أصوات: ش، ج، ي، ك.
4	أصوات: ل، ر، ن.
5	أصوات: ث، ذ، ظ.
6	صوتا: ت، ط.
7	صوتا: د، ض.
8	صوتا: س، ص.
9	صوتا: ك، ق.
10	صوتا: خ، غ.
11	صوتا: ح، ع.
12	صوتا: ه، ء.
13	الفتحة والألف.
14	الكسرة وياء المد.
15	الضمة وواو المد.
16	السكون.
17	الشدة.
18	التنوين والوقف.
19	أداة التعريف.

واشتملت الوحدة الثانية على (12) درسًا، في (71) صفحة، تناولت موضوعات صرفية شائعة في اللغة العربية، وموضوع الضمائر المنفصلة والمتصلة، وذلك على النحو الآتي:

الوحدة الثانية:

1	تاء التأنيث.
2	ألف التأنيث الممدودة والمقصورة.
3	المثنى.
4	جمع المذكر السالم.
5	جمع المؤنث السالم.
6	جمع التكسير.
7	الضمائر المنفصلة.
8	ضمائر الجرّ والنصب المتصلة.
9	أزمنة الفعل.
10	إسناد الفعل الثلاثي الماضي إلى الضمائر.
11	إسناد الفعل الثلاثي المضارع إلى الضمائر.
12	إسناد فعل الأمر الثلاثي المضارع إلى الضمائر.

د - إخراج الكتاب فنياً:

طبع الكتاب على ورق أبيض مصقول من الحجم المتوسط، وتصميم الغلاف وألوانه جيّدة، وكتبت مادته العلميّة بخطّ واضح، وبحجم يمكّن الدارس بسهولة من أن يميّز الحروف ويفرق بينها، واستخدمت فيه رسوم لجهاز النطق توضّح مخارج الصوامت والصوائت، وصفتي الجهر والهمس، وصفتي الإطباق والانفتاح، التي تصاحب نطق الأصوات.

هـ - منهج الكتاب العام:

يمكن رسم حدود منهج الكتاب العامّ على النحو الآتي:

1 - التدرّج من البسيط إلى المركّب في عرض المادّة اللغويّة، فالكتاب - وفّق ما يذكر مؤلّفه - «يتدرّج بالطالب الأعجميّ من الصوت والحرف إلى الكلمة والجملّة، مقدّمًا مئات المفردات والتراكيب الأساسيّة التي تعينه على اكتساب قدرة ميكانيكيّة؛ لتنمية قدرات الاستماع، والتحدّث، والقراءة، والكتابة، لديه». وهذا التدرّج في

موضوعات الكتاب جميعها، أمّا التدرّج في عرض موادّ الدرس الواحد فإنّها تختلف وفق طبيعة المادّة اللغوية المعالجة بالدرس، وهذا الاختلاف في عرض المادّة اللغوية يقتضيه تراكم المعرفة لدى الطالب؛ فكلّما تقدّم الطالب في الدروس، احتاج إلى إضافة خطوة تُقدّم إليه المادّة اللغوية في شكل جديد يناسب حاجته، ويطوّر من أدائه.

2 - جمع الكتاب بين الطريقة الشمولية والجزئية في معرفة الأصوات الصامتة؛ فيتعرف الطالب الأصوات مفردة، وينتقل بعدها مباشرة في الدرس نفسه ليتعرفها في الكلمة، في أولها، ووسطها، وآخرها.

3 - الاعتماد في ترتيب الصوامت العربية في الكتاب على أمرين:

أ - اتّحاد مخارج الأصوات أو قربها.

ب - انتشار الأصوات في اللغات.

وبذلك جاء ترتيبه للصوامت وَفْقُ الآتي: (ب، م، و، ف) - (ت، د، س، ز) - (ش، ج، ي، ك) - (ل، ر، ن) - (ث، ذ، ظ) - (ت، ط) - (د، ض) - (س، ص) - (ك، ق) - (خ، غ) - (ح، ع) - (ه، ء). وهذا الترتيب يختلف عن ترتيب الحروف العربية في ترتيبها الأبجدي والألفبائي عند المشاركة أو المغاربة، وكذا هو مخالف لترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين.

4 - مراعاة مستوى الطالب في دروس القواعد الصرفية والنحوية، من حيث المادّة العلميّة، وطريقة عرضها، فقد اقتصر الكتاب على تعريف الطالب عملياً أهمّ القواعد الصرفية والنحوية التي تكثر في الكلام العربي، كقاعدة التفريق بين المذكر والمؤنث من خلال علامة تاء التأنيث المتحرّكة، أو ألف التأنيث المقصور والممدودة، وقاعدة التفريق بين المفرد والمثنى والجمع بأنواعه الثلاثة: جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، وجمع التكسير، ومعرفة ضمائر الرفع المنفصلة، وضمائر النصب والجرّ المتّصلة، وأقسام الفعل

من حيث الزمن، واتّصال الفعل الماضي الثلاثي ومضارع الثلاثي وأمر الثلاثي بالضمائر في حالة الفاعلية والمفعولية، كلّ ذلك وَفَّقَ منهج الكتاب العام الذي يتوخّى التدرّج.

5 - تعريف الطالبِ المادّة اللغويّة المستهدفة من خلال السماع والملاحظة، وكثرة التمرينات والتدريبات وتنوّعها.

6 - تأسيس الكتاب على فكرة استغلال التقنية الحديثة، وتمكين المتعلّم من استغلال الوقت الذي يناسبه في تعلّم اللغة العربيّة ذاتيّاً، عن طريق تسجيل المادّة اللغويّة على وسائل تخزين.

7 - استخدام الكتاب كثيراً من المفردات والتراكيب التي تُعدّ من العاميّة الفصيحة؛ ممّا يضيق الفجوة الناشئة عن ازدواجيّة اللغة.

8 - عدم استخدام الكتاب مفردات وتراكيب ذات قيم ومفهومات لا تنسجم هي وثقافة المتعلّمين الذين ينتمون إلى ثقافات وديانات مختلفة.

و - نموذج من الكتاب يوضح منهجه العام:

الدرس الأول

يشاغل هذا الدرس الأصوات الشفوية [ب - م - و] والصوت الشفوي الأنفسي [ف] وهي من الأصوات الشائعة في اللغات الإنسانية، وتسمى حروف هذه الأصوات - على الترتيب - :
الياء والميم والنون والقاف

أولاً : لاحظ الفرق بين أصوات الحروف التالية :

١ - ب	٢ - م	٣ - و	٤ - ف
٥ - پ	٦ - م	٧ - و	٨ - ق

ثانياً : استمع وأعد :

١ - ب	٢ - م	٣ - و	٤ - ف
٥ - پ	٦ - م	٧ - و	٨ - ق

ثالثاً : استمع وأعد :

١ - ب	٢ - م	٣ - و	٤ - ف
٥ - پ	٦ - م	٧ - و	٨ - ق

حرف الياء : ١ - ياء
حرف الميم : ٢ - ميم
حرف النون : ٣ - نون
حرف الواو : ٤ - واو
حرف القاف : ٥ - قاف



رابعاً: ضع دائرة حول الحرف المنطوق، كما في المثال:

(مثال) ٣ - ب ١ - ف ٢ - ب ٣ - م ٤ - م ٥ - ف

خامساً: ضع علامة (✓) أمام الكلمة المنطوقة، كما في المثال:

(مثال) ١ - بَلَدٌ ٢ - بَلَدٌ ٣ - بَلَدٌ ٤ - بَلَدٌ ٥ - بَلَدٌ ٦ - بَلَدٌ ٧ - بَلَدٌ ٨ - بَلَدٌ ٩ - بَلَدٌ ١٠ - بَلَدٌ

سادساً: أكمل الكلمات:

١ - ... ٢ - ... ٣ - ... ٤ - ... ٥ - ... ٦ - ... ٧ - ... ٨ - ... ٩ - ... ١٠ - ...

سابعاً: اكتب:

ب	ب	ب	ب
ب	ب	ب	ب
ب	ب	ب	ب
ب	ب	ب	ب
ب	ب	ب	ب
ب	ب	ب	ب
ب	ب	ب	ب
ب	ب	ب	ب
ب	ب	ب	ب
ب	ب	ب	ب

16

يلاحظ ممّا تقدّم ما يأتي:

أ - ابتداء الدرس بذكر الأصوات التي يتناولها، مسمياً مخرجها، ذاكراً أسماءها.

ب - سير الدرس بعد ذلك على خطوات سبع:

الخطوة الأولى: تذكر فيها الأصوات الصامتة مفردة، يستمع إليها الطالب ويلاحظ الفرق بينها، ويتعرّف الرموز الدالة عليها في كتابة اللغة العربيّة، ويستعين الأستاذ في تدريس هذا الخطوة بالرسوم الموضّحة لجهاز النطق، وبيان مخرج الصوت، ووضع الوترين الصوتيين من حيث الاهتزاز من عدمه، ولا يتعرّض الكتاب لتفصيل صفات الحرف؛ ليناسب مستوى المتعلّم، ويترك المجال للأستاذ؛ ليبين ما يحتاج إليه الطالب عند تدريبه على النطق بالصوت، كأن يبين له أنّ الصوت مجهور أو مهموس، مستعلٍ أو غير مستعلٍ، مطبق أو منفتح، وغيرها من الصفات التي تفرّق بين الأصوات، وتعين على تحديدها، وبخاصّة إذا كان الصوت لا وجود له في لغة المتعلّم.

الخطوة الثانية: يشرع الدرس في عرض الأصوات مرّة أخرى؛ ليستمع إليها الطالب ويعيدها، إلى أن يتمكن من ربط كل صوت برمزه الدالّ عليه.

الخطوة الثالثة: يستمع الطالب ويعيد طائفة من الكلمات المشتملة على الأصوات المدروسة في أوّل الكلمة ووسطها وآخرها؛ لمعرفة موضع الصوت من الكلمة، وشكل الرمز الذي يمثله في كلّ موضع، وحفظ المفردات، إضافة إلى هدف ثانويّ، هو لفت انتباه الطالب لتنوّع الصائت المصاحب له، وما قد يتبعه من تنوين، وهو هدف يركّز عليه الكتاب في دروس أخرى.

الخطوة الرابعة: يدربّ الطالب فيها على تعرّف الأصوات الصامتة المدروسة، وتمييز الرمز الممثل لها، من خلال كتابتها، ونطق الأستاذ لها بطريقة عشوائية، في كلّ مرّة يضع الطالب دائرة على الصوت الذي نطقه الأستاذ.

الخطوة الخامسة: تعرض فيها كلمات تشتمل على الأصوات المدروسة، يقرأ الأستاذ كلّ كلمة على حدّة قراءة عشوائية، ويطلب إلى الطالب وضع علامة () أمام الكلمة المنطوقة.

الخطوة السادسة: يعرض الدرس في هذه الخطوة كلمات ينقصها صوت من الأصوات المستهدفة من الدرس، وقد يكون النقص في أوّل الكلمة، أو وسطها، أو آخرها، ويطلب إلى الطالب اختيار الصوت المناسب.

الخطوة السابعة: يتدرّب فيها الطالب على شكل كتابة الأصوات الصامتة التي تناولها الدرس في أوّل الكلمة ووسطها وآخرها.



الخاتمة

يمكن أن أسجل أبرز ما أسفرت عنه الدراسة في الآتي:

1 - أن يجيد معلّم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها نطق أصوات اللغة العربيّة من مخارجها الصحيحة، وأن تكون له معرفة علميّة وعمليّة بأحكام تجويد القرآن، وأن يكون زاده وافرًا من الثقافة العربيّة وعلومها.

2 - أنّ الدكتور محمّد منصف القماطيّ يُعدّ أحد الرواد المتميّزين في مجال تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها.

3 - ترتيب الدكتور القماطيّ كتابه اللغة العربيّة لغير الناطقين بها الصوامت العربيّة ترتيبًا اعتمد فيه على اتّحاد مخارج الأصوات أو قربها، وانتشارها في اللغات، وبذلك راعى التيسير على دارس اللغة غير العربيّ، وإن خالف الترتيب الأبجديّ والألفبائيّ عند المشاركة أو المغاربة، وترتيب الخليل بن أحمد الفراهيديّ في معجمه العين.

4 - اتّفاق هذه الدراسة ودراسة الدكتورة خديجة على أنّ هناك جهودًا واضحة في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، تجسّدت في تجارب ليبية مبكّرة ومتميّزة على مستوى التطبيق والتنظير، منها تجربة الدكتور القماطيّ.

5 - أنّ كتاب اللغة العربيّة لغير الناطقين بها للدكتور القماطيّ يصلح لأن يُستعان به في التدريس داخل المعمل اللغويّ، وأنّ تسجل مادّته اللغويّة على وسائل تخزين، إذا توافرت الإمكانيّات، حتّى يتمكّن الدارس من الاستفادة من الكتاب عند الانقطاع عن الأستاذ.

6 - مراعاة كتاب اللغة العربيّة لغير الناطقين بها للدكتور القماطيّ ثقافة المتعلّم المستهدف بالمقرّر، وخلوّه من أيّ محتوى يتنافى هو وثقافة الدارسين.

التوصيات:

- 1 - الاستفادة من تجربة الدكتور محمد منصف القماطي ذات الرصيد الوافر في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها التي ظهرت واضحة في أعماله البحثية والتأليفية والعملية.
- 2 - الاستعانة بكتاب اللغة العربية لغير الناطقين بها للدكتور القماطي، في تعليم اللغة العربية لغير ناطقيها، في المستوى الأول؛ لما يتميز به من ميزات أوضحتها الدراسة.
- 3 - الاطلاع على التجارب الليبية في المؤسسات المختلفة، وغير الليبية، والاستفادة منها في تطوير برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- 4 - استثمار نتائج الدراسات السابقة التي تناولت تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ليبيا؛ لتلافي القصور، والاستفادة من الإيجابيات.
- 5 - تكوين هيئة أو اتحاد يُعنى بتوحيد جهود المؤسسات التي تهتم بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ليبيا، وربط جسور التواصل بينها؛ لإقامة الورش والندوات والمؤتمرات، وتطوير برامج التعليم في هذا المجال.





ملحق (1)

سيرة الدكتور

محمد منصف القماطي الذاتية

- د. محمد منصف بن عبدالله القماطي، أستاذ لغوي جامعي، وهو عضو المجلس التأسيسي لإعادة تأسيس وافتتاح جامعة السيد محمد علي السنوسي الإسلامية، وهو مراجع لغوي بمجلة «الهدى الإسلامي» المحكمة التي تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بليبيا، ورئيس المعهد العالي للعلوم الشرعية سابقاً، وعضو هيئة التدريس به وبجامعة طرابلس، وهو عضو عامل بمجمع اللغة العربية الليبي، ورئيس لجنة السلامة اللغوية به.
- ولد بطرابلس الغرب، عام 1369هـ / 1950م.
- حافظ للقرآن الكريم.
- نال إجازة المعلمين الخاصة في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، عام 1971م.
- نال إجازة العالمية (الليسانس) في (اللغويات) من كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالبيضاء، عام 1975م.
- اشتغل بالخطابة الجمعية لنحو ثلاثين عاماً، كما اشتغل بالتدريس في مساجد طرابلس، منها: جامع الناقة، ومدرسة عصمان باشا، وفي الإذاعتين المسموعة والمرئية، كما شارك في التدريس بدورات علمية للأئمة والخطباء الليبيين.
- درّس كتاب «الشفاء» للقاضي عياض - رحمه الله - بجامع القرافي، ويدرس به كتاب «الروض الأتف» للإمام السهيلي.

- تلقى دورات تدريبية في ليبيا ومصر، وشارك في مؤتمرات علمية في ماليزيا، وتونس، وقطر، والمغرب، والجزائر.
 - نال درجة الإجازة الدقيقة (الدكتوراه) في صوتيات القرآن الكريم من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان عام 1418هـ / 1997م.
 - درّس مواد: الصوتيات، وفقه اللغة، وعلم اللغة، وعلم الدلالة، والمدارس اللسانية والنصوص اللغوية، والتطبيقات اللغوية، والمكتبة، والمعاجم، وتوجيه القراءات، لطلاب الدراسات الجامعية، والدراسات العليا، بأقسام اللغة العربية بجامعة طرابلس، وجامعة سبها، والجامعة الأسمرية، وجامعة المرقب، وأكاديمية الدراسات العليا.
 - شارك في الإشراف والمناقشة لعشرات الأطروحات الجامعية، وبحوث التخرج بجامعة طرابلس، وسبها، والمرقب، ومصراتة، والزاوية، وعمر المختار، والجامعة الأسمرية، وكلية الدعوة الإسلامية، وأكاديمية الدراسات العليا.
- له تأليف وبحوث منشورة، منها:
- 1 - كتاب: «الأصوات ووظائفها». ط 1، منشورات جامعة طرابلس 1986م. وطبع بدار الوليد في الأعوام: 2002م. 2003م. 2010م.
 - 2 - كتاب: «أحكام تجويد القرآن الكريم». لطلبة ثانوية العلوم الاجتماعية، شعبة العلوم الشرعية، ط. المركز الوطني لتخطيط التعليم والتدريب، 2001، 2002م. وما بعدها.
 - 3 - كتاب: «تعليم العربية لغير الناطقين بها»، كتاب معلمي، ج 1. ط 1، منشورات جامعة طرابلس، وط 2، طبعة خاصة 2019م.
 - 4 - «امتحان القدرة اللغوية لغير الناطقين بالعربية» (إقلاع)، النموذج (أ). بالاشتراك، لتحديد المستوى اللغوي لقبول الطلاب بكلية الدعوة الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس الغرب، منذ أواخر التسعينيات.

- 5 - كتاب: «محاضرات في ثورة السابع عشر من فبراير الإسلامية». ط دار الوليد 2012م.
- 6 - بحث: «حتى على مشرحة النحو واللغة». نشر بمجلة الثقافة العربية، ع. 10، س. 4، (1397هـ / 1977م).
- 7 - بحث: «نظرات في كراسات التلاميذ». نشر بمجلة الثقافة العربية، ع. 1، س. 5، (1398هـ / 1978م).
- 8 - بحث: «الصوامت والصوائت في علم اللغة». نشر بمجلة الفصول الأربعة، ع. 20، س. 6، (1392هـ / ديسمبر 1982م).
- 9 - موادّ: الألف، الآلة، أبجد، الأثر، الإحرام، اختصاص، الإدغام، استبدال، استثناء، أصوات. نشرت بباب المعارف الإسلامية بمجلة كلية الدعوة الإسلامية، الأعداد: 2، 3، 4، 5، 6، 7، 9، 15، للسنوات: 1985م. 1986م. 1987م. 1988م. 1989م. 1990م. 1992م. 1998م.
- 10 - بحث: «بعض الأخطاء اللغوية لدى متعلّمي العربية الأجانب»، دراسة تحليلية. نشر بكتاب: «تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: قضايا وتجارِب»، ط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1992م.
- 11 - بحث: «مصادر الفعل الثلاثي، جداول التصنيف». نشر بكتاب: «اللغة العربية إلى أين؟»، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الرباط، 1426هـ / 2005م.
- 12 - بحث: «إرهاصات النبوة، الأسماء». نشر بمجلة المنبر التي تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع. 3، (2005م).
- 13 - بحث: «القراءات القرآنية بين النظرية والتطبيق». ألقى بندوة المصحف الشريف المنعقدة بصالة الثقافة بمعرض طرابلس الدولي خلال (17 - 26 / 09 / 2008م).

- 14 - مشاركات بتقديم بعض مؤلفات الباحثين إلى القراء، وكلمات في تأيين بعض العلماء في كتب تعرض سيرهم، وعرض بعض الكتب العلميّة بمجلة الهدى الإسلاميّ.
- 15 - محاضرات أُلقيت في مناسبات إسلاميّة، يعدّها للنشر، بإذن الله تعالى.
- 16 - تقديم وإعداد «ديوان المديح النبويّ»، للعلامة الشاعر عبد السلام محمّد خليل، رحمه الله تعالى.
- 17 - مراجعة وتقديم كتاب: «الشيخ المربي عبد الله إبراهيم المغربيّ».
- والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلم.



ملحق (2)

مؤلفات نشرت بليبيا في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها⁽¹⁾

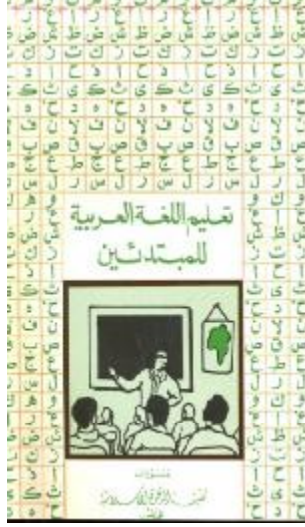
1 - الاستعداد للقراءة والكتابة (كتاب مبتدئ)، للدكتور عبد الله عبد الحميد سويد، دار الكتب الوطنية، 1990 - 1991م.

2 - امتحان القدرة اللغويّة لغير الناطقين بالعربية (إقلاع)، النموذج (أ)، للدكتور سعدون إسماعيل السويح، والدكتور محمّد منصف القماطي، والدكتور عبد الحميد عبد الله الهرّامة، كلّية الدعوة الإسلاميّة، طرابلس الغرب، لا ط. لا ت.



(1) هذه القائمة وفق ما وصل إليه علمي من المؤلفات التي نشرت بليبيا، وقد ضمّ كتاب: المرجع في تعليم اللغة العربيّة للناطقين بلغات أخرى (ببليوغرافيا عامّة)، الصادر عن المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، بتونس 1995م. العديد من الكتب المؤلفة في تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، سواء بالعربية، أم بوساطة لغات أخرى، ص 132 - 153، وقد اشتملت قائمة الكتب المؤلفة بالعربيّة بغير وساطة لغة أخرى العديد من المؤلفات، ص 132 - 137، ولم يرد فيها من المؤلفات الليبية السابقة لنشر الببليوغرافيا المذكورة سوى كتاب: العربيّة لغير العرب، للدكتور عبد الله سويد، والدكتور أحمد سمير بيبيرس، وقد أشير إليه في طبعة عام 1981م.

- 3 - تعليم اللغة العربيّة للمبتدئين (الكتاب الأوّل من سلسلة تعليم اللغة العربيّة)، [تأليف: لجنة من المختصّين]، منشورات كليّة الدعوة الإسلامية، طرابلس الغرب، ط. 2، 1992م.



- 4 - تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها (الكتاب الثاني من سلسلة تعليم اللغة العربيّة)، [تأليف: لجنة من المختصّين]، منشورات كليّة الدعوة الإسلامية، طرابلس الغرب، ط. 2، 1992م.

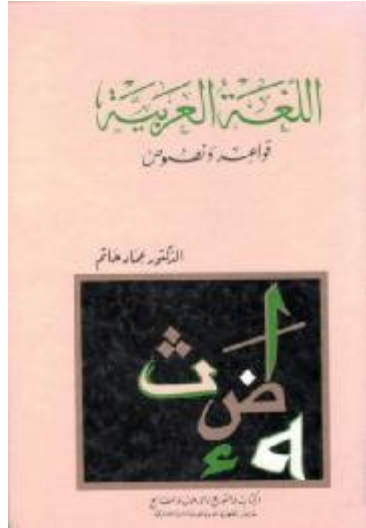
- 5 - تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها (الجزء الثالث من سلسلة تعليم اللغة العربيّة للأجانب)، [تأليف لجنة من المختصّين]، منشورات كليّة الدعوة الإسلامية، طرابلس الغرب، ط. 2، 1992م.

- 6 - الطريقة السمعية البصرية لتعليم العربيّة، للدكتور عبد الله عبد الحميد سويد (بالاشتراك).

- 7 - العربية لغير العرب، للدكتور أحمد سمير بيبرس، والدكتور عبد الله سويد، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا - تونس، ط. 2، 1984م.



8 - اللغة العربية: قواعد ونصوص، للدكتور: عماد حاتم، ط. 1، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1979م. ط. 2، 1980م. ط. 3، منشورات الكتاب للتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس الغرب، 1982م.



9 - اللغة العربية لغير المتكلمين بها، للدكتور بشير محمد زقلام، منشورات جامعة طرابلس، ط 1، 2010م.



10 - اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، الجزء الأوّل، (كتاب معلميّ)، للدكتور محمّد منصف القماطيّ، ط. 1 منشورات جامعة طرابلس، 2001م. ط. 2 خاصّة، 2019م.

11 - اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، الجزء الثاني، (كتاب معلميّ)، للدكتور عبد الله عبد الحميد سويد، منشورات جامعة طرابلس، ط. 1، 1992م.



12 - اللغة العربيّة لغير الناطقين بها (ثلاثة أجزاء)، ألفه وراجعته: أ. عبد اللطيف أحمد الشويرف، أ. رجب الهادي ضياف، د. محمّد خليفة الأسود، د. مسعود عبد الله الوازني، أ. نوري عليّ شريته، منشورات جمعيّة الدعوة الإسلاميّة، طرابلس الغرب، ط. 2، 1999م.



مصادر الدراسة ومراجعها:

- 1 - القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- 2 - بعض الأخطاء اللغوية لدى متعلّمي العربية الأجنب، دراسة تحليلية، للدكتور: محمد منصف القماطي، كتاب: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: قضايا وتجارب، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1992م.
- 3 - التجربة الليبية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، للدكتورة خديجة البدوي، كتاب: المؤتمر الدولي للتعليم في ليبيا، المنعقد بكلية الآداب بجامعة مصراتة في الفترة من 28 - 29 من مارس 2018م، الجزء الأول.
- 4 - تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير، إعداد حميدة محمد فرج، قسم اللغة العربية، أكاديمية الدراسات العليا، ليبيا، 2010م.
- 5 - تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ليبيا، مركز الشهداء أنموذجاً، قراءة في المحتوى اللغوي والثقافي لمقرّر المركز، للدكتور محمد عمر بن حسين، كتاب: المؤتمر الدولي للغة العربية، المنعقد في ديبوك في الفترة من 27 - 29 من ذي القعدة 1434هـ الموافق 3 - 5 من أكتوبر 2013م، الجزء الثالث.
- 6 - تعليم اللغة العربية للعاملين من غير الناطقين بها، تجربة ليبية، للدكتور: محمد منصف القماطي، ندوة: تعليم اللغة العربية للعمال الأجانب في الوطن العربي، الدوحة، في الفترة من 24 - 26 من ديسمبر 1996م.
- 7 - جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، للأستاذ الدكتور محمد مصطفى بن الحاج، صحيفة الدعوة الإسلامية، جمعية

الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، العدد 1431، (17 من شهر رجب، 1436هـ / الموافق 6 من مايو 2015م)، والعدد 1432، (24 من شهر رجب، 1436هـ / 13 من مايو 2015م).

8 - دليل الخبراء العرب في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1994م.

9 - السيرة الذاتية للدكتور محمد منصف القماطي، حصل الباحث على نسخة منها من أرشيف لجنة السلامة اللغوية بمجمع اللغة العربية بليبيا.

10 - اللغة العربية في الأمم المتحدة، للأستاذ عبد الستار محفوظ، مقالة، موقع اليوم العالمي للغة العربية على الإنترنت: <https://www.un.org/ar/events/arabiclanguageaday/history.shtml>، بتاريخ 25 / 2 / 2020م.

11 - اللغة العربية لغير الناطقين بها (كتاب معلمي)، الجزء الأول، للدكتور محمد منصف القماطي، ط 1، منشورات جامعة طرابلس، 2001م، وط 2، خاصة، 2019م.

12 - اللغة العربية لغير الناطقين بها (كتاب معلمي)، الجزء الثاني، للدكتور: عبد الله عبد الحميد سويد، منشورات جامعة طرابلس، ط 1، 1992م.

13 - المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى (ببليوغرافيا عامة)، إعداد الدكتور د. محمود إسماعيل الصيني، ورضا الطيب الكشو، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، لا ط. 1995م.

14 - مقابلات الباحث للدكتور محمد منصف القماطي في بيته وغيره في فترات مختلفة.

15 - مقترحات لتذليل الصعاب في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، للدكتور محمد منصف القماطي، ندوة التربية الإسلامية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية، بالاشتراك مع وزارة التعليم الماليزية، وإدارة الشؤون الدينية بسلطنة ترنقانو، سلطنة ترنقانو، في الفترة من 15 19 من ذي القعدة 1405 هـ 2 6 من أغسطس 1985م.

أدييات

مُتَفَاعِلُنْ وَمُفَاعَلَتُنْ تَفْعِيلَتَانِ لَيْسَتَا أَصِيلَتَيْنِ

(دراسة في علم العروض العربي)

أ. د. هنية علي يوسف الكاديكي

(عضو المجمع)

مقدمة

1 - نعرف أَنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض العربي - (عاش من 100هـ / إلى 175هـ، على التقريب) - قد افترض وحدات أكبر من المتحركات والسواكن سَمَّاها الأسباب والأوتاد ثم افترض التفاعيل والأشطار والأبيات، وذلك عندما وضع نظريته العروضية المتمثلة في نظام الدوائر العروضية؛ فجعل دوائره الخمس تقوم على أساس التفاعيل التي تحوي الأوتاد والأسباب، والأوتاد جعلها نوعين هما الوجد المجموع والوجد المفروق. والوجد هو اجتماع ثلاثة أحرف أحدها ساكن؛ فالمجموع متحركان ثالثهما ساكن مثل (عِلُنْ) أو (عِلَا) أو (مَفَا)، والمفروق متحركان يتوسطهما ساكن مثل (مَاتَ) أو (نَصُرُ) أو (فَاع). أمَّا السبب فهو اجتماع حرفين أولهما متحرك، وجعله نوعين أحدهما سبب خفيف أوله متحرك وثانيه ساكن؛ إمَّا ساكن صحيح مثل (لَو) أو (قَدْ)، وإمَّا مدَّ لمتحرك مثل (بُو) أو (فِي) أو (فَا)، وثانيهما سبب ثَقِيل - وهو اجتماع حرفين أيضاً - أولهما متحرك وثانيهما متحرك كذلك مثل (لَكَ) أو (مَعَ) أو (مُتَ) في مُتَفَاعِلُنْ.

2 - رأت بعض الدراسات الحديثة في علم العروض إحلال المَقْطَع محلَّ السبب مقتنعة بأنَّ الطريقة الصوتية الحديثة القائمة على المقاطع «كفيلة بتسهيل عروض

الخليل»⁽¹⁾، ومدركة أنّ «الانطلاق من التكوين المقطعي للأوزان الشعرية المختلفة سيسدُّ ثغرة واضحة تتمثل في صعوبة ربط الدارسين بين التفعيلة وبين ما يقابلها من مقاطع كلمات البيت المراد التعرف على وزنه»⁽²⁾، بل هناك من رأى أنّ أساس الوزن في اللغات المختلفة إمّا أن يكون عدد المقاطع أو (كمّ) المقاطع أو التّبر المقطعي أو النغمة المقطعية؛ وهذا يعني أنّ الأوزان المعروفة في لغات البشر بعامة - كما قال - تعتمد على المقطع⁽³⁾.

3 - المَقْطَعُ:

هو ظاهرة صوتية لها أساس عضوي؛ فهو «تشكيل بسيط من الأصوات يكون بمفرده أو باشتراكه مع غيره من المقاطع كلمات اللغة... ويتفق في تكوينه مع إيقاع التنفس الطبيعي للإنسان»⁽⁴⁾، وهو عند د. عبد المنعم الزبيدي⁽⁵⁾: أصغر وحدة صوتية لغوية في النطق، وهو في الشعر العربي ثلاثة أنواع: مقطع قصير، ومقطع طويل، ومقطع شديد الطول، وذلك كما بدا للباحثة من خلال تقطيعه للأبيات الشعرية في كتابيه (مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي) و(مقدمة لدراسة الغزل العذري)، علماً بأنّه قد استقى هذه الطريقة الصوتية القائمة على المقاطع من المستشرقين الذين استعملوها في دراساتهم، ومنها مقالاتهم في دائرة المعارف الإسلامية، وذكرها جويار في كتابه (نظرية جديدة في العروض العربي)، ترجمة منجي الكعبي، (ص 14 من المقدمة وص 37 وص 44)، وذكرها

(1) عز الدين التّوخي، إحياء العروض، ص 3.

(2) رفعت الفرنواني، وظيفة المقطع الصوتي في موسيقا الشعر العربي، ص 17.

(3) علي يونس، نظرة جديدة في موسيقا الشعر العربي، ص 23 (بتصرف).

(4) رفعت الفرنواني، وظيفة المقطع، ص 13، نقلاً عن تعريب ودراسة د. عبد الصبور شاهين (بالنصّ تقريباً)

لكتاب برتيل مالمبرج، ص 164، وينظر علي يونس، نظرة جديدة، ص 20.

(5) للدكتور الزبيدي - الذي كان عضو هيئة تدريس في مادة العروض والقافية بقسم اللغة العربية بآداب بنغازي، كما كان مشرفاً على أطروحة الباحثة لنيل درجة الدكتوراه - فضلٌ كبير عليها عندما نبّهها على طريقة التقطيع العروضي بالمقاطع الصوتية.

د. صفاء خلوصي في كتابه (فن التقطيع الشعري والقافية)، (ص 1)، وذكرها إيفالد قبلهما في القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد عرف العرب المقطع قبل هؤلاء المُستشرقين؛ فالأخفش (ت 215هـ. تقريباً) قد حدّد المقاطع في العربية قبلهم جميعاً من دون أن يذكر مصطلح المقطع صراحةً، وذلك في كتابه (العروض) الذي صدر بتحقيق د. أحمد محمد عبد الدايم عبد الله (ص 123). ولكن كتاب (الجامع في العروض والقوافي) الذي صَنّفه أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي (ت 362هـ)، وحَقَّقَه وقَدَّم له د. زهير زاهد والأستاذ هلال ناجي، جاء يحمل إلينا أن «دقة المَصْنَف في تصنيف المقاطع اللغوية قد وَضَحَ لنا أنَّ اللغويين العرب وأولهم الخليل بن أحمد واضع علم العروض كانوا يدركون المقاطع اللغوية بدءاً بأصغر مقطع⁽¹⁾.... عندما قال: «فالكلام أصوات مؤلّفة، وأصل الأصوات الحركة، وأطول منها الحرف الساكن، لأنَّ الحركة لا تكون إلّا في حرف، والحرف المتحرك أطول من الحرف الساكن لأنَّه حرف وحركة؛ فالمتحرك حُرْفٌ حيٌّ، والساكن حُرْفٌ ميّت»⁽²⁾، وقال: «اعلم أنَّ الحرف الخفيف هو الساكن، والحرف الثقيل هو الحرف المتحرك؛ لأنَّ الساكن هو حرف فقط وهو الخفيف، والمتحرك هو حرف وحركة وهو الثقيل»⁽³⁾، فقد أدرك أبو الحسن العروضي المقطع اللغوي مبكراً بإدراكه أنَّ الحرف الساكن أخفُّ من الحرف المتحرك؛ لأنَّ المتحرك يتألف من صوتين الساكن والحركة.

وربما كان ابن جَنِّي (ت 392هـ)، يقصد المقطع الصوتي عندما قال: «إنَّ الحركات أبعاض حروف المدِّ واللين»⁽⁴⁾؛ لأنَّ الحركة لا بدَّ لها من حرف كي يغدو متحرّكاً، وهي بذلك تكون حركة قصيرة تتحوّل إلى مقطع طويل إذا مُدَّت حركتها بأحد حروف المدِّ،

(1) العروضي، الجامع، ص 19 من مقدمة المحقّقين.

(2) المرجع نفسه، ص 56.

(3) المرجع نفسه، ص 79.

(4) ابن جَنِّي، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق أحمد فريد أحمد، ص 28.

وربما هذا ما دعاه إلى كتابة أو إملاء التفاعيل بحسب مقاطعها في كتابه المعنون (العروض)، فقد وردت تفعيلتا (مستفعِلن) و(مفاعيلن) على صورة (مُسْ تَفْ عِلُنْ) و(مفاعي لن) في مخطوطة مكتبة (فيّنا) ورقة (2 ب) - لهذا الكتاب - التي يرجع نسخها إلى القرن الثاني عشر الهجري عام 1130هـ.

ف(مُسْ) و(تَفْ) و(عِيْ) و(لُنْ) عبارة عن أسباب خفيفة؛ والسبب الخفيف في نظام المقاطع عبارة عن مقطع طويل (متحرك وساكن)؛ رمزه خط قصير مستعرض (-)، و(مَفَاً) و(عِلُنْ) عبارة عن أوتاد مجموعة، والوتد المجموع في نظام المقاطع عبارة عن مقطع قصير يتلوه مقطع طويل ورمزه (ب) باء غير منقوطة وحُطِيط مستعرض. أمّا السبب الثقيل فهو عبارة عن مقطعين قصيرين مثل كلمة (لَمْ) و(مُ تَ) و(عَ لَ) في تفعيلتَي (مُتَفَاعِلن) و(مَفَاعِلْتُنْ) ورمزه (ب ب)، وأمّا الوتد المفروق فهو عبارة عن مقطع طويل يتلوه مقطع قصير مثل كلمة (تَحْتِ) و(فَاجِ) ورمزه (- س).

4 - التفعيلة:

هي وحدة إيقاعية مركبة في الشعر العربي، ويصحُّ انشطارها إلى جزأين هما ما يُعرف عند الخليل بالسبب والوتد، والسبب ينتابه تغيير يعرف بالزحاف الذي يُعدُّ تغييراً في مقاطع التفعيلة، ومنها تفعيلات صُغرى هي (فاعِلن) و(فعولن)، وتفعيلات كبرى هي (مَفَاعي لُنْ) و(فاعلاَتُنْ) و(مُسْ تَف عِلن):

(1) فاعِلُنْ = فاعِلُنْ = (فَاً) (-) سبب = مقطع طويل و (عِلُنْ) (-) = وتد وهي تفعيلة صغرى (سبب واحد ووتد).

(2) فَعُولُنْ = فَعُولُنْ = (فَعُوْ) لُنْ = (فَعُوْ) (-) = وتد و (لُنْ) = (-) سبب = مقطع طويل وهي تفعيلة صغرى (وتد وسبب واحد).

(3) (مَفَاً) عِيْ لُنْ = مفا (-) = وتد، و (عِيْ) = (-)، (لُنْ) (-) سببان = مقطعان طويلان وهي تفعيلة كُبرى (وتد وسببان).

(4) فَاعِلَاتُنْ = فَا(عِلَا) تُنْ = (فَا) = (-) = سبب = مقطع طويل. و(عِلَا) = (ب -) وتد، و(تُنْ) = (-) = سبب = مقطع طويل أي سببان = مقطعان طويلان، وهي تفعيلة كبرى (وتد وسببان أحدهما قبله والثاني بعده).

(5) مُسْتَفْعِلُنْ = (مُس) = (-) = سبب = مقطع طويل و(تَف) = (-) = سبب = مقطع طويل (ب -) و(عِلُنْ) = (ب -) وتد، وهي تفعيلة كبرى (سببان = مقطعان طويلان ثم وتد).

وهي - عند الباحثة - تفعيلات أصيلة. ولكن هناك تفعيلات أخرى ذكرها الخليل هي (متفاعِلن) و(مُفَاعِلَتُنْ) و(مفعولاتُ) و(فَاع لا تن) تعرّضت الباحثة بالدراسة والبحث (لِمَفْعُولَاتُ) و(فَاع لا تن) و(مستفع لن) في مقالات سابقة منشورة. وستعرّض الباحثة في هذه الدراسة لتفصيلتي (مُتفاعِلن) و(مُفاعِلتن) بعونه تعالى.

أولاً. (مُتفاعِلُنْ تفعيلة لَيْسَتْ أصيلة)

تفعيلة (مُتفاعِلُنْ) هي تفعيلة كبرى (سُباعية الحروف عند الخليل) على أساس احتوائها على وتد وسببين، الأول منهما سبب ثقيل (مُ ت) يتلوه سبب خفيف (فا) ثم يأتي بعد السببين الود مجموعاً (عِلُنْ)، ورمزها في نظام المقاطع ب - (ب -)، حيث سمّاها الخليل تفعيلة الكامل وجعلها تتكرر في بحر أسماه بحر الكامل، ووضعه مع بحر الوافر الذي يعتمد تفعيلة (مفاعَ لَ تُنْ) مكررة فيه ضمن دائرة واحدة جعلها الثانية في نظامه العروضي وأسماها اعتماداً على احتواء بحريها على السبب الثقيل بدائرة (المؤتلف)، وقاس الخليل بحر الكامل على:

(مُتفاعِلن. مُتفاعِلن. مُتفاعِلن) مرتين، حيث وقع السبب الثقيل أولاً فيه. وقاس بحر الوافر على:

(مفاعِلتن. مفاعِلتن. مفاعِلتن) مرتين، حيث وقع السبب الثقيل ثانياً بعد الود.

وستقتصر الباحثة الدراسة على التوسع في التفعيلة التي أسماها الخليل تفعيلة الكامل (مُتَكَامِلُنْ = مُتَفَاعِلُنْ)، وجعلها متفردة بوقوعها في بحر واحد سمّاه باسمها لا تقع في غيره هو (بحر الكامل). على أن تقتصر الباحثة في تقطيعها على نظام المقاطع وحده في جميع حالات البحر وغيره.

بحر الكامل عند الخليل:

يأتي هذا البحر تاماً ومجزوياً.

أولاً - التام:

يأتي في عدّة قوالب من الوزن تبعاً لتنوع العروض والضرب:

(1) (أ) إذا كانت العروض صحيحة والضرب صحيحاً⁽¹⁾:

مثل مطلع مطولة لبيد بن ربيعة العامري:

عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا			يَمْنَى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا		
عَفَّتِ دِيَارُهَا	رُمَّ حُلُّهَا	فَمَقَامُهَا	بِمَنْ تَأَبَّدَ	غَوْلُهَا	فَرَجَامُهَا
(ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب)
مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ
(ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب)
(عروض)	(عروض)	(عروض)	(عروض)	(عروض)	(عروض)

العروض صحيحة وضربها كذلك على وزن (مُتَفَاعِلُنْ).

(ب) العروض صحيحة (مُتَفَاعِلُنْ) والضرب مقطوع⁽²⁾ (مُتَفَاعِلُنْ)،

ومثاله قول امرئ القيس:

(1) العروض: هي آخر تفعيلة في الشطر الأول من البيت الشعري (الصدر)، والضرب: هي آخر تفعيلة في الشطر الثاني من البيت الشعري (الْعَجَز).

(2) القَطْع: علة نقص تعني حذف ساكن الوجد المجموع وإسكان ما قبله، فتتحول (مُتَفَاعِلُنْ) إلى مُتَفَاعِلْ. والعلة تغيير في شكل التفعيلة مختص بثواني الأسباب وغيرها واقع في عروض البيت وفي ضربه بشرط التصريح. وإذا وقع في الضرب فإنه يلزم؛ أي إذا وقع في ضرب أول بيت في قصيدة فإنه يلزم في سائر أضرب أبياتها. والعلة لا تدخل في حشو البيت. وهي نوعان: علة بالزيادة وعلة بالنقص.

وَاِذَا أُذِيتْ بِبَلَدَةٍ وَدَعَتْهَا			وَلَا أُقِيمُ بِغَيْرِ دَارٍ مُّقَامٍ		
وإذا أذى	تُ بَلِّ دَتْنُ	وَدْعُ تْ هَا	وَلَا أَقِي	مُ ب عَي ر دَا	رِمُ قَامِي
ب -	ب - ب - (- ب)	- - (- ب)	ب - (- ب)	ب - ب - (- ب)	ب - ب - -
- (- ب)					
مُتْ فَا عَلْنُ	مُتْ فَا عَلْنُ	مُتْ فَا عَلْنُ	مُتْفَعْلُنُ	مُتْ فَا عَلْنُ	مُتْ فَا عَلْنُ
		(زحاف)	(زحاف)		علة قطع

(ج) العروض صحيحة والضربُ أَحَدٌ مُضْمَرٌ (الْحَدُّ عِلَّةٌ نَقْصٌ عبارة عن حذف الوجد المجموع كله من التفعيلة فتصير (مُتَفَا). والإضمار: زحاف مفرد يعني تسكين الثاني المتحرك في (مُتَفَاعِلُن) فتصير (مُتَفَاعِلُن) بإسكان التاء، فيصير الضرب على وزن (مُتْ فَا).

ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة:

وَلَقَدْ حَفَظْتُ وَمَا نَسِيتُ مَقَالَهَا			عِنْدَ الرَّحِيلِ: هَجَرْتَنَا حُبِّي		
وَلَقَدْ حَفَظَ	تْ وَمَا نَ سِي	تْ مَ قَا لَ هَا	عِنْدَرَجِي	لِ هَجَرْتَنَا	حُبِّي
ب - ب - (- ب)	ب - ب - (- ب)	ب - ب - (- ب)	- - (- ب)	ب - ب - (- ب)	- -
مُتْ فَا عَلْنُ	مُتْ فَا عَلْنُ	مُتْ فَا عَلْنُ	مُتْ فَا عَلْنُ	مُتْ فَا عَلْنُ	مُتْ فَا
			(زحاف)		أحد مضمر
					علة + زحاف

(2) إذا كانت العروض حَذَاءً على وزن (مُتْ فَا) نجد لها صَرَبَيْنِ هما:

(أ) ضَرْبٌ أَحَدٌ مثلها على وزن (مُتَفَا):

مثالها قول الشاعر أبي العتاهية:

أَلَمَوْتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرِكٌ			لَا سَوْقَهُ يَبْقَى وَلَا مَلِكُ		
أَلَمَوْتُ بَيْنَ	نَلْ خَلْقِ مُشْ	تْ رَكُنْ	لَا سَوْقُ تُنْ	يَبْقَا وَلَا	مَلِكُ
- - (- ب)	- - (- ب)	ب -	- - (- ب)	- - (- ب)	ب -
مُسْ تَفْ عَلْنُ	مُسْ تَفْ عَلْنُ	مُتْ فَا	مُسْ تَفْ عَلْنُ	مُسْ تَفْ عَلْنُ	مُتْ فَا
زحاف	زحاف	عروض حَذَاءً	زحاف	زحاف	ضرب أحد

(ب) ضرب أَحَدٌ مُضْمَرٌ على وزن (مُتْ فَا).

مثاله قول أبي تمام:

عَيْنِي الدُّمُوعَ وَدَامَ لِي وَجْدِي			وَرَزَقْتُ مِنْكَ الْعَطْفَ مَا حَمَلْتُ		
وَجْدِي	عَ وَ دَا مَ لِي	عَيِّ يَنْدُ دُمُو	حَ مَ لْتُ	كَلَّ عَطْفَ مَا	وَرَزَقْتُ مَنْ
--	ب - ب - (ب -)	-- (ب -)	ب - ب -	-- (ب -)	ب - ب - (ب -)
مُتَّ فَا	مُتَّ فَا عَلَن	مُسْ تَف عَلَن	مُتَّ فَا	مُسْ تَف عَلَن	مُتَّ فَا عَلَن
ضرب أحد مضمَر		زحاف	عروض حَدَّاء	زحاف	

ثانياً: الكامل المجزوء:

ويتكوّن من أربع تفعيلاتٍ بدل سِتّ تفعيلات في التّام:

مُتَّفَاعِلَن. مُتَّفَاعِلَن. مُتَّفَاعِلَن. مُتَّفَاعِلَن.

وقياسه العروضي على أربع صور العروض فيها جميعها صحيحة، أمّا الضرب فيجيء على أربع صور هي:

أ - العروض صحيحة والضرب صحيح مثلها - ومثالها قول ابن أبي ربيعة:

حَيِّي الرَّيَّابَ وَتَرَبَّهَا		أَسْمَاءَ قَبْلَ ذَهَابِهَا	
حَيِّي يَرْبَا	بِ وَ تَرْبِهَا	أَسْ مَا قَبْ	لِ ذِهَا بِهَا
-- (ب -)	ب - ب - (ب -)	-- (ب -)	ب - ب - (ب -)
<u>مس تَف عَلَن</u>	<u>مس تَف عَلَن</u>	<u>مس تَف عَلَن</u>	<u>مس تَف عَلَن</u>
زحاف	عروض صحيحة	زحاف	ضرب صحيح

فالعروض والضرب هنا على وزن (مُتَّفَاعِلَن).

(ب) العروض صحيحة والضرب مُرَقَّل:

والتّرفيل: عِلَّةُ زيادةٍ تكون بزيادة سبب خفيف (متحرك وساكن) على ما آخره

وتد مجموع:

مُتَّ فَا عَلَنُ + تُنْ = مُتَّ فَا عَلَنُ تُنْ = مُتَّ فَا عَلَا تُنْ

= ب - ب - (ب -) -

مُسْ تَفْ عَلَنُ + تُنْ = مُسْ تَفْ عَلَنُ تُنْ = مُسْ تَفْ علا تُنْ

= -- (ب -) -

ومثاله قول عمرو بن مَعْدِيكَرَب:

وَبَقِيَتْ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا		ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبُهُمْ	
لَسَ سَيِّ فَرْدًا	وَبَقِيَتْ مِثْلَ	نَ أَحْبَبُ هُمْ	ذَهَبَ لَ ذِي
-- (- ب) -	ب ب - (- ب)	ب ب - (- ب)	ب ب - (- ب)
مُسْ تَفَ عَلَانُ	م تَ فَا عَلَن	مُ تَ فَا عَلَنُ	م تَ فَا عَلَن
ضرب مُرْقَلٍ مزاحف			

(ج) العَرُوضُ صَحِيحَةٌ وَالضَّرْبُ مُذَالٌ أَوْ مُذَلِّلٌ:

والتَّذْيِيلُ: عِلَّةٌ زِيَادَةٌ تَكُونُ بِزِيَادَةِ حَرْفٍ سَاكِنٍ عَلَى مَا آخِرُهُ وَتَدْمُجُ:

مُ تَ فَا عَلَنُ + نَ = مُ تَ فَا عَلَنُ نَ = مُ تَ فَا عَلَانُ

ب ب - (- ب) + نَ = ب ب - ب ب

حيث (لَا نَ) مقطوع شديد الطول رمزه | وهو مقطوع طويل (-) يتعامد عليه خط طولي يعلوه سكون عند الباحثة.

ومثاله قول أبي فِرَاسٍ الحَمْدَانِي:

كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذِهَابٍ		أَبْنَيْتِي لَا تَجْزَعِي	
مِ لَا ذِهَابٍ	كُلُّ لُلْ أَنَا	لَا تَجْزَعِي	أَبْنَيْتِي تِي
ب ب - (- ب)	-- (- ب)	-- (- ب)	ب ب - (- ب)
م تَ فَا عَلَانُ	مَسْ تَفَ عَلَن	مُسْ تَفَ عَلَن	م تَ فَا عَلَن
ضرب مُذَالٍ	زحاف	زحاف	

(د) العَرُوضُ صَحِيحَةٌ وَالضَّرْبُ مُقْطَوِعٌ (عَلَى وَزْنِ مُتَّفَاعِلٍ).

مثاله:

فَتَكَّتْ بِهِ الْوَجَنَاتُ؟		أَفَأَنْتَ أَوَّلُ مُغْرِمٍ	
وَجَنَاتُ	فَتَكَّتْ بِهِ	وَأَوَّلُ مُغْرِمٍ	أَفَأَنْتَ أَوَّلُ
-- ب ب -	ب ب - (- ب)	ب ب - (- ب)	ب ب - (- ب)
مُ تَ فَا عَلَنُ	مُ تَ فَا عَلَنُ	مُ تَ فَا عَلَنُ	مُ تَ فَا عَلَنُ
ضرب مُقْطَوِعٍ			

وقد سَمَّى الخليل ما يدخل من الزحاف على هذا البحر:

أ - الإضمار: وهو زحاف مختصّ بالكامل دون غيره من البحور يعني إسكان ثاني السبب الثقيل من التفعيلة (مُ تَ فا علن) فتتحول إلى (مُتَ فاعلن) وهو (مُسَ تف علن). والإضمار «يدخل على الأعاريض والأضرب ومع الترفيل والتذييل⁽¹⁾. في الكامل. وهذا يعني أَنَّ (مُ تَ فا علن) يغلب إضمارها فيه.

ب - الوقص: وهو حذف ثاني السبب الثقيل فتتحول (مُ تَ فا علن) إلى (مَ فَاءَ علن) وهو جائز قليلاً «ويجوز فيه قليلاً الوقص»⁽²⁾. وقد لاحظ د. صابر عبد الدائم «أَنَّ هذا التغيير شاذٌ ونادر الوجود في تفعيلة بحر الكامل»⁽³⁾.

ج - الطّي: وهو حذف رابع التفعيلة متى كان ساكناً وثاني سبب مثل الألف في (متفاعلن) فتصير مُتَفَعِلُنْ.

د - الحزل: وهو زحاف مركّب أو مزدوج يجمع بين الإضمار والطّي «كإسكان التاء وحذف الألف من (متفاعلن) فتصير (مُتَفَعِلُنْ) بإسكان التاء. وهذا التغيير نادر الاستعمال في موسيقا بحر الكامل»⁽⁴⁾.

وهذا يعني أَنَّ الخليل قد جعل هذه التفعيلة بتكرارها - كما رأت الباحثة - إمّا بصيغة (مستفعلن) وإما بصيغة (متفاعلن) - وزناً مغايراً للرجز بتفعيلته (مستفعلن) أسماء البحر الكامل، على الرغم من أَنَّ المقياسين أي الصيغتين كثيراً ما يردّان في القصيدة الجاهلية الواحدة من دون الإحساس بأنّ أحدهما يبدو غريباً أو مغايراً للآخر، فلم يكن الشاعر الجاهلي يلتزم دائماً بهذا التغير الطفيف في مقياس الرجز، من ذلك قول عنترة ابن شداد في قصيدته اللامية:

(1) السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ص 54 (الهامش).

(2) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

(3) صابر عبد الدائم، موسيقا الشعر العربي بين الثبات والتطور، ص 73.

(4) المرجع نفسه والصفحة 75.

إِيتِي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبَسٍ مُنْصَبًا			شَطْرِي وَأَحْمِ سَائِرِي بِالْمَنْصِلِ		
إِنْ نِمَ رَأْنُ	مِنْ خَيْرٍ رَعَبٌ	سِنَّ مِنْ صِ بَنٌ	شَطْرِي وَأَخ	مِي سَائِرِي	بَلْ مِنْ صُ لِي
-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)
مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ

إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرُرُ، وَإِنْ يَسْتَلْحِمُوا			أَشْدُدُّ، وَإِنْ يُلْقُوا بِصَنْكِ أَنْزِلِ		
إِنْ يَلْ حَ قُو	أَكْرُرُ وَإِنْ	بِسْ تَلْ حَ مُو	أَشْدُدُّ وَإِنْ	يُلْ قَوْبَ صَنْ	كِنْ أَنْ زِلِي
-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)
مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ

ووحداتهما الإيقاعية جميعاً بمقياس (مُسْ تَفْ عِلْنُ)، والبيتان من قصيدة يعدها أصحاب العروض على الكامل، ومطلعها:

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رُسُومِ الْمَنْزِلِ			بَيْنَ اللَّكِيكِ وَبَيْنَ ذَاتِ الْحَرَمِ ⁽¹⁾		
طَالَ ثَ وَأَ	أَعْ لَا رُسُو	مِلْ مِنْ زِلِي	بَيْنَ لُ كِي	لِ وَبَيْنَ ذَا	تِلْ حَرَمَ لِي
-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)
مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ

ومن أبياتها ما يكون خمُسٌ من وحداتها الإيقاعية على مقياس الرجز:

حَتَّى اسْتَبَاحُوا آلَ عَوْفٍ عُنُوءَ			بِالْمَشْرِفِيِّ وَبِالْوَشِيحِ الدَّبَلِ		
حَتَّ كَسَتْ بَا	حَوَّ آلَ عَوُ	فَنَ عُنْ وَكُنْ	بَلْ مَشْرِفِي	ي وَبَلْ وَشِي	جَذُّ بَلِي
-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)
مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ

أو تكون وحدات الشطر الثاني جميعاً على مقياس الرجز:

وَإِذَا الْكُتَيْبَةُ أَحْجَمَتْ وَتَلَاخَظَتْ			أَلْفَيْتُ خَيْرًا مِنْ مُعِمِّ مَخُولِ		
وَإِذْلَ كَتَيْ	بَتْ أَحْ جَ مَتْ	وَتْ لَاحَ ظَتْ	أَلْ فِي ثَ خَي	رَنْ مِنْ مُ عَم	مِنْ مَخُولِي
-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)	-- (ب -)
مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ	مُسْ تَفْ عِلْنُ

(1) الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 430، ويُنظر ص 214.

وفي قصيدته المشهورة بالمعلّقة نجد الظاهرة نفسها⁽¹⁾.

ومن النادر أو الشاذ أن نجد بيتاً على الكامل تفعيلاته كلها على قياس (مُ ت فاعلن). من هذا النادر مطلع مطوّلة لبيد بن ربيعة العامري:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا⁽²⁾

على هذا تكون قصيدتا عنتره بتفعيلاتها المختلفة على مقياس الكامل ومقياس الرجز معاً، بينما لا نستطيع أن نقول إن مطوّلة لبيد على مقياس الكامل التام أو الخالص اعتماداً على مطلعها؛ فالبیت الثاني منها:

فَمَدَافُغُ الرِّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا			خَلَقًا كَمَا صَمِنَ الْوُحَى سِلَامُهَا		
فَ م دَ أَ ف عُرْ	رَئِ يَ أَ نْ عُرْ	رِ يَ رَسْ مُ هَا	خَ لَ قَنَ كَ مَا	صَ م نَلْ وَحًى	يَ سَ لَ أ مُ هَا
ب - ب - (-)	-- (-)	ب - ب - (-)	ب - ب - (-)	ب - ب - (-)	ب - ب - (-)
مُ ت فاعلن	مُسْ تَفْ علن	مُ ت فاعلن	مُ ت فاعلن	مُ ت فاعلن	مُ ت فاعلن

من هذا كله نعرف أن التفعيلتين كُبرَيَانِ قوام كل منهما سببان يتلوها وتد مجموع إحداها سبباها خفيفان أو مقطعاها طويلان هي مُسْ تَفْ عِلْنُ والثانية سبباها أولهما ثقيل (مُ ت) وثانيهما خفيف (فا) أي هي تفعيلة (مُ ت فاعلن) التي نستطيع أن نعدّها في حقيقتها تفعيلة (مُسْ تَفْ عِلن) التي تُساوي (مُتْ فاعِلْنُ) فالفارق بينهما طفيف ولكن الخليل قيّد هذا التغير بأن جعل (مُ ت فاعلن) يغلب إضمارها - كما رأينا - فتتحول بالزحاف إلى (مُتْ فاعلن) وهي (مُسْ تَفْ عِلن) ولا يحدث العكس وهذا معناه أن (مُ ت فاعلن) تفعيلة أصيلة و(مُسْ تَفْ عِلن) تفعيلة بديلة كما أحب الشيخ جلال الحنفي أن يسميهما استناداً على ما جاء عن الخليل من أن (مستفعِلن) أصل في الرجز وفتح في الكامل⁽³⁾.

ولكن الأمر يختلف عندما نعرف « أن الرجز من أقدم البحور العربية أو لعله

(1) الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 430.

(2) سبق تقطيعه في ص (6) من هذه الدراسة.

(3) جلال الحنفي، العروض: تهذيبه وإعادة تدوينه، ص 390 (بتصرف).

أقدمها عهداً⁽¹⁾، وأن تفعيلة الكامل لم يوردها الخليل في أي بحر آخر عدا ما أسماه الكامل بينما كرّر تفعيلة الرّجز في دوائره كلها بشكل أو بآخر مما شجّع الجوهري على القول بأن « كل بيت رُكّب من مستفعلن فمن الرّجز هو، طال أو قُصّر »⁽²⁾ جاعلاً السريع والكامل والبسيط والرّجز والمنسرح والمقتضب مجموعة واحدة نستطيع أن نسميها مجموعة الرّجز وقد عدّ د. الزبيدي هذه البحور بحوراً رجزية وإنما هي رجز مركّب أو معتلّ⁽³⁾ ونَبّه التّنوخي وغيره على أنّه «يكون من المعقول أن نُلحق الكامل بالرجز.. لأنّ حركة واحدة طرأت على السّين في (مُستفعلن) لا تكفي لجعلهما مُتَبَايِنَيْنِ»⁽⁴⁾ فقد كانت تفعيلة الرّجز (مُستفعلن) معرّضة لِتَغْيِرَاتٍ طفيفة لا تؤثر كثيراً في طبيعة الإيقاع العام أو تنحرف به عن مجراه، ولا تعدو هذه التغيّرات أن تكون تقصيراً لمقطع من المقاطع الطويلة على ألا يكون هذا المقطع تالياً للمقطع القصير⁽⁵⁾، وذلك لأنّ المقطع القصير الذي يتلوه الطويل عبارة عن وتد، والتد لا يتعرض للزحاف «ومن هذه التغيّرات الطفيفة... تحويل المقطع الطويل الأول في وحدة الرّجز... إلى مقطعين قصيرين، ومعناه عند الخليل تحويل السبب الخفيف إلى سبب ثقيل»⁽⁶⁾، والغريب أنّ هذا التحوّل الطفيف «يقود في وحدة الرّجز إلى تغيّر مهمّ يضطر الشاعر أو المغنّي إلى المحافظة عليه أو إعادته مرة واحدة على الأقلّ في كل شطر، وربما كان سبب ذلك أنّه يحدث في أول الوحدة الإيقاعية أو التفعيلة فيؤدي إلى بُطء ملحوظ في حركتها. وقد دفع هذا التغير الطفيف بالخليل إلى أن يعتبر الوزن الذي يأتي فيه وزناً خاصاً غير الرّجز سمّاً الكامل»⁽⁷⁾. فالذي حدث عند د. الزبيدي - والباحثة على رأيه - عكس الزحاف.

(1) الشيخ التّنوخي، إحياء العروض، ص 97.

(2) الجوهري، عروض الورقة ص 12.

(3) ينظر الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 28.

(4) التّنوخي، إحياء العروض ص 97، وينظر: إبراهيم أنيس، موسيقا الشعر، ص 64.

(5) الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 30.

(6) وهذا لا يصحّ عنده لأنّه عكس الزحاف الذي يحوّل السبب الثقيل إلى الخفيف عن طريق تسكين ثانيه المتحرك.

(7) الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 30-31.

إنّما هو انحلال للمقطع الأول من (مُسْ تف علن) تفعيلة الرجز إلى مقطعين قصيرين، أي:

مُسْ تَفْ عِلُنْ: - - (ب -) ينتابها انحلال في المقطع الطويل الأول منها

(1) (مُسْ) = (-) ينحلّ إلى ب = ب = مُ س = مُ ت.

ويبقى المقطع الطويل الثاني كما هو.

(2) (تَفْ) وهي (فا) مع بقاء الوتد في مكانه (ب -) عِلُنْ

∴ مُ س تَفْ علن = مُ ت فا علن = ب - ب - (ب -).

وهذا ما عبّر عنه أحد الباحثين المعاصرين بقوله «المقطع الطويل يساوي أو يقارب مقطعين قصيرين في إحساس السامع، ولهذا لا نشعر بفارق زمني بين (متفاععلن) و(مُسْ تف علن)»⁽¹⁾. وقد أشار هذا الباحث إلى أنّ الزحاف ما «لا يؤدي إلّا إلى تفاوت يسير بأن يجعل المقطع الطويل مُنَاطِراً لمقطعين قصيرين متتاليين وهو يساويهما أو يقاربهما زمنياً. ولكن النظام الكميّ يقوم على عدد من المقاطع وأنواعها وترتيبها لا على كم التفعيلة بجملة، ومن هنا يأتي الشعور بالتفاوت ولكنه تفاوتٌ يسيرٌ لا يهدم النسق»⁽²⁾.

وعلى هذا رأى د. الزبيدي في هذا البحر - الذي أسماه الخليل بحر الكامل - نوعاً من الرجز أسماه (الرجز الكامل)، فالكامل رجز فيه شيء من الاتّساع والهدوء وذلك بسبب انحلال المقطع الطويل الأول في وحدة الرجز الإيقاعية (التفعيلة) إلى مقطعين قصيرين مما يساعد على بُطء حركة الإيقاع وهدوئه ولكنه يبقى رجزاً في كل الأحوال؛ أي أنّ فيه شيئاً من السرعة والجيشان والشدة والعنف، وهو لذلك يردّ عليه أغلب الشعر الحماسي

(1) علي يونس، نظرة جديدة في موسيقا الشعر العربي، ص 123 في الهامش رقم (1)، وقد أشار د. سيد البحراوي في كتابه (العروض وإيقاع الشعر العربي)، ص 114 إلى أنّ الزحاف هو الذي يؤدي إلى جعل مقطعين قصيرين مقطّعاً طويلاً وذلك إمّا بتسكين متحرك أو حذف ساكن أو متحرك (بتصرف).

(2) المرجع نفسه، ص 34.

بمواقفه المختلفة وما يتعلق بذلك من انفعالات وعواطف وأحوال نفسية وعقلية⁽¹⁾.

وقد عدّ الشيخ جلال الحنفي الرجز أصل الأنواع العروضية⁽²⁾، وهذا ما أجمع عليه غيره من الباحثين؛ فالشيخ عز الدين التَّنُوخي منذ عام 1946م، عدّ الرجز والكامل والسريع بحرًا واحدًا⁽³⁾، كما عدّ «الرجز للشعر العربي أساساً لأنه أقدمه عهداً لقربه من السجع بمجزؤه ومنهوكه اللذين تغنى الحُداة والسُّقاة بهما... (كما) جعلنا السريع... من الرجز»⁽⁴⁾، كما عدّ د. عبد الصاحب المختار الرجز والسريع والمنسرح وغيرها بحوراً رجزية⁽⁵⁾، ود. بدير متولي حميد الذي عدّ الرجز والكامل المُضمر متساويين مُنِهاً على أنّه يحدث فيهما الاشتباه كثيراً⁽⁶⁾.

قد يتساءل أحدٌ عن كيفية التعرف على هذا القياس عند التعرض لتقطيع أحد الأبيات. والجواب بسيط ينحصر في اهتمامنا أول الأمر في التفعيلة الأولى؛ فإذا كانت (مُسْ تف علن) - - (ب -) أي أن وتدها المجموع يقع في آخرها (عِلُنْ ب -) فنحن في نطاق المجموعة الأولى مجموعة الرجز الإيقاعية بتفعيلته (مُسْ تَرِ جِرُنْ = مُسْ تف علن).

أمّا التفعيلة الثانية فتحدد اسم البحر؛ فإذا كانت (فاعلن - (ب -) فالبحر إمّا الرجز البسيط بشرط تكرار التفعيلتين (مُسْ تف علن / فاعلن) مرة أخرى في الشطر الواحد، إلّا في مخلّع الرجز البسيط الذي يحتوي شطره الواحد على ثلاث تفعيلات فقط، الثالثة فيه على وزن (فعولن (ب -) -) أو (مَفْ عُولُنْ - - -). أمّا إذا حدث انحلال في المقطع الطويل الأول من التفعيلة الأولى أو الثانية أو الثالثة في أي شطر من شطري البيت إلى مقطعين قصيرين:

- (1) ينظر الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 31.
- (2) ينظر جلال الحنفي، العروض، تهذيبه وإعادة تدوينه، ص 487.
- (3) ينظر التَّنُوخي، إحياء العروض، ص 98.
- (4) المرجع نفسه ص 115 (كما) إضافة يقتضيها السياق. وينظر الحنفي ص 489.
- (5) ينظر د. عبد الصاحب، دائرة الوحدة، ص 62.
- (6) ينظر بدير متولي حميد، مميزات الشعر، ص 80.

مُسْ تَفْ علن ← ^{انحلال مقطع} مُ سَ تَفْ علن وهي مُ تَ فا علن
 - - (ب) ← ^{انحلال مقطع} ب ب - (ب) - وهي ب ب - (ب) - وذلك بوضع خط تحت
 التفعيلة ويكتب انحلال مقطع.

(مُتَفَاعِلُنْ هي مُتَكَامِلُنْ) فالبحر إذن هو الرجز الكامل.

فتفعيلة الكامل - عند الباحثة - رجز بتفعيلته (مُسْ تَفْ علن) فيه شيء من
 الاتساع والهدوء ولهذا عدّتها تفعيلة أصلها (مُسْ تف علن) ولم تذكرها ضمن التفاعيل
 الأصلية.

ثانياً. تفعيلة (مُفَاعَ لَ تُنْ) ليست أصيلة!!

هي عبارة عن تفعيلة كُبرى - سباعية الحروف عند الخليل - يتقدمها الوتد
 المجموع (مُفَا) فيأتي أولاً يتلوه سببان أولهما سبب ثقیل (عَ لَ) وثانيهما سبب خفيف
 (تُنْ) ورمزها (ب-) مُفَا، (ب ب) عَ لَ، (-) تُنْ = مُفَاعَ لَ تُنْ = (ب -) ب ب -

بمعنى أنّها في حقيقتها تفعيلة الهَزَج (مَفَاعِي لُنْ) التي تقدم وتدها على سببها،
 والفارق بينهما أنّ الأولى سببها الأول ثقیل (ب ب) بينما الثانية سببها الأول خفيف (-)،
 ولكن تفعيلة (مُفَاعَ لَ تُنْ) وهي تفعيلة الوافر عند الخليل، يدخلها زحاف العَصْب
 «وهو إسكان اللام من (مُفَاعَ لَ تُنْ) فتصير (مُفَاعَ لَ تُنْ) وهي مفاعي لن»⁽¹⁾ ويدخل «في
 العروض والضرب المجزوءين، وفي الحشو، وهو حسن يستسيغه الدّوق»⁽²⁾.

مُفَاعَ لَ تُنْ ← ^{بالزحاف} مُفَاعَ لَ تُنْ = مَفَاعِي لُنْ (وهي تفعيلة الهَزَج)
 (ب -) ب ب - ← ^{بالزحاف} (ب -) - - = مَفَاعِي لُنْ

ولمّا كان الرجز والرّمل والهَزَج أوزاناً تشكّل «أوزان الغناء الأولى عند العرب»⁽³⁾،

(1) التّنوخي، إحياء العروض، ص 62. (2) المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

(3) الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 15.

وكان الخليل قد قدّم الهَزَج على الرجز والرمل في الدائرة التي أسماها دائرة المجتَلَب نظراً لتقدّم الوتد المجموع تفعيلته فقد عدّه ابن السَّرَاج «أصل دائرة المجتَلَب»⁽¹⁾، ولمّا كان الهَزَج «لا يستعمل إلّا مجزوءاً»⁽²⁾، والوافر فيه الجُزء أيضاً، فإنّ «العرب لم تكن تميّز بين ما يسميه العروضيون الوافر المجزوء وما يسمونه الهَزَج»⁽³⁾، وهذا يعني أنّ الهَزَج ومجزوء الوافر بحر واحد، فيرى د. عبد الله الطيب الهَزَج ضرباً من الوافر المجزوء⁽⁴⁾ كما رأى فيه الزمخشري ذلك؛ وذلك عندما نقل محقق القسطاس (في هامش ص 39) منه عن حاشية الأصل «هذا الوزن - أعنى مفاعِلتن - والذي يليه - أعنى متفاعِلن - يقعان أصيلين دائماً، ولا يقعان فرعاً أصلاً، فإذا وجدنا قصيدة طويلة مثلاً وجميع أجزائها (مفاعِلين) وجزء من أجزائها (مفاعِلتن) حملنا الجميع على (مفاعِلتن) لكونه يقع أصلاً دائماً...»⁽⁵⁾، وكذلك فعل عز الدين التَّنُوخي عندما قرّر أنّ «بحر الهَزَج وزن من الوافر، معصوب العروض والضرب»⁽⁶⁾، بينما رأى جلال الحنفي عكس ذلك عندما قال: «ولعلّ الوافر كان حقيقةً أن يقال له أول بُزُوغه من الهَزَج (الهَزَج الوافر) ثم استقلّ بالتسمية»⁽⁷⁾، وأورد في هامش (ص 117) من كتابه قوله «حاول بعض العروضيين طمس معالم الهَزَج وعدّه تابعاً من توابع الوافر، في حين أنّ الوافر هو الذي ينبع من الهَزَج؛ فما يصحّ أن ينقلب الأصل فرعاً»⁽⁸⁾، كما عدّ الدكتور أحمد مستجير «الوافر شكلاً مُحَوَّراً من أشكال الهَزَج»⁽⁹⁾.

(1) ابن السَّرَاج الشنتريني، المعيار في أوزان الأشعار، تحقيق د. محمد رضوان الداية، ص 54.

(2) الزمخشري، القسطاس في علم العروض، تحقيق د. قباوة ص 95.

(3) عبد الله الطيب، المرشد ص 105.

(4) المرجع نفسه، ص 104.

(5) الزمخشري، القسطاس في علم العروض، ص 39 في الهامش رقم (1).

(6) التَّنُوخي، إحياء العروض، ص 66.

(7) جلال الحنفي، العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، ص 115.

(8) المرجع نفسه، ص 117 الهامش رقم (1).

(9) أحمد مستجير، مدخل رياضي إلى عروض الشعر العربي، ص 72.

ومثلما رأى د. الزبيدي أنّ تفعيلة الرجز قد تتعرّض لتغيّرات طفيفة لا تؤثر كثيراً في طبيعة الإيقاع العام، منها تحويل المقطع الطويل الأول في وحدة الرجز إلى مقطعين قصيرين، رأى كذلك أنّ تفعيلة الهَزَج قد يتحول فيها المقطع الطويل الثاني إلى مقطعين قصيرين⁽¹⁾، و«إذا جاء الشطر الواحد (من وزن الهزج) بثلاث وحدات كانت الوحدة الثالثة بمقياس (فعولن / مفاعي) أي بحذف المقطع الأخير من الوحدة الأساسية، وهو ما يسميه أصحاب العروض القدماء الوافر خطأً، متابعين الخليل بن أحمد الذي قاده دوائره العروضية الفلكية إلى أوضاع وتمحّلات نظرية رياضية لا وجود لها في الشعر العربي»⁽²⁾، فالذي حدث هو انحلال للمقطع الطويل الأول بعد الوتد إلى مقطعين قصيرين. وعندما استنتج الدكتور الفرنواني من قول ابن جنّي «إنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين»⁽³⁾ أنّ «الحركة الطويلة تساوي كميّاً حركتين قصيرتين»⁽⁴⁾ لعلّه، كان يقصد ما حدث في تفعيلة (مفاعي لن) التي انحَلّ المقطع الطويل الأول منها - بعد الوتد الذي جاء أولاً - بحركته الطويلة (عي) إلى (عَ يَ) مكوّناً (مُفاعَ يَ لُنْ) وهي (مفاعَ لَ ثُنْ) التي سبّبت وفرة في متحركات الوزن؛ فلو فرة حركاته سمّاه الخليل الوافر⁽⁵⁾.

وإن كان هناك من الباحثين المعاصرين من عدّ الوافر نوعاً من الهزج أسماه الهزج الوافر⁽⁶⁾، وهناك من أقرب بأنّ المتقارب أصل البحر الوافر، وذلك في قوله عن العروضيين والوافر «لو أنّهم قد التفتوا لمكان (فعولن) من هذا الوزن المستعمل لأدركوا أنّ أصله من المتقارب لا من الوزن المُفتعل (مفاعَلَتْن. مفاعَلَتْن. مفاعَلَتْن) وحقيقته:

فَعُولُ فَعُو / فَعُولُ فَعُو / فَعُولُ فَعُو / فَعُولُ فَعُو / فَعُولُ فَعُو / فَعُولُ فَعُو.

(1) الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 30 - ص 31 (بتصرف).

(2) المرجع نفسه، ص 30.

(3) ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق أحمد فريد أحمد، ص 28.

(4) الفرنواني، وظيفة المقطع الصوتي، ص 96.

(5) التّنوخي، إحياء العروض، ص 60 (بتصرف).

(6) ينظر الزبيدي، مقدمة الشعر الجاهلي، ص 427.

فهو متقارب كله كما ترى»⁽¹⁾.

بينما عدّ الدكتور الزبيدي الوافر هزجاً تاماً حدث فيه قَصْر، ولَمَّا كان الهزج يحدث بتكرار تفعيلته (مفاعي لن)، وهي عنده (فعولن لُن) كما في الطويل، فإنّ الهزج في حقيقته متقارب أطيل إطالة محدّدة⁽²⁾، ولَمَّا كان الجوهرى قد نصّ على أنّ «كل بيت رُكِب من مستفعلن فمن الرجز هو طال أو قَصْر»⁽³⁾، ثم أفسح المجال لمن يأتي بعده بقوله «وعلى هذا قياس سائر المفردات من البحور»⁽⁴⁾. وعدّ الدكتور الزبيدي مجموعة الهزج هي المجموعة التي تكوّن مع مجموعتي الرّجَز والرّمَل الأوزان التي تمثّل أوزان الشعر العربي كله⁽⁵⁾، فهذا يعني أنّه من الممكن القول «كل بيت رُكِب من (فاعلاتن) فمن (الرّمَل) هو طال أم قصر»، كما أنّه من الممكن أن نقول «كل بيت رُكِب من (مفاعيلن) فمن الهزج هو طال أو قَصْر»، على أساس أنّ الرجز والرمل والهزج أنماط من الشعر كانت تؤلف أوزان الغناء العربي الأولى المستعملة آنذاك في غناء الحُداة والرّعاة وهم يسوقون الإبل والمطى⁽⁶⁾.

ومجموعة الهزج تتركب بحورها التي تنضوي تحتها من تفعيلة الهَزَج (مفاعي لن = مَهَا زِي جُن) وهي تفعيلة كُبرى - كما عرفنا - تعتمد على وتد مجموع أتى أولاً أعقبه مقطعان طويلان أو سببان خفيفان = (ب - مَفَا، - عِي، - لُن). وهذا يعني أنّ هذه التفعيلة في حقيقتها تفعيلة المتقارب (قَ رِي بُن = فعولن) التي تبدأ بتد مجموع (ب -) فعو، أعقبه مقطع طويل (-) لُن، أضيف إليها مقطع طويل آخر:

$$\text{فعولن} + \text{لن} = \text{فعولُن لُن} = \text{مَفَاعِي لن} = (\text{ب} -) -$$

(1) عبد الله الطيب، المرشد، ص 330. وينظر ص 104 و ص 362.

(2) ينظر الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 417.

(3) الجوهرى، عروض الورقة، ص 12.

(4) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

(5) ينظر: الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 15، ص 28.

(6) ينظر المرجع نفسه، ص 15.

أي أن فعو = مفا وهو الوند المجموع الذي جاء أولاً.

فعو = مفا

$$(- ب) = (- ب)$$

وهذا يعني - أيضاً - أنّ تفعيلة المتقارب في حقيقتها هي تفعيلة الهزج نقص من آخرها مقطع طويل أو سبب خفيف:

«مفاعي لُن» ← نقص لن = مفاعي = فعولن

$$(- ب) - - - - - ← نقص (-) = - (- ب) = - (- ب) -$$

بحر الهزج الوافر:

قياسه في دائرة الخليل الثانية التي أسماها دائرة المؤتلف:

(مفاعلتن. مفاعلتن. مفاعلتن) مرتين

ولكن ما ورد على هذا البحر من الشعر لا يأتي على هذا القياس، وإنما يأتي على

(مُفَاعَلْ لُتُنْ. مُفَاعَلْ لُتُنْ. فَعُولن) مرتين.

وهذا يعني أنّ العروضيين (قد أوجبوا علينا أن نعتقد أنّ (مفاعلتن) السباعية هي أصل (فعولن) لأنّ المقياس الأصلي الذي أحكمته الدائرة يتألف من (مفاعلتن) ست مرات؛ فالعروض والضرب إذن على (مفاعلتن)، وهُنا أخذوا في تشذيب (مفاعلتن) حتى تصير (فعولن)، فسَلَطُوا عليها من العلل الحذف، فأسقطوا منها السبب الخفيف (تُنْ) فصارت (مُفَاعَلْ)، ورأوا أنّها لا تكون على وزن (فعولن) إلا بتسكين اللام فَسَكَّنُوهَا....⁽¹⁾.

ولكن مقياس الواقع الشعري الذي تأتي فيه تفعيلتا الضرب والعروض على صورة

(1) التنوخي، إحياء العروض، ص 65.

(فعولن) «أصيل في غريزة العربي»⁽¹⁾؛ وذلك لأنَّ مقياس الخليل الذي أملته عليه دائرة المؤتلف قد نآى الشعراء القُدَامى عنه «فهم لم يفعلوا ذلك ولم يستعذبوه بفطرتهم»⁽²⁾.

ويأتي الهزج الوافر تاماً ومجزوئاً:
أولاً- التام:

قياسه: (مفاعِلْتُنْ. مفاعِلْتُنْ. فعولن) مرتين.

مثاله:

وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتِ بَيْتِي			أَغْيَابُ رِجَالِكِ أَمْ شُهُودُ		
وَلَسْتُ بِسَا	إِلَيْنِ جَارَا	تَبِيَّتِي	أَغْيَا يَا بُنْ	رِجَالُ لِكْ أَمْ	شُ هُوْدُوْ
(- ب - ب - ب)	(- ب - -)	(- ب -)	(- ب - -)	(- ب - ب -)	(- ب -)
مُفَاعَلْ لُتُنْ	مُفَاعِي لُنْ	فَعُولن	مُفَاعَلْ لُتُنْ	مُفَاعِي لُنْ	فَعُولن
انحلال مقطع			انحلال مقطع		

ومثاله الآخر من القصيدة نفسها:

سَرَى لَيْلًا خَيْالٌ مِنْ سُلَيْمَى			فَأَرْقَنِي وَأَصْحَابِي هُجُودُ		
سَرَا لَيْ لُنْ	خَا يَا لُنْ مِنْ	سُ لَيْ مَا	فَأَرْقَا نِي	وَأَصْحَابِي	هُجُودُوْ
(- ب - -)	(- ب - -)	(- ب -)	(- ب - ب -)	(- ب - -)	(- ب -)
مُفَاعِي لُنْ	مُفَاعِي لُنْ	فَعُولن	مُفَاعَلْ لُتُنْ	مُفَاعِي لُنْ	فَعُولن
			انحلال مقطع		

الْحُظَات:

1 - لحظت الباحثة أنَّ تفعيلتي الشطر الأول الأولى والثانية من البيتين قد تأتيا إحداهما أو كلتهما إما على (مفاعَلْ لُتُنْ) وإما على (مفاعِي لُنْ) وكذلك الأمر في الشطر الثاني.

2 - ولحظت أنَّ التفعيلة الثالثة في أيِّ من الشطرين (في البيتين) هي (فعولن) التي يستطيع التعبير عنها بالتفعيلة الناقصة (مفاعِي) وهي تفعيلة يجب ورودها ثلاثة في الهزج الوافر التام دائماً.

(1) المرجع نفسه والصفحة ذاتها. (2) المرجع نفسه، ص 66.

وهذا يعني أنّ المقياس يجوز فيه أن يتحول (مفاعي لن) إلى (مفاعَ لَ تُن) بتحوّل السبب الخفيف (عي) إلى سبب ثقيل (عَ لَ) أي يجوز أن ينحلّ المقطع الطويل إلى مقطعين قصيرين. ولما كانت (مفاعي لن) هي تفعيلة (الهزج (ب) - -) فإنّ انحلال سببها الخفيف بمتحركه وساكنه: عي / 0 إلى سبب ثقيل (متحرك ومتحرك: عَ لَ وهي عَ ي //) - مكوّنًا تفعيلة (مُفاعَ لَ تُن: مُ ف ا / عَ لَ تُ ن // 0⁽¹⁾ // 0- يسبّب وفرة في متحركاته « فَلَوْفُور حركاته سُمِّي... الوافر».(2)

ومن الباحثين الذين عدّوا الوافر نوعاً من الهزج أسماء الهزج الوافر الدكتور الزبيدي، وذلك عندما عدّ هذا المقياس تطوراً من الهزج قائلاً: «ومن الأمثلة التي تدلّ على تطور الوافر من الهزج الأبيات الآتية لبشر بن أبي خازم الأسدي، وهي من قصائد يعتبرها أصحاب العروض على الوافر:

رَعَى سَلَمَى بِحُسْنِ الْوَصْلِ رَاعٍ			(1) دِيَارُ أَفْقَرَتْ مِنْ آلِ سَلَمَى		
دِيَارُ رُنْ أَقَى	فَ رَثَ مِنْ أَا	لِ سَلْ مَا	رَعَا سَلْ مَا	بِ حُسْنِ لِي وَصْ	لِ رَاعِي
--(ب)	--(ب)	--(ب)	--(ب)	--(ب)	--(ب)
مفاعي لن	مفاعي لن	مفاعي لن	مفاعي لن	مفاعي لن	مفاعي لن
فعولن	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن

(2) وَأَنْكَاسٌ عَدَاةَ الرُّوعِ كُشِفُ			إِذَا مَا الْبَيْضُ خَلَيْنَ الْخُدُورَا		
وَأَنْ كَا سُنْ	عَ دَا تَرُوْ	عَ كُشْ فُنْ	إِذَا مَلْ بِيْ	ضَ خَلْ لِي نَلْ	خُ دُورَا
--(ب)	--(ب)	--(ب)	--(ب)	--(ب)	--(ب)
مفاعي لن	مفاعي لن	مفاعي لن	مفاعي لن	مفاعي لن	مفاعي لن
فعولن	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن

(1) بحسب الرمز الخليلي الشرطة المائلة ترمز إلى المتحرك، والدائرة الصغيرة ترمز إلى الساكن، وبذلك تتوالى ثلاثة متحركات.

(2) التنوخي، إحياء العروض، ص 60.

بِأَسْيَافٍ يُقْصِمْنَ الظُّهُورَا			(3) وَسَعْدًا قَدْ ضَرَبْنَا هَامَ سَعْدٍ		
ظْ هُوْرَا	يُ قَصْمُ نَظْ	بِ أَسْ يَا فِنْ	مَ سَعْدٍ	ضَ رَبَّنَا هَا	وَسَعْدٌ قَدْ
(ب - -)	(ب - -)	(ب - -)	(ب - -)	(ب - -)	(ب - -)
مَفَاعِي	مَفَاعِي لُنْ	مَفَاعِي لِن	مَفَاعِي	مَفَاعِي لُنْ	مَفَاعِي لُنْ
فعولن			فعولن		

ضِبَاعَ الْجَوِّ فِيهِمُ النُّسُورَا			(4) وَكَمْ مِنْ جَمْعٍ قَوْمٍ قَدْ تَرَكْنَا		
نُ سُورَا	وَفِيهِمْ وَنْ	ضَ بَاعَ عَلْ جَوْ	تَ رَكْنَا	عَ قَوْمٍ قَدْ	وَكَمْ مِنْ جَمْ
(ب - -)	(ب - -)	(ب - -)	(ب - -)	(ب - -)	(ب - -)
مَفَاعِي	مَفَاعِي لُنْ	مَفَاعِي لِن	مَفَاعِي	مَفَاعِي لُنْ	مَفَاعِي لُنْ
فعولن			فعولن		

وفي الشعر الجاهلي أبيات كثيرة جداً لبشر بن أبي خازم ولبيد بين ربيعة والنابعة الذبياني وغيرهم يصح أن تضاف إلى هذه الأبيات إذ لا توجد فيها سوى تفعيلة واحدة على مقياس (مفاعِلْ تَنْ وهي مفاعي لن (ب - - -)⁽¹⁾.

وقد سمى الدكتور الزبيدي هذا النوع من الهزج «الهزج الوافر»⁽²⁾ جاعلاً أوزان هذا الهزج الوافر على «أحد الأنحاء الآتية:

- 1 - مفاعلتن. مفاعي لن. مفاعي  مفاعيلن. مفاعي لن. مفاعي
- 2 - مفاعي لن. مفاعلتن. مفاعي  مفاعي لن. مفاعي لن. مفاعي
- 3 - مفاعي لن. مفاعلتن. مفاعي  مفاعلتن. مفاعي لن. مفاعي
- 4 - مفاعي لن. مفاعي لن. مفاعي  مفاعي لن. مفاعلتن. مفاعي»⁽³⁾.

وقد نجد في البيت الواحد تفعيلتين أو أكثر على مقياس (مُفَاعِلْ تَنْ) فيكون على الهزج الوافر أيضاً وذلك من مثل قول قيس بن الخطيم:

(1) الزبيدي، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، ص 431.

(2) ينظر المرجع نفسه، ص 382.

(3) ينظر المرجع نفسه، ص 432.

وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ			وَلَا مُزِرٍ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ		
وَلَيْسَ بِ نَأ	فِي عَنْ ذَلْ بُخْ	لِ مَأْلُنْ	وَلَا مُزِرُنْ	بِ صَاحِبِ هِيسْ	سَخَاءُ و
(ب - ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب)
مفاعى ل ن	مفاعى لن	مفاعى	مفاعى لن	مفاعى ل تن	مفاعى
انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن	انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن

وقول حسان بن ثابت:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ			فَشَرُّ كُفٍّ لِيَخْبِرَ كَمَا الْفِدَاءُ		
أَتَهْجُوهُ	وَلَسْتُ تَلْ هُوَ	بِ كُفٍّ إِنْ	فَشَرُّ كُفٍّ مَأْ	لِي خَبِيْرُكُ مَلْ	فِي دَأْءُ وُ
(ب - ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب)
مفاعى لن	مفاعى ل تن	مفاعى	مفاعى ل تن	مفاعى ل تن	مفاعى
انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن	انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن

وقول الصِّمَّةِ الْقَشِيرِيِّ:

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمٍ عَرَّارٍ نَجْدٍ			فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَّارٍ		
تَمَتَّعَ مِنْ	شَمِيمٍ م عَرَّارٍ	رِئِجٍ دُنْ	فَمَا بَعْدَ دَلْ	عَشِيَّةٍ ي ت مِنْ	عَرَّارٍ رِي
(ب - ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب)
مفاعى لن	مفاعى ل تن	مفاعى	مفاعى لن	مفاعى ل تن	مفاعى
انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن	انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن

أَلَا يَا حَبْدًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ			وَرَيَا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقِطَارِ		
أَلَا يَا حَبْ	بَ ذَا نَ فَ حَا	تُ نَجْدٍ دُنْ	وَرَيَا رَوْ	ضِهِ بَعْدَ دَلْ	قِطَارِ رِي
(ب - ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب)
مفاعى لن	مفاعى ل تن	مفاعى	مفاعى لن	مفاعى لن	مفاعى
انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن	انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن

وقول الفرزدق:

نِدِمْتُ نِدَامَةً الْكِسْعِيِّ لَمَّا			غَدِبْتُ مَيِّ مِطْلِقَةٍ نَوَارٍ		
نِدِمْتُ نَ دَا	مِثْلُ كُ س عِي	ي لَم مَ	غَدِبْتُ مَيِّ	مِثْلُ لَ ق تَن	نَوَارٍ رُو
(ب - ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب - ب)	(ب - ب)
مفاعى لن	مفاعى ل تن	مفاعى	مفاعى لن	مفاعى ل تن	مفاعى
انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن	انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن

وَكَاثَتْ جَتَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا			كَادَمَ حِينَ لَجَّ بِهِ الصَّرَارُ		
وَكَاثَتْ جُنْ	نَ تِي فَ خَ رَجْ	تُ مِنْ هَا	كَأَدَمَ حِي	نَ لَجَّ جَ بَ هِضْ	ضِ رَا رُوْ
(- ب) -	(- ب) ب -	(- ب) -	(- ب) ب -	(- ب) ب -	(- ب) -
مفاعى لن	مفاع ل تن	مفاعى	مفاع ل تن	مفاع ل تن	مفاعى
انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن	انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن

وَكُنْتُ كَفَاقِي عَيْنِي عَمْدًا			فَأَصْبَحَ لَا يُضِيءُ لَهُ النَّهَارُ		
وَكُنْتُ كِ فَا	قَا نْ عِي نِي	وَعَمْدُنْ	فَأَصْبَحَ لَا	يُضِيءُ أَلْ هُنْ	نَ هَا رُوْ
(- ب) ب -	(- ب) -	(- ب) -	(- ب) ب -	(- ب) ب -	(- ب) -
مفاع ل تن	مفاعى لن	مفاعى	مفاع ل تن	مفاع ل تن	مفاعى
انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن	انحلال مقطع	انحلال مقطع	فعولن

ثانياً. المجزوء:

وهو إما على قياس:

مفاعى لن / مفاع ل تن

ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة:

تَرَاءَتْ لِي لِتَقْتُلَنِي		فَصَادَنِي وَلَمْ أَصِدْ	
تَ رَأَتْ لِي	لِ تَقْتُلَ نِي	فَ صَادَتْ نِي	وَلَمْ أَصِ دِي
(- ب) -	(- ب) ب -	(- ب) -	(- ب) ب -
مفاعى لن	مفاع ل تن	مفاعى لن	مفاع ل تن
انحلال مقطع	انحلال مقطع	انحلال مقطع	انحلال مقطع

وإما على قياس:

مُفَاعَ لَ تْنُ / مفاع ل تن

ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة:

بَعَثْتُ وَلِيدَتِي سَحْرًا		وَقُلْتُ لَهَا خُذِي حِذْرَكَ	
بَ عَثْتُ وَئِي	دَ تِي سَ حَ رَنْ	وَقُلْتُ لَ هَا	خُ ذِي حِ ذْرَكَ
(- ب) ب -	(- ب) ب -	(- ب) ب -	(- ب) -
مفاع ل تن	مفاع ل تن	مفاع ل تن	مفاعى لن
انحلال مقطع	انحلال مقطع	انحلال مقطع	انحلال مقطع

وكلاً القياسين مجزوء الهزج الوافر.

ولهذا كله عدت الباحثة تفعيلة الوافر (مفاعَ لَ تُنْ) تفعيلة (فَرَعِيَّة) أو (بديلة) أصلها الذي سرعان ما تعود إليه في النظم تفعيلة (مفاعيُّ لُنْ). ولم تذكرها مع (مُتَفَاعِلن) ضمن التفاعيل الأصلية فتفعليلتا (مُتَفَاعِلن) و(مفاعَ لَ تُنْ) «لا تختلفان عن الألحان الرئيسية (مُسْ تَفْ عِلن) و(مفاعي لن) إلا بالحركة الوقتية المتمثلة بعلامة الفتحة على نقرة خفيفة، فهي إذن موازين فرعية وليست الحركة الطارئة عليها من الحركات الأصلية»⁽¹⁾، ولهذا رأت الخليل «يُرجِع ميزان الكامل إلى الرجز، والوافر إلى الهزج عند الإضمار»⁽²⁾، ولكنه لا يقول بأصلهما الفعلي فيعدُّ الكامل والوافر بحرين ضمّنهما دائرة المؤتلف، أمّا الهزج والرجز فهما بحران حَوّثُهما دائرة المجتلب في نظام دوائره، ليصُدّق الجوهرى في قوله التي برّ بها هذا العمل قائلاً: إنَّ الخليل أراد بكثرة الألقاب الشرح والتقريب!!⁽³⁾.



(1) عبد الصاحب المختار، دائرة الوحدة، ص 44.

(2) المرجع نفسه والصفحة ذاتها (في الهامش).

(3) الجوهرى، عروض الورقة، ص 12 (بتصرف).

ثبت بالمصادر والمراجع

- (1) إبراهيم أنيس (دكتور)، موسيقا الشعر، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1978م.
- (2) أحمد مستجير (دكتور)، مدخل رياضي إلى عروض الشعر العربي، المكتب الدولي للتصوير العلمي - القاهرة، 1987م.
- (3) بدير متولي حميد (دكتور)، ميزان الشعر، ط2، دار المعرفة، القاهرة، 1967م.
- (4) جلال الحنفي، العروض، تهذيبه وإعادة تدوينه، ط. مطبعة العاني، بغداد، 1978م.
- (5) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق أحمد فريد أحمد، ط المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت.).
- (6) الجوهري، أبو نصر إسماعيل، عروض الورقة، تحقيق د. محمد العلمي، دار الثقافة: الدار البيضاء، 1984م.
- (7) رفعت عبد السلام الفرنواني (دكتور)، وظيفة المقطع الصوتي في موسيقا الشعر العربي، ط مكتب الترقيم الدولي، 1977م.
- (8) الزمخشري، محمود بن عمر، القسطاس في علم العروض، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، 1977م.
- (9) السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، 1951م.

- (10) سيد البحراوي (دكتور)، العروض وإيقاع الشعر العربي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م.
- (11) الشنتريني، ابن السراج أبو بكر بن عبد الملك، المعيار في أوزان الأشعار والكافي في علم القوافي، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الأنوار، دمشق، 1968م.
- (12) صابر عبد الدائم (دكتور)، موسيقا الشعر العربي بين الثبات والتطور، ط3، بمكتبة الخانجي بالقاهرة، 1993م.
- (13) عبد الصاحب المختار (دكتور)، دائرة الوحدة في أوزان الشعر العربي، ط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. إدارة الثقافة - تونس، 1985م.
- (14) عبد الله الطيب (دكتور)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط 2 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.
- (15) عبد المنعم الزبيدي (دكتور)، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1980م.
- (16) العروضي، أبو الحسن أحمد بن محمد، الجامع في العروض والقوافي، تحقيق وتقديم د. زهير غازي زاهد وأ. هلال ناجي، دار الجيل، بيروت، 1996م.
- (17) عز الدين التّنوخي، إحياء العروض، ط المطبعة الهاشمية، دمشق، 1946م.
- (19) علي يونس (دكتور)، نظرة جديدة في موسيقا الشعر العربي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م.



جدلية الحياة والموت في قصيدة

ضجعة الموت رقدة

للشاعر أبي العلاء المعري

د. مبروكة محمد علي مدي

(كلية الآداب - جامعة سبها)

المقدمة

حفلت كثير من الدراسات بأدب أبي العلاء المعري شعراً كان أو نثراً، وحرصت تلك الدراسات على التعريف بأدب هذا الأديب، أو إبراز خصائصه الجمالية والفنية التي بها نال الإعجاب والتقدير، إلا أنَّ هناك مساحات جمالية تظل غائبة في أدب أي مبدع تحتاج إلى مزيد من الكشف والبحث، فلكلِّ نصٍّ أدبي طال أو قصر لغته التعبيرية الخاصة التي يسعى كاتبه بها إلى المطابقة بينها وبين دلالات ذاك النصِّ في عدة أمور، لعل أهمها اتساع اللغة، وانفتاح ذاك النصِّ على دلالات ومعان مختلفة، يسعى المتلقي إلى انتاجها، أو التوصل إليها وفق ثقافته الخاصة.

فالشاعر في هذه القصيدة ينطلق من ثلاثة محاور رئيسة بطريقة جدلية: تلك المحاور هي فلسفته للموت، وفلسفته للحياة، والمصير الذي يؤول إليه الجسد. وتحاول هذه الدراسة الوقوف عند هذه الجدلية، وبيان موقف الشاعر من الموت والحياة، وكيفية تشكيله للمعاني الدالة عليها. وقد آثرت الباحثة استخدام المنهج التحليلي في دراسة هذا النص؛ للوقوف عند دلالات اللغة التي استخدمها الشاعر.

جدلية الحياة والموت في قصيدة ضجعة الموت رقدة:

الشعر كما يراه بعض النقاد القدامى مطبوع ومصنوع، والأصل فيه المطبوع⁽¹⁾، والمصنوع ما كان ناتجاً عن استعداد فطري أو عبقرية، أو موهبة يخض الله بها من يشاء من عباده؛ لتكون له قدرة على التفوق والإبداع والفن⁽²⁾، وهي تأتي لامحالة من غير تعلم مسبق؛ لهذا يرى ابن الأثير أن الناس تتباين وتتفاوت في تأليف الكلام المنظوم منه والمنثور⁽³⁾. أما المصنوع فمأخوذ معناه من صنع يصنع صنعاً عمل، والصناعة حرفة الصانع وعمله⁽⁴⁾، وناظم الكلام يمارس نظمه حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له، قال الجمحي: «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات»⁽⁵⁾، فالشعر على هذا الأساس علم وفن، وممارسة ودربة، والطبع وحده غير كاف لإتمام عملية الخلق الشعري، كما أن الممارسة والدربة وحدهما غير كافيتين لإتمام ذاك الخلق، وإنما لابد من اجتماع الاثنين معاً، الطبع والصناعة. يقول ابن الأثير: «اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنثور والمنظوم تحتاج إلى أسباب كثيرة وآلات جمة وذلك بعد أن يركب الله تعالى في الإنسان الطبع القابل لذلك المجيب إليه فإنه متى لم يكن ثم طبع لم تفد تلك الآلات شيئاً»⁽⁶⁾.

فالطبع مقدّم في الانتاج الفني على غيره فهو الذي يهيئ صاحبه للإبداع، ويساعده على التأليف والتفوق على أقرانه «شريطة أن يتعهد بالت تنمية وأن يصقله ويهذب بالدربة والمراس»⁽⁷⁾. إذاً الموهبة تأتي أولاً ولا تأتي إلا عن مهارة، وهي تركز

(1) القيرواني، الحسن ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2004م، ج 1 ص 116.

(2) يعقوب، أميل، وميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، بيروت: دار العلم للملايين مج 1، ص 1221.

(3) ابن الأثير، ضياء الدين، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956، ص 5-6.

(4) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، مادة صنع، ج 27 ص 2508.

(5) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده. ج 1، ص 107.

(6) ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص 6.

(7) يعقوب، أميل، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ج 1، ص 1221.

عادة على البراعة في أساليب التنفيذ والسهولة في الاهتداء إلى العناصر الضرورية في تحقيق الأثر الفني⁽¹⁾، وتلك العناصر المشار إليها هي الأدوات التي عناها ابن طباطبا العلوي عندما قال: وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه وتكلف نظمها فمن تعصت عليه أداة من أدواته، لم يكمل له ما يتكلفه منه، وبأن الخلل فيما ينظمه ولحقته العيوب من كل جهة⁽²⁾، فالشعر على هذا الأساس ليس نظم كلمات في موضوع معين، أو مجرد أبيات يجمعها وزن وقافية، بل هو صناعة يتولى فيها الفكر نظم المعاني وترتيب العبارات والجمل وتهذيبها، وجلب الصور، مع مراعاة العاطفة والعلاقة بين اللفظ والمعنى.

فأصول الشعر عند المتميزين من الشعراء هي: الطبع والموهبة والدربة والمراس. ففي اجتماعها يكمن الإبداع، وبها يكون التمكن والنبوغ، وأبو العلاء المعري هو أحد متميزي عصره، يشهد له بذلك النقاد في القديم⁽³⁾ وفي الحديث⁽⁴⁾، ذاك العصر الذي نضجت فيه العلوم والمعارف المختلفة، وبرزت فيه المؤلفات الوافية في أكثر تلك العلوم، وأبرزت تلك المؤلفات كانت في اللغة وعلومها، وفي التاريخ، والجغرافيا، والفلسفة، والأدب. مما جعل جرجي زيدان يطلق على ذاك العصر العصر الذهبي للعلم⁽⁵⁾، إذ نبغ فيه المفكرون والمشتغلون في العلم والأدب واللغة والفلسفة والطب وسائر العلوم العقلية منها والنقلية، وصادف ذلك أن مَنْ آل إليهم أمر الدولة من الملوك والسلاطين كانوا من محبي العلم، الأمر الذي حبه بعد ذلك للوجهاء والأعيان، فاشتهرت غير أسرة بالعلم

(1) جبور، عبد النور، المعجم الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، 1979م، ص 279.

(2) العلوي، محمد بن طباطبا، عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982، ص 279.

(3) ينظر: مقدمة البطلوسي لشرح سقط الزند، ص 15؛ ومقدمة الخوارزمي لشرح سقط الزند ص 17؛ شروح سقط الزند. تحقيق مصطفى السقا وآخرون، اشراف طه حسين القسم الأول، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1986م؛ البغدادي، الحافظ، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، 1997م، ص 7.

(4) ينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط 11، دار المعارف، ص 378 - 379؛ زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية ج 2، ص 66؛ الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج 2، ص 20.

(5) ينظر: زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج 2، ص 224.

والأدب، فالبويهيون الذين آل إليهم بسط السيطرة والنفوذ على بغداد كانوا من محبي العلم والأدب إذ كانوا «لا يستوزرون ولا يستكتبون إلا العلماء والشعراء والكتاب»⁽¹⁾، وسيف الدولة الحمداني كان أديباً وشاعراً يجيد قول الشعر ويضطرب لسماعه⁽²⁾، كل هذه الأمور أعانت على تكوين شخصية أبي العلاء المعري، إذ ظهر في أسرة برز فيها علماء ولغويون، كما أنّ عبقريته وعدم تمكنه من الرؤية حبّاً إليه التعرف على ما تحويه كتب اللغة والأدب والفلسفة والمنطق والعلوم المختلفة، وربما كانت محاولة منه للتعويض عن النقص، وإثبات الذات ولفت النظر إليه، فحاول بتلك العبقرية التخلص من الطرق التقليدية في نظم الشعر، وأعانه في ذلك طبعه الشعري، وذكاؤه الفذ الذي جعل ألفاظه ومعانيه تتأثر بالرقى العلمي والفكري والحضاري، إذ يروى أنّه نظم الشعر قبل أن يتم الحادية عشرة من عمره، كما أنّ شغفه بالعلم وحرصه على تعلّم اللغة، ومعرفة أسرارها أكسبه قدرة على صياغة الكلام، قال عنه عبد الله الطيب «كان من أقدر خلق الله على النظم، وأعرفهم بوجوه الكلام، وأدراهم بدقائق اللغة»⁽³⁾. فلغة الشعر دائماً تعتمد على شحن الكلمات بالمعاني، تلك الكلمات التي ينبغي لها التعبير عن الفكر والشعور، وذلك بأن تتجاوز الكلمة المستخدمة معناها الحرفي، وتغدو بالطاقة الشعورية والفكرية التي تكتسبها من الاستخدام لتشكيل معان متعددة لها ما يميزها عن غيرها من الكلمات في مثل السياق الذي وضعت فيه، والدلالة التي أوحى بها، وذلك بالنظام المستخدم من قبل الشاعر الذي يحاول به تخطي المؤلف المعتاد، أو بمعنى آخر تتجاوز المعاني المحددة والمباشرة إلى معان أكثر إيحاءً وعمقاً، وأبلغ تصويراً وتأليفاً، وأعذب لحناً وإيقاعاً. وعلى القارئ استكشاف تلك اللغة وإدراك قيمها الجمالية وتقنياتها البلاغية، وتشكلاتها وعلاقاتها من أجل سبر أغوارها للوصول إلى معانيها العميقة.

(1) المرجع نفسه، ص 227.

(2) ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983، ج 1، ص 36.

(3) الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج 2، ط 3، مطبعة حكومة الكويت، 1989م، ص 210.

ومن المصطلحات المستخدمة في الفكر المعاصر مصطلح الجدلية، وهو مصطلح فلسفي جملة وتفصيلاً مأخوذ من كلمة لطالما ترددت كثيراً في زمن أبي العلاء وهي كلمة الجدل وأخذت معنى الحوار، واستقرت في الفكر اليوناني على أساس «تصور الوجود عناصر تناقضية تتصارع متعايشة في صورة دائمة يتحول فيها الشيء إلى نقيضه باستمرار⁽¹⁾، وإذا كان الوجود عناصر تناقضية متصارعة لا نجد غرابة في أن تكون الجدلية أوضح مظهر للمقابلات الفكرية، فالجدل عند هيجل هو «انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما، ثم متابعة ذلك حتى نصل إلى المطلق»⁽²⁾. والمعري تشرب ثقافات عصره المتنوعة وتعايش مع ما اشتمل عليه ذاك العصر من صراع بين المتناقضات والأفكار والأيدولوجيات المختلفة، في وقت كانت فيه الدولة الإسلامية ملتقى للثقافات المتنوعة، والمذاهب المختلفة.

فهذه الصفحات نتاج صحبة لديوان «سقط الزند لأبي العلاء المعري»، تمثلت في دراسة نصّ شعريّ ليس بالمغمور وإنما تعرف عليه أغلب الدارسين من مراحل تعليمهم الأولى، هو قصيدة «ضجعة الموت رقدة»، ومعايشة وملازمة حرصت فيها الباحثة على محاولة مراعاة كل متطلبات ونداءات النص، دون أن تغفل وصله بما تستدعيه تلك النداءات من أفكار العصر ليتم بذلك الربط بين الماضي «النص القديم»، والحاضر بقواعده المنهجية الحديثة، وعملياتها الإجرائية في التحليل، انطلاقاً من مكونات اللغة وقدرتها على التعبير بدقة عن عمق رؤية الشاعر للأشياء واتساع أفقه وخبرته الإبداعية في استخدامها.

إنّ قراءة عجلي لهذا النص تنبئ بأنّه نصّ سلس القياد، واضح الكلمات، منكشف الرموز إذا نحن نظرنا إليه من حيث الموضوع المتناول؛ فقضية الحياة والموت والبعث

(1) يعقوب، أميل، وميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، بيروت: دار العلم للملايين، 1987، مج 1، ص 491.

(2) وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط 2 بيروت: مكتبة لبنان، 1984م، ص 133.

والدين، والوجود والألوهية، وأصل النشأة، وكذلك موضوع الإنسان والأخلاق كلها موضوعات تناولها الشاعر في هذا النص، وبدت واضحة للقارئ، ولكن ما يحتاج إلى البحث والتقصي ليس الموضوع، بل الشعور الذي كان ينتاب المعري وهو يتحدث عن تلك الموضوعات، والطريقة التي سار عليها في انتقاء المفردات.

الافتتاحية:

أول ما يسترعي الانتباه عند قراءة البيت الأول من القصيدة التصريح بالنتيجة التي لم يساوره فيها شك، ألا وهي اللاجدوى أمام سلطة القدر، ولا بد أن يكون شاعر كأبي العلاء قد وصل إلى تلك النتيجة بعد إعمال العقل وتمحيص الأمور «غير مجد»، ثم يعطي خصوصية للنظرة فيما يتعلق بأمرين مهمين يحققان الانسجام مع مجتمع أبي العلاء، أو التصادم معه ألا وهما «الملّة والعقيدة»، دون الإفصاح عن ملّته وعقيدته؛ لأنّ الإفصاح عنهما قد يظهر الاختلاف الذي يقود إلى الخلاف⁽¹⁾ الذي ينكره الشاعر ولا يراه مقبولاً، فالشاعر في هذا باحث عن الحقيقة لا غير، وهو بذلك يشبه الفيلسوف. عندها ينهض التفسير السيكولوجي الجدلي؛ ليكشف عن شعورين يختلجان داخل نفس الشاعر، وهما شعور الحزن والكآبة، وشعور الفرح والسعادة، فالأمر واحد لا يفيد ولا يجدي نفعاً مع أي ملّة أو عقيدة، فالنازلة وقعت ولن يتغير من الأمر شيء.

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكَ وَلَا تَرْتُمُ شَاد⁽²⁾

ونباشر القصيدة بهذه الجدلية النواح والترنم، والباكي والشادي، وبهذه المقابلة

(1) فقد كانت عقيدة ودين أبي العلاء موضع دراسة وبحث وتحري من زمن أبي العلاء إلى يومنا هذا، ومن النزر اليسير وجود كتاب يتناول الحديث عن أبي العلاء دون التعرض لدينه وعقيدته ولم يتفق الباحثون على رأي واحد في ذلك.

ينظر: مجموعة من العلماء القدامى، تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، إشراف طه حسين، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1944، ص 76 وما بعدها، 144 وما بعدها، 210 وما بعدها.

(2) المعري، أحمد بن عبد الله، ديوان سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر، 1957م، ص 7.

بين صوتين «صوت النعيّ وصوت البشير» يكون قد أشار من طرف خفيّ إلى اعتماده على حاسة السمع في نقل الشعورين معاً، شعور الفرح، وشعور الحزن، مقدماً دائماً الحزن على الفرح والسرور، والحسّ على الرؤية. والشاعر أعمى تركيزه على الصّوت يفوق تركيزه على الرؤية، ويمعن ويفصّل في القول بغية الاعتبار، ويعتمد في ذلك على لغة النطق.

وشبيهٌ صوتُ النّعيِّ إذا قيـس بصوتِ البَشِيرِ في كُلِّ نادٍ⁽¹⁾

فالشبيه هو النظير في بعض الوجوه لا الوجوه كلها، لأنّه لو كان من كل الوجوه لكان هو نفسه، وبالتالي هو شبيه لا مثيل⁽²⁾ والبرهان هو القياس.

فالنّعيّ كآبة وحزن = حزن ينفّث على الآخرين حاملاً للحزن.

والبشير: البشر = فرح ينفّث على الآخرين حاملاً للفرح.

فالتشبيه هنا مباشر ونابع من الواقع، يطرب النّفس ويجعلها تتمثله.

إذن ثمة إيقاع، أو توتر تتعاقب فيه حالات من: الفرح والكآبة، الحياة والموت، النور والظلمة، والحيوية والخمول، وهو إيقاع يتخلل القصيدة بالكامل، هذا الطابع الجدليّ تتضح تجلياته في البيت الثالث عندما يميل الشاعر إلى أعمال عقله وتحكيمه، ويطلب من المتلقي مشاركته في أعمال العقل وذلك بالاستفهام.

أَبَكْتُ لَكُمْ الحِمامَةَ أَمْ عَـ نَّتْ على فرعِ عُصْنِها المَيّادِ⁽³⁾

فالبكاء يُقصر ويُمِد، إذا قصرت أردت الدموع وخروجها⁽⁴⁾، والفعل هنا مسند

(1) المصدر نفسه، ص 7.

(2) فالشبيه هو النظير في بعض الوجوه لا الوجوه كلها لأنّه لو كان من كل الوجوه لكان هو نفسه وبالتالي هو شبيه لا مثيل.

ينظر: العسكري، أبو هلال عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ص 155.

(3) المعري، أحمد بن عبد الله، ديوان سقط الزند، ص 7.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة بكا، ص 337.

للضمير ولعل الشاعر أراد الصّوت والدمع معاً، فاجتمع الأمران؛ الصّورة والصّوت، ويكشف ذلك الإشارة إلى الحمامة بـ«تلكم»، ففيها استخدام لليد والعين في آن واحد، وفرع الغصن المياد فيه تفصيل يحتاج كذلك إلى إعمال العين فرع + غصن مع وجود حركة. فالحمامة تُرى ولن تنتظر أن يتلمّسها الشاعر الضّرير أو سواه، والغصن المياد توجد به حركة كافية لأرجحة الحمامة، وليست عنيفة بدليل بقاء الحمامة عليه، وهذه الحركة تحتاج إلى الرؤية لا إلى السماع. كذا لا يفوت المتلقي معرفة أنّ العرب اتخذوا من الحمامة رمزاً للنظر، والحزن، والشوق، والصبابة، والبكاء، كما اتخذوا من اجتماع الغصن والحمامة رمزاً للسلام. ولا يمكن لشاعر كأبي العلاء أن يتناسى مثل هذه الرمزية في ذكر الحمامة والدليل على ذلك الإضافة في قوله: «غصنها المياد»، فهي تشعر بالراحة والطمأنينة، فغصن الحمامة هو غصن الزيتون، وكونه ميّاداً أي يتمايل بوداعة لا بعنف، وما الحمامة إلّا النفس البشرية، وما تشبّتها بالغصن إلّا تشبّث الإنسان بالحياة والأهل والأصدقاء، وانشغاله بالدنيا عن تذكر المصير الذي ينتظره؛ لهذا هو في حاجة إلى التنبيه، ومن ثمّ جاء النداء بالترخيم «صاح»، والشاعر ضعيف أمام سلطة القدر، وهو راغب في إظهار حسرته على ضعفه فمال إلى إعمال العقل وتحكيمه، ولم يمل إلى إثارة العاطفة فانتهج أسلوب الاقناع العقلي بدل فرض الرأي، وعبر بالحركة والرؤية والصوت؛ وهذا راجع إلى كونه فاقداً للبصر، وحاول تعويض ذلك بتنشيط حاسة السمع وإعمال الذهن.

بهذه الافتتاحية الجدلية، وبهذا الفكر الحصيف، وهذا النهج في الاقناع يستمر الشاعر في كشف محاور رؤيته التي تمثلت في: فلسفته للحياة، والمصير الذي يؤول إليه جسد الإنسان وروحه بعد الموت. وفيما يخص الفلسفة لا نريد الخوض فيما إذا كان المعري فيلسوفاً أم شاعراً، فهذا موضوع يطول شرحه والخوض فيه ليس بالأمر اليسير، وفي هذا الخصوص يمكن الرجوع إلى المؤلفات الخاصة بذلك⁽¹⁾، وإنّما نريد

(1) ينظر: مسعود، ميخائيل، أدباء فلاسفة، ط3 بيروت: دار العلم للملايين، 1993م، ص 221-222، 312-313؛ اليازجي، كمال، أعلام الفلسفة العربية، بيروت: دار المكشوف، 1968، ص 171؛ شكور خليل وديع، =

إبراز آرائه في الأشياء، تلك الآراء التي بناها على التأمل في الحياة والكائنات والبشر وما بعد الحياة استناداً إلى الرأي القائل أنّ معنى الفلسفة هو «علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان»⁽¹⁾، والمعري بذل طاقة في فهمه لكثير من الأشياء وكانت له مواقف خاصة برزت في معظم أدبه، الذي لم يكن أدباً تقليدياً، بل كان أدباً مختلفاً، غني فيه بتحليل الأشياء، ونظر إلى تلك الأشياء نظرة الحكيم العالم الذي حاول هضم الآراء الفلسفية والعلمية، والمذاهب الفكرية التي اضطربت في عصره، فهو بذلك باحث عن الحقيقة بتأمل الأشياء وعاد للحكمة معرفة قائمة على التأمل⁽²⁾ فنراه مرة متيقناً مؤكداً للفكرة، ونراه شاكاً متحيراً في قبولها مرات أخرى.

(1)

نظرتة إلى الموت

في الأبيات الثلاثة الأولى من النصّ تساوى لدى الشاعر شعور الفرح والحزن، وصوت البشير وصوت النعي، وعبرة البكاء ونعمة الغناء، فدفعه كل ذلك التساوي إلى التفكير في الخروج من هذا الواقع بطريقة لاشعورية، عندها بدا منصرفاً إلى الحديث عن الموت، تلك الحقيقة المحتومة على كل إنسان في أيّ زمان ومكان، حقيقة يتساوى أمامها الجميع بدون استثناء، ومن ثمّ ازدادت عيناه قتامة، فتصور عقله أنّ كل الأحياء أموات، بل تحدّى عاهة العمى ليرى أمامه قبور الحاضرين والماضين معاً، ويتحدّيه عاهة العمى في مواجهته الموت، واستعداده لملاقاته بطريقة الخاصة يركز على الصورتين البصرية والسمعية معاً، ليمتّع المتلقي بسردي يروي فيه حقيقة النهاية البشرية التي سيؤول إليها الناس جميعاً، ويطالب المتلقي بمشاركته في ذلك، معتمداً على العقل دليلاً وهادياً، إلاّ أنّه ينفرد برؤية خاصة مفادها أنّ الأجساد هي المادة المتكون منها التراب؛ فالأجساد

= معاقون ولكن عظماء، بيروت: الدار العربية للعلوم، 1995م، ص 94.

(1) الجنفي، عبد المنعم، المعجم الفلسفي، الدار الشرقية، 1990م، ص 240.

(2) المرجع نفسه، ص 240.

تحلّلت وتكوّنت منها الأرض، فأصل الأرض أجساد، لا أصل الأجساد تراب⁽¹⁾، وفي هذا تفصيل وتوضيح لكيفية التكون.

صاح! هذي قبورنا تملأ الرح ب، فأين القبور من عهد عادٍ؟⁽²⁾
 خَفِ الوطاء! ما أظنُّ أديم ال أرض إلا من هذه الأجسادِ
 وقبيحُ بنا، وإن قَدُمَ العهد د، هوان الآباء والأجدادِ
 سر إن اسطعت في الهواء رويداً لا اختيلاً على رُفَاتِ العبادِ
 رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحك من تراحم الأضدادِ
 ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآبادِ

ففي النداء صوت «صاح»! وفي الإشارة رؤية، «هذي»، والرؤية قريبة وبعيدة ف«تملأ الرحب» للحاضر، وللماضي «أين؟»، فالماضي مندرسٌ والحاضر باقٍ، وكله إلى اندراس، ولا أمل لأحد بالنجاة من هذا المصير؛ فالقبور لنا جميعاً والأجساد كذلك، وحرى بنا أن نحزن على مصيرنا الذي نراه بأعيننا «هذي قبورنا»، «هذه الأجساد»، فالظن شك، والقصر «ما أظنُّ أكده»، وزاد تأكيدَه قوله: هوان الآباء والأجداد. إنّه بالفعل «صوت يصدر عن رجل يشترك عقله وقلبه في تأليف ما يقول، فللقلب تمثيل الحزن الشديد، وللعقل فهم الأشياء كما هي، ودعاء النفوس إلى اليأس من آمال الحياة والصبر على آلامها»⁽³⁾، والتعامل برفق ولين مع الجسد بعد خروج الروح منه. وعندها تتغير لغة الخطاب عند أبي العلاء كما رأينا، فيتبع أسلوب الأمر والنهي والتحذير ليوضح طبيعة العمل الذي يُقبل عليه الإنسان أحياناً دون تفكير، وتعلو الأنا لديه ليحاول بذلك التعويض عن الشعور بالنقص، والتنفيس عن مشاعر مكبوتة، فيطلب من المستمع تخفيف حدّة

(1) وهذا مخالف لما قرّره الله تعالى في القرآن الكريم إذ قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، الآية 55 من سورة طه.

(2) المعري، الديوان، ص 7.

(3) حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، ط 3 دار المعارف، 1963م، ص 199.

الصوت الناتجة من وطء الأرض. فكثير ما يصدر ذلك التخط من العميان مما يزعج المبصرين، وهذا ما أراد أبو العلاء دفعه عن نفسه، ويمكن الاستدلال في هذا السياق بانفعاله الشديد إثر وصفه بالكلب من قبل أحد الجلّاس في زحام الدخول إلى مجلس الشريف الرضيّ وقوله: «الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً»⁽¹⁾، والتخفيف في الصوت اقتضى التخفيف في اللفظ، وذلك بالهمس الناتج من السين في: سر، وحذف تاء الاستفعال من اسطعت، والتخفيف التدريجيّ في الحركة رويداً، فالسير في الهواء لا يحتاج إلى قوة، بل يحتاج إلى خفةٍ وحذر وبقظة حتى لا يتعثّر، وهذا ما يحتاجه الأعمى في وجوده مع المبصرين، وهو بذلك يُظهر تحدّيه للعجز. فالزيادة في المعنى تقتضي زيادة في المبنى.

وليجسّد النمط الفلسفي في رؤيته للموت، وموقفه تجاه الفناء والبؤس والشقاء مال أبو العلاء إلى السرد المتتابع في اعتداء الموت على الحياة، كما مال إلى تكرار الحديث عن مضامين الموت، وما يدور في فلك تلك المضامين التي تحوّل معنى الحياة إلى موت وفناء وزوال، مما صعد من حدّة التوتر لديه فاجتمع عنده الحزن مع الفرح، والشك مع اليقين، والجديد مع القديم، و«تهكّم الموت بالأحياء وعبث الناس في التزاحم على الحياة»⁽²⁾، بلغةٍ كلها سلاسة وانقياد يقول في ذلك⁽³⁾:

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا ضَاحِكٍ مَنْ تَزَاحَمَ الْأَضْدَادُ
وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ

فالأرض تسع الجميع، والكل سيؤول إليها، الخير والسيء، وليس هذا فحسب، بل المكان الواحد قد يضمّ النقيضين معاً، ولتقادم الزمن لا أحد يعلم بذلك، ومن سخرية القدر أنّ اللحد هو الشاهد الوحيد، وهو المتعجّب الضاحك من هذا الازدحام.

(1) ياقوت، معجم الأدباء، ط 3 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1980، ج 3، ص 123.

(2) العقاد، عباس محمود، المجموعة الكاملة، مج 24، الأدب والنقد: الديوان في النقد والأدب، ط 2، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري، 1991م، ص 538.

(3) المعري، ديوان سقط الزند، ص 7.

ويطول شعور الحزن بتلك اللغة السلسة التي تجعل المتلقي يرقب حالة التحوّل بالفعل «صار» المسبوق بقدر الدالة على التوكيد، وتكرار لفظ «اللحد» وما فيه من تذكير بالموت، والتوكيد المعنويّ بلفظة «مراراً» الدالة على التتابع وما فيها من تكرار لصوت الراء التكراريّ + المد الدال على البعد والمسافة، واسم الفاعل «ضاحك» وما فيه من دلالة على الحالية والاستقبال، ولفظة «التزاحم» وما فيها من دلالة على الكثرة، ولفظتنا «طويل ودفين» وما فيهما من مدود دالة على البعد الزماني الكامن في: الأزمان والآباد.

وذلك السرد المتتابع لا اعتداء الموت على الحياة، وذكر مضامين الموت بما فيها من قبر لآثار الحياة ودفنها، ما هو في الحقيقة إلّا صراع داخل نفس الشاعر، صراع بين البقاء والفناء، والوجود والعدم، والظهور والخفاء، يعانيه بكل حسرة وألم، ولا يملك له دفعاً أو منعاً. فينتقل بفكره من الأرض إلى السماء، ومن المعلوم إلى المجهول، ومن الرؤية إلى الإحساس. وتكشف الفاء بما فيها من تصوير لهذا التعاقب، وكَم الخبرية وما فيها من دلالة على عجزه وقصور علمه أمام المجهول؛ فإنّ غاية العلم عند أيّ العلاء كما يرى العقاد «أنّ يسأله النَّاس فيجيبيهم، وهم لا يسألون عن شيءٍ لا جواب له عنده»⁽¹⁾؛ ولهذا يطلب من المتلقي توجيه السؤال إلى من لا يعقل، إلى الكواكب السيّارة التي ترقب حركة الإنسان ولا تغرب أبداً.

فسأل الفرقدين عمّن أحسّا من قبيل وأنسا من بلاد⁽²⁾

كم أقاما على زوال نهار وأنارا للملج في سواد

فكأنّ أبا العلاء يبحث عمّن ينقذه من هذا التيه فيما خلفته تلك الأزمان الدّارسة، فيستجمع قواه فيأتي سؤاله للفرقدين بمثابة الصرخة التي ينبّه بها إدراكه وإدراك المتلقي معاً بالزّمن الزّاحف على الوجود والوعي الإنسانيّ، فتأتي كلمته الخارقة بتوجيه السؤال للفرقدين؛ النجمين اللذين لا يغربان أبداً، فهما في صحبة مستمرة مع الإنسان، يحسّان

(1) العقاد، المجموعة الكاملة، مج 24، الأدب والنقد 1، الفصول، ص 188.

(2) المعري، ديوان سقط الزند، ص 8.

بوجوده وببصرانه وينيران له طريقه. ومن اللافت للنظر تكرار بعض الأشكال اللغوية التي هي في الحقيقة تعبّر عن موقف وجوديّ وفلسفيّ، فميله للتثنية يؤدي دوراً كبيراً في حياته، إنّها بديل للعزلة، إنّها تمثل حالة مَنْ يلتمس المصاحبة والبحث عن الرفيق الذي يدفع عنه الخوف، ويبثّ في نفسه الراحة والطمأنينة، إنّها العكاز التي يتكئ عليها. والشاعر أعمى ولا قدرة له على إنارة طريقه لينير للآخرين طريقهم، ومن ثمّ تكررت المفردات الدالة على العمى بإيحاءاتها؛ فالإقامة تعني البقاء، وزوال النهار يعني الإزاحة، وإزاحة النهار تعني دخول الليل، والمُدّيج هو السائر ليلاً، والسواد يعني الظلام الكثيف. والفرقدان قادران على تبديد هذه الظلمة، وهو غير قادر على ذلك، وهذا اعتراف منه بعجزه وقصور علمه أمام هذا المجهول.

(2)

نظرته إلى الحياة

أحبّ أبو العلاء المعري الحياة ولم يكرها يوماً ما، ولكنّه كان دقيقاً في موقفه منها، فقد صرّح بذاك الحبّ في قصائده، ووضع له ضوابط جعلته يفلسف أقواله، ويسعى لتوضيح المفاهيم المتأصلة في نفسه حيالها. فقال فيها:

أحبُّكِ أيها الدنيا كغيري وأشراني قلاكِ ولستُ أشري⁽¹⁾
ونهى العيش فيك مع الرّزايا وما طولت من خمّس وعشر
وكذلك قال:

أريدُ من الدنيا خمود شرورها فتوقدُ ما بين الجوانج نارها⁽²⁾
وتُظهرُ لي مُقتاً وأضرُّ حُبّها كأني جهولٌ ما عرفتُ شنارها
إذن هو لا يختلف عن الناس في حبّه للدنيا وتعلّقه بها وعشقه الحياة فيها، إلّا أنّها

(1) المعري، أحمد بن عبد الله، لزوم ما لا يلزم، بيروت: دار صادر، ج 1، ص 555.

(2) المصدر نفسه، ص 495.

رفضت حبّه لها وتعلّقه بها عندما رمته بأرزائها منذ نعومة أظفاره، فسرقته منه نور عينيه قبل إتمامه الرابعة من عمره⁽¹⁾، فالتمس العوّض في والده الذي تكفّل بأن يكون عينيه اللتين يرى بهما الدنيا، وكأنّ الدنيا استكثرت عليه هذا العوض، وقابلت حبّه بالكراهية عندما فقد هذا العوض بعد أن اعتاد عليه وتكيّف معه، فوقع ذلك في نفسه موقعاً جعله يرى أنّ الحياة عناءٌ موصول بعذاب، وتشاؤم قاتم أفقده الاستمتاع بها، وجعله يلخصها في بيت من الشعر بكلمات بسيطة وسلسة ومألوفة، وعلى القارئ أن يستشّف تفاصيل وجزئيات تلك الحياة. إلا أنّه استخدم التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والتوكيد بكلّ والضمير.

تعبُ كلها الحياة فما أعـ جب إلّا من راغبٍ في ازديادٍ⁽²⁾

فالتشاؤم والتطيّر جعله يعجل بالمساءة، فقدم الخبر «تعبٌ» في حين آخر المبتدأ، فالحياة أقصته عنها لذا عاملها بالمثل فأقصاها بالتأخير، وكان شأنها التقديم، ولم تغره بشيء منها وهذا ما جعله يميل للتوكيد بلفظة كل مضافة إلى الضمير، وهو واج لكلّ ما يقول فعرف الحياة. والقصيدة قائمة على الجدلية وأبو العلاء ممعن في استكمال هذه الجدلية في نظرتة للحياة، فذكره للتعب يستحضر بحثه عن الرّاحة، ويكثّف حزنه وإقباله على الموت الذي يمثل الرّاحة لديه، فالأحداث المرّة والقاسية التي مرّت عليه أوصدت كل أبواب الرجاء أمامه، وجعلته يبحث عن الخلاص منها، ولكن ما يثير الدهشة والعجب هو تفاوت واختلاف نظرة الناس إليها، ففي الوقت الذي يرى فيه أنّ الحياة ليست جديدة بأن تُعاش، يرى غيره يطلب المزيد منها، فجاءت جملة «فما أعجب» مُصرّعة البيت لتكون وسيطاً وأداة للنقل والتحوّل الدلالي، ولتتفاعل مع كلمة الحياة لإعادة تشكيل وجودها فلا تدعها خالصة للعناء والمشقة، بل تتجادل معها فتضفي عليها معاني الأمل والتجدد، فجملة «ما أعجب» كأنّها تقول: - الحياة رغم أنّها عناء

(1) ينظر، مسعود، ميخائيل، أدباء فلاسفة، ص 221.

(2) المعري، ديوان سقط الزند، ص 8.

ومشقة إلا أنها تبعث الأمل والتجدد عند البعض فيطلبون المزيد، أمّا التصريح فيتكاثف مع كلمة أعجب لنقل الشعور المدهش والمثير الكامن في نفس الشاعر، فالتفّس يتوقف عند منتصف كلمة أعجب لنقل الدهشة والمفاجأة وكأنّ الأمر غير متوقع.

وبمزيدٍ من التحليل اللغويّ يتبيّن أنّ اللغة عند المعريّ بالفعل تعبّر عن موقف وجوديّ فلسفيّ، ففي الوقت الذي يتحدث فيه عن رؤية خاصة تجاه شيء معين وهو الحياة، ينظر إليها من جانبها المظلم لأنّ التشاؤم حقيقة يحياها المعريّ كل يوم وليلة فمال إلى استخدام الأسلوب الخبريّ الذي يحتمل الصدق أو الكذب، فالحياة عنده عناء وتعب متواصل دون أدنى شك، صدّقت قوله أو كذّبت، فجاء بالأسلوب خبرياً ابتداءً، ولكنّه لا يحسم الأمر في هذا الشأن، بل يتركه مفتوحاً لإظهار رؤية غيره التي لا يريد من الآخر تغييرها، بل يريد إظهار اندهاشه وانفعاله حيالها، فجاء بأسلوبٍ إنشائيّ غير طلبيّ مشحونٍ بانفعال حادّ، وهو التعجّب. ولا يفوت المتلقي ما يتمتع به المعريّ من ثقافة معرفية ترتفع به إلى مرتبة المواجهة المثيرة لمفهوم الموت والفناء، وتأتي كلمة ساعة ليقف الشاعر بإزائها مقابلاً بين الموت والحياة، مبرزاً تناقضهما على نحو جدليّ لصراع يتغلّب فيه الموت على الحياة، ويحاصر الذات بحزن ثقیل يَظْمَر الفرح في القلب والأعماق.

فأبو العلاء يوجّد بين ساعة الموت وساعة الميلاد، وكأنّ الموت نظير للميلاد، وهذا ليس صحيحاً، فنظير الموت الولادة أو المولد، وكأنّما هي إرادة التشاؤم تسارع إلى فرض وجودها على الأداء التعبيريّ اللغويّ المنحاز للموت، والساعي إلى تغيير معالم الوجود والحياة؛ فساعة الولادة غدت ساعة ميلاد:

إنّ حزناً في ساعة الموت أضعا ف سرور في ساعة الميلاد⁽¹⁾

فاللغة بإمكانها أن تحقق للشاعر رغبته في تأكيد وجود الأشياء والرؤى والمعاني

(1) المصدر نفسه، ص 8.

التي ما هي إلا أدوات الشاعر وآلته في مواجهة الواقع، فورود اللفظة مرتين أو أكثر وفقاً لقانون ونظام تتردد فيه تلك اللفظة إنما هو تكرار للروح ورغبتها، وفعل للزمن وعكس لفعله، فالساعة مضافة إلى الموت مرة، وإلى الحياة مرة أخرى، ولكن نغمة الحزن تعلو لتهيمن على الموقف شكلياً، وذلك بتقديم ساعة الموت على ساعة الميلاد، وبلفظة أضعاف وما فيها من تكرار للحظة الحزن في مقابل لحظة السرور المضافة إليها، فإذا كانت أضعاف مكررة معنى، فسرور مكررة صوتاً، وبالتالي تتساوى ساعة الموت مع ساعة الولادة، وهذا ما أشار إليه الشاعر في مطلع قصيدته عندما شبه صوت النعي بصوت البشير.

(3)

نظرته إلى المصير الذي يؤول إليه الإنسان بعد الموت

المصير ذاك المجهول الذي لم يصل أبو العلاء إلى معرفة كنهه، وإن كان قد صرح بما يؤول إليه جسد الإنسان بعد الموت، فإنه لم يصرح بما تؤول إليه الروح إذ فارت الجسد. وخالفت تصورات له تصورات غيره من العلماء والفلاسفة، وتضاربت في ذلك الآراء، ففي الوقت الذي تصور فيه إن النفس خالدة باقية بعد مفارقتها الجسد اعتقد غيره من العلماء والحكماء والفلاسفة أنها باقية. ما هي في الحقيقة إلا اعتقادات وظنون فهناك من يقول: إن الروح تبقى بعد موت الجسد، وهناك من يقول تهلك كما يهلك الجسد سواء بسواء⁽¹⁾، أمّا أبو العلاء فيقول⁽²⁾:

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضِلْتُ أُمَّةً يَحْسِبُونَهُمُ لِلنَّفَادِ

إِنَّمَا يَنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَالٍ إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رِشَادِ

فبمزيد من التحليل اللغوي يتبين أنّ أبا العلاء اعتمد على اللغة في الكشف عن

(1) فروخ، عمر، أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم، بيروت: دار الشرق الجديد، 1960م، ص 122.

(2) ديوان سقط الزند، ص 8.

هذا الموقف الوجودي الفلسفي، فالإثبات يقابله الظن، والعموم تقابله التجزئة، والجمع يقابله الأفراد. فخلق الناس حقيقة مثبتة بُني فيها الفعل للمجهول، وأظهرت رأي الذات الشاعرة التي أرادت إثبات هذه الحقيقة، ولكن ما يثير الشك قوله للبقاء، فهل يعني هذا أن لا وجود للموت، على العكس تماماً فهو صرّح بوجود الموت من البيت الرابع عندما قال:

صاح هذي قبورنا تملأ الرح ب فأين القبور من عهد عاد

وإنما أراد بالبقاء بقاء النفس الإنسانية⁽¹⁾، وهنا مال في المقابل إلى استخدام الفعل الدال على الرجحان «حسب»، ومال إلى التجزئة مع الفعل الدال على الاستمرار «ضلت» أي تلك الأمة، فلو ملنا إلى التورية الضلال عكس الهدى، إذاً رأي تلك الأمة لم يكن رأياً راشداً سديداً، فضلت يعني أنها لم تتبين الحقيقة، وعدلت عن الهدى والرشاد، والبحث من أجل إدراك هذه الحقيقة لا يزال مستمراً، فالفعل المضارع «يحسبونهم» منفتح على المستقبل، والدار الدنيا حقيقة مثبتة عاشها الإنسان، وهي عالم حقيقي منظور لا يختلف في ذلك اثنان، وهي دار للعمل، ولكن الآخرة غير معروفة وهي عالم غير منظور وتختلف الآراء حول ذلك العالم، ومكان الإنسان فيه غير محدد بدقة، فالأفعال «خلق، وضل، ويحسب، ويُنقل»، كلها أفعال مثبتة، ولكن الناس مسيرون في جوانب منها، ومخيرون في جوانب أخرى، مسيرون في مجيئهم للدنيا وخروجهم منها «خلق الناس للبقاء، يُنقلون من دار أعمال»، بينما مخيرون في تفكيرهم ومعتقدهم «يحسبونهم للنفاذ»، أمّا تحديد المقام والمنزلة فهما مرتبطان بالعمل والقدر، فالإنسان مكلف بالعمل واختياره، إمّا خير أو شر، والله متكفل بالجزاء، فهذا التحول الكبير بالنقل «يُنقلون» يدل على الاختلاف بين الدارين، دار الدنيا والدار الآخرة. ففي الوقت الذي عدّ فيه الشاعر الدنيا داراً واحدة هي خاصة بالعمل فقط، لم يفصل فيها نوع العمل خيراً كان أم شراً، جعل الآخرة دارين صنفهما إلى دار الشقوة ودار الرشاد؛ فإذا كان الخير نقيضاً للشر فهل الشقاء نقيض الرشاد؟

(1) هامش ديوان سقط الزند، ص 8.

الرشاد نقيض الضلال إذا أصاب وجه الأمر والطريق⁽¹⁾، إذاً الطريق الصائب هو الطريق السديد الذي يقود إلى الجنة، فالجنة لا يدخلها إلا من اختار الطريق السوي، فهي دار الرشاد دار الهدى لا الضلال، وبطبيعة الحال من يدخلها يغدو سعيداً، أما الشقاء والشقاوة فهي ضد السعادة، وهي قدر لا اختيار كما يرى ابن منظور، «فمن قدّر الله عليه أن في أصل خلقته أن يكون شقياً فهو الشقي على الحقيقة، لا من عرض له الشقاء بعد ذلك وهو إشارة إلى شقاء الآخرة»⁽²⁾، فلهذا عند حديثه عن نار الجحيم كان همه المصير لا السبيل دار الشقوة، وجعلها مقابلة لدار الرشاد. وانظر إلى اللفظة وما فيها من تقوقع وانكماش لا يشعران بالراحة التي يتمتعها الإنسان في آخرته، والتي نجدها في لفظة «رشاد» بما في الرء من تكرار، وما في المدّ من إطلاق وانفتاح.

وإذا كانت الدنيا دار عمل، والعمل تعب متواصل، والآخرة دار لتعب البعض وراحة للبعض الآخر، فللموت فضل عظيم على الناس جميعاً، فهو راحة تامة لأجساد الجميع، كما أنه حلقة وصل بين الدارين؛ الدنيا والآخرة.

ضجعة الموت رقدة يستريح الـ جسم فيها والعيش مثل السهاد⁽³⁾ فالنوم والموت يجمعهما انقطاع تعلق الروح بالجسد، «فإطلاق الموت على النوم يكون مجازاً لاشتراكهما في انقطاع تعلق الروح بالبدن»⁽⁴⁾، والعيش والسهاد يجمعهما التعب المتواصل لإنهاك الجسد. فالعيش ما تكون به الحياة من المطعم والمشرب⁽⁵⁾، فالمعري في البيت السابق يصوغ بعض الافتراضات منها أنّ الموت نوم لا ما يشبه النوم، عندما حذف أداة التشبيه، وأبقى على وجه الشبه وهو الراحة، وانظر إلى ما في ذلك

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة رشد، مج 3، ج 17، ص 1649.

(2) المصدر نفسه، مادة شقاء، مج 4، ج 24، ص 2304.

(3) المعري، ديوان سقط الزند، ص 8.

(4) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن باز، ج 11، ص 115.

(5) العسكري، أبو هلال عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية. تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ص 155.

من بساطة تسليم للروح مرة واحدة، وهو جلب الراحة للجسد المنهك، والمد بالياء في استريح، وفيها، والعيش، وما يحمله من شعور بالراحة. بينما العيش في هذه الدنيا وما يتطلبه من مكابدة وعناء يشبه السهر المتواصل، وما يسببه للجسد من إنهاك وتعب. وتلك الافتراضات تخفف من وقع حدة الموت على الإنسان. فالموت سيقهر الخلق جميعاً، وهو لا يحدث إلا مرة واحدة، وله كيفية فيها ارتخاء للجسم بالكامل وراحة للعقل كذلك، فهو رقدة، والرقدة همدة ما بين الدنيا والآخرة⁽¹⁾، كل ذلك لا يجعل الإنسان يهاب الموت، أو يتحسّر على فقدان الحيا، فإن خسر الإنسان الحياة فإنه سيكسب في المقابل الراحة من تعبها وعنائها. فالشاعر في هذا البيت يوازن بين الحياة والموت، إلا أنه يرجح الموت على الحياة، لأنّ حبّه للحياة ليس مجدياً، فحبّه لها لن يخلصه من عذابها المتواصل، فلطالما تجرع كأس مرارتها، ومن ثمّ فالخلاص من ذاك العذاب لن يكون إلا بتلك الهيئة «الضجعة» التي لا تحدث إلا مرة واحدة، وهذا ما حققه مصدر المرة «رقدة»، بينما الحياة عمل ومكابدة من أجل البقاء فهي عيش يشبه السهاد.

الخاتمة:

إنّ رؤية أبي العلاء للموت في هذه القصيدة رؤية عميقة وغائرة، أثرت في عقله وقلبه، فسلبته البهجة والسرور، ومنحته الحزن والأسى، فسيطر على سمعه البكاء والصراخ، وأنين الموتي، وعندما تخيل أنّه مبصر لم يرَ إلا قبور الموتي، وتتجلى تلك الرؤية للموت في أبعد صورة لها في ترجيح كفة الموت على كفة الحياة، وهي أنّ للموت فضلاً عظيماً على الإنسان، فالموت يمنح الراحة التي تمنح الإنسان السعادة. بينما الحياة تعب متواصل وأرق دائم منعه التمتع بها ورغبته في الموت طلباً للراحة. وكانت للشاعر براعة ومهارة في أسلوب تنفيذ وتحقيق كل ذلك، فأبو العلاء شاعر جمع بين الطبع والصنعة، فقد اهتمدى بسهولة إلى العناصر الضرورية لتحقيق هدفه، ومن تلك العناصر:

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة رقد، مج 3، ج 17، ص 17102.

- 1 - الميل إلى المنطق والتفصيل في القول بغية الاعتبار.
- 2 - إعمال العقل وإحكامه، وذلك عن طريق استخدام الأساليب الإنشائية، والطلب من المتلقي مشاركته في ذلك.
- 3 - التعبير بالحركة والرؤية والصوت.
- 4 - اللغة بما فيها من بناء للجمل، وتقديم وتأخير، وتنويع للأساليب الخبرية والإنشائية، وإفراد وجمع، وسرد وتكرار، وتنويع في المفردات والألفاظ.
- 5 - ثقافة عصره التي حاول هضمها من علوم لغوية وفلسفية ودينية وفلكية وأدبية وغير ذلك.



تماهي الموروث والمكتسب

في شعر عبد المولى البغدادي⁽¹⁾

أ.د. عمر خليفة بن إدريس

(عضو المجمع)

(1)

طواعية القول

عبد المولى البغدادي شاعر لا يستعصي عليه القول شعراً فيما هو آخذ فيه، إن أراد الجدّ أجاد وأفاد، وإن ابتغى السّخرية أجاد كذلك، فأسمى وأدمى، وأحسب أنّه لو أراد أن يجعل كلامه كلّ شعراً لما عسر عليه ذلك، بعدما امتلك تراثه، وامتلك لغته امتلاكاً حقيقياً، واستلهم شعريّة أساليبها، ما كان منها قابلاً للحصر والقياس من أوزان وقواف، وما كان منها غير قابل لذلك من عناصر ذات تردّد صوتيّ أخاذ، كالجناس، والتّطريز، والازدواج، والتّصدير، ونحوها، أو من عناصر ذات تلوين وتصوير كالاستعارة، والكناية، والتّورية.

فهذه العناصر التّصويرية خاصّة، هي من أساليب القول التي تعلن وتخفي، وتومئ، وتصريح، مع تفاوت بينها في درجة هذا الإيماء الذي وظّفه البغدادي باقتدار ملحوظ في شعره كلّ، حين يأخذ في جدّ القول، وحين يأخذ في هزله وطريفه، وصار يحقّق به لعبة التّخفيّ والتّجليّ، لما فيها من تأثير على المعنى، والإيقاع، والإقناع.

(1) كلمة التّماهي في عنوان هذا البحث تعني: توحّد ماهيات الأشياء أو تفاعلها. وهي من الألفاظ التي أقرّها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في جلسته التاسعة عشرة من مؤتمر الدورة الرابعة والتّسعين، بتاريخ 28-4-2008م. انظر: كتاب الألفاظ والأساليب، الجزء الرابع، الخاصّ بالقرارات التي صدرت في الدّورات من السادسة والسّتين إلى الخامسة والسّبعين، القاهرة: مجمع اللغة العربية، 2010م، ص 508.

(2)

مصادر شاعريته

آثر الدكتور سعدون السويح في المقدمة التي كتبها لديوان «على جناح نورس» أن يعول على رؤيته الخاصة لشخصية صديقه الشاعر عبد المولى البغدادي، فتيسر له أن ينقل لنا حكايات الشاعر، وصوته، وانفعالات نفسه، وأن يستوفي ما كان يبتغيه من «رسم صورة العالم الداخلي لهذا الشاعر، ومصادر شاعريته، ورؤاه الفنية والفكرية»⁽¹⁾، فاستشف من أقواله، وحكاياته، وانفعالات نفسه، وتلويحات إشارية، أن عالمه مذ كان طفلاً «عالم تغمره الموسيقى بمعناها الأوسع»، وبترانيمها المتعددة التي تشربها روحاً، وحساً، وإدراكاً، وتذوقاً، فألفاها تعود إلى مصادر عدة، هي:

هذا الأنس الذي غمر نفسه صبيّاً حين أقبل على كتاب الله، وعرف معنى الحرف، والحركة، والسكون، ونُبّه إلى أوضاع اللسان معها، وهو يؤدّي أصواتها، وأوقف على ترتيل آيه، وعلى محالّ وقوفه وسكاته، ومدار إحساسه بإيقاع ما يسمع منه نابعاً من ذائقة تجدها نفسه، ولكنها لا تتجلى لحسّه، ولا يعبر عنها لسانه، قال يحكى عن شيء، من هذا:

وَمُنْذُ دَالِكَ الْمَدَى كَانَ الْحَمَى أَفْقِي وَالشَّعْرُ يَنْشُرُنِي طَوْرًا وَيَطْوِينِي
حَمَلْتُ فِيهِ كِتَابَ اللَّهِ فِي نَفْسٍ مِنْ وَالِدٍ لَمْ يَدْعُ جُهْدًا لِتَلْقِينِي
بِمَا رَوَى مِنْ قِرَاءَاتٍ مُضْمَنَةٍ رَوَايَتِي مِنْهُ عَنْ حَفْصٍ وَقَالُونَ
وَكَانَ أَقْصَى مُنَاهُ أَنْ يُحَرِّرُنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ
لَكِنِّي وَلِسُوءِ الْخَطِّ صِرْتُ فَتًى بِالشَّعْرِ وَالْحَبِّ وَالتَّرْحَالِ مَفْتُونٌ⁽²⁾

وألفاها تعود أيضاً إلى هذا الاتساق الصوتي الذي ينساب من ترانيم أمّه وأزجالها، إذا هدهدت صغيراً لتجلب النوم إلى عينيه، أو ناغت وليداً لتبعث السرور في نفسه، أو

(1) على جناح نورس، تقديم سعدون السويح، منشورات جامعة طرابلس، ص 23.

(2) من وحي الثمانين، طرابلس، 2017م، ص 32.

رَقَصَتْهُ لَتَطَرِّي نَشَاطُهُ، أَوْ بَاشَرَتْ عَمَلًا مُضْنِيًّا تَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ الْمَنْعَمِ الطَّرُوبِ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَصْدَاءِ كَانَتْ أَصْدَاءُ شَعْرِهِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا:

نَسَجْتُ مِنْ شَعْرِ أُمِّي ثَوْبَ قَافِيَتِي وَمِنْ دَوَاوِينِهَا أَشْهَى دَوَاوِينِي
صَوْتُ الرِّحَى وَطُبُولُ الْحَرْبِ مَافِتِنَا يُلَحِّنَانِ صَدَاهَا حَيْرَ تَلْحِينِ
لَا زَالَ نَبْضُ أَغَانِيهَا يُرَافِقُنِي كَأَنَّهَا لَمْ تَزَلْ قُرْبِي تُعَيِّنِي
أُمِّيَّةٌ غَيْرَ أَنَّ السَّمْعَ عَوَّضَهَا نُطِقَ الْقَوَافِي بِتَرْنِيمٍ وَتَلْحِينِ
وَكَمْ تَصَنَعْتُ أَشْعَارًا أُمَازِحُهَا فَتَدْرِكُ السِّرَّ فِيمَا كَانَ يَعْنِينِي
وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَحْضَانِهَا وَلِعَا بِهَا وَبِالشَّعْرِ أَرْوِيهَا وَتَرْوِينِي

كما ألفاها تعود كذلك إلى احتفاء الناس بالأعياد والمناسبات الدينية، وأقواها شأنًا عندهم إذا اقترب شهر ربيع الأول، وهو الشهر الذي شهد مولد رسول الله ﷺ، فحينئذٍ يقبل المحتفلون في المساجد، والزوايا، والكتاتيب، على قراءة كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، وهو للقاضي عياض، وعلى الترتيم ببردة البوصيري وغيرها من المدائح النبوية، فيحفّ القلوب والضمائر سموً روحيًا غامر، وتتلبس صغارهم وكبارهم روح من الوجد والتوق الجذاب.

ولا نشك في أنّ فيوض هذه الأجواء قد عمرت عقل هذا الفتى وقلبه، فاستكّن فيها ما استكّن، بل لعل هذه الفيوض تسرّبت إليه جنيًا، وأنه استهلّ حين استهلّ بكاء هو الشعر بعينه، فظلّ مسكونًا بهذه الروح الطفولية الدائمة دوامًا يُشعر ببرهة الابتداء وغضارته، وإنّه ليقول:

وَفَتِنَا بِالشَّعْرِ مُنْذُ وُلِدْنَا وَاسْتَسْغْنَا بِهِ لَذِيذَ الْبُكَاءِ⁽¹⁾
فَاحْتَسَيْنَاهُ نَشْوَةً وَدُمُوعًا قَبْلَ عَهْدِ الشِّفَاءِ بِالأَشْيَاءِ

(1) ديوان على جناح نورس، ص 69.

بمعنى أنه ألف التَّغْم الطُّروب، قبل أن تألف شفتاه التَّقام ما به قوام الحياة من الأقوات، فاستحال إلفه إياه إلى فتنة وانتشاء.

وتبدو قصيدته «مولاي عبدك بين اليأس والأمل» التي حاكى بها بردة البوصيري، رشحاً من ذلك الفيض المستكنّ في حنايا الذات ودروبها، حتّى إنّه أودع فيها من أبيات هذه البردة بيتاً بتمامه، بما في ذلك رويّه المخالف لرويّ قصيدته، تيمّناً بها من جانب، واستشارة الكامن من فيوضها في نفوس من يتلقّونها من جانب آخر.

ولو تهياًً للبغداي في مبدأ حياته أن يسلك مسلك قصيدة البوصيري، ويجري في حلبة نظمها لاندفع إلى معارضتها أو تخميسها، إذ كان شيوخه يومئذٍ يعدّون التّواصل مع جياذ الأشعار وسيلة لتمثيلها واقتفاء آثار أصحابها، ولكنّه انصرف عن هذا، إمّا مهابة لها وخوفاً من سوء تحويرها وإعادة تناولها، وإمّا عزوفاً عن فعل شعريّ لا تتعدّى أبعد غايات صاحبه أن ينظم ثلاثة أشطار يلحمها بشطرين من أشطار الأصل الخمّس، فهي عمليّة تفكيك للأصل وتركيب له، أو عمليّة توليد من الأصل وإلحاق به، ولعلّ البغداي لم يعزف عن تخميس بردة البوصيري إلّا بعد أن تبينّت له كثرة تخاميسها، ووجد أنّ ما سوف يقوم به لن يكون له صدقٌ يمتع ويقنع ويؤنس، ثمّ إنّ قصيدة «مولاي عبدك» هذه لا تعدّ من أوائل شعره، بل تنتمي لمرحلة أروع فيها بالقصائد البالغة الطّول، فلذلك أرجأنا الخوض فيها إلى مبحث نعقده لآثاره الشعريّة وامتداد فضائها قصراً وطولاً ومبالغة في هذا الطّول.

(3)

تنامي وعيه الشعري

ثمّ أخذ وعيه الفني يتشكّل نفسياً، وروحياً، ووجدانياً، وفكرياً، وغدت ملكاته تتكوّن رويداً رويداً، وتحصيله المعرفي يتزايد ويتراكم، ونفسه تتشوّف لتحصيل دون تحصيل، وتتطلّع لاكتساب فنون دون فنون، كل ذلك واجهه الفتى بعد ما عبر الكتاب

إلى حلق العلماء، وتلقّى على أيدي فضلاء شيوخها وكرام أساتذتها ما شاء له أن يأخذ من علوم اللغة، والنحو، والصّرف، والبلاغة والأدب، والعروض والقافية، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، وعلم الفقه وتوابعه، وعلم أصول الدين وملحقاته، وغير ذلك ممّا يُعدّ من قبيل التأهيل العلميّ، بحسب ما أُلّف في نظام التّعليم حينها، لكن يبدو أنّ الفعل الشّعريّ عند البغدادي لم يبدأ من موقع العناية بعلم الأوزان والقوافي، بل بدأ من موقع الإحساس بصفاء الأنعام، وأسر التّنوع الإيقاعي في قوانين الموسيقى ومقاماتها، التي تلقّاها فيما تلقّاه إرثاً ممّا أُلّف سماعه في أفراح الأسر ومناسباتها، في قرى السّاحل التي أنجبته، فصار هو بحرّها المشطّر المقفّى، المديد الممتدّ امتداد ساحلها، أو كما يقول:

أَنَا بَحْرٌ مُشَطَّرٌ وَمُقَفًّى لِقُرَى السَّاحِلِ الَّتِي أَنْجَبَنِي⁽¹⁾
يَا فُرَايَ الَّتِي اخْتَضَنْتُ رُبَاهَا مِنْذُ فَجَرِ الْحَيَاةِ وَاخْتَضَنْتَنِي
وَعَرَقْتُ «الصَّبَا» وَلَوْنِ «الْبَيَاتِي» «وَنَهَاوُنَدَ» مِنْذُ أَنْ عَرَفْتَنِي

ثم أخذ فعله الشّعريّ في التّنامي من موقع هذا الإحساس، ومن موقع الإحساس بالانتظام اللغويّ، وقوّة جذبه لفطر الشّعراء، التي تدرك أنّ «كلمة ما تقع في تركيب شعري، وتتخذ وضعاً معيّناً، تتجرّأ بمقتضاه مقاطعها بما يناسب وزنه وإيقاعه، في حين أنّها قد تتخذ وضعاً معيّناً آخر، وتتجرّأ بصورة مغايرة بما يناسب التّركيب الجديد»⁽²⁾.

ولإحساس البغداديّ بمبدأ الانتظام الإيقاعي في الموسيقى، وفي صيغ اللغة ذاتها، ووقوعه تحت سطوة تأثيرهما ضاق ذرعاً بالدّرس العروضي مبكّراً، لاحتفاء بعض معلّميه بالعيوب العروضيّة، والابتداء بدراسة الرّحافات والعلل، والتّمادي في عمليّة استخراجها من التّصوّر النظريّ لموازين الشّعريّ.

ولعلّي استبق تطوّرات الأحداث التي مرّت بالشّاعر وفعلها المؤثّر، وأتجاوز مكتسبات

(1) على جناح نورس، 207.

(2) البنية الإيقاعية في شعر البحري، عمر خليفة، منشورات جامعة قاريونس، ص 112.

التَّلَقِّي وإملاءاتها تطوُّراً وتأثيراً وتغييراً، فأسوق لبيان ذلك قصيدة قالها سنة 1992م، وأعرضها بتمامها، لبيان أنَّ الفعل الشعريَّ على وجه العموم يستند إلى تقاليد راسخة في الوجدان العربي، لا يمكن ضبطها بالعروض والقافية وحدهما. فكثير ممَّا يُعَدُّ عيباً فيهما، التمس فيه شعراء كبار تنوعاً نغمياً مقبولاً، على نحو ما بدا لنا في قصيدة «عندما تسبح النُّسور» التي قال فيها⁽¹⁾:

فِي قَلْعَةٍ مِنْ قِلَاعِ الْبَحْرِ غَافِيَةٍ	فِي حِضْنِهِ تَتَمَطَّى بَيْنَ أَذْرُعِهِ
يُدَاعِبُ الشَّفَقُ الْفِضِّي هَامَتَهَا	يَحْنُو عَلَيْهَا وَيَسْقِيهَا بِأَذْمُعِهِ
تَبَرَّجَتْ لِاحْتِضَانِي عِنْدَمَا لَمَحْتُ	فَتَى يُقِيمُ هَوَاهَا بَيْنَ أَضْلُعِهِ
أَلْقَيْتُ فِيهَا بِنَفْسِي لَاهِثًا تَعِبًا	كَسَابِحِ الطَّيْرِ لَمْ يَظْفَرْ بِمَوْضِعِهِ
فَالْتَسُرُ يُجِرُّ إِنْ سُدَّتْ مَسَالِكُهُ	عَنِ السَّمَاءِ وَلَا يَبْقَى بِمَخْدَعِهِ
وَالْحُرُّ إِنْ صَبَّتِ الْأَحْقَادُ نِقْمَتَهَا	عَلَيْهِ، قَدْ يَتَحَدَّاهَا بِأَصْبُعِهِ
مَاذَا رَأَتْ فِي غَرِيبٍ حَلَّ سَاحَتَهَا	يُخْفِي لَوَاعِجَ شَوْقٍ مِنْ مَوَاجِعِهِ
تُدَاعِبُ النَّسَمَاتُ الزَّرْقُ زَوْرَقَهُ	وَزَفْرَةُ الْمَوْجِ تَسْرِي فِي مَقَاطِعِهِ
أَهْدَى لَهُ الْبَحْرُ دَوْبًا مِنْ حُشَاشَتِهِ	فَعَابَ عَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي وَلَمْ يَعِهِ
بَحْرُ السَّلَامِ تَنَامَى مِنْ مَنَابِعِنَا	وَنَحْنُ لَنْ نَتَخَلَّى عَنْ مَنَابِعِهِ
نَحْنُ الَّذِينَ قَدَيْنَاهُ بِأَنْفُسِنَا	عَبْرَ الْعُصُورِ، وَدُذْنَا عَنْ مَوَاقِعِهِ
نَحْنُ الَّذِينَ سَكَبْنَا فِي شَوَاطِئِهِ	أَرْوَاحَنَا، وَرَتَعْنَا فِي مَرَاتِعِهِ
عِنَايَةُ اللَّهِ تَرْعَانَا وَتَحْرُسُنَا	وَكُلُّ بَاغٍ سَيْلَقَى سُوءَ مَصْرَعِهِ

فقد جمع البغدادي في قصيدته هذه بين قوافٍ جُرِّدت من ألف التأسيس وهي:

«أذْرعه»، «أدْمعه»، «أضْلعه»، «مَوْضِعُه»، «مَخْدَعُه»، «أَصْبِعُه»، «لَمْ يَعْه»، «مَصْرَعُه»، وبين قوافٍ

(1) على جناح نورس، ص 185.

توفّرت على ألف التأسيس، وهي: «مواجهه»، «مقاطعه»، «منابعه»، «مواقعه»، «مراتعه». ونُقّاد الشعر يعدّون هذا عيباً، ويدعونه سناد التأسيس، وكان أبو العلاء المعري يعيب هذا السناد، ويقول: «إنّ ذلك مجمع على رفضه عند من تقدّم»⁽¹⁾.

فهل كانت ذائقة البغدادي كذائقة البحري الذي وجّه إليه أبو العلاء المعري نقده هذا، وأنهما لا يباليان بهذا الخلط، ويجدانه محقّقاً لتشكيل صوتيّ يعاكس استمرار الإيقاع على وتيرة واحدة؟ إن كان هذا كذلك، فينبغي أن نبعد عن الاستغراق في الدرس العروضي لمن نأنس فيه قدرة على ممارسة الشعر، على نحو ما تحقّق للشاعر البغدادي في صباه على يدي شيخه عمر الجنزوري وعبد السلام خليل، ولعلّه وجد ما يبتغيه عند شيخه عبد السلام خليل خاصّة، فإنّه رثاه نادباً معدّداً ما وجده فيه من شيم الخليل، والمعلم، والقُدوة، والإمام والدليل، حسب قوله فيه:

وَاحْـلِيلَاهُ!! أَيْنَ مِنِّي خَلِيلِي؟ غَابَ عَن نَاطِرِي أَعْلَى خَلِيل⁽²⁾
غَابَ عَنِّي مُعَلِّمِي، وَإِمَامِي وَمَلَاذِي، وَقُدُوتِي، وَذَلِيلِي
أَنَا لَوْلَاهُ مَا تَحَسَّسْتُ دَرْبِي فِي حَيَاتِي، وَمَا اكْتَشَفْتُ سَبِيلِي

فلا محالة أنّ إحساس البغدادي بمكنون ما في تراكيب اللغة من خصائص إيقاعيّة جسّد العروضيون بعضها في موازينهم، إنّما كان نتاج هذا التّوجيه، الذي عمّق صلته بالتراث، ودفعه إلى آفاقه المشرعة، ومسالكه المتشعّبة، ولا عجب في ذلك مادامت هذه المسالك تقود الشّاعر أيّ شاعر إلى «تقاليد فنية مترسّخة في تراث عريق ينهل منه ويضيف إليه»⁽³⁾.

وهنا ستأخذ صورة التّماهي بين الموروث والمكتسب وضعاً يشفّ عن اشتباك خطوطها وظلالها، بعد أن أتيح لتجربته الشعريّة أن تنفتح على تجربتين عمليّتين، كانا

(1) رسائل أبي العلاء المعري، القاهرة، دار الحديث، ص 92.

(2) أفردت هذه الرّثائية بنشره خاصّة، تولّتها هيئة الأوقاف بطرابلس، 2004.

(3) ريتا عوض، بنية القصيدة الجاهلية، بيروت: دار الآداب، ص 343.

لهما أثر بالغ في واقع حياته موقفاً، وفي واقع شعره لغة، وصوراً وبنية، وهما تجربة غشيان المحافل، التي تضعنا في صميم جيشان النشاط الثقافي وطفرة خلال ستينيات القرن المنصرم وسبعينياته، فكان لذلك تأثير لا ينكر أثره في صقل تجربته الشعرية وزيادة تناميها، ثم تجربة الترحُّل والاعتراب التي أثرت شعره بجماليات التعبير والتصوير، وزادت تجربته عمقاً وترسخاً.

(4)

صقل التجربة وزيادة تناميها

هكذا كان للإرث والتحصيل غير المنظم نصيب يُحسُّ أثره في تجربته الحياتية وتجربته الشعرية، ثم إنَّ هذا النصيب تماهي مع النصيب المكتسب بالتلقي المنتظم، وغشيان المحافل التي دفعته إلى فضاء المعرفة، بمعناها المتسع، إبان طفرتها في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته.

وأحسب أنَّ دخول الشاعر إلى كلية اللغة العربية بمدينة البيضاء سنة 1961م، قد أضفى ما أضفاه على حياته وحياة شعره، إذ كان في عداد أول فوج يتخرج فيها، وفي جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، التي أُسِّست في التاريخ المذكور، وكانت كلية اللغة العربية إحدى كليّاتها.

وفي هذه الحقبة كان النشاط الثقافي في الكلية المذكورة، وفي كلية الآداب بالجامعة الليبية في بنغازي يأخذ شكلاً يتّصف بالرقّي والانتظام، إذ يعرض في مواسمها الثقافية خطاب ذو وظائف متعدّدة، ثقافياً، وفكرياً، وسياسياً، ومجتمعياً؛ وللتدليل على ذلك نعرض أسماء الأعلام الذين حضروا في هذين المحفلين، لا استقصاء لهم، وإنّما إيماء إلى توجُّهاتهم التي يفضى الجمع بين ذويها إلى تمكُّن المؤسسات التعليمية والثقافية من الاحتفاء بثقافتها العربية، والتواصل مع الثقافات الأخرى بشتى الوسائل ضمن جدل يسوق نحو هذا التوجُّه، أو نحو ذلك التوجُّه.

ففي المواسم الثقافية للجامعة الإسلامية وكيّاتها نعدُّ من هذه الأسماء: الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور⁽¹⁾، والشيخ البشير النيفر، والمؤرخ عثمان الكعاك، والشيخ الصادق عرجون، والدكتور عبد الحليم محمود، والمفكر المعروف مالك بن نبي، واللواء محمود شيت خطاب، والأستاذ محمد سعيد العريان، والمجاهد عبد الكريم الخطّابي، وحاضر فيها من أساتذتها الدكتور محمد بيصار أستاذ الفلسفة، وقد تولّى منصب المفتي في مصر بعد ذلك، والشيخ الجليل الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة، صاحب موسوعة «دراسات لأسلوب القرآن الكريم».

وأما الانتظام الثقافي في كلية الآداب⁽²⁾ بمدينة بنغازي، فقد كان يقام في مدرّج رفيق، وتتسم الأنشطة التي تعقد فيه بالتنوع، وكان ينظمها ويشارك فيها أعلام من أساتذة كلية الآداب وسائر الكليات الأخرى، أمثال الدكتور محمد عبدالهادي أبوريدة أستاذ الفلسفة المعروف، وصاحب التأليف المثمرة والمترجمات المتميّزة، والدكتور ناصر الدين الأسد، الذي تولّى عمادة كلية الآداب، والدكتور محمد حسين المعني في كتاباته بمناهج التغريب التي لحقت بالفكر الثقافي والسياسي في الوطن العربي، والدكتور عبد الجليل الظاهر عالم الاجتماع الفذّ، والدكتور محسن الشيشكلي أستاذ القانون بكلية الحقوق بالجامعة الليبية، والدكتور مصطفى حلمي الراسخ في تصوّف علماً وعملاً، والدكتور عبد القادر القطّ، والدكتور مصطفى مندور، والدكتور جلال الخياط، وهؤلاء الثلاثة أساتذة بقسم اللغة العربية في الكلية المذكورة، ويُعرفون بمتابعتهم للحركة الأدبية في ليبيا.

ولم تكن هذه المحافل تعنى في مواسمها الثقافية بإلقاء المحاضرات في مجال العلوم والآداب فحسب، وإنّما ألفت لقاءات شعريّة، كان يشارك فيها شعراء من أقطار

(1) إدريس فضيل، بقية السّهاري، مصر: مطبعة الأزهر، 2012، ص 214.

(2) سالم الكبتي، أعلام عرب في بنغازي، بنغازي: دار السّاقية. الكتاب يؤرّخ للنشاط الثقافي في مدينة بنغازي وفي جامعتها، ويورد تراجم ضافية للأعلام الذين ذكرناهم ولغيرهم.

عربية مختلفة، قد تهيأ لهم العمل في مدينة بنغازي أو في غيرها، كالشاعر الدكتور باقر سماكه، وهو أحد أساتذة قسم اللغة العربية في بنغازي، والشاعر السوداني تاج السِّر كنة، وهو طيار أقام في بنغازي مدة عامين (64 - 1966م)، والشاعر السعودي يحيى توفيق، الذي امتدت إقامته في بنغازي فغادرها سنة 1970م بعد إقامة فيها دامت ثماني سنوات، وكان ثلاثتهم يزاولون قرض الشعر باقتدار ملحوظ، ولهم دأب على المشاركة في ملتقيات الشعراء والأدباء⁽¹⁾، وحرص على نشر أعمالهم الشعرية في صحف البلاد، ولهم مطارحات مع بعض شعراء البلاد، جاذبهم القول في أشعار شغف بها الناس يومئذٍ، كتلك الأشعار التي قيلت في «بدلة الجامعة» وفي «ذات الرداء الفستقي».

وينبغي أن نعلم أنّ الشعر يومئذٍ كان يستحوذ على اهتمام أجيال مختلفة منهم من كان لا يري الشعر إلاّ الشعر القديم، ومنهم من كان يتوق إلى الحداثة، ويسعى إلى أن يكون معدوداً في شعرائها، وحسبنا أن نورد من أسماء هؤلاء وهؤلاء ما يصوّر المشهد الشعري حينها، من غير أن نحديد انتماءاتهم، أو نذكر اتجاهاتهم، فهم كثر، وبعض من مارس الشعر الحرّ منهم مارسه وملاح الأثر الرومانسي بادية فيه، فتصويراً لما هو مقصود نذكر: علي صدقي عبد القادر، وحسن السوسي، وأحمد فؤاد شتيب، ورجب الماجري، وراشد الزبير، وسليمان تريح، وعلي الرقيعي، وعمرو النامي، وخالد زغبية، ومحمد الشلطامي، ومحمد المهدي، وحسن صالح، ومحمد المطماطي، وعبد الحميد بطاو، وغيرهم ممّن لم نستحضر أسماءهم.

فهذا الواقع الذي سعيننا إلى مقارنته واقع عاشه الشاعر عبد المولى البغدادي متلقياً للشعر، وملقياً إياه على جمهور كان الشعر يبهره ويطره، فهو لا محالة فنّ العربية الأوّل.

(1) يُضاف إلى ذلك أنّ الجامعات وصحف البلاد كانت تستضيف كبار الشعراء إلى محافل الشعر التي تعدها، فالشاعر نزار قبّاني أنشد أشعاره في كلية الآداب مرّة عام 1967م، ومرّة عام 1975م، والشاعر عبدالوهاب البيّاتي قدم إلى بنغازي مرّة بدعوة من جريدة الحقيقة، ومرّة بدعوة من صديقه الشاعر والقاصّ خليفة الفاخري، وكان ذلك عام 67، وعام 1968م، فسمع منه محبو الشعر أشعاره.

ولعلّ البغدادي دخل في جدلٍ شعريٍّ مع شعراء من أبناء جيله، نصرة لقضايا له رأي فيها يخالف ما يراه بعضهم في أنماط الكتابة الشعريّة، اتّباعاً للتقليدية أو تجريباً لتنويعات الحداثة وبدائلها، أو تحرراً من قيود الشعر، بل من قيود اللغة نفسها، ومع ذلك فهم إذا اختلفوا في هذا المنحى أو في غيره، فإنّ الشّأن الإسلامي، والقومي، والوطني، والإنسانيّ يجمع بينهم موقفاً، وانتماءً، وشعوراً، فما من شأن منها إلّا وهو موضوع شعر يعكس واقعاً حياتياً ويعبّر عنه، أو يحقّز للمشاركة في التعبير عنه، أو يصوّر انبهاراً بتجارب شعريّة عرفت لها ساحة الفكر والأدب يومئذ.

(5)

تجربة الكلام بغير الشعر على الشعر

لا محالة أنّ هذه التجربة موصولة بمرحلة التّكوين العلميّ التي ألّمعنا لها، فهي منفعة بها فاعلة فيها، بعدما اختير معيداً في الكلية التي تخرّج فيها، وغداً مطالباً بل ملزماً بأن يواصل إثراء وعيه المعرفي بما هو مختزن في الأذهان وفي بطون الكتب، من القضايا، والأفكار، والتّجارب، والآراء، والأحكام، وأنّ يجتهد في تنمية قدرته على التّفكير، والتّخيّل، والتّذكّر، والانقياد إلى أحكام العقل لا إلى تأثير الوجدان. ومعنى هذا أنّ بذرة الشعر التي نمت في نفسه «ستعيش مرحلة كمون لبعض الوقت، وسيختزنها الشّاب في داخله كما تختزن التّربة الخصبة بذور الربيع التي ستصير أزهاراً ووروداً حين يحين وقت خروجها»⁽¹⁾.

هكذا أقبل البغدادي على تجربة الكتابة بغير الشعر على الشعر، ولكن لا ليغدو مؤرخاً للحركة الأدبيّة التي عاصرها، قائماً مقام الشّاهد على نهوضها أو نكوصها، ولا ليغدو ناقداً لها ينوّع بما فيها من صور الجدة والعطاء، ويكشف عما فيها من أوجه القصور أو العبث، بل أقبل على هذا الفعل الكتابي لأنّه يُوجّه لمرحلة تهَيّؤه للجدل مع نفسه ومع الآخرين، وتظهر قدرته على تولّي مهمّة يُعدّ البحث العلميّ أقوى ركائزها.

(1) مقدّمة ديوان على جناح نورس، ص 44.

في سياق هذا التوجُّه انصرف البغدادي إلى ممارسة الكتابة عن الشَّعر في الرِّسالة التي أعدّها لنيل درجة الماجستير، وكانت عن الشَّاعر رفيق المهدي، فأفصح عمله فيها عن وعيِّ بما في شعر رفيق هذا من قيم موضوعية وفنية، وبما لا بس ذاته من صفات فطر عليها، فهو شاعر، وناقد، وكاتب، وسياسي، وسيّد مقدّم، وصاحب ظرف ودعابة، وهذه الصفات إنّما هي مواهب امتلكها رفيق حقّاً، وتصالحت مع صفة الشَّاعر فيه، فاستقام للبغدادي أن يتّخذ موضوعاً لرسالته تلك، وكأنّه غلب بالقوّة الناقدة صفة الشَّاعر فيه على غيرها، من حيث إنّ غيرها ينجذب إليها من هذا الطّريق، أو من طريق آخر سواه.

ولعلّي أومئ هنا إلى صفة السيّد التي كان الناس يتخاطبون بها في بلادنا، قبل أن يعلو شعار «لا سيّد ولا مسود»، فقد كانت هذه الصّفة لصيقة باسم رفيق، لا يذكر اسمه إلّا مقترباً منها، بل كان هو نفسه ولوعاً بذكرها كلّما عنّ له أن يشير إلى نفسه، أو يتحدث عنها، على نحو ما يقول:

أَيُعَاتِبُنِي الْإِخْوَانُ هَذَا كَ، وَإِنِّي لَسْتُ⁽¹⁾ مِنَ الْحَجَرِ
أَلْهَمْ حَقُّ فِي قَوْلِهِمْ يَا رُوحَ السَّيِّدِ اضْطَبِّرِي

وَمَنْ المؤكّد أنّ لقب السيّد ألقي عليه تبعات ثقلاً، فلذلك تخلّص من أعباء الوظيفة وإسارها، حتى لا يفقد حرّية التعبير وصدقه، وليكون شعره صوتاً يستهدف ضمير الأمّة ووجدانها، ووثيقة أدبية تاريخية، تسجّل نشاط البلاد السياسي، والاجتماعي، والثقافي.

فهذا الجانب الموضوعي هو الذي استنهض التوافق بين البغدادي باحثاً والمهدي شاعراً، وزاده دعماً وقوّة جانب آخر استكنّ في فطرتيهما، وهو روح الدّعابة والسّخرية، وقد كانت هذه الرّوح أشهر ما في شعر المهدي من صفاته الدّاتية، وستغدو كذلك في شعر البغدادي، لا بوصفها غاية في حدّ ذاتها، بل بوصفها وسيلة يقرّران بها آراءهما،

(1) ديوان أحمد رفيق، الفترة الثالثة، 1962م، ص 114.

لتزداد علوقاً بالنفوس، اعتماداً على ما تومئ إليه علاقة المفارقة بين جدّ القول وهزله، وبمتابعة البغدادي لشعر رفيق، ووقوفه على خصائصه الفنية والموضوعية، رأى أنّ هذه الخصائص تعيّن انتماء رفيق المهدي إلى المدرسة التقليدية الحديثة، التي ازدهرت في أوائل القرن العشرين، وكان شوقي وحافظ في مصر، والزهاوي والرصافي في العراق، هم من مشاهير أعلامها، وهم من اتخذهم رفيق مثله الأعلى في صياغة القريض وتهذيبه، وإثرائه بالصّور الشعرية المشرقة التي ترضي مطالب النّقد والنّقاد يومئذ.

وأبصر في السياق ذاته خصوصية تاريخية واجتماعية تستند إليها تجربة رفيق الشعرية، وهي تجربة تفصح عنها «نماذج مكتملة»⁽¹⁾ تنقل القارئ أو السامع إلى الجوّ الذي دفع (المهدي) إلى الإعراب عن أحاسيسه ومشاعره تجاه حدث من الأحداث، أو مشهد من مشاهد الوجود، أو موقف من المواقف التي هزته.

ثم إنّ هذه النماذج الشعرية المكتملة كان موضوعها محبة الوطن، والغربة والحنين، وما يشوب الأوضاع من متغيّرات، إذ أغنت هذه المتغيّرات رؤيته إلى الوطن، وغدا وطنه جزءاً لا يتجزأ من كيانه، فعاش مخلصاً له، حفيّاً به، مستأثراً بمشاعره ووجدانه⁽²⁾.

ورثب البغدادي على استئثار الوطن بمشاعر رفيق أنّه عاش في مهجره منعزلاً مبتعداً عن «التيّارات السائدة في المجتمع التركي الذي أقام فيه ما يقرب من العشرين سنة، وهذه الفترة الطويلة من حياة الشاعر لم تترك بصماتها البارزة على نتاجه الأدبي، إذ لم ألتمس أي أثر يُعتدّ به للبيئة التركية، أو الفكر التركي، فيما خلفه لنا من أشعار»⁽³⁾.

وأحسب أنّ ما أوردته يكفي في بيان ما اندمج تحت عنوان هذه الفقرة، ومردّ ذلك إلى أنّ القوّة الشاعرة لدى البغدادي، لم يكن لها تلك السّطوة التي تضعف القوّة

(1) عبد المولى البغدادي، نظرات في شعر رفيق، مهرجان رفيق الأدبي، منشورات جامعة قاريونس، 1993م، ص 227.

(2) نفسه، ص 229.

(3) نفسه، ص 229.

الكاتبة الناقدة عنده، إذ قد مارس العمل النقدي في الأعمال العلمية التي أعدها، وفي البحوث التي أنجزها، بيد أنه لم ينشر ما كتبه حتى يطلع عليه من لهم متابعة وعناية بشؤون الثقافة ووسائلها.

وينبغي ألا يعزب عنا أن البغدادي مارس بمعرفته، وتجربته، ودربته، العمل النقدي أستاذاً جامعياً يحاضر طلابه، ويوقفهم على النسق التركيبي لكل مجهود إبداعي يصير شعراً، وأنه نسق لا يرتسم في ذهن متلقيه إلا إذا عبر عتبة الخفاء، واقتدر على ضبط عوالم النص الإبداعية والمعرفية بما ينبغي أن تضبط به.

ولعل البغدادي كان يتخذ تجربته الخاصة مجالاً للإيضاح والبيان، بإدامة الإحالة عليها، والتظر في الموروث الذي استوعبته، والحدث الذي تجاوبت معه، حتى تماهي فيها الموروث والمكتسب تماهياً لا يعبر عنه إلا ذلك الامتثال لمبدأ يدعو الأوائل «إحكام الصنعة»⁽¹⁾.

(6)

الامتثال لمبدأ إحكام الصنعة

يوصف الشاعر بأنه «مطبوع راوية»، إذا كان يفضل غيره من الشعراء المطبوعين «برواية»⁽²⁾ الشعر، ومعرفة الأخبار، والتتلمذ لمن تقدمه من الشعراء المجيدين، لأنه إذا كان «راوية عرف المقاصد، وسهل عليه مأخذ الشعر، ولم يضق به المذهب».

فأما من كان مطبوعاً «لا علم له ولا رواية»، فهم يقولون عنه: إن هذا ربّما «ضلّ واهتدى من حيث لا يعلم، وربّما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو مائل بين يديه لضعف آله»، فإذا اعتمدنا وصف «مطبوع راوية» للشاعر الذي لا تضيق أمامه سهل القول، عدّ البغدادي «شاعراً مطبوعاً راوية» في محيطه الثقافي والشعري، وعدّ بناؤه الشعري

(1) انظر بخصوص هذا المبدأ كتابنا البنية الإبداعية في شعر البحتري، منشورات جامعة قارونس، ص 43.

(2) العمدة في صناعة الشعر، ابن رشيق القيرواني، تحقيق النبوي شعلان، القاهرة: الخانجي، 2000، 1/ 317.

وحدات تعبيرية تتعرض للتحوّل المجازي، فتكتسب قيمة فنية، بما يتحقّق فيها من صدق فنيّ، وكلّ ذلك وليد طبع فطر عليه، ووليد معرفة هي قوام الفطنة لديه، وهنا تتماشى معرفة القديم بمعرفة الحديث، ومن تماشهما يتوقّد الفعل الشعريّ عنده توقّداً ينبئ عن اكتمال التجربة وكمالها، بل ينبئ عن كفاية شعريّة في استخدام تراكيب اللغة وشحنها بدلالات نفسيّة تحرّك ما هو مستكنّ في الأعماق من المشاعر والأحاسيس، وسوف أحيل في هذا على ما يحكيه الشاعر نفسه، إذ يقول:

قَالَ مَزَامِيرُ وَالْمَعَارِفُ⁽¹⁾ شَتَّى كَالْعَصَا فِير حَوْلِ نَبْعِ الْمَاءِ
وَلِكُلِّ رَفِيفُهُ وَصَدَاهُ حِينَ يَشْدُو، وَصَوْتُهُ فِي الْغِنَاءِ
وَلِكُلِّ حَبِيبُهُ وَهَوَاهُ وَلِكُلِّ مَدَاهُ فِي الْإِلْقَاءِ
وَالَّذِي يَجْمَعُ الشَّدَى مِنْ شَفَاهِ الظِّ طَيْرٍ لِحْنًا مُعْطَرِ الْأَصْدَاءِ
وَيُحِيلُ الْأَنِينَ صَوْتًا شَهِيًّا نَتَعَاطَى رَحِيقَهُ فِي انْتِشَاءِ
سَيِّعَنِي بِأَلْفِ نَائٍ وَنَائٍ غَيْرَ نَائِ الْخَلِيلِ وَالْخَنَسَاءِ

فناي الخنساء إنّما هو رمز لذلك الشعر الذي يقال وفقاً لمبدأ الفطرة والتكوين، وأمّا ناي الخليل فيرمز به إلى ذلك الشعر الذي تناصرت على إبداعه قوّة الفطرة من جانب، وقوّة الفطنة المكتسبة من جانب آخر، بعدما ضبطت الخليل الشعر ضبطاً لغوياً صوتياً، وأحكمه مراعاة لما روي من الشعر عن العرب الخُلص، ووضع ما جمعه في كتاب «العروض فلماً أحكمه من هذا الجانب سعى إلى ضبطه ضبطاً نغمياً في كتابين هما «كتاب النغم» و«كتاب الإيقاع»⁽²⁾.

ولعل الخليل استفاد من أنماط الغناء وتراكيبه، ومن ائتلاف النغم واختلافها، وأنّه ألقى هذا الائتلاف والاختلاف متحقّقاً في كميّات التراكيب اللغوية، وفي لغة الشعر

(1) على جناح نورس، ص 70.

(2) كتاب الفهرست، النديم الورّاق، تحقيق رضا تجدد، طهران، 1988م، ص 49.

على وجه الخصوص، إذ في رحابها تتكشف عناية الشعراء بمفردات التراكيب، وتلوينات أصواتها، وتنغيمات صيغها، وبهذه التلوينات والتنغيمات يحدث الشاعر الواحد في الوزن الواحد آلاف التنويعات، بل يختلف إنشاده إياه من حال إلى حال، إذ لكل صوت تنغيمه، وصداه، ومداه، وللتفوس انقباض وانبساط عند اختيار ما يختار منها، وعند إنشاد ما ينشد منها.

ولأيضاح ذلك أعود إلى ما سلف ذكره من أبيات، لأتمعن فيما أضمره الشاعر فيما أظهره وهو يقول:

فالمزَامِيرُ والمَعَارِزُ شَتَى كَالْعَصَافِيرِ حَوْلَ نَبْعِ الْمَاءِ
وَلِكُلِّ رَفِيفُهُ وَصَدَاهُ حِينَ يَشْدُو، وَصَوْتُهُ وَمَدَاهُ

وسألاحظ أن الفطرة الشاعرة وجّهت أحاسيس الشاعر ومشاعره إلى تكرير السّين، والصّاد، والشّين، والفاء، والهاء، وهي نصف ما هو مهموس من حروف العربيّة، وإلى تعزيزها بحرف «الزّاي»، وهو مجهور، ولكّنه يشاطر السّين والصّاد صفة الصّفير، وأنّ هذه الفطرة الشاعرة نفسها هدته أيضاً إلى أن يكرّر مع الزّاي المجهورة كلاً من «الميم»⁽¹⁾، والرّاء، واللام، والدّال، والواو التي تعدّ إذا عدّت الحروف المجهورات التسعة عشر في العربيّة.

فهذا الحشد من الأصوات المكرّرة من شأنه أن يمنح الإيقاع ترجيعه الزّمني حال الإنشاد، وأن ينمّي الصورة السّمعية لما يصدر عن الحيّ المصوّت بذاته: «العصافير»، وهو فرح بما فيه سرّ الحياة والبقاء، ولما يصدر عن الجماد المصوّت بفعل غيره، الحامل لمشاعر من يصوّت به انبساطاً وانقباضاً، أقصد «المزَامِير والمَعَارِز».

بل من شأن ذلك أن يوحي بالتلازم الوثيق بين الشاعر وموضوع شعره، وهو تلازم

(1) كتاب سبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: الهيئة المصرية للكتاب، 4/ 434.

يكشفه حسن توظيفه لكلمة «رفيف»: في قوله: «ولكلِّ رفيفه وصداه» وتفضيله إيّاها على ممتلكات مادّتها، بيان ذلك:

1 - أنّ معجمات العربيّة تستعمل «الرّف»⁽¹⁾ و«الرّفرفة» مصدرين للفعل الثلاثي «رَفَ» الطّائر يَرُفُّ رَفًّا، وللـفعل الرّباعي «رُفِرَ» يرفرف رفرقة، إذا بسط جناحيه في الهواء، من غير أن يحركهما.

2 - ولكنّ الشّاعر لم يستعمل أحد المصدرين المذكورين، وإنّما أثر عليهما صيغة «رفيف» التي تخصّصها المعجمات لما يضطرب⁽²⁾ ويتحرّك بفعل الرّياح من النّبات، والثّياب، وكسور الأخبيّة، فاستعار الشّاعر صيغة «رفيف» لأنّها تحاكي حركة أجنحة العصفير، وتحاكي اهتزاز المزامير والمعازف، فضلاً عمّا تحقّقه من تأثير في المعنى والتّصوير والإيقاع.

فهذا التّصرّف ينبئ عن حذق وثيق الصّلة بما يدعوه الجاحظ مبدأ «إحكام الصّنع»⁽³⁾، بوصفه قيمة ينصهر بفعلها الفطريّ مع المكتسب، انصهاراً يدلّ على اكتمال الفعل الشعريّ وكماله. وغنّي عن البيان أنّ البغدادي لم يصل إلى هذه المرحلة إلّا بعد ضروب من المعاناة والمعالجة، والتّجريب، ومجاعة سابقه من الشّعراء، حتّى اهتدى إلى نمط من الصّيغة الشعريّة المتروية التي غدت قاعدة استقرت عليها تصاريف القول، إذا سخر فعرض، أو فقد فرثي، أو أحبّ فتغرّل أو شبّب، أو اغترب فشكا، أو ناجي الصّديق فعاتبه أو اعتذر إليه، ولنا في قصيدة «أحبة قلبي» المثل المعبر عمّا ذكرناه من صدق المودّة والمحبة، فهو يخاطبهم بقوله:

أَحَبَّةَ قَلْبِي عَلِّلُونِي بِنَظَرَةٍ أَشْدُّ بِهَا أَرْزِي إِذَا وَهَنَ الْأُزُرُ⁽⁴⁾
وَلَا تُبْعِدُونِي عَنْ حِيَاضِ الْفَتْهَا بِلَا جُرْعَةٍ يَقْوَى بِهَا الْعَزْمُ وَالصَّبْرُ

(1) تاج العروس، مادة: «رَف».

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصر: مصطفى الحلبي، 2/ 376.

(3) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجي، 1/ 14.

(4) على جماح نورس، 231.

أَحِبَّةَ قَلْبِي كَيْفَ أَشْدُو لَغَيْرِكُمْ فَلَوْلَاكُمْ مَا كَانَ شِعْرٌ وَلَا نَثْرٌ

ويستهلّ خطابه لهم بقوله: «أَحِبَّةَ قَلْبِي عَلِّلُونِي بِنَظْرَةٍ» بما يضره من إحياءات صوفيّة مختزنة، وهو ممّا تسرّب من محفوظه إلى مقوله بوعي أو بغير وعي، فالشّطر بتمامه من أشطار قصيدة تنسب إلى أبي الفتح ابن أبي عياض⁽¹⁾ السرخسي (ت 513هـ)، وتدعى القصيدة⁽²⁾ العياضيّة، وهي في مدح المصطفى ﷺ، وأولها:

أَحِبَّةَ قَلْبِي عَلِّلُونِي بِنَظْرَةٍ فِدَائِي جَفَاكُمُ، وَالْوَصَالُ دَوَائِي

وقصيدة أبي الفتح هذه خمسها الشيخ أحمد بن حسين البهلول، الشاعر الصوفي الطرابلسي، ويجري تخميسه لها على تقديم ثلاثة أشطار من نظمه، يتبعها بشطرين من القصيدة العياضيّة الخمسة، يقول البهلول:

أَذُوبُ اشْتِيَاقًا وَالْفُؤَادُ بِحَسْرَةٍ⁽³⁾ وَفِي طَيِّ أَحْشَائِي تَوَقَّدُ جَمْرَةٌ
مَتَى يَرْجِعُ الْأَحْبَابُ مِنْ طُولِ سَفَرَةٍ أَحِبَّةَ قَلْبِي عَلِّلُونِي بِنَظْرَةٍ
فَدَائِي جَفَاكُمُ وَالْوَصَالُ دَوَائِي

على أنّ تداخل التّصوص بالتّصوص لم يعد معيياً بعدما محض النّقاد لذلك مصطلح التّناسّ، بل بات التّناسّ ذا قيمة شعريّة عالية، إذا وُفّق الشاعر إلى البناء على ما أخذ بما يبرز خفايا شعريته، على نحو ما فعل البغدادي الذي اهتدى إلى جمال الاستعارة وقوّتها التّعبيريّة في قول صاحب الأصل «عَلِّلُونِي بِنَظْرَةٍ»، من حيث إنّهُ استعار «العَلَل» وهو الشّرب بعد الشّرب، من مجال التزوّد بالمياه مرّة بعد مرّة، إلى مجال التزوّد من أحبابه بالنظر بعد التّظر ثمّ لم يزد على هذا، وأبقى الاستعارة مطلقة، أي عاريّة ممّا يلائمها ترشيحاً أو تجريداً، فبنى هو على هذا الأصل ما يقوّي شعريته حين قال:

(1) ديوان التخميس، محمد صادق محمد، المركز الحسيني للدراسات، 1/ 126.

(2) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا، بيروت، إحياء التراث، ص 270.

(3) ديوان البهلول، شرح وتعليق الطاهر الزاوي، مكتبة القاهرة، ط 1966، ص 16.

وَلَا تُبْعِدُونِي عَنْ حِيَاضِ أَلْفَتْهَا بِلَا جُرْعَةٍ يَفْقَى بِهَا الْعَزْمُ وَالصَّبْرُ

فكلمة «حياض» وكلمة «جرعة» تعزز سياق المياه المستعار منه على سياق المستعار الذي هو النظر، وعلماء البلاغة يعدّون تقوية المستعار منه بذكر ما يلائمه «ترشيحاً» وهو محمود عندهم، لأنّ الترشيح⁽¹⁾ يجعل الكلام كأنّه محمول على الحقيقة، بل هو الحقيقة ذاتها، لأنّ قصيدة «أحبة قلبي» التي انتزعنا من أبياتها ما عرضناه للتدليل على اكتمال تجربته الشعرية وكمالها من القصائد التي قالها مخاطباً زملاءه في الجامعة من مكان غربته في «الطا» يوح لهم ويعتذر، ويرنو إلى فسحة توق تلوح بين أنابيش ذكريات قال عنها:

سَأَنْبِشُ بَعْضَ⁽²⁾ الذِّكْرِيَّاتِ لَعَلَّهَا

تُخَفُّ آلَامِي فَيَنْشِرُحُ الصَّدْرُ

وَلَمْ أَنْسَ أَنِّي عِشْتُ بِالْحُبِّ بَيْنَكُمْ

وَلَكِنْ بَعْضَ الْحُبِّ مَرْكَبُهُ وَغَرُّ

فَكَمْ مَنْصِبٍ أَوْلَيْتُمُونِيهِ عَنْ رِضَى

فَمَا نَابَنِي مِنْكُمْ جَزَاءٌ وَلَا شُكْرُ

رَضِيْتُمْ فَتَصَبَّيْتُمْ وَحِينَ غَضَبْتُمْ

تَغَيَّرَتِ الْأَوْصَاعُ وَاخْتَلَفَ الْأَمْرُ

هَلِ الذَّنْبُ ذَنْبِي أَمْ هُوَ الذَّنْبُ ذَنْبُكُمْ

أَمْ الْكُلُّ لَا ذَنْبَ عَلَيْهِ وَلَا وَزْرُ

أَمْ الْمُذْنِبُونَ الْآثِمُونَ جَمِيعُنَا

يُفَرِّقُنَا زَيْدٌ وَيَجْمَعُنَا عَمْرُو

(1) مفتاح العلوم، السكاكي، أبو يعقوب يوسف، بيروت: دار الكتب العلميّة، ص 385.

(2) على جناح نورس، 232.

أَحِبَّةَ قَلْبِي إِنْ مَلَيْتُ وَدَادَكُمُ
وَيَمَّمْتُ وَجْهِي غَيْرَكُمْ فَلَئِي الْعُدْرُ
إِذَا الدَّهْرُ أَفْضَى بِاغْتِيَالِ نَعِيمِنَا
«فَأَيُّ نَعِيمٍ لَا يُنْعِصُهُ الدَّهْرُ
تَحَوَّلْتُ عَنْكُمْ آسِفًا لِفِرَاقِكُمْ
لَعَلِّي أَلَاقِي الْخَيْرَ إِنْ وُجِدَ الْخَيْرُ
فَكُنْتُ كَمَنْ بَاعَ أَلَّتِي فِي يَمِينِهِ
بِأُخْرَى لَهَا مِنْ عَاشِقٍ آخَرٍ مَهْرُ

وقد كانت لتجربة الغربة أبعاد في شعر البغدادي، ولكنها لم تؤت ثمارها إلا بعد أن عجمت الأيام عوده، وعبر الآفاق، واختلط بأقوام وأقوام، ومارس التعليم في بيئات مختلفة، وألقى شعره في محافل داخل الوطن وخارجه، وعرف أحوال الغرباء حيثما حل، ويومها طالعنا بشعر فيه من جماليات التعبير والبوح بما في الشعر من ألق، وفيه من جماليات التصوير ما يُحيل على حاله وأحوال الغرباء البُعداء عن أوطانهم، فما أبعاد هذه التجربة في شعره، وما رموزها فيه؟

(7)

تجربة الغربة

لئن كانت متابعتنا لتجربة الغربة في شعر البغدادي تفتقر إلى ما يصلها بشعر البدايات عنده، فلائنا نتناولها لا اعتماداً على ما أنشأه، بل اعتماداً على ما نشره من شعر يعود أغلبه إلى تسعينيات القرن المنصرم وما بعدها، ففي شعره هذا تلوح تجربة الغربة موضوعاً ومعجماً ومضموناً، وألطف ما في هذا أن البغدادي لا يدعوها «تجربة الغربة»، وإنما يدعوها «محنة الغربة»، وكأنه عوّل على تقليب لفظ «محنة» لما فيه من تنويع

شعريّ دلاليّ، من جهة أنّ ضده وهو لفظ «منحة» كامن فيه، ومن جهة أنّ المحنة ابتلاء واختبار «وأنّ اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسارّ ليشكروا، وتارة بالمضارّ ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء»⁽¹⁾.

فالغربة منحتة على هذا الأمان الشّخصيّ، وجنّبتة مخاطر يمكن أن تحقق به، وإن أذاقته لوعة البعد عن الوطن، وألم فرقة الأهل والصّحب، حتى ألهمت لواعج شوق عارم، وضرام غضب مكبوت.

فانبعاث المنحة من رحم المحنة أمر مسلّم به تفويضاً لمراد الله، ابتلاء منه واختباراً، لا ينازع فيه من يعي هذا، ثمّ يقبل على الغربة طائعاً مختاراً، تقوده إلى ذلك إرادة متروية، إذ هي إرث أسريّ قال عنه:

إِنَّهَا مِخْنَتِي وَمِخْنَةُ أَبَا ئِي، وَأَبَائِكُمْ، وَإِرْثِي وَدَيْنِي⁽²⁾

لكن يبدو أنّ هذا الاختيار الذي أقدم عليه تجنباً لما يخشاه فتح أمامه آفاقاً من معاناة المغتربين اضطراراً حين ألفاهم يتجرّعون آلام الفاقة والعوز، ويحتسون حرق التشتّت والصّياح ويحثّون إلى أوطانهم حيناً ممزوجاً بالوله والغضب الصارخ، حينئذٍ غدا يتحدّث بلسان العربيّ المغترب، العازف عن أفكار ورؤى لا مكان لها في ذهنه وقلبه ووجدانه.

ولئن بدت غربة البغدادي غربة مكانية في ظاهرها، فإنّها تحوّلت مع هذه المعاناة التي تشربها إلى غربة فكريّة، ستطور لاحقاً إلى غربة رويّة، ولعلّ التّعبير الصّادق عن غربيته الفكريّة إنّما يصوره خطابه الذي وجهه إلى من دعاه «رفيق الصّياح» في رحلة الوجود، وهنا يصير تعبير «محنة الغربة» غير محتاج لذلك التأويل الذي سقناه، ذلك ما يتحقق منه من يتمنّ قصيدة «نزيف الغربة» التي يقول فيها:

(1) الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصر: مصطفى الحلبي، مادة (بلى)، ط 1961، ص 61.

(2) على جناح نورس، 209.

يَا رَفِيقَ الضِّيَاعِ حَسْبِي ضِيَاعاً أَنْ لِلْخَلِّ أَنْ يُودَّعَ خِلَّةً⁽¹⁾
تَعَبَ الْعَاشِقِ الْوَلُوعُ وَمَلَّتْ كَأْسُ أَحْلَامِهِ الْفَرَاغُ وَمَلَّةُ
الْفِرَاقِ الطَّوِيلُ أَذْمَى جِرَاحِي بِسَعِيرٍ مِنَ الْأَذَى وَالْمَذَلَّةِ
وَتَلَاشْتُ مَعَالِمِي وَسَمَاتِي وَخَسِرْتُ الرَّهَانَ وَالْعُمَرَ كُلَّهُ
فَخُيُولِي مَشْدُودَةً بِوَنَاقِي تَشْتَكِي قَيْدَهَا وَتَنْشُدُ حَلَّةَ
وَنُصُورِي رَهِينَةً بِاغْتِرَابِي فَهِيَ مِنْلَى حَبِيسَةٍ وَمُغَلَّةَ
وَسَمَائِي وَأَيْنَ هِيَ سَمَائِي طُمِسَتْ مِنْ نُجُومِهَا وَالْأَهْلَّةِ
وَالْهَوَى الْعَنْتَرِي فِي صَبَوَاتِي لَمْ يَعُدْ خَاتِماً بِأُصْبُعِ عَبْلَةٍ
تَاهَ خَطْوِي وَمَا بَلَغْتُ طَرِيقِي فَاحْتَمَلْتُ الْأَسَى وَأَذْمَنْتُ حَمَلَةَ
وَتَسَاءَلْتُ كَيْفَ أَحْيَى بَعِيداً عَنْ حِمَايَ الَّذِي تَفَيَّأْتُ ظِلَّهُ
كَيْفَ تَشْدُو بِلَابِلِي دُونَ رَوْضِ تَكْتَسِي دَوْحَهُ وَتَرْتَشِفُ ظِلَّهُ

فهذه القصيدة قد تكون خطاباً مباشراً يوجهه الشاعر لأحد الغرباء في أصقاع الأرض، وقد تكون رسالة لصديق يشكو حرقة الغربة في أرض وُلِدَ بها ونشأ فيها، ثم حيل بينه وبين الخروج منها، وعلى أيٍّ منهما فهي تصف أحاسيس سجين يخيفه الواقع، ومخاوف هارب يخيفه المتوقع، واستناداً إلى هذا كانت مفردات: الوثاق، والأغلال، والحبس، والقيد، والشّد، والغياب، والارتهان، تحيل على صورة المعذب بواقعه، وكانت مفردات الإباق، والته، والضّياع، والابتعاد، والدرب، والتّواري، والتشردّ تحيل على صورة المعذب بما قد يقع، فهذه العناصر المعجميّة تأتلف معها عناصر أخرى تصف تصاريف أحوالهما، وما يستبدُّ بهما من التّعب، والملل، والأسى، والخسران، والشّرود، فهذه الأحوال كلّها استوعبتها أحاسيس الشاعر، فأضحى هو الذي يعانيها حقّاً، وهو الذي

(1) نفسه، ص 195.

يقوى على إيداعها في رسالة تنطق بلسان شعراء الاغتراب في أصقاع الشتات، وما منهم إلا ولسان حاله يقول:

يَا غَرِيباً عَنِ الدِّيَارِ تَوَارِي خَلَفَ أَحْزَانِهِ، وَعَاقَرَ ذُلَّهُ
امْلَأْ الْكَأْسَ مِنْ جَرَّاحِكَ وَاشْرَبْ مِنْ رَكَايَا دِمَائِكَ الْمُنْهَلَّةِ
دَمِيتَ قَدَمَاهُ فِي دَرِيهِ الدَّامِي إِلَى غَيْرِ مَا يُحَقِّقُ وَصَلَهُ
آبِقُ فِي الْحَيَاةِ لَمْ يُؤْوِهِ غُ شُ، وَلَمْ يَحْمِهِ تُرَابُ أَقْلَهُ

إلى آخر ما قال في هذه القصيدة التي تُعدُّ نصّاً شعريّاً محكم البناء وفاقاً لتأليف الجملة الشعريّة، وتجميعها معنويّاً ونحويّاً، في سياق وزن الخفيف الذي يطيب للبغدادي أن يسوق القول عليه، وسياق قوافيه الموصولة بالهاء، التي قطع الوقف عليها بالسكون مسار الحركات وتماديها.

وفي قصيدة «وجه بلا قناع»⁽¹⁾، يتميز تناول البغدادي لتجربة الغربة بوضوح الرؤية، وخصوصية الإفصاح عنها، وسوقها إلى رواة شعره منبهاً ومؤكداً ما يسوقه بمثل هذه الاستهلالات: «ها أنا ذا ألوح»، «ها أنا التقي رواتي»، «ها أنا بينكم»، ليعزز ويؤكد حقيقة انتمائه:

أَنَا لَا أَتَمِّي لِغَيْرِ رُؤَاتِي هُمْ فُؤَادِي، وَهُمْ لِسَانِي وَعَيْنِي
ثُمَّ أَخَذَ يَحْفِزُهُمْ لِيَنْزِعُوا أَقْنَعَتَهُمْ كَمَا نَزَعَ هُوَ قَنَاعَهُ، وَأَنْ يَدْعُوهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ:
فَأَفْرُؤُونِي كَمَا أَنَا بِجُنُونِي وَشُؤُونِي، أَوْ اثْرُكُونِي وَشَأْنِي
كُلُّ لَيْلَى وَقَيْسُهَا وَهَوَاهَا وَبَنُو قَيْسٍ يَرْفُضُونَ التَّبَيِّي
وَعَلَى الشَّعْرِ أَلْفَ مَجْنُونٍ لَيْلَى فَاتَّبِعُوهُمْ وَبَاعِدُوا اللَّوَمَ عَنِّي
لَسْتُ صَيْدَ الْفَرَى وَلَا بُحْتُرِيّاً أَزْرَعُ الْبَدْرَ وَالنُّجُومَ وَأَجْنِي

(1) على جناح نورس، 205.

لَسْتُ قَيْسًا وَلَا لَبِيدًا جَدِيدًا لَسْتُ زُرْيَابَ عَصْرِهِ فِي التَّغْيِي
 غَيْرَ أَنِّي وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي أَغَشَقُ الشَّعْرَ وَالْجُنُونَ وَأَنِّي
 هَزَنِي الشَّعْرُ فَانْجَذَبْتُ بِلاَوَعِ يَ، وَرَاوَدْتُهُ فَأَعْرَضَ عَنِّي
 الْمَجَانِينُ وَحَدَّهْمَ أَصْفِيَائِي شَأْنُهُمْ فِي الْهَوَى يُطَابِقُ شَأْنِي
 كُلَّهُمْ يَحْمِلُونَ بَعْضَ شُجُونِي وَيَهَيِّمُونَ فِي غَوَايَاتِ شَجْنِي
 نَفَسُوا شَعْرَ جِلْدِهِمْ وَاسْتَلَدُوا سَاحِرَ الْمَوْجِ فِي سَوَابِحِ سُفْنِي

وسواء استجابوا لطلبه فقرأوا شعره، أم عزفوا عنه وقرأوا غيره، فستظهر حقيقة أن كل شاعر هو قيس، وأن كل قصيدة يبدعها هي ليلاه، فليقرأوا ما هم قارئوه بلا سخاء في المدح، ولا إسراف في القدح، ففي هذا الشعر استفرغ جهداً، واعتصرت قرائح، ولكل شعرٍ ما يميّزه عن سواه، كذلك هو شعره لا يبعثه مثلاً، ولا يفرضه على روايته، ولا يرتضيه سلعة تباع وتشتري، وتعرض عرض أثنى صيد، وهو صيد الفري⁽¹⁾، فلا هو - كما يقول - البحترى الذي ينتخب الكلام، ويزرع منه بدوراً ونجوماً، ولا يجني ممّا زرع إلاّ أبخس الأثمان⁽²⁾، ولا هو قيس صاحب ليلي، ولا هو قيس صاحب لبنى، وهما كما يقال عنهما «ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلي إلاّ نسبوه إلى المجنون (قيس بن الملوح)، ولا شعراً هذا سبيله قيل في لبنى إلاّ نسبوه إلى قيس بن ذريح»⁽³⁾.

ولا هو أيضاً لبید بن ربیعة العامريّ الشاعر الجاهلي الذي أسلم، وهجر الشعر، وتنسك، وأنفق أمواله في وجوه الخير، وحافظ على نذره في الجاهلية⁽⁴⁾، ولا يدعي أنّه

(1) الفري هو الحمار الوحشي، وفي المثل: «كلّ الصيد في جوف الفرا». انظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، القاهرة: العربيّة الحديثة، 2/ 162.

(2) في هذا إشارة إلى قول البحترى، ديوانه، الصيرفي، دار المعارف، 2/ 747.

(3) وَيَكْسُدُ مِثْلِي وَهُوَ تَاجِرٌ سُودِدِ يَبِيعُ ثِمِينَاتِ الْإِكَارِمِ وَالْجِنْدِ كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، 2/ 7.

(4) خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق هارون، الخانجي، 2/ 248.

بلغ في الشعر أداء وإنشاداً ما بلغه في الغناء زرياب⁽¹⁾ في عصره، فإنه هو الذي بين لأهل أفريقية أوضاع الموسيقى الشرقية سنة (205) وهو في طريقه إلى الأندلس.

فلكل ذلك عشق الشعر، وعشق جنون قوم يسافرون في سوابح غواياتهم حباً في اكتشاف رغائب النفوس، ولطائف أشياء الكون، فجنون الشعر كجنون السفر، كلاهما إبحار بالذات في الذات نحو المجهول، أو على حدّ قوله:

قَالَ شَعْرٌ فِي سَفَرٍ دَوُّو بِ فِي النَّفُوسِ وَفِي الْجِهَاتِ⁽²⁾

فهذا السفر الدّوّوب ساقه إلى الحبشة التي أمضى في أكنافها حيناً من الزّمن، ما زال يتحدث عنه بشوقٍ وحبٍّ، ذكر بعضه في قصيدته التي دعاها «أشواق عربية مهاجرة إلى الحبشة»، وهي قصيدة تتغلغل في عتمات التاريخ، وتذكر بحزن وحرقة «مضارب العرب» في «هرر»⁽³⁾ تلك المدينة التي «كانت وما زالت من أهم المدن الإسلامية في الحبشة». وتصف أشواقاً «تحدوها إلى مضر» وتعصف بهؤلاء الضحايا الأغراب. من أهلها، إذ غربتهم كغربة سورها الذي تحدّى عوادي الزّمن، وكغربة مسجدها وأشتات المسابح تجثو حول منبره، بل كغربة مئذنته التي عاث الصليب بشموخها وتساميتها، كل ذلك تسوقه هذه القصيدة فتسوق أوجاعاً غائرة، وإحساساً بغربة روحية غامرة، وآلاماً تتعثر بها أصوات، أولئك الأغراب كلما ذكر ماضي هذه الآثار ومن شيدها، أو ذكرت هجرة المظلومين من المسلمين إليها، فعن هذه الهجرة يقول:

يَا هِجْرَةَ لَمْ تَزَلْ فِينَا مُحَدِّدَةً عُهُودَهَا، أَيُّ سِرِّ فَيْكَ يَسْتَتِرُ⁽⁴⁾
قَدْ أَيْنَعَتْ فَيْكَ مِنْ أَشْهَى مَدَامِينَا مَدَامَةً لَمْ يُعَاقِرْ مِثْلَهَا بَشَرُ

(1) اسمه علي بن نافع، ويعرف بـ غلام إسحاق الموصلي، انظر: كتاب ورقات عن الحضارة العربية في افريقية، تأليف حسن حسني عبد الوهاب، تونس: مكتبة المنار، 1981م، 2/ 178.

(2) علي جناح نورس، ص 189.

(3) علي جناح نورس، ص 244.

(4) علي جناح نورس، ص 263.

مَا زَالَ فِي الدَّوْحِ شَدُوٌّ مِنْ بَلَابِلِنَا وَفِي الشِّفَاهِ حَدِيثٌ لَيْسَ يَنْدَثِرُ
يَأْمَنُ يُعِيدُ إِلَى الْأَغْرَابِ مَا سَكَبُوا مِنْ الْمَدَامِيعِ، وَلَيَذْهَبُ بِمَا ظَفَرُوا
هُمُ الصَّحَايَا، وَلَمْ يَحْفَلْ بِهِمْ وَطَنٌ تَعَشَّقُوهُ، وَلَمْ يَنْبُضْ بِهِمْ حَبِيرُ
الرَّاكِبُونَ مُتَوْنَ الرِّيحِ فِي لَهَبٍ مِنَ الصِّرَاعِ، فَمَا ارْتَدُّوا وَلَا كَفَرُوا
وعن ذلك المسجد ومنبره ومثذنته يقول:

يَا سُورَهَا الْمُتَحَدِّي كُلِّ عَاصِفَةٍ كَمْ حَلَقَتْ فَوْقَهُ الْعُقْبَانُ وَالنَّسْرُ⁽¹⁾
وَذَاقَ مُخْتَلَفَ الْأَهْوَاءِ وَازْدَحَمَتْ عَلَى جَوَانِبِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصُّورُ
مَا شَدَنِي مِنْ رُؤَاهَا غَيْرُ مِثْذَنَةٍ عَاثَ الصَّلِيبُ بِهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ
تَجَنُّو الْمَسَابِغَ حَيْرِي حَوْلَ مَنْبَرِهَا يَخْنُو عَلَيْهَا الصَّدَا وَالرَّمْلُ وَالْحَجَرُ
يَا مَنْ يُعِيدُ إِلَيْهَا كَفَّ نَاطِمِهَا وَيُشْرِقُ الذِّكْرُ وَالْآيَاتُ وَالسُّورُ

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ مَا قَالَهُ الْبَغْدَادِي مِنْ أَشْعَارٍ مَوْضُوعَهَا الْغُرَبَاءُ، لَا يُمْكِنُ احْتِسَابُهُ تَوْثِيقًا ذَاتِيًّا خَالِصًا، بَلْ هُوَ تَوْثِيقٌ لَتَجَارِبِ شَعْرِيَّةٍ مُحْكَمَةِ الْإِنْتِسَابِ لَزَمَانِ أَحْدَاثِهَا، وَمَكَانِهِ، وَإِنْسَانِهِ، وَهُوَ يَشْخِّصُهَا بِمَا يَخْرِجُهَا عَنْ ذَاتِيَّتِهَا، عَلَى نَحْوِ مَا بَدَأَ مِنْهُ إِزَاءَ الْمَشَاهِدِ الَّتِي عَرَضَتْ فِي (هَرَر) الْحَبَشِيَّةِ، وَقَالَ عَنْهَا مَا ذَكَرْنَا بَعْضَهُ، أَوْ مَا عَرَضَ لَهُ وَهُوَ يَجُوبُ رُبُوعَ (تَايِلَنْد)، فَسَجَّلَهُ فِي قَصِيدَةِ «الْإِبْحَارِ إِلَى الْمَجْهُولِ» الَّتِي وَطَّأَهَا بِقَوْلِهِ «مَجْمُوعَةُ خَوَاطِرِ»⁽²⁾ مَتَدَاخِلَةَ أَوْحَتْ بِهَا رَحِلَتَانِ، رَحْلَةُ الْإِبْحَارِ إِلَى الْمَجْهُولِ عَبُورًا بِالشَّاطِئِ الْخَمْسِينَ مِنْ شَوَاطِئِ الْعَمْرِ، وَرَحْلَةُ قَصِيرَةٍ إِلَى بَعْضِ بُلْدَانِ الشَّرْقِ الْأَقْصَى، وَإِطْلَالَةٌ عَمِيقَةٌ وَاعِيَةٌ مِنْ أَجْرَاجِ أَحَدِ الْمَعَابِدِ الْبُودِيَّةِ الَّتِي تَرْسُو عَلَى قِمَّةِ جَبَلٍ عَالٍ فِي مَدِينَةِ «بِتَاي» «الْثَايِلَنْدِيَّةِ»، وَهِيَ تَوَطُّةٌ وَصَفَهَا صَفِيُّهُ الدَّكْتُورُ سَعْدُونَ السُّوَيْحَ بِأَنَّهَا «إِضَاءَةٌ دَاخِلِيَّةٌ لِلنَّصِّ تَسَهِّلُ التَّفَازَ إِلَى بَعْضِ مَجَاهِلِهِ» الَّتِي نَعْرُضُ نَحْنُ مِنْهَا ثَلَاثَ التَّفَاتَاتِ: الْأُولَى - التَّفَاتَتِ إِلَى

(1) نفسه، ص 265.

(2) على جناح نورس، 211.

سراب العمر «بواحة الحرمان» وهو ينفث زفرات شعريّة متوهّجة يقول فيها:

مَاذَا جَنَيْتُ سِوَى السَّرَابِ⁽¹⁾؟ وَهَلْ لَنَا غَيْرُ السَّرَابِ بِوَاحَةِ الْحِرْمَانِ؟
عَاقَرْتُهُ، وَأَلْفْتُ مَرَّ مَذَاقِهِ حَتَّى انْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى الْإِدْمَانِ
لَمْ أَجُنْ مِنْهُ سِوَى الرَّحِيلِ مَعَ الصَّدَى فِي صُحْبَةِ النَّسَاكِ وَالْمَجَانِ
يَا مَنْ طَوَاهُ الْعُمُرُ فِي بَيْدَائِهِ وَالْهَفَتَاهُ عَلَى الشَّرِيدِ الْعَانِي
مَا لِي وَلِغْتُ بِمَا يُوجِّجُ حُرْقَتِي؟ مَا كَانَ عَنْ وَلَعٍ بِهِ أَغْنَانِي
أَلَا أَنَّنِي أَبْحَرْتُ وَفَقَّ مَشِيئَتِي مُتَحَدِّياً لِمَشِيئَةِ الْقُبْطَانِ؟
أَمْ أَتَنِي حَدَفْتُ عَبْرَ مَدَامِعِي فِي مُحْنَتِي مِنْ دَاخِلِ الْقُضْبَانِ

نقول بكلّ يقين: إنّ البغدادي تعمّد ألاّ يكشفنا إلاّ بنواقص ذاته، وفشله في احتفاظه بحريّته، وهروبه هروب شريد قيّده التّشردّ، فبات لا يبصر فرقاً بين تشردّ النّسّاك وتشردّ المُجَان، وأنه ألقى نفسه كلّما طوى من العمر عقداً محاطاً بقضبان محنته، حليف خسران، وغياب، وإخفاق، ولكأنّ الشّاعر يخبرنا في هذه المكاشفة بما هو صادق وأصيل عن فداحة فقد الحرّ للحرّيّة، إذ الحرّيّة من المستورات العظمى، وكفى بالمرء تفريطاً فيها تفريطه في «وثيقة مبايعته» أو كما قال:

وَنَحْتُ مِنْ عَظْمِي وَثِيقَةَ بَيْعَتِي لِتَبُوءَ بِالْخُسْرَانِ وَالْخِذْلَانِ

الالتفاتة الثّانية: التفاتة جرّت قدميه إلى «أحد المعابد البوذيّة»، كما أخبرنا بذلك، فأنشأ يقول: متوجّعاً، لأنّه لم يجد من يخبره بحقيقه هذه الدّات:

وَتَجُرْنِي قَدَمَايَ نَحْوَ مَعَابِدٍ تَعْفُو عَلَى كُتْلٍ مِنَ النَّيْرَانِ⁽²⁾
تَخْتَالُ بَيْنَ مَبَاهِجٍ وَمَقَاتِنٍ وَمَنَاهِلٍ خَمْرِيَّةٍ وَقِيَانٍ

(1) نفسه، 213.

(2) على جناح نورس، 225.

بُودَا، وَهَلْ بُودَا إِلَاهُ حَقِيقَةٌ كُبِرَى ثُمِّلُ أَقْدَمُ الْأَذْيَانِ
أَمْ أَنَّهُ خَدَعَ الْوَرَى، فَإِذَا بِهِ ضَرَبُ مِنَ التَّضْلِيلِ وَالْبُهْتَانِ
أَوَاهُ، لَوْ أَذْرَكْتُ بَعْدَ حُدُودِهِ وَخُلُودِهِ فِي تِكْلُمِ الْبُلْدَانِ

لا ريب أن الشاعر أبصر هذه المعابد محاطةً بكتل من اللهب المستعر، وبضروب من المباهج والمفاتن، فعدها مجرد رموز استوحاها المتعبد الموحّد، لكنّه أبصر أقواماً يعدّون «بودا» إلهاً، ويتحدّثون عن تعاليم لا صلة لها بهذه الرموز وصورتها في ذهنه، فظلّ لذلك حائراً يتساءل، هل بودا حقيقة كبرى، وأن أتباعه هم الذين حرّفوا تعاليمه، أم أنّه هو الذي خدعهم وضلّهم؟ أسئلة يبعث غُسر الإجابة عنها مشاعر من الحيرة والوجع والاستغراب، وعن هذه المشاعر عبّر الشاعر بأداة التوجّع (أواه)، وبأداة الشرط (لو) التي حذف جوابها، حيث يسوق السياق إلى أنحاء كثيرة يلتقي في رحابها حدس الشاعر بحس المتلقّي، كلّ يجيب بما يرى.

وأما الالتفاتة الثالثة: فتلك التي بدرت منه إلى صاحبة «الصّوت الشّاحب»، بعدما أيقظت نبرات صوتها كوامن الأشجان، فكانت لحظة نادرة تحرّر فيها خياله من أسر المنطق والمألوف، فأوقع بين أشياء الوجود وصلاً حميماً، فامتثل له «الصّوت شاحباً» و«اللحن ناعساً»، وتهياً له أنّ «للصدى بريقاً متوسّلاً متحيراً»، فقال عن صاحبة هذا الصّوت التي كانت تبيع «الورد حول بحيرة فضيّة...»:

وَتَهَرَّيْ نَبْرَاتٍ صَوْبِ شَاحِبٍ يَشْدُو بِلَحْنٍ نَاعِسٍ وَسَنَانٍ⁽¹⁾
فَتَعَثَّرْتُ قَدَمَايَ فِي ذَاكَ الصَّدَى وَبِرِيقِهِ الْمُتَوَسِّلِ الْحَيْرَانِ
وَعَلَى الْجُفُونِ الذَّابِلَاتِ غِلَالُهُ مِنْ لُؤْلُؤِ غَافٍ وَمِنْ مَرْجَانِ
كَانَتْ تَبِيعُ الْوَرْدَ حَوْلَ بَحِيرَةٍ فَضِيَّةِ الْأَمْوَاهِ وَالْحَيْتَانِ

(1) على جناح نورس، 227.

فَقَرَأْتُ فِيهَا مَا يَدُورُ بِدَاخِلِي مِنْ لَهْفَةٍ حَرَى وَمِنْ أَحْزَانِ
وَبَدَأْتُ أَجْمَعُ لِلرَّحِيلِ حَقَائِبِي لِأَدِيرَ لِلْحُبِّ الْكَبِيرِ عَنَانِي
وَيَظُلُّ فِي نَفْسِي رَفِيفُ صَبَابَةٍ جَذَلَى تُعَانِقُ أَغْدَبَ الْأَلْحَانِ

بمثل هذا التكتيف الاستعاري ألف البغدادي نسقاً من الوجود الفني بين أطراف متباعدة، يفقد فيها الطرف معناه بمقتضى العقل والمنطق، ليكتسبه بمقتضى المجاز والتخييل، والاستناد إلى منطق العلاقات، كعلاقة التقارب والتباعد هنا بين «صوت شاحب» و«صوت هامس»، و«لحن ناعس» و«لحن ناعس»، و«الصدى وبريقه» و«الصدى وترجعيه»، و«لؤلؤ غاف» و«لؤلؤ صاف».

وكل ذلك تشكيل استعاري يوحى ويوجز، ويثير ويمتع، ويعبر عن المشاعر والخواطر بومضات خاطفة، تبعث في النفوس ضروباً من التوق والتطلع إلى مكامن الحياة في الأشياء، حتى لقد عدّ النقاد أن «الاستعارة والطباق مقومين⁽¹⁾ بنائين في الشعر، بل هما مع التجنيس أقوى مقومات الشعر» قديمه وحديثه، وللبغدادي ولع شديد بهذه العناصر، لما تحقّقه من شعريّة رائقة، وترابط صوتي نحوي دلالي ملحوظ.

وقديماً قال عبد القاهر الجرجاني بشأن اللفظة المستعارة: «إن اللفظة الواحدة تستعار على طريقتين مختلفتين، ويذهب بها في القياس والتشبيه مذهبين: أحدهما يفضي إلى ما تناله العيون، والآخر يؤول إلى ما تمثله الظنون»⁽²⁾.

(8)

رموز الغربة في شعر البغدادي

إن الحديث عن الغربة والاغتراب في شعر البغدادي يسلم لا محالة إلى الحديث عن رموزها الواصفة واختياره إيّاها بعد ما صقلت المواقف والأحداث تجاربه، وأوقفته

(1) محمد العمري، الموازنات الصوتية، المغرب، أفريقيا الشرق، 2001، ص 189.

(2) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ط 1991م، ص 69.

على طرق التعبير بها عن أفكاره ومقاصده، وإبداء آرائه فيما هو كائن، وفيما ينبغي أن يكون، وتوظيفها التوظيف الذي يجدد قدرتها على التعبير والإيحاء.

على أن أظهر ما في هذه الرموز أنها تحيل بكل وضوح على أفراد من عوالم الطير، وتقديمه إياها في صور تفصح عن تميز كل نوع منها بما لا يتميز به غيره من أبناء جنسه، وكأنه كان ينتقي منها لذاته جماع ما يميزها نوعاً نوعاً، والحال أنه قد غدا منطلقاً مثلها في كون الله الفسيح، وأنه قد وجد في كلام الأوائل وشعرهم، وفي أشعار المحدثين كذلك صوراً ناصعة، استخدمت الأطيوار فيها رموزاً حملها هؤلاء وهؤلاء تأملاتهم في الدنيا، والوجود، وعلاقات الناس. وبتوجه البغدادي لاستعارة رموزه من عوالم الطير، ألفيناه ينتقي من أفراد أنواعها: النسر، والبلبل، والتورس.

فأما النسر فيوصف في المأثور الثقافي شعره ونثره، بأنه من أشد⁽¹⁾ الطير طيراناً، وأقواها جناحاً، وأن سائر الجوارح تخافه، فهو إذن رمز للقوة وشدة المراس، وهو أصلح مما سواه استخداماً في التجارب الشعرية التي يكون موضوعها الوطن، فإذا استخدم النسر في تجربة من هذا القبيل، فلأن علاقة الشاعر بوطنه كعلاقة النسر بوكره، فضلاً عن أن لهذه العلاقة ما يكافئها في ثقافة أبناء الوطن، أعني إطلاقهم لقب نسور الجوّ على الطيارين من أبناء الوطن وعلى طائراتهم، وهو ما أوماً إليه الشاعر في قصيدة دعاها نزيف الغربة:

فَحْيُولِي مَشْدُودَةٌ بِوَثَاقِي تَشْتِكِي قَيْدَهَا وَتَنْشُدُ حَلَهُ⁽²⁾
وَنُسُورِي رَهِينَةٌ بَاغْتِرَابِي فَهِيَ مِثْلِي حَبِيسَةٌ وَمُعْلَةٌ
وَسَمَائِي وَأَيْنَ هِيَ سَمَائِي طُمِسَتْ مِنْ نُجُومِهَا وَالْأَهْلَةُ

(1) نهاية الأرب، شهاب الدين التويري، مصر: وزارة الثقافة، 206/10.

(2) هذا عند شعرائنا المحدثين، فأما الأوائل فكانوا لا يذكرونه إلا مصاحباً للجيش طمعاً في الوقوع على جثث القتلى.

فيمثل هذا التّصوّر المبني على المقايسة صارت الطّائرات الرّابضة في مطاراتها معادلاً موضوعياً للشّاعر، فلا بس الشّأن العام الشّأن الخاص، ولكن كلاهما لم يستكن وقرّر الانطلاق والإبحار.

فَالنَّسْرُ يُجْحِرُ إِنْ سُدَّتْ مَسَالِكُهُ عَنِ السَّمَاءِ وَلَا يَبْقَى بِمَخْدَعِهِ⁽¹⁾

وينبغي أن يشار هنا إلى أنّ صورة النّسر المبحر في هذه القصيدة صورة مجملّة مقتضبة، ورد تفصيلها والتّنويع عليها في قصيدة «عندما تلجم التّوارس»، استناداً إلى أنّ القصيدتين تحيلان موضوعاً ودلالة على مأساة الحصار الجويّ، الّذي منعت بمقتضاه الطّائرات اللّيبية من الطّيران، لذلك رأى الشّاعر في القرار الأمميّ تكبيلاً معنوياً، لا معادل له في الواقع الماديّ إلاّ الأعنة، واللجم، والقيود، والسّلاسل، والعوائق، ولا قرين له إلاّ الدّل، والمهانة، والخوف، والصّمت، فعلاقة التّلازم بين المعادل والقرين من شأنها أن تحقّق المعنى، وتعمّق إيماوات الصّورة الموجعة الّتي يشهد لها لفظ «ويلي» المؤذن بحلول الشّرور والفواجع⁽²⁾:

وَيْلِي عَلَى تِلْكَ التّوَارِسِ كَمْ تَظَلُّ مُكْبَلَاتٍ⁽³⁾
وَيْلِي عَلَى تِلْكَ التّسُورِ الْمُلْجَمَاتِ الْمُوثَقَاتِ
تَسْتَفُّ أَصْنَافَ الْمَهَانَةِ كَالسَّوَائِمِ فِي الْقَلَاةِ
وَنَجْرُهَا جَرَّ الْبَهَائِمِ ذَاهِلَاتٍ مُذْهَلَاتٍ
فَتَكَادُ تَجْفُلُ مِنْ حَظَائِرِهَا وَتُقْلِتُ مُطْلَقَاتِ
لَوْلَا الْأَعْنَةُ وَالْقَيْدُ الْمُوجِعَاتِ الْمُفْجِعَاتِ
شَقِيتُ كَمَا نَشَقَى وَلَا قَتَ مِثْلَمَا يَلْقَى الْأَبَاءُ

(1) ديوان على جناح نورس، ص 199.

(2) القاموس المحيط، مادة (وي ل).

(3) ديوان على جناح نورس، ص 187.

ولتكون الصورة أكثر عمقاً ودلالة قابلها بصورة ما قد فات ومضى، التي تعاكسها بما يعمرها من معاني الأنس، والشموخ، والظرب، والجمال، والإشراق، والمحبة، واجتماع الشمل، وشرع يعدد ما ذكره من ذلك باستعمال لفظ (كم) الخبرية الموضوعة لإنشاء التكثير، ويوظف لهذا بلفظ « الويل » الذي يفيد التفجع أو التفجيع مما هو بلاء وشر، ولفظ «لهفي» هو يعني الحزن على ما فات قائلاً:

وَيْلِي عَلَى تِلْكَ الصُّرُوحِ الشَّامَخَاتِ الزَّاهِرَاتِ⁽¹⁾
لَهْفِي عَلَيْهَا كَمْ تَهَادَتْ فِي الْفَضَاءِ مُحَلِّقَاتٌ
كَمْ رَضَعَتْ حَيْدَ الْمَسَاءِ بِأَنْجُمٍ مُتَوَهِّجَاتٍ
كَمْ رَاقَصَتْ حُورَ السَّمَاءِ وَخَاصَرَتْ مِنْ مُعْصِرَاتٍ
كَمْ بَتَّ سِحْرُ أُزَيْزِهَا فِي شَمْعِنَا مِنْ أُغْنِيَاتٍ
كَمْ جَمَعَتْ شَمْلَ الْأَحِبَّةِ بَعْدَ أَنْ بَعْدَ الشَّتَاتِ
كَمْ أَطْمَعَتْنَا بِالنَّجَاةِ، فَأَيْنَ أَطَوَاقُ النَّجَاةِ
وَيْلِي عَلَى تِلْكَ الْمَعَالِمِ كَيْفَ صَارَتْ ذِكْرِيَّاتٍ

فهذا التكرار وثيق الصلة بالمعنى العام، وليس مجرد ظاهرة عابرة في كيان النص، إذ الموقف لا يحتمل استفاضة ولا تفصيلاً، لأنه قد «طوي البساط» ووقع ما وقع:

وَتَحَوَّلَتْ تِلْكَ الصُّرُوحُ إِلَى طُلُولٍ دَارِسَاتٍ
وَتَوَقَّفَ الْعُمُرُ الْحَزِينُ فَلَا حَيَاةَ وَلَا مَمَاتٍ
بَقِيَتْ قُصَاصَاتُ التَّذَاكِرِ وَاجِمَاتٍ وَاجِفَاتٍ
أَوَاهُ مِنْهَا حِينَ تَعْلُكُهَا الْأَكُفُ الْعَابِثَاتِ

فاستدعى لهذا التوقف بين الحياة والممات ما تبدو عليه «قصاصات التذاكر» أو

(1) على جناح نورس، 188.

ما بقي منها بعد علك الألف إيّاها وعبثها بها، فهي الأمانة والعلامة والدلالة على أنّ هذا التوقّف إنّما هو توقّف انتظار لا توقّف احتضار، إذا ما زالت الرغائب والأهواء تسكنها، لأنّ التذكّر وصف يلازمها:

أَوْ تَذْكُرُونَ، وَإِنْ نَسِيتُمْ، فَالتَّذَاكِرُ ذَاكِرَاتُ
مَا زَالَتِ الْأَهْوَاءُ تَسْكُنُهَا وَلَوْ كَانَتْ رُقَاتُ
نَجْثِو لَهَا، وَكَأَنَّهَُا بَعْضُ الْعُرُوقِ النَّابِضَاتِ
تَشْكُو لَنَا، فَإِذَا بَنَّا نَشْكُو وَنُْمَعِنُ فِي الشَّكَاةِ
سَتَظَلُّ فِي جَفْنِ الْمَسَاءِ دُمُوعَ حُزْنِ دَامِيَّاتِ
حَتَّى يَعُودَ لَهَا الصَّبَاحُ وَتَسْقُطَ الْمُتَنَاقِضَاتُ
وَتُسَافِرَ الْأَمَالُ وَالْأَشْعَارُ دُونَ مُعَوَّاتِ
فَالشَّعْرُ فِي سَفَرٍ دُوُوبٍ فِي النُّفُوسِ وَفِي الْجِهَاتِ

فهذا الجنس⁽¹⁾ الاشتقاقي بين «التذاكر» و«التذكّر»، وهذا السّفر المجازي الدّوُوب «في النفوس وفي الجهات»، كان توطئة استعداد بها الشّاعر الماضي يسترجعه، وينقلنا معه من حدود الواقع إلى براح المتخيّل، يروي لنا قصّة حصار «التسرّ الطّليق» دون غيره من عتاق الطّير وبغاثها في معرض رحلة جويّة تصعد فيها المرتحلون إلى قمم السّحاب بين التّجوم الزّاهرة، وهناك تقاسموا متع العين والأذن والقلب:

كُنَّا عَلَى قِمَمِ السَّحَابِ بِبَعْضِ تِلْكَ الْحَائِمَاتِ⁽²⁾
فِي رِحْلَةٍ، بَلْ نُزْهَةٍ بَيْنَ النُّجُومِ السَّاهِرَاتِ
لَا رَكْضَ فِي عَرَضِ الْفَلَاةِ عَلَى ظُهُورٍ لَاهِيَّاتِ
لَا غَوْصَ فِي أَرْحَامِ هَاتِيكَ الْبَطُونِ الْمُثْقَلَاتِ

(1) نقد الشّعر، قدامه بن جعفر، تحقيق، كمال مصطفى، مصر: الخانجي، ص 186.

(2) ديوان علي جناح نورس، ص 183.

فِي عَوْدَةِ النَّسْرِ الطَّلِيْقِ لِحُضْنِ أَعْلَى الْأُمّهَاتِ
وَعَلَى مَدَى أَرْجُوْحَةِ النَّسْرِ الْمُحْلَقِ فِي أَنَاةِ
كُنَا نَطِيرُ وَخَلَقْنَا الْغُرْبَانُ تَنَعَّقُ وَالْبُرَاةُ

النعيق ويقال له التّعب صوت الغراب، وقد أفردّه الشاعر بالذّكر دون صوت البازي الذي يقال له «الصرصر»⁽¹⁾؛ لأنّ التّعب نذير شؤم عند العرب، حتّى أنّه ليس في الأرض شيءٌ ممّا يتشاءمون به إلّا والغراب⁽²⁾ عندهم أنكد منه، لكنّ صوت المعازف في الدّاخل هيمن على صوت التّعب في الخارج، على نحو ما قال الرّاي الذي هو الشّاهد والشاعر معاً:

وَتَمَدَّدَ السُّمَارُ وَاسْتَرْخَتْ مَعَارِفُ حَالِمَاتِ
وَتَمُوجُ أَهْدَابُ الْبَنْفَسَجِ مِنْ جُفُونِ سَاهِرَاتِ
وَالْقَلْبُ يَرْتَشِفُ الرِّفَاهَةَ مِنْ مَرَاشِفِ مُرْهَقَاتِ
وَيَكَادُ يَفْطِفُ بِالشَّفَاهِ مَذَاقَ أَشْهَى الْأُمْنِيَّاتِ
وَتَكَادُ أَوْهَامُ الْخَيَالِ تُحَوِّلُ الْمَاضِي لِآثِ

بهذا المقطع فتح الشاعر باباً للحديث عمّا يستطاب تخيلاً، وتميّاً، وحلماً، وساق حديثه هذا في نسقٍ لغويٍّ استعاريٍّ، يقيّص الحدود الفاصلة بين الحدث المعبر عنه، وأداة التعبير ذاتها، وذلك ما يبدو في استعارة الاسترخاء للمعازف، والتّموج للأهداب، والارتشاف للرّفاهة، والقطف للمذاق، لكن سرعان ما باغتت هؤلاء الغفاة نذر الحصار وصلادة حقيقته التي تدقّ أجراس الفجيعة والحيرة والفرع، وتوقّف حركة الحياة فيها يتحرك بذاته وما يتحرك بفعل غيره، أو كما يصوّر الشاعر ذلك بقوله:

فَإِذَا بِأَجْرَاسِ الْحَصَارِ تَدُقُّ أَفِيدَةً غُفَاةً

(1) فقه اللغة، أبو منصور الثعالبي، ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب، 1981م، ص 211.

(2) خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: الخانجي، 4/ 162.

وَإِذَا بِاللِّسَنَةِ الْحَرَائِقِ فِي لَظَى أَمَلِ مَوَاتٍ
وَإِذَا يَتَلَكَّ الْجَائِمَاتِ مُكَبَّلَاتٍ مُوثَقَاتٍ
فَتَوَقَّفَ النَّعْمُ الشَّهْيُ الْعَذْبُ وَانْقَطَعَ السُّبَاتُ
وَإِلَى مَتَى تَبْقَى الْفَوَارِسُ وَالنَّوَارِسُ مُلْجَمَاتُ

على هذه القاعدة من الفقد والضياع تأسس خطاب النِّهاية لقصيدة بُنيت بناء القصة، وسُردت أحداثها وفق سياقين: سياق تاريخي توثيقي، ينطلق الشاعر منه ويعود إليه، مادته واقعة الحصار الجوّي الذي فُرض على حركة الطّيران في ليبيا، فأعاق حركة الإنسان فيها كذلك، وسياق آخر محكيّ تخيليّ مادته رحلة جويّة، تصعدت بالمرتجلين إلى قمم السّحاب بين التّجوم الزّاهرة.

كان الشّاعر وهو نفسه الرّاوي يسوق من أحداثها ما يثير المشاعر والأحاسيس والهواجس، ولكن من غير أن يعيّن الدّوات التي تتعرّض لهذه الإثارة، إلّا بلفظ «السّمار»، ومع ذلك فإنّ هؤلاء السّمار لا يسند الرّاوي لهم ما يكتنف السّرد من أفعال وردود أفعال، بل يسند ذلك إلى أصوات، كلّما علا صوتٌ منها استبدّ بصوت فأسكته، وهكذا رأينا كيف طغى صوت المعازف على صوت النّعيق، وكيف استبدّ صوت الأجراس فأسكت صوت المعازف، فكان السّؤال الذي يهّس به ضمير الجماعة العام، هو متى نعزم ونحزم، «وإلى متى تبقى الفوارس والنّوارس ملجّمات؟».

وبعد فقد كنت أعتزم عقد مبحث أعرّض فيه لآثار البغدادي الشعريّة وامتداد فضائها قصرًا وطولًا ومبالغةً في هذا الطّول، فلم يتيسّر لي إعداد هذا؛ لأنّ ما بحوزتي من شعره لا يكفي لإظهار ما هو مطلوب من تأليف شعري يُبنى تارةً على الاقتصاد في الطّول، وتارةً على الإفراط فيه.



أعلام وتاريخ ثقافي

سالنات ولالة طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني (1286-1312هـ / 1869-1894م)

عمار محمد جحيدر
(مجمع اللغة العربية)

مدخل سرديّ موجز

تعود الصياغة الأولى لهذه المحاولة البحثية إلى سنوات الدراسة باستانبول، قبل أكثر من عشرين عاماً، إذ تمكّنت - بفضل الله تعالى - من تصوير سالنات الولاية من بعض المكتبات التاريخية هناك في النصف الأول من سنة 1994م، وأعددت حولها تلك الصفحات في الشهور التالية من السنة نفسها⁽¹⁾. غير أنّها ظلت على ما هي عليه دون أن تُنشر. ودخلت سالنات طرابلس (كأحد المصادر العثمانية الرسمية) في موضوع دراسي أوسع آنذاك عن: (طرابلس الغرب وفق المصادر العثمانية الرسمية: التحول من الإيالة إلى الولاية 1282 - 1312هـ / 1865 - 1894م)، وربما أفدت من تلك الصفحات في بعض الإشارات الموجزة اللاحقة التي قدّمتها عن السالنات في سياقاتٍ بحثيةٍ أخرى. ثم اتّسع (الحلم البحثي) نحوها إلى أفقٍ أكبر؛ يستهدف نشر كلّ مادّتها التاريخية في (كتابٍ مستقل)، مع حذف المكرّر، وذلك أنّني أرى أنّ مثل هذه المواد التاريخية المشتتة في المطبوعات الدورية (من الصحف، والمجلات، والسالنات، ونحوها) قد تغدو، مع ندرة

(1) كانت صياغة أولى لم تبلغ نهايتها المستهدفة. وقد قام الأخ الفاضل الأستاذ محمد التميمي (من مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول) بقراءتها آنذاك وإجراء بعض التصويبات عليها (في بعض المفردات / مواضع مختلفة). وله فائق الشكر والتقدير، مع مودّتي الصداقة نحو شخصه الكريم.

نسخها، وبعضها في طبعات حجرية / وتعرضها للتلف والضياع، في حكم (المخطوطات النادرة) التي نسعى إلى تحقيقها ونشرها بكل حرص وعناية، وإذا تعدّر علينا اليوم نشر إحدى تلك المطبوعات الدورية الثقافية القيّمة في (طبعة مصوّرة) وفق الأصل، كما فعل الأستاذ المؤرخ الجليل علي مصطفى المصراطي مع مجلة الفنون (العلمية) لمحمد داود أفندي⁽¹⁾، فإنّ ذلك لا يحول البتّة دون نشر مادتها كاملةً في كتابٍ مستقلٍّ [بإخراج مناسب؛ قريب من نشرتها الأصلية]، مع المقدمة الدراسية المستفيضة، والفهارس اللازمة التي تضيء معطياتها؛ وبذلك تغدو المطبوعة القديمة، في نشرتها الجديدة، أكثر نفعاً من أصلها المتهترئ أحياناً، وهذا ما أرجو أن تُتاح فرصة إنجازه لي، إذا كان في العمر بقية / أو لأحد الباحثين الشباب في غدٍ قريب - بإذن الله تعالى. وفي هذه العودة حرصتُ على تنقيح تلك الصياغة، والزيادة عليها، والمزيد من الضبط، والتركيز على موضوع السالنامة، وترك الاستطرادات السابقة فيها. ومن هنا حرّرت من جديد وفق العناوين الفرعية التالية التي أجملها في هذا المدخل أولاً؛ للوقوف على ما بينها من التسلسل:

- 1 - السالنامات وأنواعها.
- 2 - سالنامات الولايات العثمانية.
- 3 - سالنامات ولاية طرابلس الغرب.
- 4 - السالنامة: مطبوعة «حجرية» / توثيقية / ثقافية / سنوية.
- 5 - محتوى سالنامات الولاية: فهرسة تحليلية للعدد الأول (1286هـ / 1869م).

(1) جمعها في كتاب على غلافه البيانات التالية: مجموعة كاملة: مجلة الفنون، صدرت بطرابلس غرب 1316هـ / 1898م، إعداد وتقديم وفهرسة علي مصطفى المصراطي، (دون بيانات نشر، نحو سنة 2007، في 391 ص). والفنون بمعنى العلوم في التركية، فهي مجلة علمية، جاء على غلافها في الصدرة: (صحيفة علمية صناعية زراعية مصوّرة، تصدر بطرابلس الغرب في كل خمسة عشر يوماً مرة)، وهي أول مجلة في تاريخ ليبيا الثقافي، وصاحبها محمد داود أفندي (1283-1336هـ / 1866-1917م) من أبرز مثقفي ليبيا في أواخر العهد العثماني.

- 6- تصنيف سالنات الولاية إلى ثلاث مجموعات وفق محتوياتها.
- 7- المعطيات الإدارية في سالنات طرابلس.
- 8- مصادر سالنات طرابلس.
- 9- المترجم محمد كامل أفندي.
- 10- نص تاريخي من العدد العاشر (1301هـ / 1884م).
- 11- المؤرخ أحمد النائب الأنصاري والعدد الأخير من سالنامة ولاية طرابلس (1312هـ / 1894م).

(1)

السالنات وأنواعها

السالنامة لغوياً: اسمٌ أو مصطلحٌ عثماني استعمل للآثار المرتبة بناءً على استعراض مجموعة حوادث خلال سنة، ودخل هذا المصطلح إلى اللغة التركية خلال عهد التنظيمات. والكلمة مركبة من الكلمتين الفارستين: (سال *Sal*) التي تعني سنة، مع (نامة *Name*) التي تعني رسالة أو كتاباً، والمعنى المركب: كتاب السنة⁽¹⁾، أو (الحولية) في العربية. وفي الفارسية أيضاً: «السالنامة: التقويم السنوي؛ ذكر خلاصة أخبار العام في كتاب»⁽²⁾. ويقابل هذا التعبير في التركية اليوم بكلمة (YILLIK)⁽³⁾. ويقابل السالنامة في الفرنسية (Annuaire)، وفي الإنجليزية (Yearbook)⁽⁴⁾. ويبدو أن هذه الكلمة لم تنتشر كثيراً في العربية السائدة آنذاك؛ ومن ذلك أنها أهملت في عملين لغويين يُعدّان من أهمّ

(1) Mehmt Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlugu, Istanbul 1993, c. 3, s. 105

(2) الدكتور عبد النعيم محمد حسنين، قاموس الفارسية: فارسي عربي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982.

(3) باكالين (Pakalin)، نفس المصدر. (YIL في التركية: السنة).

(4) Hasan Duman, Osmanli Yilliklari: Salnameler ve Nevsailler, Istanbul 1982, s. 17

وستراد الإشارة أدناه إلى ظروف نشأة هذا الكتاب الببليوغرافي القيم.

المعاجم المنجزة في القرن التاسع عشر؛ وهما (محيط المحيط) للمعلم بطرس البستاني (1819-1883م)، و(تكملة المعاجم العربية) للمستشرق الهولندي رينهاردت دوزي (1820 - 1883م)، وربما غلبت عليها كلمة (التقويم) العربية. وقد تُرجمت الكلمة في العدد العاشر من سالنامه طرابلس الصادر سنة (1301هـ / 1884م) بـ(جدول السنة)، كما قوبلت في (قاموس عثمانى عربي) صدر في مستهل القرن العشرين بتقويم السنة⁽¹⁾. [في حين أثر أحد علماء البوسنة المعاصرين أن يطلق على السالنامات عنوان: النتائج السنوية المسماة بـ«بوسنه سالنامه لرى»]⁽²⁾. وتقرب من هذه الكلمة في التركيب والدلالة الزمنية كلمة فارسية أخرى؛ وهي (روزنامه)؛ وروز تعني «يوم»، والمعنى المركب: الجريدة، والنشرة اليومية، ودفتر القيد اليومي⁽³⁾. أمّا (نوسال Nevsal) التي تدلّ على كتاب سنوي شبيه بالسالنامه، فهي كلمة فارسية أيضاً وتعني «العام الجديد»، أو «رأس السنة»، وهي مركبة من (سال) المتقدمة، ومن الصفة (نو) التي تعني الجديد.

وقد سبق عددٌ من دول أوروبا كالنمسا وألمانيا والمجر وفرنسا وإنجلترا وسويسرا وهولندا وبلجيكا... الخ، إلى نشر مثل هذه الحوليات التي انتظم بعضها عقوداً متصلة، وربما جاوز القرن، بعد انتشار الطباعة ما بين رسمية وخاصة⁽⁴⁾. وصدرت أول (حولية) في فرنسا -

(1) محمد علي الانسي، قاموس اللغة العثمانية: الدراري اللامعات منتخبات اللغات، بيروت، 1320هـ / 1902م.
(2) محمد بن محمد بن محمد البوسنوي الخانجي، (من علماء القرن الرابع عشر الهجري)، الجواهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنه، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1413هـ / 1992م، في ترجمة: «إبراهيم أدهم بك باش آغا زاده؛ كان عارفاً باللغة التركية والعربية والفارسية، وهو أول من اشتغل بإحياء ذكرى عظماء بلاد بوسنه، فكتب في النتائج السنوية المسماة بـ«بوسنه سالنامه لرى» تراجم عدّة من عظماء تلك البلاد». ص 32. وهذه صيغة الجمع مع لاحقة الإضافة في العثمانية (أي: سالنامات البوسنة). صدرت طبعة المؤلف (الأزهري) بالقاهرة سنة 1349هـ (1930/؟)، وقد كنت منذ سنوات أترقب الوقوف على هذا الأثر القيم، إلى أن أتحفني الأخ الفاضل الباحث المحقق الدكتور عبد السلام الهمايلى سعود بإعارة نسخه من هذه الطبعة الجديدة، وله جزيل الشكر والتقدير (يوليو 2020).

(3) د. عبد النعيم محمد حسنين، نفس المصدر. وفي (المعجم الوسيط): «رزانة: كتيب يتضمّن معرفة الأيام والشهور وطلوع الشمس والقمر على مدار السنة، وإدارة صرف مرتبات أرباب المعاش» (دخيل).

(4) Ismail F. Erunsal, Kutuphanecilikle ilgili Osmanli Mtinler ve Belgeler, 1.c. , Istanbul , 1990, s. 194

على سبیل المثال - سنة 1793م⁽¹⁾. فی حين صدر العدد الأول من (سالنامة الدولة العثمانية) سنة 1263هـ (1847م)، بإيعازٍ وتشجيع من الصدر الأعظم رشید باشا (1800-1858م)، أحد رجال الإصلاح الذي كان قبل ذاك سفيراً بباريس مرّات عدة⁽²⁾، وقد وقف على إعدادة ونشره كلٌّ من خير الله أفندي المؤرخ، وأحمد وفيق أفندي، وأحمد جودت باشا⁽³⁾، المؤرخ البارز وأحد رجال الفكر والدولة. واستمرّ صدور هذه السالنامة بشكل منتظم حتى بلغت 68 عدداً، وكان آخرها قد صدر في سنة 1334 من التقويم المالي (1918م). وبعد الوقوف على جدواها بوشر بنشر سالنات خاصة بالولايات بدءاً من سنة 1283هـ (1865م)⁽⁴⁾.

وقد تعدّدت أنواع السالنامات على النحو التالي⁽⁵⁾:

أنواع السالنامات

ر.م	السالنامة	البداية	الأعداد
1	سالنامة الدولة العثمانية.	1263 - 1333 مالية	68
2	السالنامة العسكرية.	1282 - 1326 هـ	15
3	سالنامة المرصد (الرصد خانه العامرة).	1288 مالية	عدد واحد
4	سالنامة نظارة الخارجية.	1302 - 1320	4
5	السالنامة البحرية.	1307 - 1330	17
6	سالنامة نظارة المعارف.	1316 - 1321	6
7	سالنامة الرسومات/ الجمارك.	1330 هـ	عدد واحد
8	السالنامة العلمية (للمشيخة الإسلامية الجليّة).	1334 هـ	عدد واحد
9	سالنات الولايات وبعض الإيالات المستقلة.	بدايات مختلفة	أعداد متفاوتة
10	سالنات المؤسسات الخاصة والأفراد.	بدايات مختلفة	أعداد متفاوتة

(1) بأكالين، نفس المصدر.

(2) *Erc'Umend Kuran, Re'şid Pa'şa, İslam Ansiklopedisi, c. 9, İstanbul 1988, s. 701 - 705*

(3) المصدر نفسه، ج 10، ص 134.

(4) دومان (Duman)، نفس المصدر، ص 18-19.

(5) *Midhat Sertoglu, Osmanlı Tarih Lugati, İstanbul 1986, s. 298 - 300*

القائمة التالية مرتبة على الحروف التركية في الأصل، ولكنني آثرتُ تحويل معطياتها إلى (جدول تراتبي) وفق التسلسل الزمني.

وتغطي هذه المجموعة الضخمة من مختلف السالنامات نحو 75 سنة ما بين (1847-1922م)، وتضمّ معلومات مهمّة جدّاً حول التاريخ العثماني آنذاك، وتتناول التشكيلات الإدارية والمؤسّسات والتراجم وميادين العلم والاقتصاد والسياسة والشؤون العسكرية والثقافية وغيرها من الميادين، وهو ما لم يتم استغلاله وتوظيفه في حركية البحث التاريخي (كما ينبغي) إلى اليوم⁽¹⁾.

وقد صدر عن (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول) في سنة 1982م عملٌ بـبليوغرافي قيّم، أعدّه الأستاذ حسن دومان، وغلافه بالعربية بعنوان: (الفهرس الموحد للتقاويم العثمانية: السالنامات والنوسالات الموجودة في مكاتب استانبول)⁽²⁾. ويتألف من أربعة فصول وخاتمة، ويقع في (135 ص).

يستهلّ الباحث الفصل الأول (المدخل) بحديث عن مفهوم السالنامات وبداية ظهورها في الدولة العثمانية، وأنواعها، كما يشير إلى الأشخاص القائمين على إعدادها وتحريرها. ويضمّ الفصل الثاني فهرس السالنامات التي وقف عليها ورّبها على النحو التالي:

1 - سالنامات الدولة.

2 - سالنامات الولايات.

3 - سالنامات المؤسّسات والهيئات الرسمية.

4 - سالنامات الموضوعات أو الأشخاص والمؤسّسات الخاصة.

(1) دومان، نفس المصدر، ص 17.

(2) وهو المشار إليه في الحاشية الرابعة (ص 343) أعلاه.

وقد حدّثني الأخ الفاضل، العالم الجليل، الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي، في لقاء عابر بكلية الآداب - جامعة استانبول (19-4-1994م)، بأنّه كان في أوائل السبعينيات عضواً بلجنة للعلاقات التركية الليبية، وكُلف خلالها بإعداد (ببليوغرافية) حول المصادر التركية المتعلقة بتاريخ ليبيا، فوقف آنذاك على السالنامات وأهميتها، وبادر بعد تولّيه إدارة المركز (المذكور أعلاه) وهو المدير المؤسّس) إلى اقتراح مشروع هذا الكتاب على مؤلفه الأستاذ حسن دومان الذي قام بالمهمّة خير قيام، وتولّى المركز نشر الكتاب، كما تقدّم، وقدّم له (الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو: ابن إحسان).

وقام المؤلف في الفصل الثالث بفهرسة النوسالات الرسمية وغيرها مما صدر عن أفراد أو مؤسسات خاصة. وقدم في الفصل الرابع جدولاً زمنياً يبين أمام كل سنة ما صدر من السالنامات والنوسالات، وألحق به نظرة على التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية آنذاك، ويبدو أنها مستقاة من معطيات السالنامات نفسها. وأجمل في الخاتمة نتائج عمله.

وقد استقصى المؤلف كل السالنامات والنوسالات التي أدرجها في عمله الببليوغرافي في اثنتي عشرة مكتبة من المكتبات الرئيسية في استانبول، وأشار إليها برموز مستمدة من الحروف الأولى أمام كل عددٍ مفهرس منها، واختصّ المكتبة التي تضمّ نسخة من العدد بالإشارة إلى رقمه بها، وهو ما يمكّننا من العودة إليها بسهولة ويسر، وأعطى لكل عددٍ وصفاً ببليوجرافياً موجزاً يتضمن الاسم (العنوان)، وتاريخ الصدور بالتاريخ الهجري - ثم بالتاريخ المالي (الرومي) أحياناً فيما بعد - مع ما يقابلهما في التقويم الميلادي، ورقم العدد الصادر، وعدد صفحاته، وجهة الطبع، ونوع الطبعة (طبعة حجرية / أو طبعة بالحروف الحديثة)، وأشار إلى اللغات التي حرّرت بها بعض الأعداد إلى جوار التركية، وهي العربية والرومية (اليونانية) والبشناقية والفرنسية⁽¹⁾، وذيل كل عدد برقم مسلسل مطّرد يشمل كل الأعداد المتوالية، فبلغت الحصيعة المفهرسة في أواخر الكتاب (716) عدداً. وقد أشار إلى أنّه رتّب سالنامات الدولة زمنياً، وسالنامات الولايات فيما بينها ألفبائياً (وداخل كل ولاية زمنياً)، وكذلك الحال في السالنامات والنوسالات المتعلقة بالأشخاص والمؤسسات الخاصة.

وهذه هي المكتبات التي شملها بحثه:

1 - مكتبة المتحف الأثري (A M K).

2 - مكتبة عاطف أفندي (A E K).

3 - مكتبة أرشيف رئاسة الوزراء (B A K).

(1) المصدر نفسه، ص 19، 128.

- 4 - مكتبة الدولة في بايزيد (B D K).
 - 5 - مكتبة البلدية (B K)؛ وتُعرف اليوم بمكتبة أتااتورك.
 - 6 - مكتبة حقي طاهر أوس (H T U).
 - 7 - المكتبة المركزية لجامعة استانبول (I U).
 - 8 - مكتبة قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة استانبول (I U E).
 - 9 - مكتبة ملّت Millet (M K).
 - 10 - المكتبة السليمانية (S K).
 - 11 - مكتبة صحيفة ترجمان (T G K).
 - 12 - مكتبة متحف طوب قابي سراي (T S K)⁽¹⁾.
- ومن الجليّ أنّ عمله لم يشمل غيرها من المكتبات في تركيا وغيرها من البلدان التي كانت ولايات عثمانية، وهو ما يدعو إلى سدّ ما بهذه المجموعة المفهرسة من نقص قد يُتدارك من تلك الروافد المحتملة⁽²⁾.
- وفي العربية قدّم باحث (العثمانيات) المعروف الدكتور محمد حرب دراسة بعنوان (السالنامة العثمانية وأهميتها في بحوث الخليج والجزيرة العربية)⁽³⁾، تناول فيها: (أولاً) - مفهوم السالنامة وتطورها، (ثانياً) - السالنامة في الدولة العثمانية، (ثالثاً) - سالنامة الدولة
-
- (1) المصدر نفسه، ص 129. وقد خصّها هنا بقائمة تضمّ عناوينها وأرقام هواتفها أيضاً. [عندما كان للهاتف الأرضي شأنٌ يذكر].
- (2) وهو ما أشار إليه الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي في تقديمه (بالعربية وغيرها) للكتاب، ص (د).
- (3) نشرت في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 33 (يناير 1983) ص 145-175.
- وأودّ هنا أن أسجّل جزيل شكري وتقديري للزميل الفاضل الأستاذ عبد العزيز صالح من الإمارات العربية المتحدة، دبي الذي صوّلي هذه المقالة من تلقاء نفسه خلال الإجازة الصيفية، وقد استشعر اهتمامي بهذا الموضوع خلال السنة الماضية [1993]، ولولا صنيعه الكريم لفاتني الوقوف عليها.

العثمانية ومنطقة الخليج والجزيرة العربية. وقدم خلالها (نماذج تطبيقية) من المعطيات والإحصائيات المتعلقة بتلك المنطقة اعتماداً على بعض سالناماتها، وألحق بها ثبوتين بيليوغرافيين أولهما: السالنامة العثمانية التي استطاع تثبيت أماكنها في المكتبة السلطانية العامة باستانبول مع أرقامها والأقسام الداخلية الموجودة بها، ويشمل نحو 45 عدداً من سالنامة الدولة و6 أعداد من سالنامات مختلفة. وثانيهما: أعداد السالنامة التي تمكّن *H. V. Ertug* من تحديد المكتبات العامة الموجودة بها - وإن لم يحدد أرقامها ولا أقسام المكتبة المحفوظة بها، وتشمل نحو 37 عدداً من سالنامات مختلفة. ويتضح من ذلك أنّ الدكتور محمد حرب لم يقف على كتاب الأستاذ حسن دومان البيليوغرافي عن السالنامات والنوسالات المذكور أعلاه؛ وذلك أنّه كان حديث الصدور أو لم يصدر بعد، عندما كتب مقالته⁽¹⁾.

(2)

سالنامات الولايات العثمانية

يشير الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي⁽²⁾ عند تقييمه لهذه المادة التاريخية الغنية إلى ثلاثة أبعاد تشكّل أهمية هذا المصدر؛ وهي: التسلسل الدوري، والامتداد

(1) ظهرت فيما بعد عدة دراسات عن السالنامات باللغة العربية، ومن أبرزها دراسات المؤرخ العراقي الدكتور فاضل بيات (ولد بمحافظة كركوك سنة 1946) التي جمعها في كتابه: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني: رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2003. ومنها الأبحاث التالية التي غدت فصولاً في هذا الكتاب المجموع، وهي تغطي الصفحات (191 - 445) منه، ويمكن أن تشكل كتاباً مستقلاً؛ ومن الجليّ أنّها تفصح بتعديدها عن ثراء مصدرها:

7 - التقسيمات الإدارية للأردن في العهد العثماني/ في ضوء السالنامات العثمانية (1848 - 1918).

8 - من مصادر تاريخ العرب الحديث: السالنامات العثمانية مصدراً لدراسة التاريخ المحلي.

9 - التعليم في الولايات العربية العثمانية: دراسة تاريخية في ضوء معطيات سالنامة وزارة المعارف العثمانية.

10 - التعليم في العراق في العهد العثماني: دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية.

11 - مدارس الأقليات المسيحية واليهودية في العراق في العهد العثماني: دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية.

وانظر أيضاً: (الاستدراك) اللاحق أدناه.

(2) في تقديمه للكتاب، حسن دومان، نفس المصدر، ص (ب).

الجغرافي الواسع، فضلاً عن قيمة المحتوى ذاته، ويذكر في هذا السياق أنّ «المناطق التي وردت معلومات عنها في التقاويم أو الوقائع السنوية العثمانية هي اليوم مقرراً لأكثر من عشرين دولة، منها حوالي خمس عشرة دولة هي أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، وأمّا الدول الأخرى فإنّ الأقليات المسلمة فيها تشكّل جزءاً هاماً من سكانها». وفي هذا السياق أودّ أن أقدم ثبناً بـ«السنامات» الولايات، وأعدادها، وفترات صدورها، مستخرجة من الكتاب نفسه، مع مراعاة الملاحظات التالية:

(أ) - لم ألتفت إلى الأعداد الناقصة في سياق الفهرسة المنجزة في الكتاب؛ إذ اقتصر المؤلف على عددٍ من المكتبات - كما تقدّم - لذا فقد أدرجتها هنا في العدد الإجمالي لـ«السنامات» كل ولاية.

(ب) - توجد هنا بعض الأعداد التي تحمل رقماً مكرراً (أي رقماً مشتركاً بين عددين) متوالين، فأدرجت المكرر أيضاً في العدد الإجمالي.

(ج) - أدرجت «السنامات» هنا [أولاً] وفقاً لتسلسلها في الكتاب المبني على الترتيب الأبجدي في التركية الحديثة⁽¹⁾.

(د) - سيرى القارئ الكريم أنّ كثيراً من هذه «السنامات» قد نُشر في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876 - 1909م).

وتنبغي الإشارة هنا أيضاً إلى أنّ أول ثبت لـ«السنامات» الولايات قد وضعه الأستاذ سليم نزهت كرجك (بالجيم المثلثة Gerçek) في مقالة موجزة نشرت بجريدة المساء (آقشام / Akşam) سنة 1941م⁽²⁾.

(1) بدلي فيما بعد أنّ هذا الترتيب لا معنى له في اللغة العربية، وأفضل منه أن تُرتب «السنامات» الولايات وفق تسلسلها الزمني (على سنوات البدايات: للعدد الأول في كل ولاية)، فإنّ ذلك أعمق دلالة عند التأمل في السياق الدراسي، وهو ما أخذت به في الجدول التالي.

(2) وأعيد نشرها ثانية في إحدى المجلات، انظر:

Selim Nuzhet Gerçek, «Vilayet ve Nezaret Salnameleri», Kitab Belletan, 1, 25 (1 - 7 - 1963) Istanbul

المقالة عن «السنامات» الولايات والنظارات. كما يوجد ثبтан آخران في: دائرة المعارف الإسلامية (باللغة =

جدول تراتبي لسالنات الولايات العثمانية

ر.م	الولاية	الأعداد	س هـ	س م
1	البوسنة.	15	1308 1283-	1866 - 1891
2	حلب.	35	1326 - 1284	1867 - 1908
3	سوريا.	32	1318 - 1285	1868 - 1900
4	طونه.	10	1294 - 1285	1868 - 1877
5	قونيه ⁽¹⁾ .	30	1330 - 1285 مالي	1868 - 1914
6	خداوندكار؛ بورصة.	37	1286 - ؟	1869 - 1927
7	ديار بكر.	21	1323 - 1286	1869 - 1905
8	طرابزون.	22	1322 - 1286	1869 - 1904
9	طرابلس الغرب ⁽²⁾ .	13	1312 - 1286	1869 - 1894
10	قسطنوفى.	21	1321 - 1286	1869 - 1903
11	أدرنه.	28	1287 هـ - 1319 مالي	1870 - 1902
12	أرضروم.	15	1318 - 1287	1870 - 1900
13	أضنة.	13	1320 - 1287	1870 - 1902
14	جزائر بحر سفيد ⁽³⁾ .	22	1321 - 1287	1870 - 1903
15	سلانيك.	20	1325 - 1287	1870 - 1907
16	سيواس.	17	1325 - 1287	1870 - 1907
17	أنقرة.	17	1325 - 1288	1871 - 1907
18	مصر.	1	(مصر في سنة 1288)	1871
19	يانيا.	8	1319 - 1288	1871 - 1901
20	برزرين Prizren.	2	1291 - 1290	1873 - 1874
21	بغداد.	22	1329 - 1292	1875 - 1911
22	كريت.	4	1310 - 1292	1875 - 1892
23	مناستر.	9	1314 - 1292	1875 - 1896
24	آيدين.	25	1326 - 1296	1879 - 1908
25	كوسا Kosova.	8	1318 - 1296	1879 - 1900
26	معمورة العزيز.	10	1325 - 1298	1881 - 1907
27	اليمن.	9	1313 - 1298	1881 - 1895
28	اشقودره.	5	1316 - 1299	1882 - 1898

= التركية)، و (Osmanli Tarih Lugati)، وقد لاحظت بعض الفروق بينها جميعاً.

- (1) العدد الأخير لا يحمل رقمه الترتيبي؛ لذا يحتمل أن يتجاوز الثلاثين.
- (2) نستفيد من هذا التسلسل التراتبي أنّ سالنامة ولاية طرابلس الغرب تحمل الترتيب التاسع/ أو بالأحرى (الرابع مكرر)؛ وفقاً لسنوات الصدور: مع بورصة (العاصمة الأولى للدولة العثمانية)، وقبل أدرنه (عاصمتها الثانية)، وأنقرة (عاصمة الجمهورية التركية).
- (3) جزر البحر الأبيض.

ر. م	الولاية	الأعداد	س هـ	س م
29	البوسنة والهرسك ⁽¹⁾ .	9	1301 - 1309	1884 - 1892
30	الحجاز.	5	1301 - 1309	1884 - 1892
31	جبل لبنان.	6	1304 - 1309	1887 - 1892
32	قارص.	1	1305	1888
33	البصرة.	6	1308 - 1320	1891 - 1902
34	الموصل.	5	1308 - 1330	1891 - 1912
35	بتليس.	4	1310 - 1318	1892 - 1920
36	اسكوب.	1	1311	1893 - 1894
37	بيروت ⁽²⁾ .	7	1311 - 1312 / 1326	1894 - 1908
38	وان.	1	1315	1897
39	بولى (لواء بولى Bolu المستقل).	2	1334 1337 - 1338 مالي	1918 1921 - 1922
40	قزل أجارستان ⁽³⁾ .	1	1338	1922
41	أورفة ⁽⁴⁾ .	1	—	1927

وقد نوّه الأستاذ حسن دومان بأهمية بعض الأعداد من سالنات الولايات - على وجه الخصوص - فيما يتصل بتاريخ المكتبات، ومنها عدد سنة (1290هـ / 1873م) من سالنات ولاية قونية؛ فقد نُشر به في نحو مائة صفحة (فهرس الكتب المحفوظة بمكتبات الولاية)، وهو ما نجد مثله أيضاً في عدد من سالنات بورصه⁽⁵⁾. كما ارتبط إصدار هذه السالنات بنشأة المطابع وتطورها في تلك الولايات: «وكانت هذه التقاويم السنوية من أوائل المطبوعات التي طبعت فيها... لذا يمكن القول بأنّ التقاويم السنوية العثمانية كانت إحدى العناصر التي أدّت إلى قيام المطابع وانتشارها في جزء كبير وأرجاء كثيرة من الشرق الأوسط»⁽⁶⁾. وفي هذا السياق تنبغي الإشارة - على سبيل المثال - إلى أنّ مطبعة

(1) تاريخ البداية هنا للعدد الثاني، إذ لم يدرج العدد الأول في الفهرسة.

(2) يوجد لبيروت أيضاً عدد آخر (من قسمين) من سالنات أعدّها رفيق التميمي ومحمد بهجت (1333 - 1335 / 1917): (أ) - القسم الجنوبي: بيروت، عكا، نابلس. (ب) - القسم الشمال: طرابلس، الشام (دمشق)، اللاذقية.

(3) شرقي البحر الأسود.

(4) يلاحظ أنّ هذا العدد صدر بعد انتهاء العهد العثماني.

(5) حسن دومان، نفس المصدر، ص 20.

(6) المصدر نفسه، د. أكمل الدين إحسان أوغلي في تقديمه للكتاب، ص (ج).

طرابلس الحجرية قد أُسِّست سنة (1283هـ / 1866م)⁽¹⁾، وصدرت صحيفتها الأولى في تلك السنة، بالتركية والعربية باسم (طرابلس غرب)⁽²⁾، ثم صدر العدد الأول من السالنامة سنة (1286هـ / 1869م).

[استدراك]:

يبدو من خلال هذا الجدول الجامع لسالنامات الولايات غياب مصر وتونس عن هذا الحراك الخاص بكل ولاية، لكونهما (إيالتين) منفصلتين بوضعيتهما الخاصة المعروفة في تلك الفترة، تحت أسرة محمد علي / والبايات الحسينيين، خلافاً لبقية الولايات العثمانية المذكورة، وهذا ما نستشفه أيضاً من غياب مصطلح السالنامة نفسه عن مجمل الإرث / أو الأثر الثقافي الواسع للغة التركية العثمانية في كل من مصر⁽³⁾ وتونس⁽⁴⁾.

وتنبغي الإشارة إجمالاً في هذا المقام إلى أنّ هذه المطبوعة السنوية (السالنامة) لم تنتشر ولم تُعرف إلا في (بعض الأقطار العربية) خلال تلك الفترة من العهد العثماني، وهي: العراق، وسوريا، ولبنان، والحجاز، واليمن، وطرابلس الغرب (ليبيا)، وقد انعكس ذلك على حراك الدراسات التاريخية المعاصرة، إذ آثرتُ أخيراً [سبتمبر 2020] أن أعود

(1) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس: مكتبة الفرجاني، د. ت (طبعة مصورة في مطلع الستينيات، عن نشرة المؤلف باستانبول، 1317هـ / 1899م)، ص 397. (يشير المؤرخ إلى سنة 1281هـ، والصواب ما ذكر أعلاه).

(2) علي مصطفى المصراطي، صحافة ليبيا في نصف قرن، بيروت: دار الكشاف، 1960، ص 26-27.

(3) انظر العمل القيم التالي: الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي والدكتور صالح سعداوي، الثقافة التركية في مصر: جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك (مع معجم للألفاظ التركية في العامية المصرية)، استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، 2003، (562 ص). لم يرد مصطلح (سالنامة) في سياقه بين مفردات المعجم (ص 388). [ورد عددٌ واحد من سالنامة مصر بين سالنامات الولايات في الجدول أعلاه، رقم 18؟]

(4) انظر العمل القيم التالي: محمد الفاضل البشراوي، تاريخ اللغة التركية في تونس، تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، 2018، (751 ص). لم يرد مصطلح (سالنامة) في سياقه في فهرس الألفاظ اللغوية (ص 729)، مع ذكر مصطلحي (التقويم) والرزنامة) في الكتاب.

إلى شبكة (الانترنت) للاستئناس ببعض معطياتها المنشورة المتاحة، فوجدت قدراً جيداً منها، وخاصة عن العراق، بل وجدت أيضاً الدراسة التالية لباحثٍ عراقي، عن سالنات ولاية طرابلس، منشورة في إحدى المجلات العلمية بالعراق⁽¹⁾، وقد تبين لي أنه زار ليبيا باحثاً، واستفاد من أرشيفها ومكتباتها ومطبوعاتها، وأنجز عنها أطروحته للدكتوراه أيضاً، في معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، ثم نشرت في طرابلس⁽²⁾. ومن هنا كانت سالنات ولاية طرابلس الغرب من أهم مصادره في الأطروحة؛ لذا خصّها فيما بعد بتلك الدراسة الموجزة اللاحقة. وقد عاد فيهما معاً إلى عشرة أعداد من سالنامة الولاية⁽³⁾.

(3)

سالنات ولاية طرابلس الغرب

استناداً إلى فهرسة الأستاذ حسن دومان نجد أنه قد صدر من سالنامة ولاية طرابلس الغرب ثلاثة عشر عدداً على النحو التالي⁽⁴⁾:

(1) الدكتور ياسين شهاب شكري (جامعة الكوفة)، «سالنات ولاية طرابلس الغرب وأهميتها في دراسة التاريخ الليبي الحديث»، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الرابع عشر - العدد الثالث/ انساني/ 2016، ص 153-166.

(2) يرد هذا العمل بلقبه (البلداني) الآخر، انظر: الدكتور ياسين شهاب الموصلي، الأوضاع الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي (1835-1911)، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2006، (303 ص). وقد أشار في مقدمته إلى أنّ دراسته لمرحلة الماجستير التي تناولت الأوضاع الإدارية والاقتصادية في ولاية بغداد (1872-1909م) قد دفعته إلى الاهتمام بدراسة ولاية أخرى، مثل ولاية طرابلس الغرب. ص 7، 15، 21.

(3) المصدر نفسه، ص 18، 281.

(4) تنبغي الإشارة هنا إلى هاتين الملاحظتين:

(أ) - الأعداد (4، 10، 11، 12، 13) لا تشمل سنق بنغازي (لفصله إدارياً ولاية/ أو متصرفية مستقلة).

(ب) - لم تصدر ولاية/ أو متصرفية بنغازي أية سالنامة خاصة.

سالنامات ولاية طرابلس الغرب

ع	س هـ	س م	اللغة	ص	الطبع	النسخ المحفوظة
1	1286	1869	التركية	96 + 1 ⁽¹⁾	حجرية	AMK 1695, BK 30/1, MK 407, IU 058 (612) 9435T84.
2	1287	1870	التركية	96	حجرية	BK 30/ 2.
3	1288	1871	التركية	106	حجرية	AMK 1695.
4	1289	1872	التركية	95	حجرية	MK 408.
5	؟ ⁽²⁾	؟	؟	؟	؟	؟
6	1292	1875	التركية	107	حجرية	BK 30/ 6, MK 409.
7	1293	1876	التركية	103	حجرية	MK 410.
8	1294	1877	التركية	103	حجرية	MK 411.
9	1295	1878	التركية	96	حجرية	MK 412.
10	1301	1884	ت/ع ⁽³⁾	191	حجرية	AMK 1695, BDK K 463, BK 30/10, HTU 10/10, IUE 1946/ 54, MK 413, Iu 79589, TGK 146.
11	1302	1885	ت/ع	189	حجرية	BDK K 463, BK 30/11, HTU 10/10, IUE 54/28, MK 414, IU 058 (612) 9435T84.

- (1) مع خريطة تضم كل سناجق الولاية، ومنها سنجق بنغازي.
- (2) لم يدرج في السياق، ويبدو أن المؤلف لم يقف على نسخة منه، ولكن هذا لا يعني عدم صدوره، وأرجو أن يتم العثور عليه في طرابلس، أو استانبول.
- (3) مع خريطة دون سنجق بنغازي، لفصله متصرفية تتبع العاصمة. وابتداءً من هذا العدد صارت سالنامة الولاية مزدوجة باللغتين التركية العثمانية/ والعربية، وهو ما يفسر الارتفاع الملحوظ في عدد الصفحات، وقد أشار الباحث الفاضل في توصيفه إلى ازدواج اللغة ابتداء من العدد التالي، والغالب أنه غفل عن هذا سهواً، وجلّ من لا يسهو ... سبحانه.

ع	س هـ	س م	اللغة	ص	الطبع	النسخ المحفوظة
12	1305	1888	ت/ع	160	حجرية	AEK 128, BAK 30/ 1305, BDK K 463, BK 30/12, MK 415, IU 89418.
⁽¹⁾ 13	1312	1894	ت/ع	216	بالحروف الحديثة	BK 30/12/A, HTU 10/10, MK 416, IU 81069.

وقد صوّرت كل هذه الأعداد من سالنامة ولاية طرابلس الغرب، وجلّدتها هناك، فتكاملت لديّ مجموعة منها⁽²⁾، باستثناء العدد الخامس (الغائب؟). ولا يعني هذا البتة عدم وجود نسخ أخرى منها داخل تركيا أو خارجها، ومن المرجّح أنّ أعداداً أصلية منها توجد في مظانّها بطرابلس، وخاصّة في دار المحفوظات التاريخية ومكتبة الأوقاف، وهو ما تؤيده إشارة بعض الباحثين المعاصرين ضمن مصادرهـم إليها⁽³⁾.

وينبغي التذكير في الختام بأنّ سالنامة الولاية لا تغني عن العودة إلى سالنامة الدولة العثمانية - وهي أمّ السالنامات جميعاً - إذ أنّها تتضمن عادة، في كل عددٍ من أعدادها، بعض الإفادات والمعطيات الموجزة عن ولاياتها، كسائر مؤسساتها. ومع أنّها بيانات موجزة لا تقاس بما يوجد في سالنامات الولاية، فهي تتميّز بأنّها تشمل مرحلة

(1) رقم العدد 12 ؟ ويبدو أنّه مكرّر سهواً، وصوابه: 13.

(2) ونصفها كما ترى في الجدول من نسخ فريدة، ومن هنا شبّهتها في الندرة بالمخطوطات. وقد أتممتُ تصويرها (ما بين 2 مارس/ و2 مايو من تلك السنة نفسها 1994م)، من المكتبات التالية على التوالي: مكتبة قسم التاريخ بكلية الآداب (ع 10، 11)، ومكتبة الجامعة/ قسم النوادر (ع 12، 12 مكرر = 13)، ومكتبة البلدية/ أتاتورك (ع 1، 2، 6)، ومكتبة ملّت (ع 4، 7، 8، 9)، ومكتبة متحف الآثار (ع 3). وتمّ إعداد هذه المساهمة بصياغتها الأولى في الشهور التالية من تلك السنة.

(3) انظر: المصراطي، صحافة ليبيا في نصف قرن، ص 28 30؛ تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، 1988، ص 413.

زمنية أطول من سالنات الولاية من جهة، كما تغطي تلك السنوات التي تغيب فيها سالنامة الولاية عن الصدور من جهة أخرى، ولكنها تظل موجزة مبتسرة على أية حال لورودها في سياق الخضم العام لكيان الدولة العثمانية.

(4)

السالنامة: مطبوعة / توثيقية / ثقافية / سنوية

عند انشغالي بتحرير هذه الصفحات القديمة من جديد بدا لي أنّ السالنامة جامعة حقاً لهذه السمات الغالبة عليها.

(أ) مطبوعة حجرية:

وأول هذه السمات أنّ سالنات ولاية طرابلس العثمانية هي أبرز مثل للطباعة الحجرية في تاريخ ليبيا الثقافي، ومن المعروف أنّ الطباعة الحجرية تمثّل (مرحلة وسطى) بين فضاء المخطوطات القديم الذي يعتمد كلياً على النسخ اليدوي المعروف في حركة الوراقة / وفضاء المطبوعات بالحروف المعدنية الحديثة، إذ أنّها تجمع بين الكتابة اليدوية / والسحب الشبيه بالآلي عليها.

ويعود الفضل في اختراع الطباعة الحجرية إلى الكاتب والمخترع الألماني سونوفيلدر *Senefelder* الذي اكتشف في عام (1796م) نوعاً خاصاً من الأحجار له قدرة طبيعية على امتصاص المواد الدهنية والماء على سطحه، واستعمل سونوفيلدر أحجاره للتوصّل إلى هذا الأسلوب الطباعي الجديد الذي لم تعرفه البشرية من قبل، وكان ينطوي على بعض التقنيات المعقدة⁽¹⁾. وقد عُرفت الطباعة الحجرية في ليبيا بعد سبعين سنة من ظهورها في أوروبا، إذ صدر العدد الأول من صحيفة (طرابلس غرب) سنة (1283هـ/ 1866م) مزدوجاً: في صفحتين بالتركية العثمانية في طبعة حجرية بخط النسخ المألوف

(1) انظر: فوزي عبد الرزاق، المطبوعات الحجرية في المغرب (فهرس مع مقدمة تاريخية)، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1989. وانظر للباحث نفسه أيضاً: مملكة الكتاب: تاريخ الطباعة في المغرب (1865-1912)، تعريب خالد بن الصغير، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1996، ص 90-99.

في المشرق / وصفحتين بالعربية بالخط المغربي المؤلف بين أبناء الولاية آنذاك⁽¹⁾. ثم جُلبت مطبعة الحروف الحديثة بعد بضع سنوات. ونقف من خلال هذه السالنامة نفسها - على طاقم مطبعة الولاية، بالصفات المهنية، وأسماء العاملين بشيء من التفاوت في العدد أحياناً، وقد كان من بينهم: ... كاتب الليطوغرافيا (الطباعة الحجرية)، وفني الليطوغرافيا، وفني الحروف،... الخ. وجميع أعداد (سالنامة ولاية طرابلس الغرب) - باستثناء العدد الأخير منها - مطبوعاتٌ حجريةٌ، كما ترى في الجدول أعلاه، وهي أدنى إلى المخطوطات في الشكل والندرة.

(ب). توثيقية:

ولئن كانت السمة الأولى غالبية على (شكل) السالنامة، فإنَّ السمة الثانية غالبية على (محتواها)، إذ تُعدُّ سالنامة الولاية أهمَّ مصدر لتشكيلاتها الإدارية / والعسكرية المعاصرة لصدورها، ولأوضاعها الطبيعية والجغرافية العامة، كما تتضمن العديد من المعطيات الكمية / شبه الإحصائية التي يندر وجودها في غيرها من المصادر.

(ج). ثقافية:

ومع غلبة الجانب التوثيقي المذكور على سالنامة الولاية، فإنَّها لا تخلو غالباً من بعض (المعطيات الثقافية) التي تساهم في تنمية الوعي والإدراك بكيان الولاية / والدولة، لدى عددٍ من القراء، قد يكون في مقدمتهم بعض الموظفين العاملين في مختلف المرافق التي تصلها نسخٌ من السالنامة، وإن لم نقف بعد على عدد النسخ المطبوعة من كل عدد، والغالب أنَّه كان محدوداً، ولكنَّ ذلك لا يمنع من تداوله بين الأيدي، ويظلُّ في طبعاته الحجرية أيضاً أكثر انتشاراً وتأثيراً من المخطوطات.

(1) انظر المزيد من التفاصيل في الدراسة التالية: عمار جحيدر، «بدايات الصحافة الليبية: العدد الأول من صحيفة طرابلس غرب (1283هـ/ 1866م)»، ضمن ندوة: المجتمع الليبي (1835-1950)، تحرير الدكتور محمد الطاهر الجراي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005، ص 607-653، وفيها مبحث موجز عن المطبعة الأولى في الولاية، ص 621-628.

(د). سنوية:

وإذا كانت صحيفة (طرابلس غرب) التي سبقتها ببضع سنوات (مطبوعة أسبوعية)، فإنّ السالنامة (مطبوعة سنوية / أو حولية)؛ وكل هذا يندرج - فيما أرى - بين المصادر المستهدفة لدراسة التاريخ الثقافي / أو تاريخ العقلية (الذهنيات)، فضلاً على الدراسة التاريخية في جوانبها الأخرى السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية التي تتردد كثيراً بين معطيات السالنامات.

(5)

محتوى سالنامات الولاية

فهرسة تحليلية للعدد الأول (1286هـ / 1869م)

يظلّ الهدف الأساسي لهذه المساهمة المتواضعة أن تقدّم عرضاً موسّعاً وافياً لمحتوى سالنامات الولاية، لذا آثرتُ توزيع هذا العرض على (أولها / وأوسطها / وآخرها)، تعميماً لهذه النظرة العامة الملقاة عليها. وينبغي أن أنوّه، في مستهلّ هذا السياق، بأنّ الأستاذ الجليل علي مصطفى المصراطي قد تنبّه مبكراً إلى أهمية المادة التاريخية القيّمة التي تحتويها سالنامات طرابلس، فقدّم عنها خلاصة موجزة، وألحقها - من باب الشبه - بالصحف والمجلات في كتابه القيم (صحافة ليبيا في نصف قرن)، وهو - فيما أرى - أهمُّ كتبه⁽¹⁾. وقد أشار في تلك الخلاصة إلى التقييم التالي للسالنامة: «وهي ذات قيمة تاريخية في مجموعها، وتمثّل ركناً من مصادر تاريخ تلك الفترة وذلك العهد. وإحصائياتها ومعلوماتها من أصدق الإحصائيات وأخصب المعلومات التي تكاد أن تجرفها كثبان الرمال، رغم أنّها قريبة العهد بالنسبة لآماد التاريخ وأطلاله الخ»⁽²⁾.

وأقدّم فيما يلي فهرسة تحليلية، (أو كشافاً موضوعياً) تراتبياً، للعدد الأول من

(1) عمار جحيدر، «علي مصطفى المصراطي وتاريخ ليبيا الثقافي تحية وقراءة نقدية»، مجلة الفصول الأربعة (طرابلس)، العدد 58 (1992)، ص 41-70، وخاصة ص 56.

(2) المصراطي، نفس المصدر.

سالنامة ولاية طرابلس (1286هـ / 1869م) نموذجاً تفصيلياً لبنية هذا المصدر الرسمي التوثيقي وتنوع مادته. ويليه في المبحث اللاحق تصنيفُ لسالنامات الولاية إلى (ثلاث مجموعات) متميزة نسبياً من حيث محتوياتها. ونجد في العدد الأول بعد المقدمة ما يلي:

محتوى العدد الأول من سالنامة ولاية طرابلس الغرب

ر.م	الموضوع	ص
1	تقويم الشهور بشكل مطرد في كل السالنامات (يُستهل به كل عدد).	3
2	جدول لمقابلة السنين الهجرية بالسنين الميلادية بعد سنة 1200هـ.	15
3	جدول يبين درجات الطول والعرض لبعض البلاد العثمانية المصححة أخيراً.	16
4	جدول بالوقائع التاريخية المشهورة، ويتكوّن من قسمين: قبل الهجرة وبعد الهجرة.	19
5	جدول بأسماء السلاطين منذ ظهور الدولة العثمانية، وقرين كل اسم: تاريخ ميلاده، وجلسه، ووفاته، ومدة سلطنته، وعمره، ومدفنه.	25
6	جدول بالألقاب الرسمية المحرّرة من طرف الكبير والصغير إلى مقام ما، يليها (تقدّم الرتب العلمية، والسيفية ⁽¹⁾ ، والقلمية ⁽²⁾)، على بعضها حسب أصول تشريفات الدولة العلية).	28
7	جدول بأسماء الولاة، مع فترات إقامتهم ومسئولياتهم، منذ إلحاق الولاية بالدولة العثمانية (في العهد العثماني الثاني) حتى صدور العدد.	31
	والجداول السابقة - باستثناء تقويم الشهور - ثابتة بشكل مطرد، وتمثل غالباً القسم (التاريخي) من السالنامة آنذاك (عند الصدور)، وتليها الأقسام التالية (المعاصرة) لأحوال الولاية:	
8	دائرة الولاية: أركان الولاية، مجلس الإدارة وقلمه (الكتاب: تركي/ عربي)، مجلس تمييز الحقوق وقلمه، مجلس الجنايات وقلمه، المحكمة الشرعية وقلمها، محكمة التجارة وقلمها، دائرة المحاسبة: الشعبة الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة، شعبة المحاسبات العربية، موظفو الصندوق بدائرة المحاسبة، دائرة الكتاب (التركية): غرفة التحريات العربية، غرفة الأوراق (المستندات الرسمية)، دائرة الأمور الأجنبية، دائرة الدفتر الخاقاني [السجل العقاري]، مديرية الزراعة، دائرة المطبعة.	33

(1) السيفية: العسكرية.

(2) القلمية: الإدارية.

ص	الموضوع	ر. م
41	الأقضية والنواحي التابعة لمركز الولاية (مع مجلس الدعاوى بكل منها): قائممقامية القولوغلية (أو الكوارغلية) ⁽¹⁾ ، ناحية العزيزية، قضاء الزاوية، ناحية العجيلات (مربوطة بالقضاء المذكور)، ناحية زوارة ⁽²⁾ (كذلك)، قضاء غريان، ناحية جنزور ⁽³⁾ ، ناحية تاجورة.	9
45	الألوية الملحقة، مع ذكر المتصرف والقاضي (النائب) والمعاون والمحاسب ومدير التحريات، ثم يذكر مجلس الإدارة ومجلس تمييز الحقوق والجنابات ودائرة المحاسبة ودائرة التحريات. ثم تذكر الأقضية والنواحي التابعة للسجق أو اللواء وفق التسلسل التالي: (أ) - لواء الخمس (خمس سنجاغى)، ويتبعه: قضاء مصراتة، ناحية تاورغا ⁽⁴⁾ (مربوطة بالقضاء المذكور)، قضاء سرت، قضاء مسلاتة، ناحية الجفارة (مربوطة بالقضاء المذكور)، قضاء ترهونة، قضاء ورفلة، قضاء زليطن ⁽⁵⁾ . (يذكر مع كل قضاء القائم مقام ومأمور المال والقاضي، ثم أعضاء مجلس الدعاوى. وفي الناحية يحل المدير محل القائم مقام). (ب) - لواء بنغازي: قضاء ثلثة/ ثلاثة، قضاء العواكير، قضاء أوجلة وجالو، قضاء المرج ⁽⁶⁾ ، قضاء درنة، قضاء البراعةصة، ناحية الدراسة، ناحية الحاسة، ناحية القبة. (ج) - لواء فزان: قضاء الشاطي، قضاء سوكنة، قضاء سبها وسمنو، ناحية الوادي الشرقي، ناحية الوادي الغربي، ناحية عتبة، ناحية القطرون، ناحية زلة، ناحية الشرقية، ناحية الحفرة، ناحية غدوة. (د) - لواء الجبل الغربي: قضاء غدامس، قضاء فسّاطو، قضاء نالوت، ناحية مزدة، قضاء ككلة ⁽⁷⁾ .	10
66	أسماء الأمراء ⁽⁸⁾ والضباط الموجودين داخل الولاية من فئات العسكر الثلاثة (المشاة، الفرسان، المدفعية):	11

(1) انظر الإشارة إليهم في المبحث اللاحق: (9 - نص تاريخي من العدد العاشر 1301هـ).

(2) في السالنامة: طواره. (3) في السالنامة: ظنطور.

(4) في السالنامة: طاورغه. (5) في السالنامة: ظليتين.

(6) في السالنامة: مريج.

(7) يبدو أنه سهو، فقد ذكرت ككلة (ناحية) في كل الأعداد التالية من السالنامة.

(8) الأمراء: كبار ضباط الجيش.

ر.م	الموضوع	ص
	- آلاى المشاة السابع من القوات الخاصة (خاصه اردوى همايونى): الطابور الأول، الثاني، الثالث. - طابور الطليعة السابع من القوات الخاصة الموجود بلواء بنغازي. - آلاى الفرسان الخامس من القوات الخاصة الموجود بلواء بنغازي. - أمراء عساكر المدفعية وضباطها الموجودون بولاية طرابلس. - موظفو مستشفى فئات العساكر الموجودون بولاية طرابلس. - مجلس الفرقة العسكرية المركب من أمراء الآليات المذكورة وضباطها. - جدول مبيّن لمواقع الولاية العسكرية.	
12	موظفو نظارة الرسومات (الجمارك) بطرابلس الغرب: دائرة النظارة، مديرية رسومات طرابلس، المأموريات (الفروع) الملحقة بها، مديرية رسومات بنغازي، الفروع الملحقة بها.	71
13	مدير أوقاف الولاية ووكلاؤه: طرابلس، الزاوية الغربية، غريان، جنزور، تاجورة، سنجق الخمس، مسلاتة، زليطن، مصراتة، سنجق بنغازي، سنجق فزان، سنجق الجبل، فسّاطو، ككلة.	73
14	المحاجر الصحية (الكرنتينات) الموجودة بالولاية (المدير، الطبيب، رئيس الميناء): طرابلس، مصراتة، بنغازي، درنة، بومبا، طبرق ⁽¹⁾ .	74
15	ضباط عساكر الضبطية (الشرطة) بالولاية: مركز الولاية، سنجق الخمس، سنجق بنغازي.	74
16	قناصل الدول الأجنبية وموظفوها الموجودون بالولاية: إنجلترا، فرنسا، إيطاليا، فلمنك (هولندا)، بروسيا والنمسا وبلجيكا ⁽²⁾ ، الجمهورية الأمريكية، جمهورية إسبانيا المؤقتة.	75
17	المكاتب (المدارس) الرشدية بالولاية (مع أسماء بعض المعلمين بها): طرابلس، بنغازي، الخمس، فزان.	77
18	أعداد مكاتب الصبيان (الكتاتيب) ومواقعها، وعدد التلاميذ بكل منها ⁽³⁾ .	78
19	محلات الأسواق وأيامها بالولاية: طرابلس (المركز)، الزاوية، العجيلات، غريان، جنزور، تاجورة، الجبل، ككلة، فسّاطو، فزان، الخمس، زليطن، مسلاتة، ورفلة، مصراتة ⁽⁴⁾ .	80

(1) في السالنامة: طبروق. (2) في السالنامة: بروسيا وأستراليا وبلجيكا.

(3) [أثرت أن أقتبسه في هذا السياق نموذجاً للجداول الإحصائية: انظر الجدول التالي أدناه].

(4) [وقد غابت عن هذا الجدول -كما ترى- أسواق لواء بنغازي، ولم يذكر من أسواق فزان سوى موقع واحد؟].

ر.م	الموضوع	ص
20	جدول مبيّن (بالساعات) لمسافات بُعد الأفضية والنواحي عن مركز الولاية والألوية الملحقة بها.	81
21	جدول مبيّن لدرجات (أو مستوى) عمران الولاية؛ (إذ أنّ بعض الأهالي مستقرّون، وأكثرهم رُحّل).	83
22	مسافات الطرق التي سُوّيت ونُقِّمت أخيراً في الولاية (بالساعات): طريق الخمس، الجبل، الزاوية، غريان.	86
23	الأيام المعيّنة للبريد المتنقل بين الولاية وملحقاتها (من/ وإلى): الخمس، بنغازي، فزان، الجبل.	86
24	أسماء الموانئ الموجودة على السواحل، والمسافات فيما بينها (بالميل البحري).	86
25	أسماء السفن المنتظمة بين طرابلس ومالطة.	87
26	أعداد السفن التجارية (الذاهبة/ الآتية) إلى مينائي طرابلس وبنغازي خلال سنة 1284 الشمسية [المالية].	87
27	معلومات (أرقام) عن قيمة الواردات والصادرات والمصروفات الداخلية [ادخالات / اخراجات/ صرفيات داخلية] الواقعة بولاية طرابلس الغرب في ظرف سنة ابتداءً من مارت إلى نهاية شباط 1284 (المالية).	88
28	جدول إحصائي بعدد الأشجار في الولاية: نخيل، زيتون، برتقال، ليمون، تفاح، كمثرى، تين، لوز، خرّوب، رمان، سفرجل.	88
29	جدول إحصائي لمحصولات الحبوب في الولاية (بالكيلو، مع الأسعار بالقروش): قمح، شعير، ذرة، فول، تفاح الأرض،...، دخان، بصل، ثوم، عنب، بطاطس.	89
30	جدول إحصائي لمحصولات النباتات ⁽¹⁾ في الولاية (بالأقة، مع الأسعار بالقروش): الأعشاب النباتية، زعفران، حنّاء، الحبة السوداء (حبة البركة/ شونيزه)، يانسون، كمون، صمغ عربي، فلفل أحمر، عفص (بلوط)، تين، لوز، خرّوب، تمر، رمان، سفرجل، تفاح، كمثرى، ليمون/ برتقال، بطيخ/ دلاع.	90
31	جدول إحصائي بعدد الحيوانات (وأراضيها) في الولاية: ثور، عجل، بقرة، ضأن، حصان، فرس، مهر، كبش، نعجة، خروف، ذكر الماعز، أنثى الماعز، السخل: (صغير الماعز)، حصان الركوب والسباق، بغل، جمل، دجاج، دجاج هندي، بط، أوز، خلايا النحل، عسل.	91

(1) تقدم في جدول سابق (عدد) الأشجار، وهذا للمحصول من الشمار، لذلك ستتكرر بعض المفردات.

ر.م	الموضوع	ص
32	تحت عنوان: (إخطار: تنبيه) أدرجت عدة ملاحظات، هذه ترجمتها: - أُعدت الجداول الإحصائية بناءً على التحقيقات الواقعة، وإن لم تبلغ غاية الدقة، فإن أكثرها صحيح. - بعض المعلومات المفيدة عن الولاية: فضاء الولاية الواقع تحت إدارتها ابتداءً من حدود تونس إلى حدود مصر طويلاً خمسمائة ساعة، وعرضاً إلى داخل فزان ثلاثمائة ساعة، وحاصل ضربهما يبلغ مائة وخمسين ألف ساعة. - مع أنّ سكان الولاية يُقدّرون بمليون ونصف المليون في الخرائط الأوروبية، فإنه من الممكن أن يبلغوا المليون. - تعدّ 16 أقة من الشعير/ أو 20 أقة من القمح هنا كيلة واحدة (بكيلة استانبول)، ويطلق على الكيلة المحلية (مرطة)⁽¹⁾، وهي تسع (أو وزن) من القمح والشعير ما يزيد قليلاً على نصف كيلة استانبول. - يكفي أكثر أهالي الولاية بالشعير والتمر والذرة والبشنة⁽²⁾، ويقنعون بأحد أنواع الحبوب. - المنتجات (أو الأرزاق) الزائدة عن الاحتياجات الضرورية، تنقل (للبيع) إلى موانئ طرابلس وبنغازي ومصراتة وزليطن ودرنة، وأسواق مراكز الأقضية. - يستهلك الأهالي من المحصولات المذكورة كالذرة والتمر والبشنة نحو مليون ومائتي ألف كيلة من القمح والشعير في السنة، ويرسل الباقي إلى الخارج. - يباع السمن والزيت هنا بالجرة والغراف، والجرة ستة غراريف، ويبلغ وزن الغراف أيضاً ثقل 560 درهماً من الدهن⁽³⁾.	93
33	أحوال الأهالي المخصوصة باختصار: (بضعة أسطر عن المعيشة، والأخلاق، واللباس).	95

- (1) في الجدول الرسمي لمطابقة الأوزان والمكاييل القديمة بما يقابلها في المصطلحات الحديثة، المنشور في (الجريدة الرسمية) خلال الاحتلال الإيطالي سنة (1928م)، أدرج ما يلي: (كيل الجبوب: المرطة = 20 ليتره و 750 سانتيلتر. الويبة = 14 مرطة = 290 لتره ونصف). نشرت نسخة مصورة من هذا الجدول ضمن ملاحق الجزء الأول من (اليوميّات الليبية) ص 677-682.
- (2) البشنة: اسمٌ محليّ لنوع من الحبوب، كالسمسم تقريباً، وهي حمراء اللون، وكان جُل استعمالها - كالشعير - في الأكلة الشعبية الليبية المعروفة (البازين).
- (3) في الجدول الرسمي المذكور أدرج ما يلي: (كيل السوائل: الغراف = 2 لترتان و 307 سانتيلتر/ والجرة = 6 غراريف و ثمن الغراف = 14 لتر و 290 سانتيلتر).

ر.م	الموضوع	ص
34	موظفو دائرة البلدية وأعضاؤها المنتخبون لتشكيلها الذي لم يتم بعد ⁽¹⁾ .	95
35	موظفو صندوق المنافع العمومية المؤسس بطرابلس اعتباراً من بداية شهر نيسان من سنة 1285 (المالية). وتلي الأسماء العبارة التالية: (توجد لائحة خاصة بإدارة هذا الصندوق ورأس ماله).	96
36	تصحيح وإضافة (ذكرت بعض الأسماء استدراكاً).	97
37	اختتمت السالنامة بالعبارة التالية: (طُبعت في 9 محرم الحرام بمطبعة طرابلس الغرب الحجرية).	97
38	أُلحقت بالسالنامة خريطة بعنوان: (خريطة مختصرة لولاية طرابلس الغرب). وهي تشمل أُلوية (أو سناجق) طرابلس، والجبل، والخمس، وبنغازي، وفزان. ويلاحظ خروج الجنوب الشرقي الذي غُيّر عنه بكلمة چول (بالجيم المثلثة): أي صحراء، عن معالم الخريطة، وكأنّ في هذا اعترافاً ضمناً بنفوذ الحركة السنوسية على تلك الجهات، وهو ما يتسق أيضاً مع التقسيم الإداري المذكور أعلاه (الفقرتان 9-10).	

جدول المكاتب / الكتاتيب والتلاميذ

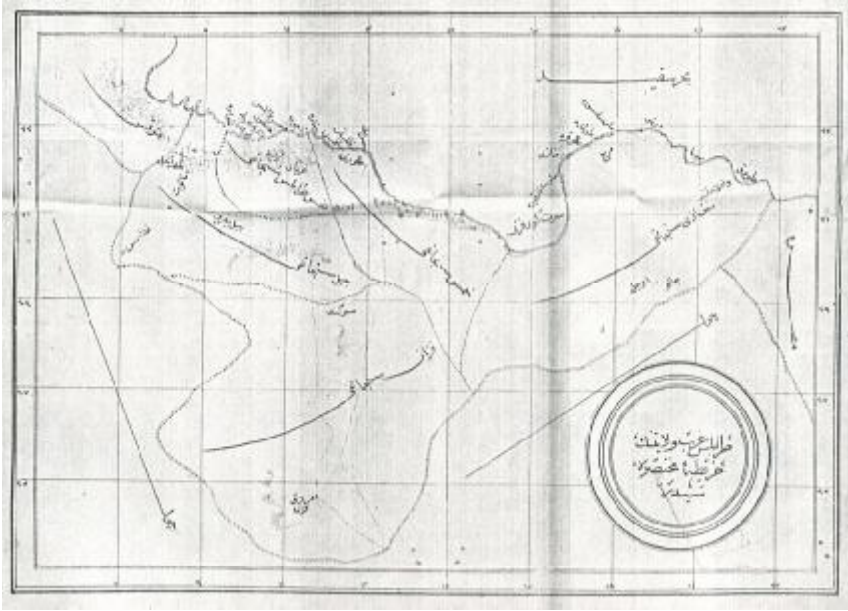
في العدد الأول من السالنامة (1286هـ / 1869م)

اسم الموقع	عدد الكتاتيب	عدد التلاميذ
طرابلس المركز.	12	360
المنشية.	15	280
الساحل.	5	120
الجواري.	5	120
العزيزية.	2	50
الزاوية.	5	110
العجيلات.	2	40
زوارة.	2	80
غريان.	4	100
جنزور.	6	150
المرابطين.	4	85

(1) شُكّلت البلدية بعد قليل. وقد صدر كتاب تذكاري ضخم في الذكرى المئوية لتأسيسها: بلدية طرابلس في مائة عام (1286-1391هـ / 1870-1970م)، في (1093 ص) من القطع الكبير.

اسم الموقع	عدد الكتابات	عدد التلاميذ
تاجورة.	4	160
الجيل.	5	220
غدامس.	2	150
فساطو.	2	40
نالوت.	1	20
مزدة.	5	100
ككللة.	6	145
فزان المركز.	1	16
الشاطي.	2	25
سوكنة.	2	50
سبها وسمنو.	1	17
الشرقية.	2	40
الغربية.	1	19
زلة.	1	20
الشرقية والحفرة.	2	25
بنغازي المركز.	10	43
قضاء ثلثم ثلاثة.	3	200
قارقورة ومربوط.	2	(20)
أوجلة وجالو.	2	45
المرج.	2	50
درنة.	3	65
البراعصة.	4	90
الدرسة.	2	85
الحاسة.	1	60
القبّة.	2	35
الخمس المركز.	1	20
مصراتة.	3	80
تاورغا.	2	50
سرت.	2	50
مسلاتة.	2	100
جفارة.	2	90
ترهونة.	5	180
ورقلة.	10	250
زليطن.	4	160
المجموع: 51	170	4520

واللافت للنظر هنا أنّ المجاميع غير دقيقة؛ فمجموع المواقع صوابه في الظاهر: (45)، إلا إذا أُضيفت تلك المواقع (المعطوفة) على غيرها، وهي سمنو والحفرة ومربوط وجالو، وكان قضاء (ثلثة) يعني ثلاثة مواقع، وبذلك يكون المجموع المثبت في الجدول صحيحاً. وقد ظلت معطيات هذا الجدول على ما هي عليه في العديدين التاليين: الثاني (1287هـ)، والثالث (1288هـ) من سالنات طرابلس أيضاً، وهو مما يشعر بشيء من التجاوز أو التهاون وضعف المصادقية بالنسبة للسنتين الأخيرتين على الأقل.



خريطة الولاية في العدد الأول من سالنات (1286هـ / 1869م) وفيها سنجق بنغازي

(6)

تصنيف سالنات الولاية إلى ثلاث مجموعات وفق محتوياتها

المجموعة الأولى (الأعداد 1 – 9):

إذا تابعنا النظر في سالنات طرابلس من حيث بنيتها (تركيبها) ومحتوياتها؛ فسنجد أنّ الأعداد التالية: من الثاني إلى التاسع (باستثناء الخامس المفقود الذي لا نعلم عنه

شيئاً؟) لا تختلف عن بنية العدد الأول المعروف أعلاه، ويمكن القول إنّ هذه الأعداد التسعة (1286-1295هـ) تمثل مرحلة واحدة أو متشابهة في تحرير سالنامة الولاية، وربما كان ذلك انعكاساً لتكوين محرّريها والمشرّفين عليها. ولكنّ هذه المجموعة نفسها لا تخلو من بعض الفروق الطفيفة فيما بينها؛ ومن ذلك مثلاً غياب تلك الجداول الإحصائية (بالأشجار والحبوب والنباتات والحيوانات) منذ العدد الرابع (1289هـ). ولعلّ أبرز الفروق حقاً هو خروج سنّجق بنغازي من هذا العدد أيضاً؛ لانفصالها عن ولاية طرابلس آنذاك، لكنّها لا ثبتت أن تُضمّن من جديد، فنجدها ضمن العدد السادس للسالنامة (1292هـ). ونجد بين وثائق تلك الفترة أيضاً وصفاً جيّداً للتشكيلات الإدارية لمتصرفية بنغازي؛ قدّمه وكيل تونس بها في السنة نفسها⁽¹⁾. وقد تكرر انفصالها عن طرابلس أكثر من مرة ما بين ولاية / ومتصرفية مستقلة⁽²⁾.

المجموعة الثانية (الأعداد 10 – 12):

وابتداءً من العدد العاشر (1301هـ) شهدت سالنامة طرابلس تحوُّلاً ملحوظاً في بنيتها / أو محتوياتها، وتطوّرت عما كانت عليه في أعدادها السابقة، وأصبحت مزدوجة اللغة (بالتركية العثمانية / والعربية) فتضاعف حجمها، وجاءت فيه هذه الإفادة التي أثّرت اقتباسها وفق أسلوبها آنذاك⁽³⁾: «وقد أُدرجت وأدخلت أيضاً الآن في هذه السالنامة (جدول السنة) بعض معلومات مفيدة في الهيئة⁽⁴⁾، والتاريخ، وإفادات مختصرة في أحوال الولاية الطبيعية والخصوصية، وموقعها الجغرافي وطبقات أرضها، مما لم يسبق درجه وادخاله في سالنات هذه الولاية التي طبعت ونشرت سابقاً، وبما أنّ أهالي الولاية لا

(1) عمار جحيدر، «إدارة متصرفية بنغازي كما تصفها رسالة وكيل تونس 1292هـ / 1875م»، ضمن كتابه: آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، 1991.

(2) انظر تفاصيل ذلك في جدول موثق ضمن الدراسة المشار إليها أعلاه: عمار جحيدر، «بدايات الصحافة الليبية: العدد الأول من صحيفة طرابلس غرب 1283هـ / 1866م»، ضمن ندوة: المجتمع الليبي (1835-1950)، ص 618-619.

(3) وهو مثال من (لغة الدوائر الرسمية) في تلك الفترة.

(4) الهيئة: علم الفلك.

يحسنون القراءة والكتابة بالتركية، قد حصلت المجبورية⁽¹⁾ بنشر وإخراج هذه السالنامة تركية وعربية، فالتركية يمين كل صحيفة⁽²⁾، والعربية التي هي اللغة المحلية بشمالها، ليتيسر للأهالي اكتساب حصة في الاستفادة منها⁽³⁾.

ومن التحويلات التي أُدخلت على هذا العدد إضافة الوقائع المشهورة الخاصة بولاية طرابلس، إلحاقاً بالوقائع العامة التي اقتضت عليها الأعداد السابقة، كما مُدّ جدول السلاطين إلى أول الخلفاء الراشدين⁽⁴⁾؛ تعبيراً عن ابتداء الدولة الإسلامية فيما يبدو، ومُدّ جدول الولاة إلى أول الولاة العثمانيين (منذ العهد العثماني الأول)⁽⁵⁾. وفي شؤون الولاية المعاصرة فُصلت الدائرة العسكرية على حدة في سياق مستقل، كما طُرأت على التشكيلات الإدارية بعض المؤسسات الجديدة، وقد خرجت (أو فُصلت) بنغازي (مرة أخرى) عن هذا العدد ومن كل الأعداد التالية، من السالنامة أيضاً، وأُلحقت به خريطة للولاية - دون بنغازي - أكثر تفصيلاً.



خريطة الولاية في العدد العاشر من السالنامة (1301هـ / 1884م)
دون سنجق بنغازي (وفي الخريطة آنذاك: ولاية بنغازي)

- (1) حصلت المجبورية: اقتضى الأمر.
- (2) يمين الصحيفة: العمود الأيمن في الصفحة.
- (3) من مقدمة العدد العاشر (1310هـ).
- (4) كان في العدد الأول منذ ظهور الدولة العثمانية.
- (5) كان في العدد الأول منذ إلحاق الولاية بالدولة العثمانية، في العهد العثماني الثاني.

وقد احتفظ العدد الحادي عشر (1302هـ) بسمات العدد السابق عموماً، غير أننا نجد تغييراً ملحوظاً - على سبيل المثال - في معطيات الجدول الإحصائي لمنشآت مدينة طرابلس عما كانت عليه في العدد السابق، وهو ما يشعر بشيء من المصادقية ومتابعة التطورات (الطبوغرافية) - إذا صحّ هذا الأداء. فمع أنّ الإحصائية الخاصة بسكان المدينة لم تتغير في هاتين السنتين المتتاليتين، وتشير إلى أنّ مجموعهم كان يبلغ (25000: مسلمون 18000، يهود 4000، أجانب 3000)، إلا أنّ أغلب المنشآت قد ارتفع عددها - في حين ظلّ بعضها ثابتاً في السنتين - على النحو التالي:

جدول مقارنة منشآت مدينة طرابلس بين العديدين (10 / 11) من السالنامة

المعطيات	1301هـ	1302هـ
جوامع شريفة.	9	10
مساجد.	18	21
مدارس.	3	4
مكتب رشدية.	1	1
مكاتب صبيان (كتاتيب).	15	17
مكاتب إناث.	1	2
تكيّة.	2	2
زوايا.	4	5
بيوت.	2453	2470
خانات (فنادق).	13	20
دكاكين.	1019	1100
مغازة.	40	50
حمامات.	4	4
كنايس نصاري.	5	4 (*)
كنايس يهود.	7	7
قهراوي.	22	50 (*)
طواحين جمال	72	72
مصابن (صابونخانه).	2	2

المعطیات	1301ھ	1302ھ
مدبغة.	1	1
أجزاخانه (صيدلية).	3	3
مستشفى (خسته خانه).	1	2
أفران.	20	23
طاحون نار.	-	1
میخانه (خمارة).	-	50 (؟)

أما المنشآت (أو الملامح الطبوغرافية) بضواحي المدينة (المنشية وما إليها)، فتزد في السالنامتين على النحو التالي:

جدول مقارن للمنشآت خارج المدينة بين العددين (10 / 11) من السالنامة

المعطیات	1301ھ	1302ھ
جوامع.	45	45
مساجد	71	75
مدارس.	2	2
مكاتب صبيان	30	35
زوايا.	45	50
خانات.	42	48
كنائس.	2	2
طواحين.	25	26
بيوت.	1500 تقريباً	2000 (تقريباً)
بساتين.	1200 (تقريباً)	2500 (؟)
دكاكين.	595	650
قهاوي.	22	25
میخانات (حانات).	32	32
طاحون نار	-	1

ويُختتم هذان العدداً من السالنامة ببضعة جداول إحصائية / أو إفادات موجزة في كل منهما؛ عن المدرسة الرشدية بطرابلس والخمس، ومكاتب الصبيان في مركز الولاية، مع اسم المعلم وعدد التلاميذ في كل منها، والمدارس الأجنبية، وإدارات الفنار بطرابلس والخمس ومصراتة، وشركة البواخر الفرنسية، والإيطالية، وجدول إحصائي بعدد البواخر والسفن الشراعية الواردة إلى ميناء طرابلس في سنتي (1299 - 1300) الماليتين، مع مقادير حمولاتها وجنسياتها، وجدول الموازنة المالية لسنتي (1300 - 1301).

أما العدد الثاني عشر (1305هـ) فيمكن الحاقه بالعدين السابقين إجمالاً، ولكنه خرج عنهما قليلاً بزيادة في مادته التي لا علاقة لها بشؤون الولاية، فقد أُضيف إليه جدول بأيام ولادة الملوك والأباطرة وأيام جلوسهم، وآخر بحكومات العالم (أنواعها وتوزعها على القارات)، وثالث ببعض الاصطلاحات التاريخية (ألقاب الملوك في العربية والفارسية والتركية)، وكلها مأخوذة عن (ربيع معرفت)، وهو تقويم أبي الضياء (من السالنامات الخاصة). كما أُضيفت إليه (الشجرة الفاخرة العثمانية) التي احتلت منه ثلاثين صفحة نقلاً عن سالنامة خداوندكار (ولاية بورصة)⁽¹⁾. وقد كانت (أحوال الولاية الطبيعية والجغرافية والخصوصية) مقدمة على (أحوالها التاريخية) في العدين السابقين، ويبدو أنهم استشعروا مخالفتها للتسلسل فعكس ترتيب الفقرتين في هذا العدد، لينتهي بهما السياق إلى (جدول الولاية) الذي وُضعت مقدمته الموجزة، ولكن الجدول نفسه لم يرد (؟)، والغالب أنه سقط / أو تُرك سهواً. وتلي ذلك (تشكيلات الولاية المعاصرة) آنذاك بداية باسم الوالي أحمد راسم باشا الذي صدر في عهده أيضاً العدداً السابقان (1301هـ / 1302هـ)، والعدد التالي / والآخر (1312هـ) من سالنامة طرابلس، وهو نسيج وحده بين ولاية العهد العثماني الثاني؛ إذ كان أطولهم مدة، وامتدت ولايته خمسة عشر عاماً⁽²⁾.

(1) وبعض هذه المعطيات يبدو حشواً لا طائل من ورائه - كما ترى.

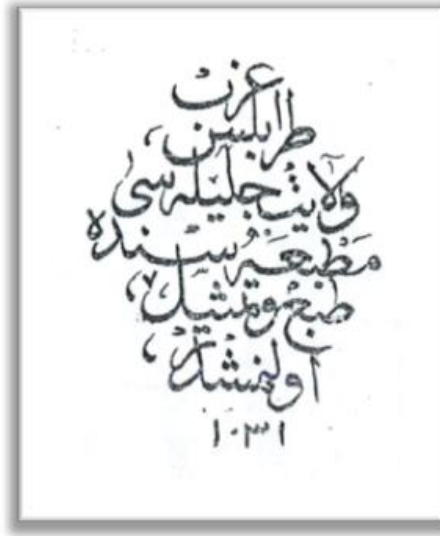
(2) د. أحمد صدي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي - أو طرابلس الغرب في آخر العهد العثماني الثاني (1882-1911م)، القاهرة: المطبعة الفنية الحديثة، (1971)، ص 60.

وتذكر في هذا العدد أيضاً تلك الإحصائية لمنشآت المدينة والمنشية (مع فروق طفيفة)، ولكن تختفي منه بقية الجداول الإحصائية الواردة في العديدين السابقين. وفي النبذة المخصصة (لأحوال الولاية الطبيعية والجغرافية والخصوصية) التي أُدرجت بالصياغة نفسها في الأعداد الثلاثة الأخيرة (المجموعة الثانية)، نقف على التقدير التالي لسكان الولاية الذي أثرت اقتباسه بعبارة السالنامة أيضاً: «وبناءً على أنه لم يُجر بعد هنا تحرير النفوس⁽¹⁾ كسائر الولايات السلطانية لم يعلم عدد نفوس الأهالي بصورة صحيحة، إلا أنه يمكن تخمينهم مليوناً ومائتي ألف نفس⁽²⁾. ويمكن تقسيمهم في كيفية توطنهم على ثلاثة أقسام؛ فقسم منهم لم يزالوا يقيمون في المدائن والقصبات مجتمعين⁽³⁾، وقسم متفرّقين في المحلات ذات النخيل والبساتين⁽⁴⁾، والقسم الأعظم منهم عبارة عن عشائر⁽⁵⁾ وقبائل سيّارة⁽⁶⁾ تقيم في الخيام والزرائب».



نص مزدوج بالتركية والعربية (العدد العاشر 1301هـ)

- | | |
|---------------------------------|-------------------|
| (1) تحرير النفوس: إحصاء السكان. | (2) نفس: نسمة. |
| (3) الحضر. | (4) الريف. |
| (5) البادية. | (6) سيّارة: رحّل. |



(طبع بمطبعة ولاية طرابلس الغرب الجليلة)
لاحظ الخطأ في كتابة التاريخ خطياً (صوابه: 1301هـ)



غلاف العدد الحادي عشر من السالنامة (طبعة حجرية)

قَوْلَاوُغْلُيَاغَاغَالِيهِتِي	
باشا آغا حاجي علي صغيراغا	مدير مديري يوسف طوبجي غا
ساحل مديري محمد صغيراغا	وقفا مديري حاجي محمد نازي غا
علاوة مديري احمد بن رشيد	سوري مديري محمد قيسواغا
كاتب وامين منقذ محمد بن احمد	غا سكتا سويديا
الشيخ زايد بن عبده ولا شهاب	
دائرة بلدية	
رئيس محمود فاضل افندي	معاون مصطفی نظاري افندي
طبيب بيكا شونوري بك	مهندس توفيق افندي
رائدات محمد علي افندي	الحاج محمد بوربا طافندي
الحاج المكي الزواوي افندي	ابراهيم بايعق افندي
حميد قلهود افندي	الحاج عبده جزار افندي
الحاج محمد افندي بن سعيد	حسين افندي الزقبي
محمد افندي العنيد	موسوي ربي حاي افندي
صندقا مني عبده افندي	كاتب معا وفي اصصف بك
مفتش مصطفی بك	

هيئة باش آغاوية القولوغلية / ودائرة البلدية
(العدد الحادي عشر 1302هـ)



(طبع بمطبعة ولاية طرابلس الغرب الجليلية 1302)

المجموعة الثالثة (العدد 13):

يشكّل العدد الأخير، وهو العدد الثاني عشر - مكرّر / أو الثالث عشر (1312هـ) من سالنامة طرابلس، المجموعة الثالثة - وإن كان مفرداً - من سالنات الولاية من حيث بنيتها ومحتواها، بالقياس إلى المجموعتين المتقدمتين أعلاه. وقد صدر هذا العدد بعد انقطاع (بضع سنوات)، وهذه مقدمته بعبارات تلك الفترة أيضاً: «إنّ سالنامة ولايتنا المعتاد طبعها من القديم بالمطبعة الحجرية كانت نشرت أخيراً حادي عشر مرة⁽¹⁾، في سنة خمس وثلاثمائة وألف، ولم تعد تطبع بعد بممانعة بعض الأسباب الأساسية لدى المطبعة. وإذ جُددت وأُكملت حروفنا وأدواتنا، في ظلّ انتظام الحضرة السنية السلطانية، وبثمرة الهمم الجليلة التي بذلها حضرة والي ولايتنا الحالي في إصلاح إدارة المطبعة، قد توقّنا بمنّ الله تعالى لترتيب سالنامتنا هذه ثاني عشر⁽²⁾ مرة، فطبعناها بالحروف⁽³⁾ مخصوصة لسنة 1312 المباركة الهجرية.

وقد أدرجنا في هذه السالنامة بعض معلومات مختصرة في علم الهيئة والتقويم اقتباساً من بعض الآثار المعتمدة، وفصّلنا فيها آثار الولاية العظام الخيرية، كما أضفنا إليها على حدة ترجمة تلك المعلومات بالعربي تمييزاً للفائدة بحسب الأصول التي اتخذناها منذ سنة 1301⁽⁴⁾. وكذلك حرّرتنا فيها أسماء من كانت لهم رتب ونياشين من المتحيّزين⁽⁵⁾ والمعتبرين من الأهالي غير المأمورين⁽⁶⁾ مع تاريخ تلطيفهم⁽⁷⁾، ورقمنا أيضاً مقدار النفوس وجنسها بمركز الولاية وملحقاتها أفراداً وإجمالاً، بموجب الجداول المصدّقة الواردة من محلاتها، وبينّا المسافة الصحيحة الكائنة بين القضاات والنواحي الملحقة ومركز الولاية والألوية».

(1) سهو؛ صوابه: ثاني عشر مرة، وبعبارة أصح: المرة أو الدفعة الثانية عشرة.

(2) سهو آخر بُني على السهو السابق، وصوابه: المرة أو الدفعة الثالثة عشرة.

(3) هذا العدد الوحيد من السالنامة الذي طبع بالحروف كما تقدم.

(4) يعني بداية الترجمة إلى العربية في العدد العاشر.

(5) المتحيّزين: (بالحاء، في العثمانية) من ذوي المكانة والنفوذ. ش سامي، قاموس تركي.

(6) المأمورين: الموظّفين. (7) تلطيفهم: تكريمهم.

ملاحظات حول محتوى العدد الأخير من السالنامة:

1 - أُضيفت إلى هذا العدد معلومات عن (الفصول الأربعة في اصطلاح أهالي الولاية، مع موسمي الحرث والحصاد).

2 - أُعيدت صياغة النبذة المتعلقة بعلم الهيئة والتقويم - نقلاً عن مصدر باسم الجغرافيا الطبيعية - فاختلفت عما كانت عليه في العددين العاشر والحادي عشر.

3 - كان جدول الوقائع المشهورة الخاصة بطرابلس يتوقف في الأعداد السابقة عند سنة 1274 (تأسيس المكاتب الرشدية بالولاية)، فمُدّ هنا إلى سنة 1311 (إنشاء محل الحكومة بزيطن)، وهي السنة السابقة لصدور العدد، واكتفي في هذا الجدول وغيره بالتركية.

4 - اقتصرت الترجمة التي استقلت هنا بصفحات منفردة، على النبذة المتعلقة بعلم الهيئة والتقويم والسنة المالية العثمانية،

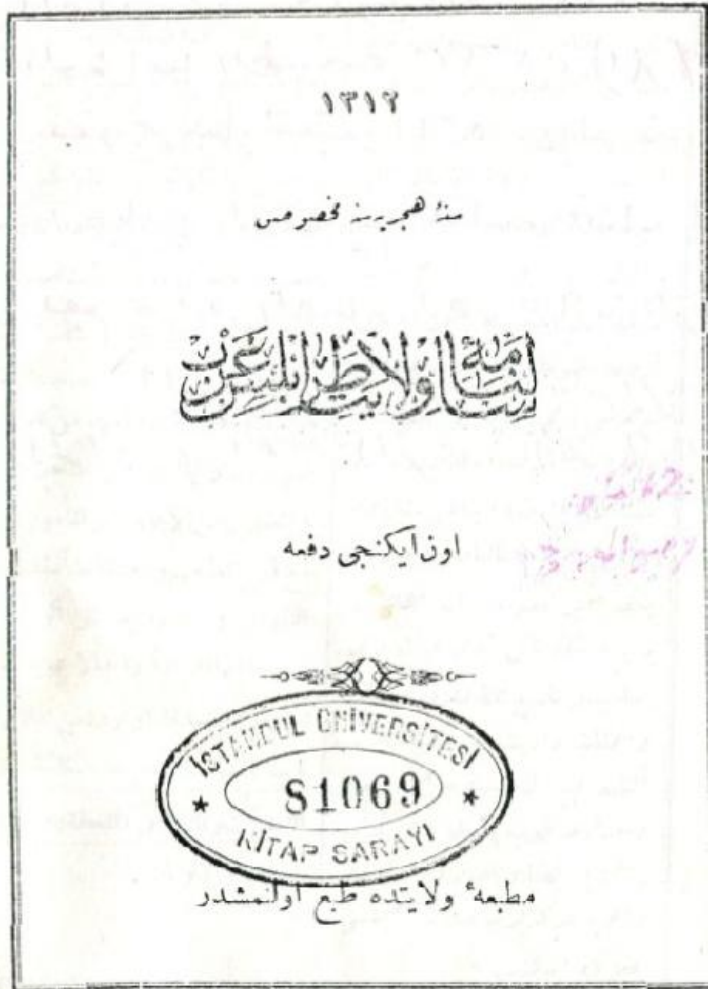
5 - وعلى النبذة الأخرى المتعلقة (بالآثار الخيرية للولاية العظام)؛ وهي تراجم موجزة مركزة على إنشاءاتهم العمرانية غالباً، وتشمل خمسة من ولاية العهد العثماني الأول، واثنين من القرمانليين، واثنين عشر والياً من ولاية العهد العثماني الثاني، آخرهم أحمد راسم باشا والي طرابلس آنذاك الذي خُصّ بتفصيل إنجازاته⁽¹⁾.

6 - اختتم العدد الأخير: بإحصائية لسكان الولاية - دون سنجق بنغازي - وهي إحصائية تستند إلى «الجدول المصدقة الواردة من محلاتها» كما جاء في المقدمة المقتبسة أعلاه؛ فكان مجموع السكان من الذكور: (319430) نسمة. ووفقاً للعادة المتبعة يكون العدد الإجمالي ضعف العدد المذكور: (638860) نسمة.

(1) اقتبس المؤرخ أحمد النائب الأنصاري هذه التفاصيل المتعلقة بأعمال أحمد راسم باشا في الجزء الثاني من (المنهل العذب) كما سيلي في المبحث الأخير أدناه.

7- وجدول الموازنة المالية لسنة 1310؛ فكان مجموع الواردات (13922075)⁽¹⁾؟،
والمصروفات (15097682).

8 - وجدول لواردات الجمر ك لسنة 1309 المالية؛ فكان المجموع (1668514)،
مع؟ (304686) مصروفات داخلية؛ أمتعة وأشياء أخرى.



غلاف العدد الأخير / المطبوع الوحيد بالحروف المعدنية (1312هـ)

(1) قد يعني بها قروش؟

﴿ ولایتک تقریباً مقدار نفوسی ﴾			ذکور
طرابلس غرب سنجاغی			۲۰۷۵۰۰
نفس طرابلس غرب قصبہ سی (داخل وخارج شهر) اسلام ۱۴۱۰۰			
موسوی ۳۳۵۰۰ اجنبی ۳۳۰۰			
مرکز ولایتہ ملحق قول اوغلی باش اغالغی یعنی مشیہ وساحل			۶۷۰۰۰
ورقیعات وعلاونہ وجواری مدیرت لری			
مرکز ولایتہ ملحق زاویہ قضای ۵۱ قبیله ۹۰ نفر موسوی			۴۴۳۸۰
» غریبان » ۶۲ قبیله ۳۱۵ موسوی			۱۲۹۴۱
» اورقلہ » ۵۳ »			۰۸۶۹۰
» ترهونہ » ۷۱ »			۱۱۴۸۵
» عجیلات » ۳۴ »			۰۳۹۲۱
» زوارہ ناحیہ سی ۱۹ »			۰۳۲۵۱
» جفارہ » ۱۱ »			۰۳۶۹۳
» جزور » ۲۳ »			۰۱۴۹۵
» عزیزہ » ۰۴ »			۰۳۰۰۰
» زوی جواری ۴۲ »			۰۲۰۳۳
» تاجورہ ۹ » موسوی ۴۱			۰۱۱۵۰
﴿ خمس سنجاغی ﴾			
مرکز قضای ۲۰ قبیله			۰۵۸۴۰
» مصراطہ » ۶۰۰ ۵۰ نفر موسوی ۳ نفر اجنبی			۳۲۵۰۳
» ظلیت » ۵۰۰ ۰۶ »			۳۰۰۰۰
» ملانہ » ۳۵۰ ۱۸ »			۰۹۷۵۰
» سرت » ۰۹ »			۰۲۰۷۸
» تاورغہ ناحیہ سی ۳۵ »			۰۲۲۲۱
﴿ جبل سنجاغی ﴾			
مرکز لوايفرين قضای ۲۶ قریہ وقبیله ۱۱۵ نفر موسوی			۰۵۹۹۲

(إحصاء تقریبی لسكان الولاية، دون سنجق بنغازي)
(العدد الأخير 1312 هـ / 1894 م - لوحة 1)
(لاحظ فوق خانة الأرقام اليمنى كلمة: ذکور؟)

١٤٥٥٠	فساطو قضاى	٢٦	قبيله
٠٧٨٠٠	» ناوت	٢٢	»
٠٢٨١٢	» غدامس	٠٧	»
٠٤٤٩٢	» حوض	١٦	»
٠٥٥٠٨	» ككله ناحيه سى	٣١	»
٠١٨٢٠	» مزده	٣٠	»
﴿ فزان سنجاني ﴾			
٠٣٠٦	مرکز لوا مرزق قضاى		
٠٩٥٠	» غات		
١٤٢٠	» سوکنه		
٢٥٨٠	» شاطي		
١١٤٧	سبه وسمنو ناحيه سى		
١٢٠٥	» حفرة و شرقيه		
٠٤١٣	» هون		
٠٣٣٢	» وادى شرقى		
٠٤٣٥	» وادى غربى		
٣٣٧	» وادى شتبه		
٢٠٠	» قطرون		
٥٠٠	» زله		
٠٠٣٧	» غدوه قريه سى		
٠٤١٣	» ودان		
٣١٩٤٣٠	يكون عمومى		

(المجموع العام [للذكور]: 319430 نسمة - لوحة 2)

(7)

المعطيات الإدارية في سالنات ولالة طرابلس

تنبغي الإشارة إلى أنّ هذه الدراسة تستهدف (سالنات ولالة طرابلس الغرب) في سياق (تاريخ ليبيا الثقافي الحديث)؛ بصفتها (مطبوعة: رسمية، سنوية، توثيقية، ثقافية)، وهو ما يتطلب بالضرورة متابعتها في هذا (البُعد الرأسي)، وتطور بنيتها ومحتوياتها وفق تسلسل أعدادها، في حين تختلف هذه الوجهة الدراسية نسبياً حين نتخذها (في بُعدها الأفقي) مصدراً رسمياً لدراسة أوضاع الولاية خلال تلك الفترة - على سبيل المثال - وتطلّ الغاية المثلى في آخر المطاف متمثلة في نشر كل معطياتها التوثيقية والثقافية⁽¹⁾، في كتاب جامع مستقل، كما تقدمت الإشارة في مستهل هذه الدراسة. وقد آثرتُ أخيراً أن أقدم في هذا السياق نماذج مما استخرجته منها، من المعطيات الإدارية، في دراستي الأخرى المطوّلة⁽²⁾، ليتضح للقارئ الكريم الفارق الجلي بين الوجهتين.

1. التشكيلات الإدارية لولاية طرابلس الغرب

وفق معطيات العدد الأول من سالنات (1286هـ / 1869م)

النواحي الملحقة بالقضاءات	النواحي الملحقة بالسناجق	القضاءات	السناجق
	1- ناحية العزيزية		1 - مركز الولاية
	2 - ناحية جنزور		
	3- ناحية تاجوراء		
		1 - قائممقامية القولوجية	
1 - ناحية العجيلات		2 - قضاء الزاوية	
2- ناحية زوارة			
		3 - قضاء غريان	

(1) مع حذف المكرر في بعض المواضع.

(2) عن: «ولاية طرابلس الغرب وفق المصادر الرسمية العثمانية (1282 - 1312هـ / 1869 - 1894م): التحول من الإيالة إلى الولاية».

النواحي الملحقة بالقضاءات	النواحي الملحقة بالسناجق	القضاءات	السناجق
			2- سنجق الخمس
ناحية تاورغا		1- قضاء مصراتة	
		2- قضاء سرت	
ناحية جفارة		3- قضاء مسلاتة	
		4- قضاء ترهونة	
		5- قضاء ورفلة	
		6- قضاء زليطن	

	1- ناحية الدرسة		3- سنجق بنغازي
	2- ناحية الحاسة		
	3- ناحية القبّة		
		1- قضاء ثلاثة	
		2- قضاء العواقر	
		3- قضاء أوجلة وجالو	
		4- قضاء المريج	
		5- قضاء درنة	
		6- قضاء البراعصة	

	1- ناحية الوادي الشرقي		4- سنجق فزان
	2- ناحية الوادي الغربي		
	3- ناحية عتبة		
	4- ناحية القطرون		
	5- ناحية زلّة		
	6- ناحية الشرقية		
	7- ناحية الحفرة		
	8- ناحية غدوة		
		1- قضاء الشاطي	
		2- قضاء سوكنة	
		3- قضاء سبها وسمنو	

	1- ناحية مزدة		5- سنجق الجبل الغربي
	2- ناحية ككالة		
		1- قضاء غدامس	
		2- قضاء فسّاطو	
		3- قضاء نالوت	
4	16	21	المجموع: 5

2. توزيع مجالس الإدارة وفق معطيات السالنامة

السالنامة	عدد	النواحي	القضاءات	السناجق
1286				1 - طرابلس (مجلس إدارة الولاية)
1287			1 - قائممقامية القولوغلية	
1288			2 - قضاء الزاوية	
1288			3 - قضاء غريان	
1301			4 - قضاء العجيلات	
1301		1 - ناحية زوارة		

1286				2 - سنجق الخمس
1288			1 - قضاء مصراتة	
1288			2 - قضاء مسلاتة	
1288			3 - قضاء زليطن	
1288			4 - قضاء سرت	
1288			5 - قضاء ترهونة	
1288			6 - قضاء ورفلة	
1293		1 - ناحية تاورغا		
1293		2 - ناحية جفارة		

1286				3 - سنجق الجبل الغربي
1288			1 - قضاء فساطو	
1288			2 - قضاء نالوت	
1288			3 - قضاء غدامس	
1293			4 - قضاء الحوض	
1293		1 - ناحية ككالة		
1293		2 - ناحية مزدة		

1286				4 - سنجق فزان
1288			1 - قضاء سيها وسمنو	
1288			2 - قضاء الشاطي	
1288			3 - قضاء سوكنة	
1293		1 - ناحية الوادي الغربي		
1293		2 - ناحية الوادي الشرقي		
1294			4 - قضاء غات	
1294		3 - ناحية الحفرة والشرقية		
1294		4 - ناحية زلة		

السناجق	القضاءات	النواحي	عدد السالنامة
	5- قضاء الحفرة والشرقية		1301
		5- ناحية هون	1301
		6- ناحية القطرون	1312
		7- ناحية وادي عتبة	1312

5- سنجق بنغازي			1286
	1- قضاء البراعةصة		1288
	2- قضاء العواكير		1288
	3- قضاء المرح		1288
	4- قضاء درنة		1288
	5- قضاء اجدابية		1288
	6- قضاء طبرق		1288
	7- قضاء بمبة		1288
	8- قضاء أوجلة وجالو		1288
		1- ناحية سلوق	1294
		2- ناحية قمينس	1294
		3- ناحية برسس	1294
المجموع: 5	27	15	47 =

3. توزيع المجالس البلدية وفق معطيات السالنامة

السناجق	القضاءات	النواحي	عدد السالنامة
1- طرابلس الغرب			1286
	1 - قضاء الزاوية		1302
	2 - قضاء غريان		1302
	3 - قضاء العجيلات		1302
	4 - قضاء ورفلة		1305
		1- ناحية جنزور	1305
		2- ناحية تاجوراء	1305
	5 - قضاء ترهونة		1312
		3- ناحية زوارة	1312

2 - سنجق بنغازي			1287
	1 - قضاء درنة		1293

3 - سنجق الخمس			1292
	1 - قضاء مصراتة		1305
	2 - قضاء مسلاتة		1312
	3 - قضاء زليطن		1312

4 - سنجق فزان			1302

5- سنجق الجبل الغربي			1312
	1 - قضاء غدامس		1305
	2 - قضاء فسطاطو		1312
المجموع: 5	11	3	19 -

(8)

مصادر سالنات طرابلس

1. المخابرة (المراسلة):

اختتم العدد السادس من سالنات طرابلس (1292هـ / 1875م) بصفحة اعتذار جاء فيها: «أنه بسبب بعض النواقص في المطبعة تعطلت قبل مارت، ثم شغلت بالشروع في طبع الجريدة مع بداية حزيران؛ لذا تأخر طبع السالنامة، وذلك فضلاً عن بعد أكثر ملحقات الولاية، وما يأخذه جمع المعلومات منها (بالمخابرة؛ أي المراسلة) من وقت إضافي، وقد كان ذلك سبباً في عدم استكمال السالنامة، مع الوعد بإدراج مختلف التفاصيل في السنة القادمة، والحرص على اخراجها في وقتها المعلوم». ويؤخذ من ذلك أن المعلومات الخاصة بشؤون الولاية المعاصرة كانت تجمع على هذا النحو.

2. سالنات ومصادر أخرى:

أما (القسم الثقافي) من سالنات الولاية فيؤخذ من مختلف المصادر المطبوعة. وقد ورد ذكر بعضها في مواضع مختلفة من أعدادها، ومنها: تقويم أبي الضياء (ربيع معرفت)، وتقويم هاشت، وعدد من سالنات ولاية بورصة، والجغرافية الطبيعية، وإصلاح التقويم لمختار باشا. والغالب أن (سالنامة الدولة العثمانية) كانت على نحو ما بين هذه المصادر العامة التي اقتبست منها بعض المواد الثقافية المختلفة، ولم تكن ذات صلة بتاريخ الولاية وشؤونها المعاصرة آنذاك.

3. تاريخ طرابلس الغرب:

وفي هذا السياق أودّ الكشف عن مصدر تاريخي مهم اعتمدت عليه سالنامة طرابلس - دون أن يُذكر - ابتداءً من العدد العاشر (1301هـ / 1884م) الذي شهد تطوراً ملحوظاً في بنيته / أو معطياته كما تقدّم. وهذا المصدر هو (ترجمة موجزة لتاريخ ابن غلبون / وتكملة له) أنجزها المؤرخ العثماني الزائر محمد نهيج الدين بن مصطفى

عاشر، وطبعت باستانبول سنة (1284هـ / 1867م)⁽¹⁾. وتتضمن هذه التكملة إضافة أصيلة موجزة بعد النهاية التي يقف عندها التذكار، بلغ بها بداية عهد محمود نديم باشا (1277هـ / 1860م) من ولالة العهد العثماني الثاني. وخلاصة القول هنا إنَّ سالنامة طرابلس قد استفادت من هذا الأثر ابتداءً من العدد العاشر الصادر في تلك السنة (1301هـ) التي توفي فيها المؤلف أيضاً، وقد مضى على نشر كتابه نحو 16 سنة. وتركز استفادة السالنامة من هذا الكتاب في ثلاثة مواضع وهي:

- (أ) - جدول الوقائع المشهورة الخاصة بطرابلس الغرب، وقد بُنيت على سنوات / وعناوين موجزة، وزيدت ابتداءً من هذا العدد، ولم تكن في الأعداد السابقة كما تقدّم.
- (ب) - جدول ولالة طرابلس الذي مدَّ إلى بداية العهد العثماني الأول أيضاً، وهو يتضمن اسم الوالي، وتاريخ تعيينه، ومدة ولايته، وآثاره الخيرية (المعمارية) إن وجدت. ومن الملاحظ هنا أنَّ هذا الجدول يتجاوز النهاية التي تقف عندها تكملة نهيج الدين، ليلبغ والي الولاية المعاصر آنذاك، وهذا القدر الزائد مأخوذ عن مصدر آخر.
- (ج) - تلك النبذة المدرجة تحت عنوان (أحوال الولاية التاريخية) التي تقع في نحو 19 صفحة مزدوجة (باللغتين التركية / والعربية)⁽²⁾، ولكنَّ المحرِّر هنا ينقل بإيجاز ظاهر، ويختتم النبذة بالإشارة إلى تشكيل ولاية طرابلس خلال سنة (1282هـ)؛ وهي خارجة عن نهاية الكتاب المذكور.

4. لائحة الوالي أحمد راسم باشا:

أمَّا العدد الأخير من سالنامة ولاية طرابلس (1312هـ / 1894م) فقد اعتمد بشكل جلي

(1) انظر المزيد من التفاصيل عن هذا الأثر التاريخي، في الدراسة التالية: عمار محمد جحيدر، «الدكتور محمد عبد الكريم الوافي (1936-2011) مؤرخاً محققاً: قراءة نقدية في الحوليات الليبية نموذجاً»، مجلة مجمع اللغة العربية (ليبيا)، العددان الخامس عشر والسادس عشر (1440-1441هـ / 2018-2019م)، ص 659-716.

(2) نشرت هذه النبذة أدناه، ويتضح من خلال بعض الحواشي هناك صلتها الجلية بتكملة نهيج الدين.

- على وجه الخصوص - على لائحة⁽¹⁾ الوالي أحمد راسم باشا التي قدّمها، بعد عشر سنوات من ولايته، إلى السلطان العثماني سنة (1308هـ / 1891م)؛ وهي تتضمن عرضاً لأعماله وإنشاءاته في الولاية⁽²⁾. ويبدو أنّ محرّر هذا العدد الأخير من السالنامة قد وجد في تلك اللائحة مصدراً جيّداً للحديث عن أعمال الوالي التي أخذت قدماً أكبر من كل أعمال الولاة السابقين. وقد ظهر صدى هذه اللائحة فيما بعد، في الجزء الثاني من (المنهل العذب) الذي اتكأ فيه المؤرخ أحمد النائب الأنصاري كثيراً على هذا العدد من السالنامة، كما سيلبي بيانه أدناه.



الصفحة الأولى من ترجمة نهيج الدين الموجزة لتاريخ ابن غلبون / وتكملته المزيدة
(لاحظ أنّ الاسم الثاني: «نهيج»، بالنون، لا بالباء كما يرد لدى البعض)

(1) اللائحة: مصطلح عثماني بلفظ عربي؛ تقرير يُقدّم إلى إحدى الجهات الرسمية، وتنحو اللوائح عادة نحو الإصلاح، وتجمع في عروضها بين الواقع المنجز الملموس / والمقترح النظري المستحسن، وقد قدّم عنها الدكتور نسيمي يازجي دراسة باللغة التركية، بعنوان: (تأملات حول ليبيا في ضوء اللوائح خلال عهد عبد الحميد الثاني)...الخ. انظر الخلاصة التالية: عمار محمد جحيدر، «مجمّل قضايا عن الشيخ الطاهر الزاوي (1890-1986) مؤرخاً»، ضمن ندوة: الشيخ الطاهر الزاوي: حياته وآثاره، (الزاوية 2012)، تحرير وتقديم محمود المهدي الغتمي، الزاوية: مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية، 2016، ص 59-116، وخاصة ص 94-95.

(2) أُرشيف رئاسة الوزراء باستانبول. (YEE, 14-207-126-1).

(9)

المترجم محمد كامل أفندي

في العدد الأول من سالنات طرابلس (1286هـ / 1869م) نجد (مترجماً) بين موظفي (دائرة المطبعة) التي كانت تقف على نشر العاملين الرئيسيين في الولاية، وهما الجريدة والسالنات. ولكن هذه الوظيفة تختفي في الأعداد التالية إلى أن تظهر من جديد في العدد العاشر (1301هـ / 1884م)، وهو الذي شهد تطوراً ملحوظاً في معطياته وأصبح مزدوجاً باللغتين التركية والعربية كما تقدّم. ويبدو لي أنّ هذا المترجم الجديد هو الذي كان وراء التطور الذي طرأ على السالنات. لقد كان (محمد كامل أفندي) في العدد العاشر (مسوّداً أول)⁽¹⁾ في القلم التركي بمركز الولاية، إلى جانب عمله (مترجماً) بالمطبعة. وظلّ في هاتين الوظيفتين في العدد الحادي عشر (1302هـ / 1885م)، في حين أصبح رئيس كتاب مجلس إدارة الولاية (باش كاتب) في العدد الثاني عشر (1305هـ / 1888م)، مع احتفاظه بوظيفة المترجم في المطبعة أيضاً. كما احتفظ في العدد الثالث عشر (1312هـ / 1894م) بوظيفته الأولى، في حين اختفت وظيفة المترجم في هذا العدد الأخير من السالنات. ولا شك أنّ وظيفتيه المذكورتين (رئيس كتاب / ومترجماً) أقرب الوظائف التي يمكن أن يضطلع صاحبها بتحرير السالنات أو المساهمة في تحريرها على أقل تقدير. و(المرجّح) لديّ في هذا السياق أنّه هو الذي استعان بكتاب نهيج الدين / أو تكملته لتاريخ ابن غلبون، في تغذية السالنات بالجانب التاريخي المتعلّق بالولاية، فضلاً عن اضطراره بعبء الترجمة في كل هذه الأعداد المزدوجة⁽²⁾. وقد ذكر المؤرخ الإيطالي إيتوري روسي (العارف بالعربية / والتركية العثمانية / وبعض اللغات الغربية) كتاب نهيج الدين بين أهم مصادره التي نوّه بها في مقدمة كتابه، وأشار إلى «وجود ترجمة عربية لهذه الخلاصة مطبوعة بطرابلس بمطبعة الولاية من غير تاريخ»⁽³⁾.

(1) المسوّد: مصطلح عثماني بلفظ عربي، ويعني: محرر الصياغة الأولى للوثيقة الإدارية (المسوّدة).

(2) أقول هذا اليوم على سبيل الترجيح، وأرجو أن يتم الوقوف على ما يؤكده من الوثائق.

(3) إيتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، بيروت: =

ويبدو أنّ (المترجم محمد كامل أفندي / أو غيره؟) بعد أن استفاد من عمل نهيج الدين على نحو ما ذكر أعلاه، قد أتمّ ترجمة تلك الخلاصة لتُطبع مستقلة كما يؤخذ من إشارة روسي، ولكنّ هذه الترجمة تُعدّ اليوم مفقودة، (ويُرجى حقاً أن يتم العثور عليها).

غاية الأمانى في تفصيل قواعد اللسان العثماني:

على أنّ التاريخ الثقافي يحتفظ لهذا الرجل بأثر آخر أكثر قيمة وعمقاً، وهو كتابه هذا الذي نشره بالعنوان المذكور، في استانبول سنة 1314 من التقويم المالي (1898م) في 528 ص⁽¹⁾. وهذا الأثر اللغوي القيم أفضل ما كُتب لقراء العربية آنذاك عن تعليم اللغة العثمانية⁽²⁾. وقد دُيِّل اسم المؤلف على الغلاف بالتعريف التالي: «باش كاتب مجلس إدارة ولاية طرابلس الغرب سابقاً، ومحرر بجريدة (معلومات) العربية بالآستانة العلية حالاً»⁽³⁾. كما جاء تحت عنوان الكتاب البيان التالي: «وهو كتاب موضح لجميع القواعد

= دار الثقافة، 1974، ص 20.

- (1) توجد نسخة منه بمكتبة جامعة استانبول تحت رقم (80674)، كما توجد نسخة بين مجموعة المطبوعات العثمانية بمكتبة المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية.
- (2) وقفت في مكتبات استانبول التاريخية على عدة آثار (تعليمية/ مدرسية) متفاوتة الحجم والمستوى، أُعدّت في أواخر العهد العثماني عن تعليم اللغة التركية العثمانية (وخاصة للناطقين بالعربية) وصورتها، ومن الملاحظ بجلاء أنها لا ترقى إلى قيمة هذا الكتاب (غاية الأمانى) المتميّز بينها. ومنها على سبيل المثال - هذان الكتابان:

1 - كتاب التحفة اللبنانية في أصول اللغة العثمانية، «تأليف الشيخ أسد حبيش أحد تلامذة المكتب السلطاني في الآستانة العلية، المترجم الثاني في القلم التركي بمتصرفية لبنان الجليّة، وإبراهيم بك الأسود من أعضاء مجلس الإدارة في المتصرفية المشار إليها»، طبع في مطبعة القديس جاورجيوس ببيروت سنة 1887، (195 ص).

- 2 - الإيضاحات الوافية في قواعد اللغة العثمانية، «تأليف يوسف حسني أفندي معلم اللغة الفرنسية في المدرسة الرشدية العسكرية»، طبع في المطبعة الأدبية في بيروت سنة 1308، (428 ص) من القطع الصغير.
- (3) معلومات: مطبوعة عثمانية ثقافية (1315هـ/ 1897م)، صدرت في أواخر القرن التاسع عشر، أسبوعية، ويومية، وفي شكل مجلة [مجموعه] وصحيفة، كما أصدرت قسماً عربياً، وقسماً فارسياً، صاحب امتيازها ومديرها ومحررها محمد طاهر، باستانبول. انظر:

Hasan Duman, *Istanbul Kutuphaneleri Arap Harfli Sureli Yayinlar Toplu Katalogu* (1828 - 1929).

وغلافه بالعربية: حسن دومان، الفهرس الموحد للصحف والمجلات المطبوعة بالحروف العربية في =

التركية الصرفية والنحوية وأهم القواعد الفارسية المستعملة في اللسان العثماني، مع كثير من النكت والدقائق المهمة التي لم تدون بعد حتى في اللسان التركي نفسه، وغير ذلك من الفوائد اللسانية من حيث الإملاء والتلفظ».

وقد كان المؤلف - كما يظهر جلياً - متقناً للغتين، وعربيته المستعملة في الشرح، في تقديري المتواضع، قوية مشرقة طليّة، على أنه قد استعمل في مواضع قليلة نادرة بعض المفردات العامية المألوفة في طرابلس، زيادة في تحديد المقابل اللغوي لبعض المفردات التركية، وهو مما استفاده من إقامته بها، ولكن ذلك قليل جداً ولا يمس فصاحته. وفضلاً على تقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول على النحو المألوف المتبع، فقد أضاف المؤلف الحضيف شيئاً آخر جديداً / مفيداً؛ إذ بنى كتابه على فقرات موجزة مرقّمة مسلسلّة، بلغت (926) فقرة، وهو ما مكّنه بسهولة ويسر من الإحالة كثيراً على الفقرات المناسبة أثناء الشرح، فجاء المتن متماسكاً يشدُّ بعضه بعضاً⁽¹⁾.

وربما كان محمد كامل أفندي - بالنظر إلى ثقافته العربية من جهة، وعمله بطرابلس مترجماً / وباستانبول محرّراً صحفياً، من جهة أخرى - من أبرز عناصر (التواصل الصحافي / الثقافي) بين المدينتين خلال تلك الفترة، وهي شخصية تغري حقاً بمزيدٍ من التقصي والمتابعة من خلال الأرشيف الوثائقي / والمطبوعات المعاصرة آنذاك، هنا وهناك.

= مكتبات استانبول (1828-1929م)، تقديم أكمل الدين إحسان أوغلي، استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1406هـ/ 1986م، ص 229.

(1) ولئن كانت العثمانية تعاني فيما قيل من اضطراب الإملاء، وعدم قيام حروفها (العربية) بضبط ألفاظها، فقد جعل المؤلف «مدخل الكتاب: في بيان الحروف والحركات وما يتعلق بها، وفيه خمسة أبحاث». وتدُل المتابعة في هذا الخصوص على حيّية الصوتي الملحوظ، وقد كان كثير الحرص على ضبط الألفاظ في المتن والحواشي في جل صفحات كتابه؛ حتى يتمكن القارئ العربي (الذي ألف هذا الكتاب من أجله) من النطق الصحيح للكلمات، على أنّ كتابه القيم هذا لم يكن كتاباً نحوياً جافاً فحسب، ولكنه كتاب نحو ولغة؛ إذ حرص المؤلف في مواضع كثيرة منه على بيان معاني الألفاظ والأدوات والتراكيب، وما بينها أحياناً من فروق دقيقة في الدلالة. وهذا الكتاب أخيراً نفيسٌ في بابه، يُرجى أن تُعنى بإعادة طبعه (مصوراً) إحدى المؤسسات العلمية، أو دور النشر الجادة المعنية بمثل هذه الأعمال اللغوية، ولا شك في أهميته وفائدته المرجوة للباحثين العرب المعنيين بالدراسات العثمانية.



(10)

نص تاريخي من العدد العاشر (1301هـ / 1884م)

أحوال الولاية التاريخية

في هذا العدد من السالنامة مادة مطوّلة نسبياً تحت عنوان: «أحوال الولاية الطبيعية والجغرافية والخصوصية» دون (ولاية بنغازي)، وقد استُهلّت ببيان موقع الولاية بقارة أفريقيا وبين خطوط العرض والطول، وما يحيط بها من البلدان والبحر والصحراء، وذكر سناجقها، وأهمية موقعها وخصوبة تربتها...، ثم اتسعت هذه المادة تحت العناوين الفرعية التالية: الجبال، أهاليها، إقليمها⁽¹⁾، طبقات أرضها، معادنها، النباتات، الأشجار، الزيتون، حيواناتها البرية، الحشرات، الطيور، حيواناتها البحرية، أحوالها العارضية (كذا) والصناعية، تجارتها، مدائنها وقصباتها، أحوالها التاريخية.

ونظراً لطول هذه المادة آثرت أخيراً الاكتفاء بنص (أحوالها التاريخية) نموذجاً منها، ووفقاً للمصطلح الشائع آنذاك قُسم هذا أيضاً إلى: (قبل الهجرة / وبعد الهجرة)، وقد اكتفيت بما بعد الهجرة لأنه أكثر تفصيلاً وضبطاً. مع ضرورة التنويه بهذه الملاحظات في هذا السياق:

1 - أنّ هذه الصفحات العديدة تُعدّ جزءاً من مادة السالنامة الثقافية التي تساهم أيضاً في تشكيل وعي قرائها من مثقفي الولاية آنذاك، إلى جانب صحيفة الولاية الرسمية (طرابلس غرب)، وغيرها من المطبوعات الوافدة من الخارج.

2 - أنّ مجمل هذه المادة التاريخية في السالنامة تُعدّ أول نص مطبوع باللغة العربية في تاريخ البلاد، إذ سبقت صدور (المنهل العذب) باستانبول سنة (1317هـ / 1899م) بعدة سنوات.

3 - فضلاً على (البُعد التاريخي) لهذا النص المختار، لا يخفى على القارئ

(1) الإقليم: بمعنى المناخ، متابعة للأصل العثماني.

(بعد الهجرة)

في ابتداء السنة الثالثة والعشرين من الهجرة السنية النبوية في زمان خلافة حضرة الفاروق الأعظم عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه)، أتى إلى طرابلس الغرب عمرو ابن العاص فاتح مصر وضبط⁽¹⁾ مدينة طرابلس بعد أن حاصرها شهراً، وبنى مسجداً شريفاً في المحل الذي فيه الآن جامع أحمد باشا⁽²⁾.

وفي السنة الخامسة والعشرين للهجرة في زمان خلافة حضرة عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) جعل أخاه من الرضاة عبد الله بن سعد بن أبي سرح مأموراً⁽³⁾ لفتح افريقيا⁽⁴⁾. وفي أثناء ذلك مرّ عبد الله بطرابلس وشرف بعض الأهالي بشرف الإسلام وألحق هذه الحوالي⁽⁵⁾ بمصر⁽⁶⁾. وفي السنة السادسة والأربعين للهجرة في زمان خلافة حضرة معاوية نصب رويفع بن ثابت النجاري⁽⁷⁾ أحد الصحابة الكرام والياً لطرابلس فانتشرت في زمانه أشعة شمس الإسلام كما ينبغي⁽⁸⁾.

وبقيت ولاية طرابلس الغرب في يد ضبط دولة بني أمية إلى سنة مائة واثنتين وثلاثين، ثم في زمان عبد الرحمن بن حبيب الذي هو آخر والٍ⁽⁹⁾ لتلك الدولة بُني سور طرابلس من جهة البر، ولدى وفاة المومى إليه انتقلت هذه الولاية إلى الخلافة العباسية فنُصب لها في سنة مائة وثمانين والٍ اسمه (هرثمة بن أعين)⁽¹⁰⁾ من طرف هارون الرشيد

(1) ضبط: تابع فيها النص العثماني: ومراده: فتح.

(2) عن نهيج الدين، في ترجمته الموجزة لتاريخ ابن غلبون/ وتكملته الملحقة.

(3) مأموراً: تابع فيها النص العثماني: موظفاً، ومراده: قائداً.

(4) القصد إلى إفريقية: تونس. (5) الحوالي: تابع فيها النص العثماني: النواحي.

(6) عن نهيج الدين.

(7) قد تُقرأ في الأصل: البخاري (في هذه الطبعة الحجرية/ المبنية على الخط اليدوي). وهو رويفع بن ثابت بن السكن النجاري الأنصاري المدني (ت 56هـ/ 676م) صحابي خطيب من الفاتحين، وقبره مشهور في الجبل الأخضر (ببرقة). خير الدين الزركلي، الأعلام، ط 4، بيروت: دار العلم للملايين، 1979م، ج 3 ص 36.

(8) عن نهيج الدين.

(9) ألحقت كلمة (والٍ) فوق السطر؛ وهو ما يذكرنا بأن (الطبعة الحجرية) تُبنى على نص يدوي مخطوط في الأصل.

(10) كذا جعلت بعض الأسماء بين قوسين في الأصل (الطبعة الحجرية).

أحد الخلفاء العباسية، وأنشأ هذا الوالي الجهة البحرية من السور المذكور⁽¹⁾.

ثم انتقلت طرابلس الغرب في سنة مائتين وسبع وتسعين إلى يد استيلاء دولة بني عبيدة، وألحقت بعد زمن قليل بمصر التي اتخذتها هذه الدولة عاصمة لها، فجرت إدارتها بعنوان الولاية إلى سنة خمسمائة وأربعين.

فلما تنفّر الأهالي من ظلم ولاية دولة بني عبيدة واحتقارهم إياهم صمّموا على تحويل الولاية سلطنة، فقام كل قبيلة من القبائل العديدة التي في نفس طرابلس وسائر ملحقاتها تريد أن يكون الحاكم منها، ولذلك لم يمكن حصول الاتحاد بينهم في هذا الباب، واشتعلت نيران الفساد والاختلال ودامت على تلك الحال مع استيلاء القحط والغلاء من جهة على سكنة البلاد، فبقوا في مضايقة وحيرة لا مزيد عليهما، فأتى إلى طرابلس في سنة خمسمائة وإحدى وأربعين أميرال⁽²⁾ من سسليا⁽³⁾ اسمه (جورجي ميخائيل) وضبطها بعد أن حاصرها ثلاثة أيام مستفيداً من تلك الحال وما معه من السفائن، وحكم فيها اثنتي عشرة سنة، ثم رجع إلى بلاده وترك فيها محافظاً⁽⁴⁾.

وفي سنة خمسمائة وثلاثة وخمسين بعد أن خلص (عبد المؤمن بن علي السليمي) أحد ملوك الحفافة⁽⁵⁾ تونس من الأورباوين⁽⁶⁾، توجّه نحو طرابلس فلما سمع به عساكر

(1) عن نهيج الدين، وهكذا يبدو جلياً اعتماد السلطنة على هذا المصدر القريب المتاح آنذاك في جل هذه المادة التاريخية.

(2) أميرال: قائد بحري (عربية الأصل: أمير الماء).

(3) سسليا: (تابع فيها النص العثماني: سجليا، بالجيم الفارسية المثلثة التي تجمع لفظياً بين التاء والشين: سسشليا): صقلية. وفي الإيطالية وفي اللهجة الليبية أيضاً: سيشيليا.

(4) محافظاً: والياً/ قائداً.

(5) الحفافة: (تابع في هذه الصيغة النص العثماني/ وهو يتابع نهيج الدين أيضاً)، ومراده: الحفصيون. والصواب أنّ عبد المؤمن بن علي بن مخلوف ... (487-558هـ/ 1094-1163م) مؤسس دولة (الموحّدين) في المغرب وإفريقية وتونس. (الزرّكي، الأعلام، ج 4 ص 170). وقد جاء جيش الموحّدين بقيادة عبد المؤمن إلى تونس في أواسط القرن (6هـ/ 12م)، أمّا الحفصيون فقد استقلّوا بها سنة 625هـ.

(6) الأورباوين: (تابع فيها النص العثماني)، ولم يكن يطلق هذا المصطلح (الأوربيين) على تلك الفترة. ولدى نهيج الدين: (من النصاري).

سسللا المءافطون ركبوا السفائن وفرؤا هاربلن. فباع شلخ البلد وقتئذ (للى بن مطروح) عبد المؤمن؁ وهذا فؤض ولالة طرابلس الغرب للى بن مطروح ورجع إلى فاس كرسل حكومته.

لكنّ دولة الءفاصة هذه لم تهتم بتهفلز العسكر وإعمار الملك قطعاً؁ فبتوالل مهاجمات القبائل اللل لم تباعها كقلبله (بنل هلال) تزلد اضطراب الأهالل فأرسل (صلاح الءلن الألول) المشهور حاكم مصر مملوكه (شرف الءلن قره قفش)⁽¹⁾ الأرملل الأصل وضبط طرابلس فل سنة خمسائة وثمان وستل؁ لكن سائقة الإقبال⁽²⁾ ابتلته بحرص الاستقلال فأعلن العصيان على متبوعه؁ وبسبب ذلك غلبه (للقوب بن لوسف) أحد ملوك الءفاصة المذكورل؁ إلا أنه عفى عنه بشرط أن لقلم فل تونس غير متداخل فل شلء من الأمور؁ فدخلت هذه الءوالل أيضاً تحت لء استلاء ملوك الءفاصة فل سنة خمسائة وست وثمانل⁽³⁾.

أما قره قفش ففرّ من تونس مع من أمكنه جمعمهم من عساكره؁ وضبط قضاء⁽⁴⁾ (قابس)؁ ومن هنالك أتى إلى طرابلس وضبطها أيضاً؁ وأنشأ فل ءوارها قصرأ من ءر على بعء ساعة فل السائل الغربل وتحتة مغارات. وإنّ ءرابه⁽⁵⁾ القصر المذكور المشهورة اللوم معروفة باسم (قرقارش)⁽⁶⁾ ءحرلفأ من نسبته لاسم صاحبه.

وبلنما كان قره قفش لءءء أسباب قوته ولمهد مقدمات سوابق مكنته أتى (للى

(1) قره قفش: كذا باللاء فل النص؁ وكذلك لءل نهلء الءلن)؁ واللصفة الشائعة بالواو (قره قوش)؁ وهو اسم طائر أصغر من العقاب.

(2) سائقة الاقبال: تابع فلها النص العثماني)؁ وتعنل غالباً: باعث الحرص على ما ذكر...

(3) هذا مءانب للصواب أيضاً؛ لء أنّ دولة الءفصللن لم تظهر بعء؁ ولم ءدخل طرابلس ضمن نفوذها إلا فل أوائل القرن الللل سنة (625هـ/1228م). انظر: ءنان محمد على مسعود؁ لبللا ءلال العهد الءفصل (625-916هـ/1229-1510م)؁ طرابلس: المركز الوطنل للمءفوظات والءراسات الءارللفة؁ 2010؁ ص 87.

(4) قضاء: تابع فلها النص العثماني)؁ وهو مصطلء إءارل كان شائعأ آنذاك عئء صدور السالنامة.

(5) ءرابه: تابع فلها النص العثماني. وفل الءركفة: ءرابه: أثر (معمارل).

(6) قرقارش: اسم ءل كبفر معروف اللوم غربل مءلنة طرابلس.

بن إسحاق) أحد ولادة ملوك الحفاصة في تونس بقوة كلية⁽¹⁾، وألجأ قره قيش للفرار إلى جهة الجبل ثم ضبط طرابلس في سنة خمسمائة وتسعين.

ومع ذلك فإن قره قيش لم يلازم الراحة والسكون بل طفق يتعدى على حوالي فزان فبادر إليه (يحيى) ومسكه وصلبه، وبذلك دخلت ولاية طرابلس الغرب مرة ثالثة في حوزة استقلال ملوك الحفاصة.

لاكن (يحيى بن إسحاق) الذي بقي بلا رقيب بعد قتل قراقيش بدّل العدل والحقانية بالظلم والشقاوة إلى أن أتى لتأديبه ناصر ابن متبوعه الملك يعقوب فانهزم ولم يقدر على مقاومة صولته القاهرة.

وبعد يحيى صار أهل طرابلس الغرب في أمن وراحة كلية حتى كادوا أن ينسوا لزوم الأسلحة، فلما سمع بذلك ملك إسبانيا أرسل سفائن إلى طرابلس في سنة تسعمائة وست عشرة وضبطها ليلاً بلا محاربة، فمن أمكنهم الفرار من الأهالي اجتمعوا حفاة عراة في ناحية تاجورا الكائنة في ساحل طرابلس الشرقي على بعد ثلاث ساعات، ويئسوا من المقاومة، فعرضوا دخالتهم⁽²⁾ على الخلافة الإسلامية الكبرى التي هي الملجأ الحقيقي لجميع المظلومين والمغدورين والمركز الصحيح للعدل والحقانية، فرفق مراد آغا أحد أغوات الأندرون الهمايوني⁽³⁾ بالمبعوثين الذين ذهبوا إلى دار السعادة، وأرسل مأموراً لتاجورا سنة 916، ثم في⁽⁴⁾ زمان حضرة السلطان سليمان خان القانوني أرسل إلى هنا سنان باشا رئيس البحرية مع طورغود بك وبرفاقتها مائة وعشرون سفينة من السفن السلطانية، فاستردا قلعة طرابلس من الاسبانيول في سنة تسع مائة وخمسين⁽⁵⁾، ونصب طورغود بك والياً برتبة الباشاوية.

(1) كَلْيَة: (تابع فيها النص العثماني). وكلي/ وكلية بمعنى قوة كبيرة، في مقابل جزئي وجزئية.

(2) دخالتهم: (تابع فيها النص العثماني): أمرهم.

(3) الأندرون الهمايوني: القصر السلطاني. (4) ألحق الحرف (في) فوق السطر في الأصل.

(5) خطأ ظاهر في النص العثماني والترجمة معاً، وصوابه: سنة 958 هـ.

ثم استشهد طورغود باشا في محاربة مالطا التي وقعت في سنة تسعمائة واثنتين وسبعين، فنقل جسده إلى طرابلس الغرب ودفن في مدفن الجامع الذي كان بناه (رحمة الله عليه).

ومن بعد وفاة طورغود باشا إلى سنة ألف ومائة وثلاث وعشرين⁽¹⁾ جرت إدارة الولاية تارةً بمعرفة ولاية⁽²⁾ أرسلوا توّاً⁽³⁾ من دار السعادة، وتارةً بمعرفة ولاية⁽⁴⁾ صدّقت مأمورياتهم بفراامين⁽⁵⁾ عالية انتخبهم الأهالي والانكشارية (يكيجرى)⁽⁶⁾ الذين أتوا من دار السعادة قديماً مع طورغود باشا؛ وهم آباء وأجداد العساكر الغير منتظمة المسماة بالكورغلية (قول اوغلي)⁽⁷⁾ الموجودين إلى الآن من نسلهم. وجرت أيضاً إدارة الولاية من

- (1) 1123هـ (1711م): نهاية العهد العثماني الأول/ وبداية العهد القرمانلي.
- (2) كان الوالي في بداية العهد العثماني الأول يُعرف بلقبه الرسمي بكليكي (بكافين يائين في العثمانية، وفي التركية الحديثة *Beylerbeyi*)، وتعني: أمير الأمراء، (وصيغتها الفارسية المستعملة أيضاً: ميرميران). ويتسق ذلك مع قوة الدولة المركزية، وبسط حكمها المباشر على الإيالات.
- (3) في الأصل: تواء، ومراده: حالاً، في حينه.
- (4) القصد إلى الدايات، جمع داي (طايي - بطاء تقرب من الدال لفظاً)، وهي تتفق مع تراخي (السلطة المركزية) على الإيالة آنذاك.
- (5) فراامين: جمع فرمان، وهو الأمر السلطاني الموشَّح بالطغراء (علامة السلطان). والشائع في صيغة الجمع اليوم: فرمانات.
- (6) يكي چرى: بالكاف النوني، والجيم المثلثة في العثمانية، وتعني: الجند الجديد، وكانوا عماد القوة العسكرية للدولة العثمانية، إلى أن دبّ فيها الفساد، وتمكن السلطان محمود الثاني من القضاء عليهم سنة 1241هـ/ 1826م، وأسس الجيش النظامي الجديد.
- (7) قول اوغلي: مصطلح عثماني، جمعه اليوم في العربية (القولوغلية)، أما الكورغلية/ أو الكوارغلية (المذكورة أعلاه) فهي صيغة شعبية شائعة له في ليبيا. وقد عُنيَتْ بدراسة هذا المصطلح وشريحته الاجتماعية، فتبيّن لي أنّ له ثلاث دلالات تاريخية متتالية، تنبغي الإشارة إليها بإيجاز في النقاط التالية:
- الدلالة الأولى: عسكرية مركزية، إذ أُطلق على (ولد الجندي) بمركز الدولة العثمانية، وهو منشأ المصطلح، ولا تتضمّن هذه الدلالة الأولى البُعد العرقي التالي (على نسل هجين، من أبوين مختلفين).
- الدلالة الثانية: اجتماعية عرقية مغاربية، إذ أُطلق أيضاً على أولئك المولدين من آباء عثمانيين وافدين/ وأمّهات محليات من الأهالي في الإيالات المغربية (طرابلس وتونس والجزائر)، على اختلاف أوضاعهم المتفاوتة سياسياً واجتماعياً في هذه الإيالات. وقد برزوا فيها (شريحة/ أو ظاهرة اجتماعية) لبعدها عن مركز الدولة العثمانية، واضطّار جنود الانكشارية إلى الزواج لطول إقامتهم، خلافاً للإيالات المشرقية القريبة التي ظلّ فيها مثل هؤلاء المولدين أفراداً أو فئة محدودة العدد، لا تشبه الظاهرة المغاربية. =

سنة ألف ومائة وثلاث وعشرين إلى سنة ألف ومائتين واثنين وخمسين⁽¹⁾ بواسطة ولاية نصبوا على صورة التوارث من السلالة القرمانية⁽²⁾ وصدّقت أيضاً مأمورياتهم بفرامين عالية.

ومن هؤلاء الولاية القرمانيين يوسف باشا سلف ولده علي بك آخر والي⁽³⁾ من سلالة القرمانيين. وقد قام الباشا المومي إليه باسرافات تزيد على درجة واردات الولاية، واهتمّ بطرح وتوزيع تكاليف أميرية⁽⁴⁾ ثقيلة فوق العادة لا يمكن للأهالي⁽⁵⁾ تحمّلها، وزاد على ذلك أن استقرض مبالغ كلفة⁽⁶⁾ من الأجانب حتى ألقى الولاية تنثن من هذا السبب تحت أثقال الفوائض⁽⁷⁾، ثم قسّمها مع جهة بنغازي على بعض أولاده وأحفاده

= - الدلالة الثالثة: وظيفية مهنية، وهي خاصة ببايلة/ أو ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني؛ إذ ظلّ لشريحة القولوغلية بعد انهيار (دولتهم القرمانلية) بعض النفوذ الاجتماعي نظير تحالفهم مع السلطة العثمانية الجديدة، لذا تطلّعت بعض القبائل الأخرى إلى مشاركتهم في هذه الوضعية، ومن هنا أطلق عليهم المؤرخ حسن الفقيه حسن (كوارغلية من أولاد العرب)، وهي إشارة جليّة إلى (غياب البعد العرقي) السابق في الدلالة الثانية، وقد خُصّ القولوغلية في (سالنامة الولاية نفسها) بقضاء مستقل برئاسة (باش آغا) يتبع مركز الولاية ضمن التشكيلات الإدارية؛ لذا يمكن القول إنّ (القولوغلية/ أو الكوارغلية) قد غدت في هذه المرحلة الأخيرة دلالة وظيفية؛ في مقابل مصطلح (المخازنية) الذي يعني القبائل المتحالفة مع (سلطة المخزن) في بقية بلاد المغرب العربي، إلى أن ألغيت امتيازات القولوغلية في عهد والي محمد حافظ باشا سنة 1900م. وبإلغائها اختفت مع الزمن تلك (الدلالة الوظيفية/ الظرفية للمصطلح)، ولم تبق له في الذاكرة الشعبية سوى دلالته العرقية العامة المغاربية، ونقف اليوم على العديد من معطيات هذه الشريحة الاجتماعية في كتاب (سكان ليبيا) الذي أصدره الإيطاليون خلال الاحتلال في جزأين: سكان طرابلس (1917)، و سكان برقة (1922).

لمزيد من التفاصيل انظر: عمار محمد جحيدر، (القولوغلية في ليبيا: تأصيل لغوي/ تاريخي لمصطلح عثماني، ومقاربة أوليّة لشريحة من السكان)، دراسة مطولة (مخطوطة)، عُرضت في محاضرة عامة ضمن الموسم الثقافي للمركز الليبي للمحفوظات التاريخية (يناير 2102)، وأرجو أن تنشر في كتاب مستقل.

- (1) خطأ أيضاً صوابه: سنة 1251هـ (1835م). والغالب أنّه سهو، إذ يرد الصواب أدناه.
- (2) من الملاحظ هنا أن المترجم التزم بالصيغة العربية (قرماني) لهذه النسبة البلدانية إلى (قرمان بالأناضول)، خلافاً لصيغتها العثمانية (قرمانلي) التي كتبت لها الغلبة والشيوع إلى اليوم.
- (3) وال.
- (4) تكاليف: ضرائب وأداءات مالية استثنائية.

(5) في الأصل: للال، بسقوط الهاء والألف سهواً.

(6) تعني: كبيرة، كثيرة، كما تقدم.

(7) الفوائض: فوائد الديون.

كما يُقسّم المال الموروث⁽¹⁾، وعندما أدرك أنّه لا طاقة له على الوقوف في مقاومة نفرة الأهالي التي استحصلها⁽²⁾ بسبب ما ذكر، اضطر للاستعفاء فاستعفى في سنة ألف ومأتين وتسع وأربعين⁽³⁾.

ومع وجود الاحساسات بوجوب تخليص هذه الولاية من يد إدارة هذه السلالة أتى فرمان بولاية علي بك ابنه وقرئ.

لكنّ أكثر من اغتاز⁽⁴⁾ بإفراط وقتئذٍ من أحوال يوسف باشا المشروحة هم أهل محلي المنشية والساحل الكائنتين خارج السور الذين في زمن ولاية يوسف باشا انتخبوا حفيده محمد بك والياً، وضبطوا سانية (بستان) يوسف باشا التي بالمنشية واتخذوها محل حكومة، وحاصروا طرابلس الغرب مع محمد بك، حيث لم تأمن أنفسهم أنّ الوالي اللاحق علي بك الذي لم يخل من سر سلفه، يتوفق لحسن الإدارة فما انقادوا له.

وفي سنة 1250 وُجّهت لعلي بك رتبة الباشاوية⁽⁵⁾، وأتى إلى طرابلس الغرب محمد شاكر أفندي أحد قبوجى باشية⁽⁶⁾ الركاب السلطاني حاملاً فرمان العالي المتضمّن لإبقاء مأمورية علي باشا مع سيف أحسن به إليه من طرف الحضرة السنية السلطانية، وحتى إن كان الأفندي المومى إليه أراد أن يصلح بينه وبين أهل المنشية والساحل لكنّه فهم أن لا إمكان لإزالة ما للأهالي من النفور المفرط من سلالة القرمانيين، فرجع إلى دار السعادة بعرض محضر⁽⁷⁾ أعطي له من الأهالي.

(1) عن نهيج الدين. ويبدو أنّ هذه الإفادة قد أخذها عنه أيضاً المؤرخ أحمد النائب الأنصاري في المنهل العذب، ج 1 ص 348-349 (من الطبعة المصورة عن نشرة المؤلف).

(2) في الأصل: استحصلها، سهواً، وقد ورد التنبيه إلى هذا الخطأ في جدول التصويبات بآخر هذا العدد من السالنامة.

(3) خطأ صوابه: (يوم الأحد 15 ربيع الأول 1248هـ)، وفقاً لإفادة المؤرخ المعاصر آنذاك حسن الفقيه حسن، في اليوميات الليبية، ج 2 ص 50-51.

(4) في الأصل: اغتاض.

(5) (يوم الخميس 20 جمادى الأول 1250هـ). حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ج 2 ص 577.

(6) قبوجى باشى: رتبة عثمانية مدنية رفيعة.

(7) عرض محضر: (تابع فيها النص العثماني): عرضحال، عريضة (جماعية).

ثم في محرم سنة 1251 أتي إلى مرسى طرابلس الغرب نجيب باشا⁽¹⁾ أحد الفريقين⁽²⁾ الكرام بأسطول سلطاني مركب من اثنتين وعشرين سفينة كبيرة وصغيرة، فذهب إلى استقباله علي باشا المومى إليه مع جماعة من المتحيزين⁽³⁾ والمعتبرين فبين لهم أنه إنما أتي لمجرد إصلاح ذات البين وتأليف الطرفين، وأعادهم آمينين مطمئنين. ثم أخرج إلى البر ستة آلاف من العساكر مع مقدار كافٍ من المدافع والمهمات الحربية⁽⁴⁾، ووضع كل ذلك في طرابلس في المحلات اللازمة، وأعلن للأهالي بواسطة أمر علي باشا المومى إليه ممنوعة⁽⁵⁾ حمل السلاح، مبيناً أن لم تبق حاجة لأفراد الأهالي لحمله، ثم أخبر علي باشا بأنه يريد الخروج إلى البر ليجري مأموريته التي هي إصلاح ذات البين، وبلغه أنه يصير ممنوناً إذا أتي علي باشا وأخرجه إلى البر بصورة مخصوصة، وأتى علي باشا إلى السفينة مع اثنين وثلاثين نفراً⁽⁶⁾ من أقربائه وتعلقاته⁽⁷⁾ فوقفهم نجيب باشا هنالك جميعاً. وبهذا التدبير خرج إلى طرابلس والمدافع تطلق بأمره، فجمع قاضي البلدة ومفتيها وعلمائها ومعتبريها وبين لهم أن ولاية⁽⁸⁾ طرابلس الغرب أُحيلت إليه من طرف السلطنة السنية الأشرف، وقرئ الفرمان العالي المتضمن لمأموريته، وفتحت أبواب

(1) مصطفى نجيب. الحق (باشا) فوق الاسم في الأصل.

(2) الفريقين: جمع فريق، رتبة عسكرية عثمانية رفيعة، لا تعلوها سوى رتبة (المشير)، ولا تزال هاتان الرتبتان العثمانيتان شائعتين في الجيوش العربية المعاصرة. انظر: (رتب الجيش العثماني تصاعدياً، وما يقابلها اليوم في العربية) في: اليوميات الليبية، الجزء الثاني، فهرس الشؤون الحربية، ص 1168-1169.

(3) المتحيزين: (تابع فيها النص العثماني)، وهي من أصل عربي، وتعني ذوي النفوذ والجاه (كما تقدم).

(4) المهمات الحربية: المعدات والذخيرة ونحوهما.

(5) ممنوعة: (تابع فيها النص العثماني): منع.

(6) في النص التركي العثماني (اوتوز ايكي كشي: اثنان وثلاثون شخصاً). ولكنّه جعل في الترجمة (نفر)، وهي في العربية تدل على الجمع، غير أنها دخلت إلى التركية العثمانية بمعنى المفرد، ومن هنا عادت إلى اللهجات العربية بهذا المعنى الجديد خلافاً لأصلها في الفصحى.

(7) تعلقاته: (تابع فيها النص العثماني)، وتعني: المرتبطين به كالأصهار والأتباع.

(8) صوابه: إيالة (آنذاك). غير أن التعبير بمصطلح الولاية غداً سائداً شائعاً خلال العقود اللاحقة التي صدرت فيها السالنامة.

المدينة التي كانت مغلقة منذ سنتين وأحد عشر شهر بسبب المحاصرة، ثم رجع إلى⁽¹⁾ دار السعادة جلّ الأسطول السلطاني، وفيه علي باشا الوالي السابق ومن بمعيته.

أمّا محمد بك الذي اتخذه أهل الساحل والمنشية والياً فقد قتل نفسه بناءً على هذه الواقعة، وهرب أخوه أحمد بك إلى مالطا وتفرّقت جمعيّتهم، فعُقد في جامع طورغود باشا مجلس مركّب من العلماء والمشايخ والمعتبرين والوجه بقصد عقد الاتفاق والمحبة وتأمين الراحة والأمنية بين أهالي المنشية والساحل وطرابلس، فجُدّد فيه الود والمصافاة بشرط أن تُنسى قضية الدية والقصاص في المسئلة الزائلة، وأنّ جميع الأموال والحيوان التي اغتنمها الطرفان من بعضهما، سوى العقارات، تكون لمن بقيت في يده، ثم نُظّم وختمّ سند⁽²⁾ في هذا الشأن فتقرّرت على هذه الصورة الأمنية والاستراحة.

لكنّ لواء الجبل الغربي وفزان وسائر القضاات بقي كل منها في يد تسلّط أحد المتغلّبين، ثم استخلصوا كلهم تدريجاً بتلاحق همم الولاة العظام الذين عُيّنوا على العادة متوالين، وأزيل في ميدان السياسة وجود من عصى الدولة كالشقيين المسمّيين (غومة)⁽³⁾ و(عبد الجليل)⁽⁴⁾ وأمثالهما من سائر المتغلّبين.

وفي أثناء تشكيلات الولايات التي وقعت في تاريخ 1282 شُكّلت ولاية طرابلس الغرب أيضاً وأُسّست أصول إدارتها الجارية اليوم⁽⁵⁾.

(1) ألحق حرف الجر (إلى) فوق السطر.

(2) هذا السند (أو الوثيقة) دُوّن بسجل محكمة طرابلس الشرعية آنذاك، وقد عاد نهيج الدين إلى هذه السجلات كما ذكر في مقدمة كتابه، وهو مصدر السالنامة في هذا السياق أيضاً.

(3) غومة المحمودي، بالجبل الغربي.

(4) عبد الجليل سيف النصر، بالمنطقة الوسطى.

(5) سالنامة ولاية طرابلس الغرب، العدد العاشر (1301هـ)، ص 117-131.

(11)

المؤرخ أحمد النائب الأنصاري والعدد الأخير من سالنامة ولاية طرابلس (1312هـ / 1894م)

من المرجح أيضاً أن تكون هذه المادة التاريخية المدرجة في سالنامة الولاية مقدمة ساهمت على نحو ما في تشكيل وعي المؤرخ اللاحق أحمد النائب الأنصاري (1264-1336هـ / 1848-1918م) بتاريخ بلاده، إذ شرع أولاً بطرابلس في جمع (نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان) الذي ظلّ (مخطوطاً تكوينياً) مقصوراً على العديد من نصوص التراجم، أو هو بعبارة أخرى (مشروع مهملة)⁽¹⁾. ثم طوّره باستانبول إلى (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب) الذي جمع في نسيجه المركّب بين التاريخ السياسي في الوقائع / والتاريخ الثقافي في التراجم التي أدرجها غالباً وفق التسلسل الزمني (للوفيات)، ونشره هناك سنة 1317هـ / 1899م، أي أنّه (مشروع منجز) وفق رؤية المؤلف واختياره. (يقول في مقدمته:.... نزيل دار الخلافة).

أمّا الجزء الثاني من المنهل العذب، فهو تتمّة للجزء الأول من الكتاب تجمع بين طائفة مبتورة الآخر من الوقائع الخاصة بعهد أحمد راسم باشا / ومجموع مختلط آخر من التراجم. وقد ظلّ هذا الجزء (مخطوطاً تكوينياً) أيضاً لم ينشر إلى وفاته، وهو بعبارة أخرى (مشروع لم يتم)⁽²⁾. ولئن كان أثر السالنامة على الجزء الأول من (المنهل العذب) يظلّ في حيّز (التخمين والترجيح)، فإنّ أثرها على الجزء الثاني جليّ لا شك فيه، إذ أنّ الوقائع المتعلقة بعهد أحمد راسم باشا اقتبس جلّها حرفياً، في واقع الأمر، من العدد الأخير من السالنامة. وسنقف في الجدول المقارن التالي على العديد من عناوين المحتوى في هذا العدد من

(1) نشره الأستاذ علي مصطفى المصراطي (بيروت 1963م) على صورته التي وجده عليها.

(2) نشره الشيخ الطاهر أحمد الزاوي (طرابلس: مكتبة الفرجاني، 1961م) على صورته التي وجده عليها.

وقد عدتُ إلى أصله المخطوط (بخط المؤلف) المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (تاريخ 1822). ووقفتُ فيه، إزاء بعض التراجم، على بعض الإشارات بقلمه التي يُستشف منها وجود نسخة (محرّرة) أو مبيضة منه، لا تزال مفقودة ولم تظهر للباحثين بعد.

جهة، وعلى مدى استغراق المؤرخ في النقل الحرفي عنه من جهة أخرى⁽¹⁾.

جدول مقارنة بين العدد الأخير من السالنامة ومخطوطة المنهل العذب

و	مخطوطة المنهل 2	ص	السالنامة الأخيرة
أ 2	ولاية ذي الدولة أحمد راسم باشا.	193	حضرة ذي الدولة أحمد راسم باشا والي الولاية الحالي العالي الشأن.
أ 2	الإجراءات السياسية والإدارية.	193	إجراءاته السياسية والإدارية.
أ 2	نفسه.	193	رفع الحماية الأجنبية.
ب 2	نفسه ⁽²⁾ .	194	إعادة الأمانة في حدود تونس.
ب 3	نفسه ⁽³⁾ .	195	محافظة ممنوعة تجارة الأسارى الزنجية وتأمينها.
أ 9	نفسه.	196	تمديد الخطوط التلغرافية.
أ 9	نفسه ⁽⁴⁾ .	196	إحداث البوسطات البرية.
أ 10	نفسه ⁽⁵⁾ .	196	لغو بعض المعافيات.
ب 10	نفسه.	197	تسوية المرتبات الميرية.
أ 11	نفسه.	198	تعديل مقامة المشايخ والأعضاء.
ب 11	نفسه.	199	تشكيل محرري المقاولات ⁽⁶⁾ في مركز الولاية.
ب 11	نفسه ⁽⁷⁾ .	199	إحداث أوطه التجارة بمركز الولاية.
أ 12	نفسه.	200	تعيين كتبة التحريرات للقضاءات.
أ 12	نفسه ⁽⁸⁾ .	200	تشكيل دوائر بلدية في الملحقات.
ب 12	نفسه ⁽⁹⁾ .	201	اصلاح مطبعة الولاية واكمال لوازمها.

(1) لمزيد من التفاصيل عن المؤرخ أحمد النائب الأنصاري وصلته بالعدد الأخير من السالنامة انظر أيضاً: عمار محمد جحيدر، «مجلد قضايا عن الشيخ الطاهر الزاوي (1890-1986م) مؤرخاً»، ضمن ندوة: الشيخ الطاهر الزاوي: حياته وآثاره ...، ص 59-116.

(2) في المنشور: إعادة الأمن...

(3) في المنشور: منع التجارة بالريق.

(4) ما ورد عنها في السالنامة قليل موجز، ففضل النقل عن جريدة طرابلس الغرب.

(5) في المنشور: إلغاء ...

(6) المقاولات: (تابع فيها الأصل العثماني): ما يُحرّر بين شخصين فأكثر من الوثائق. في حين تعني الكلمة اليوم بصيغة الجمع: القيام بأعمال الإنشاء المعمارية.

(7) في المنشور: إنشاء غرفة...

(8) سقطت بقية هذه الفقرة، وهي في السالنامة نحو خمسة أسطر.

(9) في المنشور، ترد ضمن هذه الفقرة العبارة التالية: «كما استجلبت من أوروبا آلة جديدة مكلمة للطبع =

و	مخطوطة المنهل 2	ص	السالنامة الأخيرة
12 ب	نفسه.	201	إحداث تذاكر أداء الميري ذات النظرية.
	 ⁽¹⁾	202	جلب دواء الخناق المكتشف حديثاً وتطبيقه بالولاية.
13 أ	نفسه ⁽²⁾ .	203	إعماراته وتأسيساته الخيرية.
13 أ	نفسه ⁽³⁾ .	203	تبليط داخل البلدة وإنشاء الأسرية.
13 أ	نفسه.	203	إنشاء مستشفى للغرباء في مركز الولاية.
13 ب	إنشاء أبنية جديدة خارج الثغر ⁽⁴⁾ .	204	إنشاء سوق الحميدية.
14 أ	نفسه ⁽⁵⁾ .	204	إسالة ماء يثر (بومليانة) إلى البلدة وإنشاء عينها.
15 أ	نفسه.	206	إنشاء كاوش ⁽⁶⁾ عسكري بمركز الولاية.
15 ب	نفسه ⁽⁸⁾ .	207	إنشاء كراغول ⁽⁷⁾ سيدي منيدر خارج البلدة.
15 ب	نفسه.	207	إنشاء رصيف سوق الثلاثاء ⁽⁹⁾ .
16 أ	نفسه.	208	إعمار الأراضي الخالية.
16 ب	نفسه.	208	توسيع دائرة الحرم الخاصة بالولاية العظام.
16 ب	نفسه.	209	إعمار قضاء سرت.
17 أ	نفسه ⁽¹¹⁾ .	209	إنشاء قصور للحكومة ⁽¹⁰⁾ مجدداً في بعض الملحقات.
17 أ	نفسه.	210	إنشاء فنادق البلدية في بعض الملحقات.
17 ب	نفسه ⁽¹²⁾ .	211	تشبثاته النافعة.
17 ب	نفسه ⁽¹³⁾ . [مبتور، لم يتم].	211	تربية دود الحرير.
-	 ⁽¹⁴⁾	211	زراع القهوة.

= بالحجر». وهو تصحيف جلي، وصوابه في السالنامة/ وفي الأصل المخطوط من المنهل أيضاً: «آلة حديدية»، وهو ما يتفق مع النص التركي في السالنامة (دمير دن: أي من الحديد)، كما يتسق ذلك مع بقية الجملة: «آلة حديدية مكمل للطح بالحجر».

(1) غفل عنها المؤرخ أحمد النائب الأنصاري أو تجاوزها سهواً.

(2) في المنشور: إصلاحاته... الخ. (3) في المنشور: وإنشاء مجار للمياه.

(4) مبتور، تركت منه بضعة أسطر. (5) في المنشور: توصيل ماء... الخ

(6) في المنشور حاشية: ثكنة لإقامة الجند. (7) في المنشور حاشية: مركز بوليس.

(8) في المنشور: خارج المدينة.

(9) كان المقر التاريخي الأول لسوق الثلاثاء شرقي القلعة (السراي الحمراء) قرب الحديقة العامة اليوم.

(10) قصور للحكومة: مقرات إدارية في الدواخل.

(11) في المنشور: سقطت (مجدداً). (12) في المنشور: عنايته بتربية دودة الحرير.

(13) [وفي آخر المنشور: «كما بنى محلاً واسعاً من طرفه». ومن الجلي أنه توقف هنا فجأة لسبب ما في غير

محل للتوقف؛ إذ يلي ذلك في أصل السالنامة: «من طرفه السامي ليكون أنموذجاً لتربية الدود في سوانيه

الجسيمة... الخ». وتلي هذا الانقطاع في الصفحة التالية من المنهل العذب مجموعة التراجم المختلطة

وبعض المعطيات الجغرافية التي تؤكد صدق صفة (المخطوط التكويني) على هذه النسخة منه].

(14) متروك؛ لانقطاعه عن النسخ قبله.

لوحتان للمقارنة

مصطفى عاصم باشا بانضمام قومندانة الفرقة العسكرية
الحق قسبة غات مركز قضاء غات الملحق بلواء فزان الى ادارة
السلطنة العادلة وانشأ قصر حكومة في مركز قضاء غات الملحق
بلواء الجبل .

حضرة ذي الدولة احمد راسم باشا

والي الولاية الحالى العالى الثانى

ان حضرة الوالى المشار اليه الذى شرف هذه الولاية فى الرابع من شهر
محرم الحرام لسنة ١٢٩٩ والسابع عشر من تشرين الثانى لسنة ١٢٩٧
قد حصر انظار عنايته منذ تشريفه السامى فى اصلاح كل مار آء محتاجاً
للاصلاح من المواد والخصوصات فى كافة شعبات امور الولاية فاصلحه
شيئاً فشيئاً بتدابيره الصائبة المتناسبة مع الزمان والمكان وعطفاً نظر
دونه العالى ايضاً الى الاجراءات المهمة العائدة لترقى معمورية المملكة
وازديت ثروتها فتوفى لكثير من الآثار والاجراءات الجانية المادية
والمعنوية لحد الآن فبادر بالتزيين صحيفة الخارج بدرج اهمها على الوجه الآتى
اجراءاته السياسية والادارية

رفع المبادئ الاممية

كان بعض اشخاص مـامين وموسويين من اعلى مركز الولاية قد راجعوا
قناصل الدول الاجنبية الموجودين هنا وتمكنوا كيفما كان من قيد
انفسهم فى سجلات الحماية الاجنبية وذلك اما بسبب ما كانوا يقاسونه
اذ ذاك من التضييق والاذية من بعض المتنفذين والمأمورين الحلية واما
بسوق اغراضهم ومنافعهم الذاتية واعتادوا على تنفيذ اغراضهم بهذه

(أ) - بداية القسم المطول المخصص للوالى المعاصر آنذاك
أحمد راسم باشا فى العدد الأخير من السالنامة

ولاية ذي الدولة أحمد راسم باشا

أي
التاريخ
أصح

في ١١ من ذي القعدة سنة ١٢٩٨ صار فضل الوزير محمد نصيف باشا بحسب ^{كلمات} ~~الاجاب~~ ^{سالتنا} لستة أشهر من ولايته ، ووجهت هذه الولاية لعهد الوزير الأعظم أحمد راسم باشا ، وقدم الولاية وتولى زمام الأمر فيها .

وذكر في السالنامة (١) الولاية ما هذا نصه :

إن حضرة الوالي المشار إليه الذي شرف هذه الولاية في الرابع من شهر المحرم الحرام سنة ١٢٩٩ - والسابع والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٢٩٧ قد حصر أنظار عنايته منذ تشريفه السامي في إصلاح كل ما رآه محتاجاً للإصلاح من المواد والخصوصات في كافة شعبات أمور الولاية ، فأصلحه شيئاً فشيئاً بتدبيره الصائبة المناسبة مع الزمان والمكان . وعطف نظر دولته العالی إلى الاجراءات المهمة العائدة لترقي عمران الممالك وازدياد ثروتها ، فتوفق لكثير من الآثار والاجراءات الجليلة المادية والمعنوية لحد الآن ، فبادرنا - لتزيين صحيفة التاريخ - بدرج أهمها على الوجه الآتي :

(١) السالنامة : الجريدة الرسمية

[استدراك / سؤال ختامي]:

أودُّ الإشارة - من باب المقارنة - في الختام، إلى أنّ مؤرخ حلب الشيخ محمد راغب الطباخ (1293-1370هـ / 1876-1951م)، قد اعتمد أيضاً على سالنامة ولاية حلب، في تاريخه المعروف عنها، إذ يقول في هذا السياق: «والسالنامة كتاب مفيد يستفاد منه أمور كثيرة عن تاريخ حلب والملحقات بها، وعن شؤونها الزراعية والمالية إلى غير ذلك، وتجد فيها أسماء من ولي حلب من حين فتحها إلى سنة 1326هـ، وعليها بنينا القسم الأول، وهو قسم الولاية من تاريخنا هذا (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء)، واستدركنا عليها في عدة مواضع»⁽¹⁾.

ومثل ما لاحظنا أعلاه عناية المؤرخين العرب المعاصرين بالعودة إلى هذه السالنامات والإفادة منها في دراساتهم الجديدة، فإنّ هاتين الحالتين البارزتين لدى هذين المؤرخين من (طرابلس / وحلب) قد تدفع إلى طرح هذا السؤال الختامي: عن مدى عناية أولئك المؤرخين العرب الأوائل الذين عايشوا صدور السالنامات في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين باتخاذها مصادر معتمدة في أعمالهم التاريخية عن تلك الفترة هنا وهناك؟



(1) محمد فؤاد عيّنابيّ/ ونجوى عثمان، حلب في مئة عام (1850-1950)، حلب: معهد التراث العلمي العربي، 1414هـ 1993م، الجزء الأول (1850 - 1900)، ص 66-67.

المصادر

(أ) سالنمات ولاية طرابلس / موضوع الدراسة:

العدد	س هـ	س م	الطبعة	المكتبة	تاريخ التصوير
1	1286	1869	حجرية	مكتبة البلدية/ أتاورك 30 / 1	1994 _ 4 _ 5
2	1287	1870	حجرية	مكتبة البلدية/ أتاورك 30 / 2	1994 _ 4 _ 5
3	1288	1871	حجرية	مكتبة متحف الآثار 1695	1994 _ 5 _ 2
4	1289	1872	حجرية	مكتبة ملّت 408	1994 _ 4 _ 19
5	غائب؟	؟		؟	؟
6	1292	1875	حجرية	مكتبة البلدية/ أتاورك 30 / 6	1994 _ 4 _ 5
7	1293	1876	حجرية	مكتبة ملّت 410	1994 _ 4 _ 19
8	1294	1877	حجرية	مكتبة ملّت 411	1994 _ 4 _ 19
9	1295	1878	حجرية	مكتبة ملّت 412	1994 _ 4 _ 19
10	1301	1884	حجرية	كلية الآداب 1946 / 54	1994 _ 3 _ 2
11	1302	1885	حجرية	كلية الآداب 54 / 28	أوائل أبريل 1994
12	1305	1888	حجرية	مكتبة الجامعة 89418	1994 _ 3 _ 31
= 13 (12م)	1312	1894	بالحروف الحديثة	مكتبة الجامعة 81069	1994 _ 3 _ 31

(ب) العربية:

- إحسان اوغلي، الدكتور أكمل الدين، إفادة شفوية عن ظروف تأليف كتاب بليوغرافي عن السالنامات: (كلية الآداب - جامعة استانبول 19 - 4 - 1994م).

- إحسان اوغلي، الدكتور أكمل الدين / والدكتور صالح سعداوي، الثقافة التركية في مصر: جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك (مع معجم للألفاظ التركية في العامية المصرية)، استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيك)، 2003 (562 ص).

- الأنسي، محمد علي، قاموس اللغة العثمانية: الدراري اللامعات منتخبات للغات، بيروت، 1320هـ / 1902م.

- الأنصاري، أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس: مكتبة الفرجاني، د. ت (طبعة مصورة في مطلع الستينيات، عن نشرة المؤلف باستانبول، 1317هـ / 1899م).

- الأنصاري، أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، الجزء الثاني، بإشراف الطاهر أحمد الزاوي، طرابلس: مكتبة الفرجاني، 1961م. (عدت أيضاً إلى أصله المخطوط، بخط المؤلف، المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم تاريخ 1822).

- الأنصاري، نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تحقيق وتقديم علي مصطفى المصراتي، بيروت: المكتب التجاري، 1963.

- البشراوي، محمد الفاضل، تاريخ اللغة التركية في تونس، تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، 2018 (751 ص).

- بلدية طرابلس في مائة عام (1286 - 1391هـ / 1870 - 1970م)، طرابلس 1973، (1093 ص، من القطع الكبير).

- بن موسى، تيسير، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، 1988.

- البوسنوي الخانجي، محمد بن محمد بن محمد، (من علماء القرن الرابع عشر الهجري)، الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنه، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1413هـ / 1992م.

- بيات، الدكتور فاضل، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني: رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2003.

- جحيدر، عمار، «إدارة متصرفية بنغازي كما تصفها رسالة وكيل تونس 1292هـ/ 1875م»، ضمن كتابه: آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، 1991.
- جحيدر، عمار، «بدايات الصحافة الليبية: العدد الأول من صحيفة طرابلس غرب (1283هـ / 1866م)»، ضمن ندوة: المجتمع الليبي (1835 - 1950)، تحرير الدكتور محمد الطاهر الجراري، طرابلس: مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، 2005، ص 607 - 653.
- جحيدر، عمار محمد جحيدر، «الدكتور محمد عبد الكريم الوافي (1936 - 2011) مؤرخاً محققاً: قراءة نقدية في الحوليات الليبية نموذجاً»، مجلة مجمع اللغة العربية (ليبيا)، العددان الخامس عشر والسادس عشر (1440 - 1441هـ / 2018 - 2019م)، ص 659 - 716.
- جحيدر، عمار، «علي مصطفى المصراطي وتاريخ ليبيا الثقافي - تحية وقراءة نقدية»، مجلة الفصول الأربعة (طرابلس)، العدد 58 (1992)، ص 41 - 70.
- جحيدر، عمار محمد، القولوغلية في ليبيا: تأصيل لغوي / تاريخي لمصطلح عثماني، ومقاربة أولية لشريحة من السكان، (دراسة مطولة مخطوطة)، عُرضت في محاضرة عامة ضمن الموسم الثقافي للمركز الليبي للمحفوظات التاريخية (يناير 2102)، ونشر قسمها الأول ضمن أعمال المؤتمر الثامن عشر للدراسات العثمانية (تونس 2019).
- جحيدر، عمار محمد، «مجلد قضايا عن الشيخ الطاهر الزاوي (1890-1986) مؤرخاً»، ضمن ندوة: الشيخ الطاهر الزاوي: حياته وآثاره، (الزاوية 2012)، تحرير وتقديم محمود المهدي الغتمي، الزاوية: مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية، 2016، ص 59-116.
- الجدول الرسمي لمطابقة الأوزان والمكاييل القديمة بما يقابلها في المصطلحات الحديثة، المنشور في (الجريدة الرسمية) خلال الاحتلال الإيطالي سنة (1928م). [منه نسخة مصوّرة في ملاحق الجزء الأول من اليوميات الليبية].

- حرب، الدكتور محمد، «السالنامة العثمانية وأهميتها في بحوث الخليج والجزيرة العربية»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 33 (يناير 1983) ص 145-175.
- حسنين، الدكتور عبد النعيم محمد، قاموس الفارسية: فارسي - عربي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982.
- الدجاني، الدكتور أحمد صدقي، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي / أو طرابلس الغرب في آخر العهد العثماني الثاني (1882-1911م)، القاهرة: المطبعة الفنية الحديثة، (1971).
- روسي، إيتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، بيروت: دار الثقافة، 1974.
- الزركي، خير الدين، الأعلام، ط 4، بيروت: دار العلم للملايين، 1979م.
- عبد الرازق، فوزي، المطبوعات الحجرية في المغرب (فهرس مع مقدمة تاريخية) الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1989.
- عبد الرازق، فوزي، مملكة الكتاب: تاريخ الطباعة في المغرب (1865-1912)، تعريب خالد بن الصغير، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1996.
- عينتابي، محمد فؤاد / ونجوى عثمان، حلب في مئة عام (1850-1950)، حلب: معهد التراث العلمي العربي، 1414هـ / 1993م، الجزء الأول (1850-1900).
- الفقيه حسن، حسن، اليوميات الليبية، الجزء الثاني: الحرب الأهلية ونهاية العهد القرمانلي (1248-1251هـ / 1832-1835م)، تحقيق عمار جحيدر، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001.
- مجلة الفنون، [لصاحبها محمد داود أفندي]، مجموعة كاملة: صدرت بطرابلس غرب 1316هـ / 1898م، إعداد وتقديم وفهرسة علي مصطفى المصراطي، (دون بيانات

نشر، نحو سنة 2007، في 391 ص). على غلافها في الصدارة: [صحيفة علمية صناعية زراعية مصوّرة، تصدر بطرابلس الغرب في كل خمسة عشر يوماً مرة].

- مسعود، حنان محمد علي، ليبيا خلال العهد الحفصي (625 - 916هـ / 1229 - 1510م)، طرابلس: المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2010.

- المصراتي، علي مصطفى، صحافة ليبيا في نصف قرن، بيروت: دار الكشف، 1960.

- المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، قام بإخراجها: الدكتور إبراهيم أنيس، الدكتور عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد؛ وأشرف على الطبع: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1392هـ / 1972م.

- الموصلي، الدكتور ياسين شهاب، الأوضاع الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي (1835-1911)، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2006، (303 ص).

- الموصلي [شكري]، الدكتور ياسين شهاب شكري (جامعة الكوفة)، «سالنامات ولاية طرابلس الغرب وأهميتها في دراسة التاريخ الليبي الحديث»، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الرابع عشر - العدد الثالث / انساني / 2016، ص 153-166.

(ج) التركية:

- حبّيش، الشيخ أسد «أحد تلامذة المكتب السلطاني في الآستانة العلية، المترجم الثاني في القلم التركي بمتصرفية لبنان الجليّة» / وإبراهيم بك الأسود «من أعضاء مجلس الإدارة في المتصرفية المشار إليها»، كتاب التحفة اللبنانية في أصول اللغة العثمانية، طبع في مطبعة القديس جاورجيوس ببيروت سنة 1887، (195 ص).

- حسني أفندي، يوسف، «معلم اللغة الفرنسية في المدرسة الرشدية العسكرية»، الإيضاحات الوفية في قواعد اللغة العثمانية، طبع في المطبعة الأدبية في بيروت سنة 1308، (428 ص، من القطع الصغير).

- سامي، شمس الدين، قاموس تركي، استانبول 1317.

- كامل أفندي، محمد، غاية الأمان في تفصيل قواعد اللسان العثماني، استانبول 1314 من التقويم المالي / 1898م، (528 ص).

- Gerçek, Selim Nuzhet, "Vilayet ve Nezaret Salnameleri", Kitab Belletan, 1, 25 (1 - 7- 1963) Istanbul.

(المقالة عن: سالنات الولايات والنظارات).

- Duman, Hasan, Istanbul Kutuphaneleri Arap Harfli Sureli Yayinlar Toplu Katalogu (1828 - 1929), Istanbul 1406 / 1986.

(غلافه بالعربية: الفهرس الموحد للصحف والمجلات المطبوعة بالحروف العربية في مكتبات استانبول (1828-1929م)، إعداد حسن دومان، تقديم أكمل الدين إحسان اوغلي، استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1406هـ / 1986م).

- Duman, Hasan, Osmanli Yilliklari: Salnameler ve Nevsailler, Istanbul 1982.

(غلافه بالعربية: الفهرس الموحد للتقاويم العثمانية: سالنات والنوسلات الموجودة في مكتبات استانبول).

- Erunsal, Ismail F., Kutuphanecilikle ilgili Osmanli Mtinler ve Belgeler, Istanbul , 1990.

(يضم هذا الكتاب: النصوص والوثائق العثمانية المتعلقة بعلم المكتبات، وهو في جزأين).

- Kuran, Ercüment, Reş-id Paşa, İslam Ansiklopedisi, c. 9, Istanbul 1988, s. 701 - 705.

(دائرة المعارف الإسلامية، الإصدار الأول: مادة رشيد باشا).

- Pakalin, Mehmt Zeki ,*Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlugu*,
Istanbul 1993, c. 3, s. 105.

(معجم التعابير والمصطلحات العثمانية).

- Sertoglu, Midhat, *Osmanli Tarih Lugati*, *Istanbul 1986.*

(معجم التاريخ العثماني).



حوار مع المستعرب الأسباني الكبير

أ.د. بيدرو مارتينيث مونتافث

Pedro Martinez Montavez

تقديم وترجمة أ.د. عبد الله محمد الزيات

(عضو المجمع)

التقديم

بيدرو مارتينيث مونتافث أندلسي الأصل والمولد؛ أي من مقاطعة ما يعرف اليوم بأندلسيا، حيث ولد عام 1933 م، في قرية خودر Jódar شوذر التي تقع في نطاق ما كان يعرف بأمس الأندلس بكورة جيان، أي محافظة خائين اليوم، انتقل إلى مدريد منذ طفولته⁽¹⁾، وترقى في السلم التعليمي حتى حصل على الدكتوراه، وعمل أستاذاً بجامعة إسبانية عديدة منها جامعة مدريد المستقلة، التي مازال بها حتى اليوم أستاذ شرف، وقد تحصل على درجات علمية، وتقلد مناصب إدارية عديدة بالجامعات الإسبانية منها كاتدرائية الأدب العربي في جامعة إشبيلية، ثم أستاذ بجامعة الأوتونما، وقد ترأس قسم الدراسات العربية والإسلامية بهذه الجامعة لفترات طويلة، كما ترأس الجامعة نفسها، وكان عميد الجامعة الأول والوحيد في إسبانيا الذي اختير ديمقراطياً، كما تقلد وظائف ثقافية مهمة، فقد كان مديراً لمعهد ثربانتس في الجزائر، ثم مديراً له في القاهرة، كما تولى إدارة المدرسة الإسبانية بالقاهرة أيضاً، وكان أستاذاً زائراً في القاهرة والجزائر، وهو الآن أستاذ شرف بعد أن أحيل إلى التقاعد بعد أربعة عقود من العطاء البحثي الزاخر والجاد في الأدب العربي وخصوصاً الحديث وترجمته والعالم العربي والإسلامي وواقعهما

(1) انظر Arabismo y trducción, p.127-164

ونظر الغرب غير المنصف إليهما، وهو تقريباً أهم بحث الاستعراب الإسباني الذين تخصصوا في الأدب العربي الحديث، وهو من المنصفين جداً - مقارنة بينه وبين غيره من المستشرقين - للحضارة العربية الإسلامية، وهو متمكن جداً من متابعة الحياة الثقافية والأدبية المعاصرة في البلاد العربية، ففي مناقشة لأطروحة دكتوراه سرد على الباحث المناقش أسماء مجلات صدرت أو تصدر حديثاً في الجزائر دلت معرفة بدرو لها على متابعة جيدة لكل ما يصدر حديثاً في الوطن العربي من مطبوعات ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة باختصاصه، وقد اعتبر هذا الرجل بحق مسهماً بشكل نموذجي في تطور وانتشار الدراسات العربية في إسبانيا في الثلث الأخير من القرن العشرين⁽¹⁾. وهو كثير الاستشهاد بالكتاب والمفكرين العرب الذين يكتبون اليوم في الصحف والمجلات العربية، وذلك عندما يتوجه إلى قارئه الإسباني في صفحه اليومية مثل الموندو *El Mundo*؛ العالم، والبائيس؛ القطر *El País* أو البلاد، وأب ث *A.B.C*.

ومن أهم أعماله المتميزة في أغلبها بأنها ذات طابع دراسي للأدب العربي الحديث أو ترجمة عنه:

1 - المدرسة الشامية الأمريكية، 1956.

2 - الشعر العربي المعاصر، 1958.

3 - الشعر فلسطين، وهي قصائد لشعراء عرب في قضية فلسطين، في نصها العربي وترجمة هذه القصائد إلى اللغة الإسبانية، وهي حوالي أربعة وعشرين نصاً شعرياً وترجمتها، وقد صدر في مدريد عام 1980.

وقد كان اهتمام بيدرو بالمأساة الفلسطينية على المستويين الأدبي والسياسي الأول والأوسع من نوعه بين الإسبان مستعربين وغيرهم، ولعله الأول من نوعه بين

(1) انظر Miguel Cruz Hernandez "El profesor Martinez Montavez y la evolución de los Estudios Árabes islamicos en España" Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid, Numero

.especial,xxxv,p.33-37

المستشرقين جميعاً⁽¹⁾. وذلك بما أتاحه من دراسة وترجمة لأعمال أمثال غسان كنفاني وتوفيق زياد ومحمود درويش وفدوى طوقان وسميح القاسم وسليم جبران. ويوجز موقفه من قضية فلسطين رؤيته لشعبها بأنه شعب شهيد خانه الكثيرون وأجبروه ظلماً على أن يدفع ثمناً لجرم لم يرتكبه أو كما ينسب إلى إبراهيم طوقان أنه قال: قتل مجرم جريمة لا تغتفر، وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر.

4 - سبعة قصاصين مصريين معاصرين، وهم نجيب محفوظ الذي ترجم له في هذا الكتاب، ويحيى حقي وترجم له في هذا الكتاب «كنا ثلاثة أيتام»، ومحمد عبد الحليم عبد الله الذي ترجم له قصة بعنوان «زيارة ليلية»، ويوسف الشاروني الذي ترجم له «الرجل والمزرعة»، ويوسف إدريس الذي ترجم له قصة «الماء والزيت»، وحسين مؤنس الذي ترجم له في هذا الكتاب قصة بعنوان «الطالب»، وقد نشر هذا الكتاب المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد عام 1964.

5 - شعراء عرب واقعيون: وهي تراجم موجزة لشعراء عرب معاصرين ولنماذج من قصائدهم في أغراض مختلفة وقد صدر في مدريد عام 1970.

6 - مدخل إلى الأدب العربي الحديث: صدرت الطبعة الأولى منه عام 1974، وصدرت طبعة منقحة ومزيدة في عام 1984، وصدرت الثالثة عن جامعة غرناطة عام 1994.

7 - الأندلس وإسبانيا في الأدب العربي المعاصر: صدر عن مؤسسة مابفري في مدريد عام 1992.

8 - الأدب العربي اليوم: وقد صدر في مدريد عن دار نشر كانتارابيا عام 1990.

9 - خمسة عشر قرناً من الشعر العربي: بالاشتراك مع آخرين، وصدر في مالقة عام 1988، وهو عبارة عن ترجمة مختارات شعرية لشعراء عرب ينتمون إلى عصور أدبية مختلفة من بينها العصر الحديث.

(1) انظر السابق، ص 69.

10 - شعر الغزل لنزار قباني: صدر عن المعهد العربي الإسباني للثقافة، مدريد 1977.

11 - الشعر السياسي لنزار قباني، دار نشر بيسور، مدريد 1975.

12 - استكشاف الأدب العربي الحديث، المعهد العربي الإسباني للثقافة، مدريد 1977.

13 - الشعر العربي المشرقي القديم، دار النشر ليتورال، مالقة 1988.

14 - كتابات عن الأدب الفلسطيني، دار النشر فوندامنتوس 1982، مدريد، وهو كتاب يتحدث فيه عن السرديات الفلسطينية.

15 - شعراء المقاومة الفلسطينيون، الدار العربية الإسبانية، مدريد 1969، بمشاركة د محمود صبح.

16 - زمن الشعر العربي 1994.

17 - أشعار عربية، تانيس، إشبيلية 1995.

18 - قصائد لصالح عبد الصبور، صدر عن المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد عام 1982، وهو تعريف موجز بهذا الشاعر المصري المعاصر وبأهم أعماله، وترجمة لأجزاء من بعض قصائده التي وردت في الدواوين: أحلام الفارس القديم، الناس في بلادي، تأملات في زمن غريب.

كما اهتم بالعلاقة بين الأدبين العربي والإسباني، أي الأدب المقارن كما هو الشأن في كتبه التالية أو أبحاثه:

1 - أبحاث هامشية من الاستعراب الإسباني، 1977.

2 - حضور فيديريكو غرسية لوركا في الأدب العربي المعاصر، 1977.

3 - الأدب العربي وإسبانيا، 1984.

4 - ومن ضمن كتبه التي أنتجها ما يمثل الاهتمام بالأندلس وانعكاسها في الأدب العربي الحديث، كما هو الشأن في بعض كتبه السابقة وكتبه:

5 - إشبيلية والخيرالدا في الأدب العربي المعاصر، 1988م.

6 - غزالة الأندلس، 1992م.

7 - ترصيع قصائد عربية، 1995م، وهو كتاب يضمه ترجمة قصائد عربية حديثة عن الأندلس.

وقد زار بيدرو مونتاث العديد من الأقطار العربية وعلمت أن ليبيا من بينها، وقد حدّثني الأستاذ علي مصطفى المصراتي أنه التقى مونتاث في ليبيا، ولعلنا سنقرأ آثار هذا اللقاء في سفر آخر من كتبه لقاء وحوار⁽¹⁾. وقد أُجريت معه هذه المقابلة في كلية الفلسفة والآداب بمدينة مالقة *Málaga* في يوليو 1999، ونشرت في كتاب بعنوان إستعراب وترجمة *Arabismo y traducción*، تحرير خوان بابلو أرياس *Juan Pablo Torres* وآخرين، ونشر المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمديرية عام 2033، وفيما يلي نص المقابلة.

المقابلة / الحوار

(1)

س⁽²⁾ - سيسرنا كثيراً أن تبدأ هذه المقابلة بإعطائنا بعض المعلومات في ترجمتكم الشخصية ومعلومات عن مرحلة تكونكم الخاص في الجامعة؟

ج - كما تعلمون فإنني أندلسي (مقاطعة أندلثيا) المولد؛ إذ ولدت في قرية خودر بجيان في 30 من يونيو عام 1933، ولكن بعد ست سنوات؛ أي عام 1939م، وبعد

(1) صدر السفر الأول عن اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام بطرابلس عام 2006م.

(2) [هذه الأرقام الوسطى البارزة مزيدة على الترجمة المنجزة للحوار الثري المطول، ونرجو أن تضي على النصّ قدرًا من الوضوح والتنسيق] (التحرير).

موت أمي، وأنا في صغر سني ذلك أخذني أبي إلى مدريد؛ حيث تلقيت تعليمي في البداية في مدرسة دينية لجماعة مترهبة، ثم المرحلة الثانوية في معهد راميرو دي مايثو *Ramiro de Maezto* وقد قمت بالدراسة الجامعية في التي تدعى آنذاك الجامعة المركزية [الكومبلوتنسي اليوم]، وقد تابعت في الوقت نفسه دراسة التخصص الجامعي في التاريخ وفي فقه اللغة السامية، ويا للعجب! فقد حصلت على شهادة التاريخ قبل شهادة الساميات بسنة.

في عام 1955، وكما كان واجباً عليّ أن أقدم بحثي تخرج؛ واحداً لكل تخصص، فقد أنهيت بحث التاريخ قبل إنهاء بحث الدراسات السامية بشهور، لقد كان تكوناً معتاداً، يخلو من الأصالة، فيما عدا التوفيق بين ما هو تاريخي وما هو فلسفي سامي.

ربما كان من واجبي أن أقول إنني تابعت دراسة الآداب لأنه لم يكن لأسرتي حظ في أن أوصل نوعاً آخر من الدراسة، وبالتحديد دراسة العلوم السياسية؛ فالميدان الأول الذي انفتح أمامي تخصصاً ممكناً هو التاريخ الاقتصادي في العصر الوسيط؛ فقد كان بحث التخرج يدور حول شخصية الحاكم الأندلسي في النصوص اللاتينية الوسيطة، أمّا في تخصص الدراسات السامية فكان البحث دراسة حياة أحمد شوقي الشاعر المصري المعروف جداً، ودراسة عمله انطلاقاً من القليل الموجود في ذلك الوقت في مكاتب مدريد، وانطلاقاً من بعض الأشياء التي أرسلت إليّ من مصر، ومن هنا بدأت أسجل الذي كنت بالتأكيد أقع تحت تأثيره، وبعد ذلك اتضح لديّ أثناء إقامتي الطويلة في القاهرة، وهذا هو سبب الاهتمام بالموضوعات المعاصرة؛ أدبية وفكرية.

فقد كنت في مصر منذ العام 1957 حتى العام 1962م، حيث قمت هناك بإنجاز أمور عديدة كما هو الشأن في أي مبعوث يقيم وزناً لزمناً بعثته، فيحقق فيها أشياء أكاديمية وأخرى غير ذلك، ولكن كنت أتابع مغالاً تحديد ميولي النهائية فكانت أطروحتي التي سأعدها في مصر تدور حول تذبذب أو تراوح ثمن القمح في القاهرة المملوكية، وانطلاقاً من كل هذا الذي كان ضرورياً لمواصلتي إتمام سيرة علمية فإنّ الأمر الرئيس الذي

حدث لي في مصر هو اكتشاف في لعالم كنت أعرفه عبر الكتب فقط، فهذا الاكتشاف كان محدداً نهائياً بالنسبة لي، كان اكتشافاً أصيلاً بكل معاني الكلمة.

عند انتهائي من تجهيز أطروحتي للدكتوراه عدت إلى مدريد بفضل مساعدة لن أنساها أبداً، قدمها إلي الأستاذ تيريس Terés، الشخص الذي وجدته الأكثر حلاً ووداً في ميدان الاستعراب، من المناسب أن أصرّ على هذا؛ لأنّ تيريس كان شخصية مجهولة قليلاً على المستوى الشخصي أو المستوى العلمي، ولكنّه كان مستعرباً ممتازاً متخصصاً في الأندلس، ولكنّه أيضاً لم يلق تثميناً مناسباً، ولا اعترافاً يليق به.

لقد أصبح تخصصي منذ ذلك الوقت معروفاً جداً، فقد استعملت أو جربت في جامعة الكمبلوتنسي كل المدارس؛ ففي العام الجامعي 1970 / 1971م حصلت على درجة الأستاذية في جامعة إشبيلية، حيث أمضيت عاماً دراسياً كان بالنسبة لي مفتوحاً ومفترق طرق، وفي المدينة نفسها استرجعت أشياء كثيرة كانت ضائعة مني؛ أشياء عاطفية وفكرية. في 1971 أيضاً كانت لي فرصة الرجوع إلى جامعة الأوتونوما بمدريد، ومنذ ذلك الحين وأنا باق هنا.

إلى جانب هذه السيرة العلمية يهمني أن أشير أيضاً إلى أنني أملك سيرة طويلة في الإدارة الجامعية؛ فبما أنّ حياتي تطورت ونمت دائماً في نطاق الجامعة تورطت، أو وقعت بعمق فيما يمكن أن ندعوه بطريقة فكاهية محاولات تجديد الجامعة الإسبانية، وهذا اضطرني إلى أن أتقلد وأتحمل مجموعة وظائف والتزامات، من وكيل كلية، إلى عميد لجامعة الأوتونوما ماراً بمراحل وسيطة بين هذا وذاك.

(2)

س - لم تأت سيادتكم على ذكر أنكم كنتم مبتعثين بمنحة دراسية في تطوان؟

ج - نعم، نعم؛ بالضبط منذ سبتمبر من عام 1955 حتى مارس من عام 1956م

كانت المنحة الأولى التي تحصلت عليها، وكانت الاتصال الأول لي بالوسط العربي الإسلامي، وقد كانت مهمة لأنها كانت في اللحظات الأخيرة من عهد الحماية الإسبانية في المنطقة؛ كانت لي فرصة معرفة، وإن لم تكن بطريقة جد متسعة، فالعمل كان يطور هناك، خصوصاً ما كان ذا طابع ثقافي، لقد مررت بتجارب لا تنسى مثل معرفة المجالات التي كانت تطبع في ذلك الوقت، خصوصاً اثنتان منها ذات طابع أدبي ومقاربة ثقافية؛ أعني المعتمد وكتامة، ربما هي أيضاً لحظة تذكر نشاط أشخاص آخرين مثل فرناندو بالديراما *Fernando Valderram* أو تينا ميركادير *Tina Mercader*، وهي لحظة أذكر فيها أنّ هذه المطبوعات وأخرى موازية كانت تظهر فيها المحاولات الأولى في الترجمة من العربية إلى الإسبانية، وهي التي كنا نشارك فيها نحن المستعربين الشباب مثل المتحدث وليونور مارتينيث *Leonor Martínez* وفرناندو دي لا غرانجا *Fernando de la Granja*. في تطوان اكتشفت أيضاً شاعراً أثّر تأثيراً كبيراً في تخصصي؛ إنه نزار قباني، وذلك عبر قراءة بعض القصائد له في المجلة اللبنانية: الأديب.

(3)

س - سيادتكم درست في الجامعة التي تدعى اليوم الكومبلوتنسي في مدريد، ماذا تتذكرون من أساتذتكم وقاعاتكم والمواد التي كان يستعملها هؤلاء الأساتذة الخ؟ ما الأهمية التي كانت تعطى للترجمة؟

ج - لقد عزمنا على أن نعتمد صراحة على الترجمة، ونترك جانباً مظاهر أخرى؛ فقد كانت الترجمة هي الوسيلة الوحيدة التي كنا نقوم بها، فسواء في العامين المخصصين للمواد المشتركة، أو في الثلاثة أعوام المخصصة لمواد التخصص، كنا نعطي شروحات نحوية أساسية ولكنها كانت قليلة.

في العبرية كنا نترجم معتمدين نصوصاً من التوراة، وفي الأعوام الأخيرة من الدراسة كنا نترجم شيئاً من عبرية ما بعد التوراة، وكان الأمر نفسه عملياً في العربية كذلك؛ بشكل

أساسي كنا نترجم نصوصاً ومزيداً من النصوص مستخرجة من المنتخبات الأدبية ومختارات للمبتدئين لإميليو غرسية غومس *Crestomatía y Antología para principantes* في بعض الدروس كانوا يستعملون نصوصاً إضافية أو متممة مثل ما في الحال مع داريو كابانيلاس *Darío Cabanelas* أو سوليداد خيبيرت *Soledad Gibert*، ومع إميليو غومس بدأنا نرى نصوصاً حديثة، وفي العام الثالث رأينا نصوصاً صحافية من الصحيفة اليومية المزدوجة اللغة النهار *El Día*، وهو ما استلزم كشفاً تاماً لنا.

وبصفة عامة فإنّ الترجمة كانت تقوم على جهاز نظري هزيل إن لم نقل ملغى، وبشرح تقنية قليلة، وأمام هذا الذي يبدو بشكل واضح نقصاً، وهو نقص مهم، كان يوجد بعثات أخرى على شكل مكافأة؛ فعلى سبيل المثال كان في كل الأساتذة تقريباً، وخاصة بعض منهم قدرة غريزية أو ثروة من الحساسية الكبيرة بالنسبة للترجمة الأدبية التي كانت تنعكس في الشرح الذي يقام على الترجمة؛ في الشروح، في الإشارات التي كانوا يقدمونها لنا، كان يوجد أيضاً مع ما يكون جوهر علم اللغة؛ معرفة تاريخية مركزة، ومقدرة كبيرة من شرح ظروف النص المترجم التي يزودونها بها بسخاء.

(4)

س - هل يمكن سيادتكم أن تحدثنا - بوضعك أستاذاً - عن تجربتكم فيما يتعلق بذلك؟ أهمية الترجمة في دروسكم؟ مفهوم الترجمة الذي تتبنونه؟

ج - ليس بوضعي أستاذاً فقط، بل بوصفي رجلاً أعيش في عصري، بوصفي شخصاً يعنيه إمكانية إقامة حوارات وعلاقات بين عالمين وحضارتين أو ثقافتين؛ فواضح أنّ الترجمة هي واحدة من الأدوات الأساسية إن لم تكن وحدها هي الأساس، وقد كنت دائماً معنيّ بهذا المعنى أو مشتركاً هذا في مواد اللغة العربية والأدب العربي التي تقدم للسنة الأولى، لأنّ هذا هو المفتاح لكل ما يمكن أن يأتي فيما بعد سواء إيجابياً أو سلبياً؛ لأنّ المعارف التي كان يحصلها الطلاب عن العالم العربي كانت تمثل مستوى

أدنى، ولكن الحال الآن ليس كما كان من قبل؛ فبفضل وسائل الاتصال يحصل الطلاب على معرفة، وإن لم تكن صحيحة ولا موضوعة في سياقها جيداً، فهي بالفعل كبيرة من الناحية الكمية.

مادة السنة الأولى كانت مفتاحاً - كما قيل - لإيقاظ الدعوة (الدينية) أو التبشير - وإن لم أكن - وهو ما أريد أن أتركه واضحاً - مبشراً أو مهتدياً.

الترجمة كانت مفتاحاً، وانطلاقاً من مبدأ الجزء الذي يخصص لمهمة الترجمة، كانت كبيرة جداً، مع اختيار دقيق للنصوص، ناتج عن تفكير جيد، وهذا مفيد جداً في السنة الأولى، وفي غيرها من السنوات التي أدت فيها دروساً واسعة وأكثر تمثيلاً ممكناً، ليس فقط للأدب العربي، وإنما أيضاً للإنتاج الثقافي العربي مع زيادة متنامية في حجم النصوص التي يمكن أن نعتبرها حديثة غير متناسين للنصوص الوسيطة ولا القديمة.

عنيت في هذا الميدان بإعطاء معلومات ومراجع ومواد حول ما كان أرضاً أخرى غير معروفة إطلاقاً في عمل الاستعراب الإسباني، كما كان الأدب القديم في الشرق الأوسط - ليس الأندلسي - غير معروف، وما زال مجهولاً إن لم يكن جهلاً مرعباً، نعم ومن ثم مخيباً للأمل، وكانت الكمية المقدمة من ذلك الأدب أكثر قلة مما يجب أن يكون عليه.

(5)

س - لا نعرف ما إذا كان انطباعنا مزوراً أم خاطئاً؛ ولكن سيادتكم كنتم تقولون قبل قليل: إن اللغة العربية كانت مفتاحاً، أو بعبارة أخرى هو أنكم خلال مرحلة عملكم الطويلة تتجهون أو تنزعون بشكل كبير إلى استعمال اللغة العربية أداة لمعرفة الواقع العربي.

ج - لا شك هذا التأكيد اتخذ اعتقاداً لا بد منه، وأنا كل مرة أكثر اعتقاداً أن العنصر الأساسي للمقاربة بين العرب هي اللغة، وفي الوقت نفسه فإنني واع للصعوبات الكثيرة التي تعترض تبني هذه اللغة وتوظيفها.

فالموضوع يتعلق بلغةٍ مجزأة تظهر في لون جميل، لغة أنشأت فيها عناصر التوحد والاختلاف دارجة داخلية خاصة جداً، وبالرغم من هذه الصعوبة، وبالرغم من أنني مؤمن جداً بتجربتي الشخصية من أنّ معرفة اللغة العربية داخل الفضاء العربي نفسه تتناقض كل مرة وهي فوق ذلك غير صحيحة، وأنّ اللغة العربية اليوم هي مهددة من الداخل، بالرغم من كل هذا ما زلت أرى وكل مرة أزداد اقتناعاً بأهمية اللغة لمحاولة ترجمة ليست دينية أو علمانية لهذه الثقافة؛ لأنّ العنصر الأساس في تعاضد الأجزاء بين العرب هو اللغة.

(6)

س - ولكن إذا طرحنا جانباً العناصر الاجتماعية اللغوية غير المشكوك فيها، نعتقد أنّ سيادتكم لها نشاط قليلاً ما يتكرر أمام لغة شبيهة بلغة العلماء المسلمين في العصر الوسيط الذين كانت اللغة تُكوّن وسيلة أساسية للمعرفة.

ج - نعم، ولكن أعتقد أنّه وضع أجعله منتشرأ أو متسعأ لكل نشاط لغوي، إنّه فكرتي الأساسية حول ظاهرة اللغة؛ فأنيّ لغة هي مفتاح لترجمة الواقع، وفي مظاهر عديدة هي مفتاح لترجمة غير مقارنة بأي ترجمة أو تعبير آخر إضافة إلى أنني أطبق هذا على اللغة العربية تطبيقاً متماسكاً أو متسلسلاً.

وإذا تساءلنا عما إذا كان هذا شاذاً وقليلاً وجوده في أفق الاستعراب الإسباني؟

فإنّ الإجابة: نعم؛ يمكن أن يكون كذلك، ولكن لست أنا الذي يجب أن يقول ذلك، ولهذا فإنّ من بين الأشياء الأخرى التي أسهمت بها في تصميم خططنا الدراسية، إضافة إلى الإصرار على الدراسة بطريقة متعادلة بين ما هو قديم وما هو حديث، هو الإصرار على إدخال مواد كانت منسية كثيراً، وهي محتاج إليها جداً بيننا مثل؛ علم المعاني العربي، من بين الأسئلة الكثيرة التي عرضتها على نفسي بالنسبة للتساؤل: كيف تطورت دراستنا؟ بلا شك كان حاضراً الآتي: كيف استطعنا أن ندرس، وأن نشرح ونحلل اللغة العربية دون أن نعطي لميدان علم المعاني الاهتمام الذي يستحقه؟

(7)

س - عوداً على إقامتكم في مصر هل عملت في بعض الفرص مترجماً خارج النطاق الأكاديمي؟

ج - أف! محاولاً تنظيم هذه الفوضى التي هي الذاكرة، لقد بقيت أشياء لا تنسى أبداً: فالمرة الأولى التي تحدثت فيها مع نجيب محفوظ، القصة الأولى له التي ترجمت إلى الإسبانية، أو اللقاءات الكثيرة التي التقيت فيها مع كتاب ومثقفين مصريين في ذلك العصر، غير محدودين، وقد أغنوا معلوماتي بأشياء كثيرة؛ أذكر منهم صلاح عبد الصبور ويوسف إدريس وآخرين كثيرين، ولكن إذا تركنا هذا النشاط - وهو ما يمكن أن نصفه بالجدية وبأنه خاص بي كشرط للاستعراب - جانباً، فقد كُلفت بترجمة عدة قصص للأطفال إلى اللغة الإسبانية، وهي مختارات مطبوعة لكامل كيلاني، كما عملت ترجمات عديدة لشرائط قصص مصورة سينمائية.

لا أستطيع أن أنسى أنني عندما وصلت إلى مصر كنت حديث عهد بالزواج، وأنّ العناية التي كان علي أن أوجهها إلى أسرتي كانت تتعاضد، لأنني ولدي هناك ثلاثة أولاد، والمنحтан اللتان كنت أتلقاهما كانتا غير كافيتين، وهو ما اضطرني للعمل بالقطاعي، وعلى سبيل المثال؛ فقد تعاقدت للعمل مع إذاعة القاهرة قارئاً أو مذياعاً في القسم الإسباني الموجه إلى أمريكا اللاتينية؛ حيث كان علي أن أترجم بعض النصوص وأنّ أراجعها، وبالطريقة نفسها عملت مترجماً تحت الطلب أو مترجماً احتياطياً في بعض الاجتماعات، وهو عمل كثيراً ما كررته في حياتي فيما بعد، عملي مترجماً كان واسعاً جداً ومتنوعاً، وما أحمدّه هو أنّه فوق ذلك كان تجربة غنية في معرفة اللغة والواقع.

(8)

س - إذا لم تخطئ معلوماتنا فإنّه في عام 1958 ظهر في دار النشر Escélicer إسثيلير كتابكم الذي يحمل عنوان «الشعر العربي المعاصر»، هل يمكن أن تشرح

لنا سيادتكم كيف انبثقت الفكرة؟ ولماذا مختارات شعرية عربية معاصرة؟ كيف قمتم باختيار الشعراء والأشعار؟ هل هو اختياركم الشخصي؟ أو كان باستشارة أشخاص آخرين؟ هل أثر في ذلك عناصر أخرى؟

ج - قبل ذلك؛ أي عام 1956م كان قد طبع لي كتاب في تطوان يحمل عنوان المدرسة السورية الأمريكية *La escuela siroamericana*، ولكن هذا الكتاب كان العمل الرصين الأول لي، وقد انبعثت فكرته بين مدريد و تطوان. بدأت أنتبه إلى أنّ ذلك الحقل كان مجهولاً جهلاً تاماً، وقد كنت دائماً شاعراً غير مطور لنفسه: ومن يعرفني جيداً يعلم أنني أملك عملاً غنائياً كبيراً غير مطبوع، وهو ما كان موافقاً جداً للترجمة؛ لأنه كان علي دائماً أن أبحث عما يمثل عمود فقر الترجمة انطلاقاً من العناصر التي غدّت لغتي الأولى؛ في النهاية فإنني أريد أن أقول إنني أعرف التقنية الشعرية، قمت بالقراءات الأولى بين هاتين المدينتين ولكن كان للمشروع فرصة أن يتطور وينمى بشكل واسع جداً في مصر، حيث رويت عن مصادر عديدة ليست مصرية فقط، بل من جميع بلدان العالم العربي.

أعتقد أنّ الهدفين اللذين هدفت إليهما المختارات كانا:

1 - أنّ نصوص هذه المختارات أعجبتني جداً، يمكنني أن أؤكد أنّ كل ما ترجمته تقريباً قمت بترجمته لأنني تذوقته وأحببته، والمحافظة على هذا المبدأ الشخصي جنيت منه رزاً كبيراً، وكلفني خسارة كبيرة أيضاً، لأنني كانت لي في بعض الأحيان فرص أن أترجم نصوصاً لشخصيات سياسية مهمة في العالم العربي مع عقد مغن جداً، ولكنني لم أتعاقد على هذا النوع من العقود قط.

2 - الهدف الثاني وهو أقل موضوعية هو أنني حاولت أن أترجم نصوصاً لأسباب عديدة؛ إذ بدت لي هذه النصوص أنّها ذات تمثيل للشعر العربي، وأنّ المتلقي في حاجة إلى معرفتها، ومن هنا فإنّ المختارات التي قمت بها كانت دقيقة جداً. مع مرور الوقت

صرت متحققاً من أن الموضوع ينطلق من مبدأ مهم جداً؛ لأن جزءاً ليس طفيفاً أو تافهاً من الأدب العربي المعاصر - وهو ما ترجمته إلى اللغة الإسبانية - ليس جيداً، وليس ممثلاً للأدب العربي، كثير من الترجمات كان السبب فيها علاقات الصداقة، ومنها ما كان السبب فيه انتشار الصيت، أو جهل المنظر العام للشعر العربي والثقافة العربية المعاصرين.

تطبيق هذين المبدأين كان أولاً بطريقة غير واعية، ولكن الوعي وجد وصار يزداد مع تقدم السنين، وكان كل مرة أكثر حزمًا.

(9)

س - نعتذر على مقاطعتكم؛ لقد تحدثتم عن عملكم الغنائي الكبير، فالسؤال الضروري هو: لماذا هو غير مطبوع؟

ج - لأنني أعلم أنه أمر سيئ؛ فبين سمات طابعي أنني ألغي العجب أو الغرور الشخصي، مع أنني لا أريد أن أقول إنني متواضع. أعتقد أنني شخص يعرف بطريقة صحيحة صحة لا بأس بها، أعلم ما هي إمكانياتي وما هي نواقصي، ومن ثم كيف كنت مقتنعاً منذ وقت باتني لن أصل أبداً إلى أن أصبح شاعراً جيداً، وقلت لنفسني: لماذا أكلف الإنسانية عبئاً يكلفها أكثر مللاً على الإطلاق؟. بما أن الحياة في كثير من مظاهرها هي ممر للتناقضات أو التراجعات وهذه التراجعات لصيقة بقوة بالمعرفة التي عند الإنسان عن نفسه، لكن في هذه الخارطة أو الخطة يمكن أن يقال عني فيها إنني مستعرب، لأنني لم أتجرأ على أن أكون الشخصين المهنيين اللذين كانا بالنسبة لي جاذبين أساسيين؛ أشير إلى هذه الأشياء لأنني لم أستطع أن أكون رئيساً لفرقة أوركسترا سيمفونية، وهي واحدة من ميولي الكبيرة، ولا مصارع ثيران، وهي التي كانت الرغبة الثانية من رغباتي الكبيرة.

وبما أنني لم تكن لي المقدرة الحساسة ولا جهاز عقلي كافٍ لأصير قائداً لفرقة موسيقية، ولا قلب لأن أكون مصارع ثيران، فواضح أنني تنازلت عن كل ذلك.

(10)

س - حتى لا نخرج عن حدنا الذي نلتزم به، هل لسيادتكم دراسات موسيقية؟
ج - لا، مطلقاً، اهتمامي بما هو موسيقي هو شأن عائلي كما هو شأن فرويدي؛ فقد أثر في طفولتي كثيراً أن أبي كان عازف غيتارة، لم يكن ممتهاً لذلك، ولكنه كان عازف غيتارة جيداً سواء أكانت الـ غيتارة القديمة، أو الشعبية القريبة من القديمة، فمن بين الذكريات التي ما زالت تثير انفعالي كثيراً تلك اللحظة التي كان والدي يأخذ الـ غيتارة ويترجم رقصة الباسو دوبلي *pasodoble* التي بعنوان «طريق الأزهار»، عندما أذهب إلى أيّ ميدان لمصارعة الثيران، أو أسمع من المذياع فرقة كبيرة للموسيقى تعزف الباسو دوبلي وأنا أقود السيارة فإنني أوقف السيارة. ربما علي أن أقول أيضاً: إنني وهبت سمعاً جيداً إلى حدٍّ ما، وصوتاً حسناً أيضاً، وإنني في بعض اللحظات من حياتي كان عليّ أن أغني لأحصل بعض الدراهم، وبالتحديد أربعين ونيفا فرنكا في أمكنة تقريباً عامة، وكان ذلك في باريس، أما انتصاراتي الكبيرة مع موسيقا «الفحامين» وكانت في النوع المدعو بوليرو «*bolero*» بعنوان «ماريا دولورس»، وهي أغان خدمتني أيضاً في اجتياز جمارك غريب لقطر عربي.

(11)

س - بالعودة إلى علاقتك بدار النشر إشبليثير هل كانت تكليفاً بمهمة؟ أو كانت عرضاً شخصياً؟

ج - أعتقد أنني أتذكر أنني كنت قد كتبت رسالة إلى عدة دور نشر، وقد كنت وقتها فتى في الثالثة والعشرين من عمره، ويحوطه خجل قليل؛ لأنه يجهل عالم النشر، أذكر أن مدير دار النشر أو المسئول عن طبعات بعض المجموعات فيها، كان شاعراً غرناطياً يدعى مانويل بينيث كاراسكو *Manuel Benitez Carrasco* فهو الذي أجابني وذهبت لأراه، كان ذا سحنة شديدة الصفرة، بدا له أنه مهم جداً أن تطبع مختارات من

الشعر العربي المعاصر حتى أنه أقام لي عقداً بشروط واضح أنها ليست مجزية من الناحية المالية، ولكنها هي الشروط التي يتعاقد عليها في هذا النوع من الأعمال، بما في ذلك أنني قبضت نسبي من العقد في حينها.

(12-13)

س - هل تمتعت سيادتكم بتحرر كامل من الناشر أثناء إنجاز عملكم في الترجمة؟

ج - نعم تمتعت بتحرر بشكل كامل لم يحدث أن تكرر في أي عمل من أعمالي اللاحقة.

س - شاركت سيادتكم فيما بعد في مختارات شعرية مثل التي تحمل عنوان «شعراء عرب واقعيون» أو التي نشرت في مجلتي «ليتورال والريثيفي *Litoral , Arrecife*؛ في رأيكم: إلام يرجع الاتجاه العام عند ترجمة الشعر العربي؟ ليست ترجماتكم فقط، بل أيضاً الترجمات الأخرى؟ هل يرجع إلى تفضيل ترجمة المختارات على ترجمة الدواوين الكاملة؟

ج - أعتقد أنها في جزء منها ترجع إلى اختيارات شخصية، وهذا أمر متعلق بدرجة كافية بما أكدته قبلاً من أنني أترجم ما أرغب في ترجمته، وواضح أنني آخذ ديوان شاعر أفضله بقدر يمكنني أن أكون متفقاً معه أو متماثلاً معه جزئياً، كما يمكن أن يكون هو الشأن في [نزار] قباني أو أدونيس، وربما بدرجة أقل في البياتي أو درويش أو السياب، فتوجد قصائد أعجب بها أكثر وأخرى تعجبني أقل، توجد قصائد أعلم منذ اللحظة الأولى لقراءتها أنها يمكن أن تنقل إلى اللغة الإسبانية بسهولة، ويمكن أن تكون هذه القصائد في الإسبانية أفضل من قصائد أخرى في اللغة نفسها، وكذلك الأمر توجد قصائد أيضاً - ذات علاقة بالذي قلته - تبدو لي أكثر تمثيلاً والمتلقي الأسباني أكثر احتياجاً لمعرفتها.

وإن كانت ترجمة ديوان كامل ستكون بطريقة أو أخرى تجاوزاً لحقيقة الشاعر وواقعه، وتجاوزاً لحقيقة العمل الأدبي، وأعتقد أنّ ذلك يتعارض مع هذا العمل من الاختيارات الدقيقة، أستطيع أن أقول فيما يتعلق بالذي عندي شبه مترجم، ما عندي من أعمال لنزار في لحظة الترجمة النهائية أكثر جداً من المنشور، والأمر نفسه مع السياب أو أدونيس، إنّه تطبيق أو اجتهاد ومطلب يقتضي الالتزام بمبادئ ما أشرت إليه قبلاً.

إنتاج أي شاعر - مهما كان - ليس العربي فقط، هو اختيار في حد ذاته، واحد من الأعمال الموازية التي سأقوم بها من أجل تسلية نفسي وللرضاء الشخصي أو المتعة الشخصية سيكون اختياراً ثالثاً من إنتاج نزار قباني، وهو يتكون من اثنتي عشرة قصيدة، أو خمس عشرة قصيدة من دواوينه الأخيرة، من تلك القصائد الطويلة، وهي ناقدة أو طاعنة بقدر كبير، مطعمة بما هو غزل وبما هو سياسة، وبما هو اجتماع في خط قصيدته التي نشرتها منذ سنوات، التي بعنوان "الأندلسي الأخير".

(14)

س - لقد ذكرت شعراء مثل قباني والبياتي؛ هل يمكن أن تشرح لنا كيف تؤثر العلاقة بين المؤلف والمترجم في عملية الترجمة في كليهما؟

ج - ليس دائماً بالطريقة نفسها، عنصر واحد باق مبدئياً ولا يتغير، وهو المؤلف، ويوجد آخر هو في قلب أو تغير مستمر، وهو المترجم، طرح المشكلات التي تجعلك أو تجعل منك مترجماً في حالي ما كان عندي في الخمسينات أو الستينات أو في الوقت الحالي مستمر في التغير؛ فأنا المترجم اليوم لست المترجم نفسه الذي كان قبل أربعين عاماً. فهذا العنصر متغير أم غير لكل شيء لأسباب جمالية وأسباب اجتماعية وأخرى ثقافية، فالمقاييس التي تطبقها لها جانب ثابت، وآخر متعدد، أو يمكن أن يضاف إليه شيء.

المسببات مختلفة جداً أيضاً؛ وذلك لأنّ كلا يصدر عن تجربة خاصة، وأنا ما زلت مصراً على الشاعر الذي خصصت له المساحة الزمنية الأكثر، والذي هو بالنسبة لي ما

زال يعرض عالماً واسعاً من القلق والاضطرابات والجمال والجاذبية؛ كما هو الشأن في نزار قباني؛ فالأسباب التي حقّزني على اختيار أشعار الغزل العربية التي نشرت عام 1965م في مجموعة المعهد المأسوف عليه؛ المعهد العربي الإسباني للثقافة، والأسباب التي حقّزني على عمل المجموعة الثانية أنت أيها الحب كانت مختلفة جداً.

فانطلاقاً من مظاهر قد تبدو مضحكة - ولكنها ليست كذلك - فمثلاً «أنت أيها الحب» كانت اختياراً أنا أعدته وترجمته ليلاً، أمّا المجموعة السابقة فلا.

المجموعة الثالثة، وهي التي أعدها، فهي تخرج باستمرار بتوهج في لحظات لمتابعة ما هو معروف يمكن أن ندعوها تطلعاً مستمراً.

لقد شُغلت كثيراً دائماً بأنّ الترجمة بإضافة إلى أنّها تأخذ النص في الحسبان - أو بتعبير اصطلاحي - كونها الأكثر أمانة ممكنة، تتموضع جيداً في اللغة المسعفة أو المخرج، يعني أنّها تجذب القارئ إلى ما يمكن أن يكون بالدرجة الممكنة نتيجة جمالية لنوعية معينة. وبهذه المنهجية عملت ترجماتي وفي بعض المناسبات ارتكبت مخالفات ظاهرة للنص.

في بعض الأحيان هي تجاوزات بسبب قصوري أو عدم اختصاصي، حيث يكون نقص في التأكيد أو خطأ ما، ولكن في أحيان أخرى كانت التجاوزات واعية، مقررّة بمحاولتي الاستفادة من أنّ الترجمة يفترض أن تعيد بناء النص، ولهذا كانت التجارب الشخصية مهمة جداً بالنسبة لي؛ إذ من خلالها عملت في إنتاج الترجمة مع المبدعين أنفسهم الذين كنت أترجم لهم.

فقد أعطاني قباني درساً، بل أستطيع أن أقول دروساً، حيث كانت بيننا علاقة وطيدة أثناء إقامته في مدريد؛ لأنّه كان يصرُّ عليّ دوماً قائلاً: «لا تسلط على عقلك أن تكون الترجمة حرفية، وأن تكون أميناً مع نصي، استفد من نصوبي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ليأخذ المعنى وضعاً جيداً في اللغة الإسبانية».

لقد كان نزار قبّاني يعرف الإسبانية قليلاً، وأتذكر أنني في مرات كثيرة كنت أعطيه ترجمتي الأخيرة لنص ما، وبعد أن أسأله عن بعض الجمل أو العبارات، فكان يشطب على الترجمة قائلاً: «لا، لا؛ قل شيئاً مشابهاً لهذا»، أو يقول: «ترجم هذا بآخر؛ لأنّ هذا لا يؤدي بالضبط معنى ما أقوله في هذا البيت، ولكن هذا داخل سياق ما يعنيه هذا البيت».

والأمر نفسه كان يحدث لي مع أدونيس والبياتي، فمن الأخطاء الكبيرة التي ترتكب في الترجمة هو أن الأكثرية العظمى من المترجمين لا يعرفون المؤلف، ولا يتحدثون معه، ولم تسبق لهم علاقة به. إنهما عالمان لا صلة بينهما إطلاقاً، تعقد بينهما علاقة أو صلة ببساطة عبر النص، ولا شيء غير النص؛ فعدم المعرفة هذا وهذا الغياب للحوار المباشر مع المؤلف يقود غالباً إلى أن يكون النص المستغل أو المستثمر أقل مما هو ممكن، وأنا نفسي عانيت هذه التجربة.

(15)

س - لماذا يبقى هذا النوع من الشروح أو التوضيحات متحفظاً عليه تقريباً دائماً؟ يعني أنّه إذا اختار مترجم ما نوعاً ما من الترجمة لماذا لا يثبت هذا النوع أو هذه الطريقة؟ ألا يصير مهماً جداً أن يحاط القارئ بهذه المعلومات أو التقارير؟

ج - نعم، دون شك، الذي يحدث هو أنّ الواحد يقرر الذي يريد أن يصفه والذي لا يريد أن يصفه، أنا كتبت قليلاً جداً عن الترجمة رغم أنّها شيء مما تخصصت فيه كثيراً، ورغم ذلك فيبدو لي أنني في المقدمة الصغيرة التي وضعتها لـ «أنت أيها الحب» وضعت إشارات مختصرة جداً في هذا المعنى، ولكنني لم أطور تلك الإشارات أبداً؛ لماذا؟ لا أدري.

ربما لأنني قليل المتابعة، فأنا لست واعظاً وأهرب ممن يحاول أن يعظني، أنا محبٌ للحرية والاستقلال بعمق، وربما خدمني هذا لاعتبار أنّ كل واحد يستطيع أن يصل إلى استدلالاته وتفسيراته الخاصة.

الحقيقة هي أنّ هذا تعارض مع ما يتعلق بالتخصص التعليمي أو الجامعي، ولكنني أستاذاً دائماً أعتقد أنني تركت حقلاً واسعاً جداً من دروس المناهج والتقنيات والأشكال والقراءات والنصوص والتخصصات. لأنني لو كُلفت بذلك لم أكن لأقبله، حسناً، ربما كان علي أن أكتب أكثر من هذه الأشياء، ولكنها كانت ستكون مملة جداً لي، ولن أستطيع أن أفعل ولا أرى الأشياء التي تضعني في ملل.

(16)

س - في المختارات التي اشركتم فيها مع مترجمين آخرين مثل «الشعر العربي الحالي» اشركتم فيها مع كرويث برابو C.Ruiz Bravo ورايمارتينيث ليو R.I. Martínez Lillo هل تمتعت سيادتكم بالحرية نفسها؟

ج - نعم، نعم؛ فيما عدا شعراء مقاومة فلسطينيون، وهو الذي تشاركت فيه مع الدكتور محمود صبح، وهو الذي أستطيع أن أقول فيه باختصار شديد: إنّه في المحاولات العديدة التي قمنا بها لأجل أن تطبعه دار نشر ذات شهرة مع تأشيرة أو سمة تقديمين، كنا قد تركنا المخطوط والنص، ليس فقط لم يطبع، وإنّما فوق ذلك ضيعوه دون أي تفسير لذلك، يجب أن نذكر كيف كان ينظر إلى المشكلة الفلسطينية في إسبانيا أواخر الستينات.

هذا يفسر أنّه كان يجب الخروج في مكان ليس مضموناً بالنسبة للرأي العام كما هو الشأن في مطبوعات الدار الإسبانية العربية Casa Espano Arabe التي كان لها سمة ذات طابع ملتقط للإرادة لما يسمى القضية العربية، وفوق ذلك الإنتاج الذي لم تكن له وجهة سياسية معينة أو لم يكن كذلك.

في مناسبة أخرى لم يكن بطريقة مباشرة ومتعجرفة، لأنّه في هذه اللحظات كان له اسم في نطاق الاستعراب وفي عالم الجامعة، كان علي أن أواجه بعض عناصر التحكم والمراجعة من قبل منظمة رسمية، وهي عناصر رفضتها بهدف مشروع ترجمة مقالات ونصوص ناقدة للفكر العربي المعاصر، ولم يكن الرفض ناتجاً عن أنفة ولا

كبرياء شخصية، وإنما لأنني بحثت دائماً لأن أظهر شيئاً مع اسمي وأكون مسئولاً عن ذلك. أما المسؤوليات المشتركة فلم أجد لها عندي قبولاً.

بقية المختارات يليها طلبات التزامات وصلوا إليها عبر حظوظ عديدة؛ مختارات ليترال *Litoral* تمت عبر محادثة إعلامية مع مدير هذه الدار الذي كان في ذلك الوقت خوسي ماريا أمادو *José María Amado*.

بالنسبة لشخص متوسط المعرفة لما يعنيه الإنتاج الأدبي وبالتحديد الشعري فإن ليترال اسم أسطوري وهي ترمز إلى أشياء عديدة، لهذا فإنه بالنسبة لي وللأشخاص الذين تعاملوا معي كانت أنفة أو فخراً يمكن أن يظهر مترجماً ضمن مجموعة طبعتها هذه المجلة. بالنسبة لطبعة الرثيفي *Arrecife* المرسية صدرت أيضاً نتيجة لبعض المحادثات التي عقدتها مع المسئول عن هذه المختارات من الآداب المختلفة.

إذا لوحظ بعناية هذه المختارات والمختارات السابقة من الشعر العربي المعاصر أو الواقعي فيمكن أن نرى أشياء مهمة، فمثلاً وبوجه خاص في "زمن الشعر العربي" بدأت تظهر ترجماتي التي تعكس الإنتاج الشعري لبعضهم، مناطق من العالم العربي، كانت عملياً حتى ذلك الوقت ليست في الحسبان، أو لم تعرف مثل الشعراء المعاصرين للجزيرة العربية، أو شعراء المنطقة المغاربية، فأنا - وعياً أو إدراكاً وإن كنت مالكاً أو متحكماً في تخصصي واتجاهي المفضل لشعر المشرق وأدب المشرق في مجموعه - أعتقد أن ذلك هو الأقل سوءاً فيما أعرف، لقد أهمني كثيراً أيضاً أن أفتح إمكانيات للتوسع في المعارف في تراب البلاد العربية المجهول حتى ذلك الوقت.

ما هو مغربي اليوم تحافظ عليه قنوات أخرى، وإن كان كثير منها افتراضات تقليعية ووقوتية، وهو ما لا أوافق عليه، ولكن هذا موضوع آخر.

ومن مفاتيحي الأخرى لأطروحاتي للاستعراب عامة، وما يتعلق بالثقافة والأدب العربيين - وهو ما يبين ما أنجزته من عمل - هو أنه بالنسبة لي يشغلني ما يمكن أن

نسميه: كل ما هو عربي، ضمن ما هو عربي، أنا أتوافق قليلاً ولا أشعر بشيء، أو قليلاً ما أميل إلى تعميم صارم أو شديد وملزم للعالم العربي، ما زلت أتابع اهتمامي العميق بما يمكن أن ندعوه «عناصر التقارب والاتفاق» التي تفعل فعلها في هذا العالم، وفي هذا السياق وإن كنت أعلم بطريقة واعية صعوبات الموضوع يهمني أن أذهب محدداً ومبيناً ومجلياً المظهر لكل ما هو عربي داخل ما هو عربي.

(17)

س - هل هو نوع من المراهنة على القومية العربية؟ على نصرته ما هو عربي؟

ج - لا، ليس هو مراهنة على ما هو عربي أو على نصرته ما هو عربي، وإنما هو اتفاق يتعمق كل مرة أكثر مما يمكن أن يعمل، وليس إهداء أو شرب نخب في أشعة الشمس، لأنه توجد عناصر تسمح بإقامة هذا الاتفاق، ولأنه يجب أن يقام، وفي حال ثقافة تقريباً مهددة في وجودها تهديداً خطيراً، لا أريد أن أكون مبشراً بالذعر، ولكنني نعم أنا رجل زمانه، فيبدو لي أنّ واحداً من بين التحديات الثقافية الكبيرة والأسطورية يمكن أن تنجم عند أحد ما. التحدي من وجهة نظر ثقافية واسع جداً، أو فوق العادة، لأنها محاولة شرح الماهية وشرح الأسباب بالرغم من كل ما يفتقده الموضوع وكل الصعوبات، لأنه جزئياً وفي بعض مناطق الإنتاج الإنساني شيء يمكن أن يعمل كمجموعة عناصر، إنه تحد ثقافي بالدرجة الأولى، وبما أنني أحب كثيراً التعامل مع التحديات الثقافية فإنني أتقدم إلى ذلك.

(18)

س - هذا يجب أن يتعلق بما قيل قبل قليل، يبدو أنه بإيقاع إعلاني من نوع

«تقليعة في سبيل ما هو مغربي»؟

ج - نعم؛ من المفترض أنه كذلك، أعتقد أنه واضح بشكل كاف، يحدث كما هو الشأن في كل الحالات فجأة يكتشفون أشياء كانت قد اكتشفت، إضافة إلى ذلك

توجد خلفية أكثر مادية وأكثر آنية، ففي أية مؤسسة من المؤسسات الإسبانية القليلة التي تختص في هذه الأشياء منح المخططات والمساعدات له سوابق أو أوليات، فإذا كنت تقدم مخططاً يحتفي بهذا العالم المغربي الذي يمكن أن يكون «شريكنا في البحر المتوسط» - كما يقال - وهذه المخططات والمساعدات ليست بعض أجزائها أكيدة ولكنها في أجزاء أخرى هي أيضاً إنتاج الموضة، تعطي مساعدة أكيدة تخصصها فيما بعد لأشياء أخرى لم توهب من أجلها المساعدة، لا أريد أن أنفي هذه الحقيقة وهذه الإمكانيات أو التوقعات الموجودة.

نعم ما أريد أن أقوله هو أنه يوجد تضخيم لبعض الموضوعات وتفعيل لما هو ظرفي، وسياسياً صحيح أنني دائماً معروف بكوني مستعرباً سياسياً، وفي هذا المعنى مشكوك في، ولم أكن أبداً متدخلًا في تفعيل هذا الخط من المساعدة الموازية والمشكوك فيها.

أيضا يوجد عنصر واضح وهو العمل على العربي المغربي يتطلب معرفة باللغة العربية أقل درجة، فبصراحة الجزء الأكبر من المصادر والمراجع الموجودة والمحادثات المباشرة التي يمكنك إقامتها مع أفراد من هذه المنطقة كلها تقام في اللغة الفرنسية، وبما أنه يوجد عدد لا بأس به من المستعربين الذين لا يعرفون اللغة العربية، وعدم المقدرة الكبير - الواقع في التعامل مع اللغة تحريرية أو شفوية - أوجد مكاناً للعمل السهل غير الجيد، مع نصف معرفة للغة فرنسية، هي أيضاً ليست عميقة، وكثير من الجراة الشخصية، أجل قليل من الاحترام الفكري يمكن أن يعمل على عوالم عديدة ضامناً لك ذلك إضافة إلى بعض النجاح السريع والمعترف به، إنها مشكلة أخلاقية، وكل واحد يعطي إجابته الشخصية.

هذا الوضع غير متفق مع مطالب نشاطي، ومع رؤيتي للغة وأشياء أخرى تحدثنا فيها، العمل على المغرب يبدو أنه أكثر سهولة من أن يعمل على المشرق، وهذا ليس هزلياً بل هذا أساسي أو جوهري.

(19)

س - عوداً على تناول ترجمة الشعر نحب أن تحكي لنا عن قلة المطبوعات المزدوجة اللغة لديكم؟

ج - قبل بضع سنوات كانت الطباعة في اللغة العربية في إسبانيا مشكلة تقنية واقتصادية، يجب ألا ننسى إضافة إلى ذلك أنّ الجزء الأعظم من تلك الترجمات - وخاصة ترجمات الشعر، وهو جنس قليل الانتشار - كانوا يقومون بها استناداً إلى اشتراك دور نشر صغيرة ذات إمكانيات اقتصادية قليلة، أمّا الآن فالوضع مختلف، ويمكن الطباعة في اللغة العربية دون صعوبات كثيرة.

في مظاهر معينة المنشورات ذات اللغتين هي الأحسن، وفي أخرى لا أعتقد أنّها مفيدة بل بالعكس تماماً، ولا أقول هذا مرجعاً إياه إلى النواقص التي يمكن أن تعترى بعض الترجمات، لأنّ هذا يمكن أن يوجد دائماً، وإنما إلى انحراف النية الذي نجد له معنى في حالات عديدة.

إنّ الطبعة مزدوجة اللغة مغرية بشكل خاص للشخص الذي يعرف اللغتين؛ فهذه الطبعة لا يحدث عنها قراءة موازية، وإنما في حالات كثيرة قراءة مازجة أو تخلط بين اللغتين، وهذا تعقيد للقراءة ولتقييم النص الأدبي. ولكن لا يفهم من هذا أنّي ضد الطباعات المزدوجة اللغة، فبالأساس يبدو لي مناسباً أن تُعمل هذه الطباعات.

(20)

س - في محاولة ترجمة الشعر السؤال الملح: هل جرّبت سيادتكم حسب علمكم - كلا الأسلوبين؟ أي ترجمة الشعر إلى شعر، و ترجمته نثراً؟

ج - يعتمد علي النص الذي تترجمه؛ ففي حالتي واضح أنّني ترجمت - قبل كل شيء - نصوصاً مما يسمى الشعر الحر، أو بوصف أحسن: الشعر الذي لا يخضع بشكل

صارم لعبودية الإيقاع والقافية وبشكل خاص الإيقاع ولكن بالنسبة للقافية فنعم، فأنا كان لدي هامش من إعادة الإبداع وجعله أكثر طواعية.

توجد نقطة أساسية وهي أن يكون المترجم واعياً بأن نصاً معيناً قد ينقل إلى لغته أحسن من نصوص أخرى، والنص الذي ينقل أحسن هو الذي تستطيع بشكل مباح أن تعيد خلقه أو إبداعه. إذا كنت متأكداً من وجود نصوص تنقل بشكل سيء، أو لا تنقل، أعتقد يجب أن تلغي ترجمتك لهذه النصوص. في هذا المعني أعيد أنني قد ترجمت أشعاراً للسياب؛ ستاً أو سبع مرات، بل عشر مرات، لقد قمت بالعديد من الترجمات وفي النهاية لم أنشر شيئاً منها على الإطلاق، لأنها ستكون خيانة للشاعر. الشاعر الكبير سيكون بالتأكيد شاعراً عادياً أو غير ذي بال، وهذا سيكون خيانة، أنا لست مستعداً للقيام بها، احتراماً للمؤلف ولإنتاجه.

أحاول - في حدود ما يمكن - أن أقوم بترجمات ذات فقرات موسيقية داخلية أو تتمتع بأقصى إمكانية من التقسيم إلى فقرات إيقاعية داخلية؛ ليست صارمة ولا خاضعة لفقرات صارمة لازمة، وأيضاً في حدود ما يمكن من استغلال إمكانيات العبث النحوي الظاهر؛ لأنه واضح أن تركيبات اللغة الإسبانية وتركيبات اللغة العربية مختلفة جذرياً بالرغم مما يقال، وهذا يحملك إلى ما هو أساسي في المترجم؛ في النص الأصلي تبني الجملة بطريقة معينة، وأنت تعيد بناءها بطريقة أخرى، وفي بعض الأحيان وبعض الحالات وخاصة المفضلة إذا استطعت إدخال أثر من قافية أو إشارة مرنة من قافية فإنني أثبتته.

ترجمة الشعر وترجمة كل نص أدبي هي نوع من إعادة بناء النص، فالآن يجب أن تعرف جيداً ما هي العناصر التي تملكها ما المواد التي تعدّها أو تجهزها وتهيئها وكيف تضع كل قطعة في مكانها. أنا لم أفعل ذلك ولكني أعتقد أنه يمكن التنظير لذلك ومناسب أن يتحقق فعلياً، أنا لم أقم بذلك لأنني لا أشعر بأنني قادر عليه ولا أرغب فيه.

(21)

س - مروراً بوصف بعض الخطوات والأساليب التي كنت تتبعها وقت الترجمة، هل كونت في عقلك [أو في تصورك] أي نموذج للشعر في اللغة الإسبانية؟

ج - لم أطرح على نفسي هذا السؤال أبداً، ولكن ربما يوجد عندي النموذج مما يسمى الشعر الحر نفسه، أو قصيدة النثر في اللغة الإسبانية، لقد قلت نماذج تحت المستوى وغير واعية بعمل الشعراء الذين يكتبون في اللغة الإسبانية بمرونة كبيرة مثل البرتي *Alberti* أو بببي بيرو *Pepe Hierro*، أي عمل الشعراء الذين ينضوون تحت جيل الـ 27 حتى الآن.

من جانب آخر يمكن أنه كان يحضر في ذهني أيضاً أمثال أنتونيو ماتشادو *Antonio Machado* الشاعر الذي أعجبني ويعجبني دائماً، وأيضاً بعض الأشخاص من أصدقائي مثل خواكين بينيتو دي لوكاس *Joaquin Benito de Lucas* الذي تحدثت معه كثيراً حول الشعر، أو فرناندو كينيونس *Fernando Quiñones*، وهذا الحضور لهؤلاء الشعراء لم يكن متدخلًا فيما هو شكلي، ولكن في مظاهر عميقة نعم هو كذلك، وفوق ذلك في مظاهر اتحاد الحساسية والعقلية.

نعم ما قمت بالتحقق منه هو أن المبدعين هم الأقل احتراماً أو تكريماً من النصوص، فنحن نكرم المترجمين أكثر جداً من المبدعين للنصوص، فالمترجمون يعطون بعض الهوامش، ويتمتعون بتسامح مع النص المدهش أو المفاجئ في الحقيقة، وقد استفدت من هذا كثيراً.

(22)

س - هل تتابع سيادتكم قراءة الشعر الإسباني المعاصر لأجيال لاحقة؟

ج - نعم؛ لكن الشعراء المتأخرين يعجبونني أقل، لقد تعلق قليلاً بشعراء أجيال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات، وعلى سبيل المثال شاعر قرأته بشغف

وهو كارلوس سآغون Carlos Sahagún وهو شاعر قليل الإنتاج، وشاعر لم أذكره من قبل وقد أثر بالتأكيد في ترجماتي دون وعي وهو الشاعر كلاوديو رودريغث Claudio Rodriguez، لقد كنت قارئاً لشعر رائق وشائق ومستمر، وما زلت كذلك وإن صرت بشكل أقل، والسبب بكل تأكيد هو أنّ اهتماماتي منذ سنوات لم تتعلق فقط بما هو أدبي، ولا بما هو ترجمة ضمن الأدب، وإنما تلبي بشكل أكبر طلبات أكثر عمومية واضطراباً، وأكثر تحدياً، وهي كلها لدي إجابات قليلة عنها.

(23)

س - هل تشير سيادتكم إلى أمور سياسية؟

ج - لا؛ أنا أقصد قضايا تشكل السياسة جزءاً منها، وليس السياسة فقط هي الكل فيها، أقصد شيئاً ببساطة غير محدد، كما هو الشأن في الثقافة، وبالنسبة لي فإنّ ما يهمني ويعينني منذ سنوات عديدة هو أن أقوم بتفسير -صحيح ما استطعت إلى ذلك سبيلاً - للوضع الثقافي العربي المعاصر، والسياسة تدخل ضمن ذلك كما هو الشأن في أشياء أخرى كثيرة.

(24)

س - هل كانت سيادتكم تفكر عند قيامكم بالترجمة في أي نوع محدد من الجمهور القارئ؟

ج - لم أفكر في أنّ الجمهور القارئ سيقراً الترجمة بتذوق، وإضافة إلى ذلك أن يقرأ تلك الترجمة أداة تبعث على القلق، بالنسبة لي ما شغلني دائماً هو أن القارئ المتوقع أو القارئ لنص عربي ترجمته لا يكون مقتنعاً فقط بهذا وإنما يقرر مواصلة القراءة وتوسيع قراءاته ومعارفه حول هذا، ولكن في النهاية أفكر في جمهور يمكن أن نقول عنه: جامعي، لا، فالأدب يمكن أن يقرأه كل الناس، يمكن أن يتذوقه كل الناس،

وفي كثير من الحالات فإنَّ شخصاً دون تكوين عال يمكن أن يلتقط أو يتلقى القيمة الأدبية للنصوص أحسن من شخص آخر ذي تكوين عال.

(25)

س - هل تريد سيادتكم أن تحكي لنا شيئاً حول استعمال الاستعراب والترجمات؟

ج - بالنسبة لي هي محاولة، كما استطعتم أن تثبتوا أو تجربوا دائماً أنني أدخل الاستعراب في كل معالجاتي فهو شيء أقوم به بوعي تاء؛ استعرابات تدخل في مجموع الأشياء المعروفة بصورة أقل - فبعض المترنمين في الاستعراب ليسوا مستعملين الآن في الظاهرين، ولا في الذين يعطون انطباعاً حسناً؛ أي الذين يقولون لك شيئاً.

أنا واعي بأن هذا يلجئ القارئ - في أحيان كثيرة - إلى شيء غير مريح بدرجة كبيرة؛ مثل اضطراره إلى أن يبحث في المعجم، فمن المعتاد أن القارئ عندما يقرأ لا يريد أن يبحث في المعجم. ولكن حسناً؛ إذا اضطررنا إلى هذا المجهود الصغير فليقم به، لأنَّ القارئ يجب عليه أيضاً أن يعمل قليلاً، أليس كذلك؟ في النهاية أنا فطن إلى أن ذلك سلاح ذو حدين.

في كل الأحوال أعتقد - لا أعلم، لا أهدد - أنني سأفعله كل مرة أكثر، لأنه من جانب آخر هي طريقة غير مباشرة تسمح للقارئ بزيادة رصيده من المعارف اللغوية في لغته نفسها، واضح أنه إذا استعملت في بعض الأحيان المصطلح الريس *arraéz* مثلاً أو مصطلح رصع *taracea* والذين يمكن أن يفهما بمعنى معين، ولكنني استعملهما بمعنى مختلف أعتقد أنه ينمي المعارف اللغوية للقارئ الإسباني، ومن ثم سأتابع فعل ذلك، مشكلة الاستعراب إذا كان يوافق أو لا يوافق إذا كان القارئ عندما يقرأ الاستعراب يحس بالقلق إذا أحس بطريقة ما بأنه يصارع تحدياً، أو العكس؛ يترك النص ويفكر: "فلنترك هذا فهذا شيء سهل، لا أريد المتابعة"، وعلى أية حال فإنَّ استعمال الاستعراب يستجيب لقرار واع من جانبي.

(27 / 26)

س - ما رأي سيادتكم في منح جائزة نوبل إلى نجيب محفوظ؟

ج - يا هذا؛ ليست شيئاً كبيراً.

س - أما كان يمكن أن تمنح مثلاً لتوفيق الحكيم؟

ج - هذه حقيقة، أنا أيضاً كتبت ذلك، وبأن منح جائزة نوبل لمحفوظ كان اعترافاً متأخراً بقيم الأدب العربي المعاصر، وأن ما يتمتع به محفوظ من جدارة كان يملكه أيضاً توفيق الحكيم أو طه حسين أو جبران خليل جبران فهؤلاء الثلاثة هم، بكل تأكيد - بالنسبة لي - أكثر ثلاثة أعلام تستحق الذكر في الأدب العربي المعاصر، في الوقت الحالي لا يبدو لي شيئاً من الجنون أن نتوقع منح جائزة نوبل إلى أدونيس الذي كان قد سمي ذات مرة بين المرشحين، أو إلى محمود درويش مثلاً، أو إلى قَبّاني أو البياتي اللذين يزامنان محفوظ، ويمكن أن نذكر: أن منح الجائزة إلى محفوظ وليس إلى يحيى حقي أو يوسف إدريس مثلاً، يطرح مشكلة خطيرة جداً في مصر.

ومع ذلك تاركين كل هذا جانباً ومعترفين أن منح الجائزة إلى محفوظ كان من وجهة نظري عادلاً، وإن كان متأخراً ومن ثم بخيلاً - كما عبرت عن هذا كتابة - أيضاً فإنه من الأكيد أن محفوظ كان يستحق ذلك دون شك، أما أنه قد يوجد وراء المنح إشراك ترتيبات ذات طابع سياسي فهذا مظهر آخر للقضية. وأن أثر هذه الجائزة كان جيداً للأدب العربي ليملك اعترافاً عاماً، إنه من الأكيد أيضاً كذلك، ولكن لم يكن قليلاً أن هذه الجائزة وقعت موقعاً سيئاً على الأدب العربي في مظاهر أخرى، فظهر الإنتاج الأدبي العربي المعاصر عند كثيرين هو أدب نجيب محفوظ فقط، وصار محفوظ عندئذ استثناء في صورة عامة من الفقر، واحة في منظر صحراوي. كما كان منح الجائزة سلبياً أيضاً لأنه منح ويمنح لتأخيرهِ وقتاً لا بأس به لجائزة ثانية من نوبل للعربية، فكان لسان حال القائمين على الجائزة: نمنحهم واحدة في عام ثمانية وثمانين،

سينتظرون خمسة وعشرين أو ثلاثين عاماً ليحصلوا على اختيار ثان، وهي في هذا المظهر سلبية جداً.

(28)

س - في رأينا أنّ سيادتكم تصرّفت كمنتج للأدب، فإذا كان الأمر كذلك فهل دفع هذا الترجمات الأدبية من العربية التي قام بها أشخاص آخرون إلى اتجاه معين، ماذا ترى سيادتكم؟

ج - أجل في حالة محفوظ لا اعتقد أنّه كان يوجد تأثير على الإطلاق، بالدرجة الأولى أنا ترجمت فقط ذلك النص - الأول في اللغة الإسبانية - لمحفوظ «همس الجنون» المطبوع في الرابطة، وبعد ذلك ها أنا لم أترجم شيئاً غير ذلك، وبالدرجة الثانية فبعد خمسة أو ستة أيام من منح الجائزة لمحفوظ قلت - في نشاط عام بمقر جمعية الصداقة العربية الإسبانية - لم أتجه لترجمة شيء له، ولو كنت قررت ذلك لثم الأمر؛ لأنّني كانت لي أسبابي الشخصية لذلك، وبالدرجة الثالثة منذئذ أنا لم أوجه أو أقد أية دار للنشر ولا أي مؤسسة مهمة بترجمة وطباعة أعمال محفوظ.

أعتقد بما أنّ محفوظ وأعماله كانا طعاماً لذيذاً تفتتح له الشهية، وبما أنّ كثيراً من الناس داخل الاستعراب - خاصة داخل الاستعراب - كان يتطلع إلى مظاهر التمكن والتقدم، فكان محتاجاً لعمل أشياء، وكان يمكن أن يعمل جيداً، كل ذلك أوجب أو أوجد إنتاج نوع من التعجيل بالاتصالات بدور النشر للبدء في ترجمة إنتاج محفوظ، ويمكن أن بعض هذه الأحداث من الاتصال أو الاتصال الكثير جداً من دور النشر، ربما جعل البعض يحاول إدخال عنصر متعارض مع مهنية بيدرو مارتينيث منتابث مترجماً، وبالتالي فإنّني أيضاً لم أقع من عل، وهذا ليس - على الإطلاق - ذماً أو تأنيباً، ولا هي محاولة لنقد أحد معين، لأنّه إضافة إلى ذلك هو محاولة أشخاص أكن لهم تقديراً، ولكن فلتتنبهوا أنّه عندما توهب جائزة ترجمة داخل الاستعراب لم يكن الممنوح بيدرو مارتينيث مونتابث.

(29)

س - هل شكلتم ذات مرة جزءاً من الأعضاء المحلفين للجائزة الوطنية للترجمة؟
ج - نعم؛ يبدو لي أنّ ذلك قد حدث في العام الذي كانت فيه هذه المهمة أيضاً جزءاً من عمل السيد إميليو [غرسية غومس]، ولكنه العام الذي كانت فيه منحة أخرى في عالم الاستعراب ولذلك لم أكن أنا هناك أي ضمن الأعضاء المحلفين.

الآن جيد؛ عوداً على السؤال [الذي قبل السابق]؛ إذا كنت قد استطعت التأثير - عبر أعمالي التي ترجمتها - على مترجم آخر لمؤلف معين؟ سأقول: نعم؛ بما في ذلك أنهم سرقوا مني أفكاراً! نعم؛ أنا في لحظة محددة - مثلاً - قلت في درس: إن يوسف إدريس كاتب جدير بأن تترجم أعماله، فترجمت فيما بعد، وأنا أقول هذا دون أقل شيء من عتاب أولوم، وجيد جداً أن تترجم أعمال إدريس، فالذي يحدث هو أنّه من الصعب جداً أن من يترجم بظرف معين مثل هذا يقول فيما بعد في هامش «أحيل إلى إشارة الأستاذ مارتينيث مونتابل إلى أهمية إلخ»، فهذا ليس معتاداً.

أيضاً - مثلاً - في كتابي: مدخل إلى الأدب العربي الحديث المنشور عام 1974، في طبعة سيئة مليئة بالأخطاء المطبعية - والأمر كان أقل سوءاً بأن أستطيع إصلاحه - نبهت قليلاً إلى أهمية أن يبدأ الاستعراب الإسباني بتناول الأدب المغربي، أو نعم: في لحظة ما، قلت أو كتبت أنّ داخل المنظر العام للأدب الذي كتبته النساء في العالم العربي الحالي «عمل سلوى بكر الذي هو من بين الأعمال الأكثر أهمية، واضح، أنا أعلم أن هذا يؤخذ، توجد أمثلة عديدة من قبيل هذا المعنى.

(30 / 31)

س - ولم تكن أبداً مسمى في لجنة المحلفين؟

ج - لا أعلم، ولا عُنيْتُ أيضاً أبداً بعلم ذلك.

س - وفي الاتجاه الآخر؛ أي في الترجمة من الإسبانية إلى العربية هل تعتقد سيادتكم أنكم استطعتم التأثير؟

ج - لا، لا أعتقد ذلك، ربما كان ذلك في السنوات الأولى عندما كانت لي علاقات أكثر بمحمود صبح، فقد استطعت أن أزوده ببعض الطرق لترجماته التي قام بها⁽¹⁾. في كل الأحوال ما أعتقد أنني نعم كان لي فيه دور مهم هو ما يتمتع به الأدب والنقد العربي المعاصر من نشر ومعرفة حول غرسية لوركا، في هذا المضمار نعم أعتقد أنني كنت حاسماً؛ من خلال الأطروحات التي أشرفت عليها والمقدمات التي كتبتها لبعض الأعمال في اللغة العربية عن غرسية لوركا García Lorca، لقد أقيم في معهد ثربانتس Cervantes بعمان منذ بعض السنوات معرض لترجمات لوركا إلى اللغة العربية، والدراسات التي أُقيمت في هذه اللغة عن الشاعر وشعره، وهذه الأخيرة أشرفت عليها لولا إنفانتي Infante Lola التي كانت أيضاً تلميذتي، وقد برز اسمي بشكل متكرر، وفوق ذلك في حال لوركا؛ نعم.

(32)

س - بالفعل؛ سيادتكم قمتم - أثناء سنوات كثيرة - بدور الممثل الرسمي للثقافة الإسبانية في الشرق الأوسط...

ج - يوجد وجوه عديدة من أنشطتي غير معروفة جيداً، فقليل من الناس في هذه البلاد من يعلم أنّ واحدة من أهم الصحف الأسبوعية العربية - وهي المصرية أخبار

(1) قام الدكتور محمود صبح الفلسطيني الأصل والأستاذ بجامعة الكوميلوتنسي بمدريد بالعديد من الترجمات للنصوص الأدبية إلى العربية ومن أهمها ترجمات ودراسات للأدب الإسباني مثل دراسته وترجمته لمختارات من ديوان «رب مراد مريد»، للشاعر الإسباني صاحب نوبل للأدب عام 1956 خوان رامون خيمينيث (1881-1958) - انظر [ديوان رب مراد مريد للشاعر الإسباني خوان رامون خيمينيث، دراسة وترجمة د. محمود صبح، مجلة أوراق جديدة، المعهد الإسباني العربي للثقافة، 7، 8/ 84-1985 ص 19-55]، ومن بين ذلك قصيدة الشاعر الإسباني خورخي مانريكي (1440-1479) التي رثى فيها أباه وهي في روحها تشبه مرثية الأندلس لأبي البقاء الرندي، أو رائية ابن عبدون في رثاء بني الأفطس، انظر [خوخه مانريكي في رثاء والده، تقديم وترجمة د. محمود صبح، مجلة أوراق، المعهد العربي الإسباني 6، 5/ 82-1983 ص 51-64] المترجم.

الأدب التي يرأسها جمال الغيطاني - قد أفردت لي عدداً خاصاً، ولا يوجد شك بأن هذه الصحيفة مهمة وذات صيت منتشر، هنا لم يهتم أحد تقريباً ولا حتى في حجم ما قامت به الصحيفة المصرية، وعلى العكس من ذلك فحينما طبع هذا العدد الخاص من أخبار الأدب كان بعض طلابي من السنة الثالثة أو الرابعة في تلك اللحظات في تونس وجيد أنهم علموا بذلك.

فقد كان بالنسبة لي واحداً من أكبر الأشياء التي بعثت في نفسي الرضا في حياتي الوظيفية أن بعض أولئك التلاميذ بعد عودتهم من تونس عمدوا إلى زيارتي ورؤيتي بحماس شديد.

أيضاً يبدو لي أنه ذو معنى كبير أن في العدد التذكاري لقبّاني الذي طبعته الجامعة الأمريكية في بيروت قبل موته بأيام، كان الإسهام الوحيد الذي كتبه مستعرب إسباني هو إسهامي، وإن لم يكن لهذا الإسهام الفرصة في أن يعرف، وإن كان هذا بالنهاية مفهوماً جداً؛ لأنّ كل الناس يعلمون أنني عملت كثيراً عن قبّاني. يمكنني أيضاً أن أعطيكم أمثلة أخرى كثيرة في السياق نفسه، واضح جداً أنني شخص معروف جداً في العالم العربي؛ فمن المعتاد أنه عندما يذكر بيدرو في الوسط العربي كثير من الناس يعلمون من يعنى بذلك، عندي ترسانة من المطبوعات عني في الصحافة العربية - أحتفظ بها جميعاً - يوجد كثير جداً، وفي مناسبات كثيرة بجنون. سأحكي حكاية بهذا الشأن؛ فمن المعتاد أن أقرأ خمساً أو ست صحف عربية يومياً أشتريها من أكشاك الصحف في مدريد وأدفع ثمن ذلك من جيبي الخاص دون أي مخطط من بحث ولا مساعدة، نعم جيد، كنت ذات يوم أقرأ صحيفة الحياة وهي صحيفة أحب أن أقرأها يومياً فأريت خبراً يقول «رحيل المستشرق بيدرو مارتينيث مونتاث»، لقد قتلوني! لم أقل شيئاً، لقد نقلوا الخبر، كما فكرت [عن وسائل غير موثقة] ولكن بعد ذلك بثلاثة أو أربعة أيام استدركوا هذا الخبر غير الصحيح.

(33)

س - هل تعتبر سيادتكم عملكم في الترجمة انقطاعاً لتيار ترجمات الأعمال القديمة التي كانت توجد في اللغة الإسبانية؟

ج - لا، طبعاً، وأؤكد جازماً، أنني لم أعتبر أبداً عملي في الاستعراب - ليس فقط في حالة التقديم التعليمي لمذاهب جديدة أو مترجماً - انقطاعاً، بل أكثر من ذلك يمكن أن أقول بكل وعي: لقد حققت ذلك بطريقة لا يستطيع اعتبارها انقطاعاً، ولا اعتبرتها أيضاً استمراراً لذلك، وليس فقط استمراراً؛ بل تطوراً وتوسعة، نعم، كمتمم ومكمل ليس مفهوماً على الإطلاق في سياق أكثر سوءاً.

طبعي أن أعلم أن الأغلبية الكبيرة من الأشخاص قد صنفوني ثائراً، صنفوني مقاطعاً، وصنفوني بأشياء أخرى كثيرة لا أعلمها، من جانب آخر فإن ما اختلف فيه - مختصاً في عملي عن كوني ملاحظاً للواقع العربي - مع الرؤى الأساسية للاستعراب السابق، يدخل واضحاً جلياً ولم أنفه مطلقاً، ما اختلف فيه مع بعض أساتذتي - وأصر على أنه موضوعي - وهو أيضاً واضح وضوحاً كبيراً، ولكن لم تكن له علاقة على الإطلاق بحماسة أو اندفاع لانقطاع أو مقاطعة أو طموح، أو هوى نقدي ليس متمكناً من الأوضاع السابقة، هذا عندي واضح جداً؛ إنه انقطاع لأنه انفتاح على عوالم أخرى، على مظاهر أخرى، ومناهج أخرى، ورؤى أخرى، وقلق آخر، وأهداف أخرى، ولكنّه لن يعارض، ولن يسعى للهدم، ولا شيء من هذا، أنا أعتقد أن من يدرسون أعمالي بموضوعية لا مجتزأة، ولا متحيزة، سيجدونها هكذا.

لا أعلم إذا كانت سيادتكم قد اطلعتم على فصل طبعته مدرسة المترجمين في طليطلة عن ترجمات الأدب العربي المعاصر؛ فإلى جانب أنه كان مدهشاً في إثبات الملاحظات والإحالات في الهوامش، فإنه لم يذكر الدكتور مارتينيث مونتابلث سوى مرة واحدة، بينما أشخاص آخرون ليست لهم أية علاقة في العمل في أعمال ترجمات الأدب

العربي المعاصر نجدهم مذكورين عدة مرات، بالنسبة لي هذا يلفت انتباهي بدون حذر، يقال عني إنني المسؤول عن المقاطعة لنظرية المعرفة مع الدراسات العربية السابقة [أي الرؤية الاستشراقية]، الأول هو أنك لا تعلم إذا كان الشكر الذي يقدمونه لك هو صادق، أو هو بالضبط على العكس من ذلك؛ فمن يقوله أي نية تبعثه على قوله؟ هل هي نية الثناء أم نية الفضح والإقصاء؟

يلفت انتباهي دون حذر، ولكنني أعتقد موضوعياً أنّ التأكيد ليس صحيحاً، إضافة إلى أنّ الحديث عن المقاطعة لنظرية المعرفة يبدو لي أنّه معقد جداً في استعماله بهذه الطريقة السريعة جداً، وهكذا إذا بعثت رسالة إلى نظرائك المحبوبين الذين أكدوا ذلك وقلت لهم: لا أعلم إذا كنتم ستفهمون نية تصريحتي... لماذا تحول الاستعراب إلى شيء معقد جداً، إلى شيء خدمي أو إضافي زائد جداً، إلى تابع جداً، يخلو من أية حرية داخلية تعبر عن ضمير الإنسان، أخيراً تقول لهم: أولاً أشكر لسيادتكم ذكري، وثانياً فإنّ الفصل كان قد حضرني عند ذكر أغنية من نوع سوليا Soleá لبيني بنتو Pepe Pinto وهو سهل نسبياً، لأنّ الفلامنكو Flamenco هو هواية أخرى من هواياتي الكبيرة، الذي يشير إلى النادر، إلى مظهر ثوب سيدة.

أخيراً أعتقد أنني في كل حياتي - نعم - كنت رجلاً له مقاطعات، ولكن دائماً مقاطعات أو تجاوزات محترمة لكل ما تحقق سابقاً، ولا أريد أن أقول بهذا إنني إصلاحي، ربما أكون على الأحسن محطم التماثيل، لقد احترمت احتراماً عميقاً بعض الأشياء التي تحققت. ربما الأفراد أحترمهم أقل، ما يعنيني هو ما يفعل، وأقل من ذلك هو من يفعلونه.

(34)

س - لقد تحدثت سيادتكم عن «محاولات»، وتجاوزات أو مقاطعات وإذا حضر إلى أذهاننا شيء سمعنا سيادتكم تقوله منذ وقت طويل قليلاً، عندما عدتم من المكسيك، وهو ما أثارنا كثيراً، قالت سيادتكم لو كنت في المكسيك قبلاً لم أصر مستعرباً، ولكنني

سأكون أمريكانيا، هذا التأكيد بدا لنا مدمراً أو محبطاً، هل تجد نفسك مخذولاً أو مخيب الآمال؟

ج - لا، لست محبطاً، لا على الإطلاق، أنا كنت مستعرباً وسأظل مستعرباً، أنا في هذا المعنى مثل الموريسكيين المهاجرين إلى تونس، سأظل مسترداً أو مستلهملاً ظروفياً، لكن ما هو واضح عندي هو أنني كما قلت قبلاً اعترضتني دائماً تحديات كبيرة، لقد حاولت دائماً أن أتصدى لهذه التحديات الكبيرة في حجم قدراتي المتواضع، ومن ثمّ فإنني أعتقد أنّ التحدي الأكبر بالنسبة لأيّ إسباني هو معرفة الواقع الأمريكي [أمريكا اللاتينية]، وهذا يدخلك في عدة مهاو ضاغطة في الحقيقة، واضح أيضاً أنّ التحدي الفظيع هو معرفة الواقع العربي وانطلاقاً من ذلك معرفة علاقتنا الممكنة مع ما هو عربي، ولكن المجابهة هي أكبر بكثير مع الواقع الأمريكي، وبالنسبة لي هذا أنتج إزعاجاً لي.

لقد واجهتني أزمت مهنية كثيرة مثل أي مستعرب له قيمة في الاستعراب، أو مثل كل فرد له قيمة، لكن الأكثر أهمية كان الاتصال مع المكسيك عدة شهور، فقد كانت إقامتي في هذه البلاد مشترطة بأن أعيش وحدي لوقت ليس قصيراً حتى وصلت زوجتي التي بقيت هناك بعض أيام، أيضاً في إشبيلية عشت وحدي، وعندما تكون وحدك تملك من إمكانيات ملاءمة نفسك الكثير جداً، وتتغلب على الواقع الذي لا تستطيع أن تقاومه وأنت لست منفرداً، كما قال ماتشادو Machado في بعض الأبيات: «من يتحدث وحده ينتظر أن يتحدث مع الله يوماً ما، وإن لم أكن مؤمناً، الواقع الجمعي لإسبانيا وأمريكا غير منضبط أو غير محاط به ولم يسر غوره، وقد تسبب لي في صدمة فظيعة، ولأنّهُ لفت انتباهي مع بلوغ عمري الأربعين وزيادة، ولو كان ذلك عندما كان عمري عشرين عاماً لصرت أمريكانيا أو مختصاً في الشأن الأمريكي، وأقول هذا ليس إحباطاً أو خيبة أمل في الاستعراب الذي ثبت، وإنما لأنني لاقيت تحدياً ما زال يقلقني أكثر، وربما على الأحسن لأنني غير واعي قليلاً أثارني ذلك.

أعلم أن الناس يقولون أنني خائب الأمل في الاستعراب، وأنتي متشائم جداً، ولكن هذا كلام يقال عندما لا تعرف شخصاً ولا عندك حتى الحد الأدنى من حجم الحديث معه، لأن الحوار في الاستعراب شيء لا يسمح به ويعتقد أناس جريئون جداً بيننا أن التعرف على الأشخاص يمكن أن يتم دون الحديث معهم، ويعتقدون أيضاً بعض المتوقعات وبعض النظريات مثل؛ «حقيقة مونتاث شخص متشائم»، «مونتاث يرى كل الأشياء بنظارة سوداء»، وهذا ليس صحيحاً مطلقاً؛ فمونتاث ما زال يتمسك بأمل كبير في الموضوعات العربية، وما زال يعمل بشغف على هذه الموضوعات دون أي شك، ولكن هذا - نعم - بفهم آخر؛ أي إدخال عناصر حقيقية وذات واقعية هي كل مرة تجر أكثر اتهاماً لي في عملي، أنا لم أقل أبداً - كما يقال منذ سنوات ليست قصيرة - لأحد أن يقول لي إنه يريد أن يتخصص في هذا، «من فضلك يا سيد لا تتخصص في هذه الأشياء» لا. لا.

ذلك الذي يتعلق بوجهة نظري المتشائمة كان قد نشره أشخاص نقول عنهم إن لهم طابعاً أكثر قرباً من الطابع الفرويدي، أشخاص تذهب بهم غيرتهم إلى أبعد مدى من الحقد والكرهية (يريدون أن يقتلوا الأب وزيادة، وأنا لم أفكر أبداً في قتل أي أب)، وأنا ما غرت أبداً من أحد (ضحكات)، فلا شيء من هذا ينطبق على الواقع.

الذي يحدث أيضاً هو أنه منذ بعض السنوات يمكن أنني قد تخصصت أقل في الاعتناء بالعلاقات الاجتماعية، أتحدث مع الطلاب ومع نظرائي أقل بكثير مما كنت أفعله قبلاً، بالتأكيد أمر بمكتبي غارقاً في أشياءي... وهو مكتب من جانب آخر كان دائماً مفتوح الأبواب أكثر من قبل، ربما أتخصص الآن أكثر في أن أتزده، ولكن لا أعتقد أن هذا معناه أنني ليس سهلاً الوصول إلي، أو أنني غير أنيس. في السن السابعة والستين التي هي عمري لا أفكر ولا أتحمّل مثلما كنت في سن الأربعين.

إنني أعيش أكثر الآن مع نفسي ولها.

نحن المستعربون كنا دائماً كمنقابة في العصور الوسطى - كما يقول البعض - مع قليل جداً من الترخص والصراحة، ويبدو لي - خلافاً لبعض المظاهر - أنَّ الأمر أصبح شديداً، فالانحباس في بعض الميادين من الاستعراب هو الآن أكثر مما كان عليه في الأربعينيات والخمسينيات. وهذا بالنسبة لي يعني كثيراً، ولكنه أيضاً لن يتسبب لي في نوبة قلبية. بالفعل فالمنظر العام للاستعراب الإسباني هو مدمر قليلاً. يوجد انتقال أقل - إلى حد كبير - مما يجب أن يكون، لقد تحدثت في هذه الموضوعات مع بعض النظراء، وقد قلت ذلك واضحاً مطبقاً استعارة تاريخية واضحة جداً، فقد عقب خلافة قرطبة ملوك الطوائف، لقد انتهت الخلافة، وجدت محاولات لبعث خلافة جديدة، ولكن تلك المحاولات لم تنجح، لأنها ذهبت ضد شارة الزمان، حتى أن كانت محاولات من تجسيم أو تصوير خلافة برأس مزدوج وهو أيضاً ما ليس ممكناً، لأنَّ الخلافة فقط يمكن أن تكون برأس واحد. فالحكم الجمهوري معتلياً عرش الخلافة أيضاً ليس ممكناً، وتجربة قرطبة أيضاً تظهر ذلك. واضح للجميع أنَّ هؤلاء يتبعون طريق الطوائف، الطوائف الثانية، أو الطوائف الثالثة، الطائفية فظيعة، كل يغطي الوعي بتهذيب أو بعناية علمية أو مطلب منهجي، ونصرح بموقفنا من هذه الأمور الكبيرة بأنَّ من يفعل ذلك هو في جزء من عمله يتفاعل مع الواقع، ولكنه في جزء آخر هو خادع أيضاً، عندما تكون ذا تجربة قليلة لا ترى هذه الأشياء، ولكنك عندما تكتسب تجربة أكبر فبالأكيد أنك ستراها محذراً منها، أنا دائماً كنت ضد الطوائف، وبالفعل فقد نشرت منذ وقت كثير عملاً بعنوان "انعكاس أو صدى مشاكل العالم العربي المعاصر على المثقف الإسباني" الذي يحمل في بدايته شعار [إليك أنت الذي تناقش كذبة الطوائف]، سيكون شيئاً جيداً للأجيال اللاحقة أن تتبنى المناقشة بطريقة أكثر انضباطاً وأكثر موضوعية أيضاً.

الواضح جداً عندي نعم كما يجب أن تكون الأشياء التي أقوم بها أنا الآن والتي سأقوم بها في السنوات التي بقيت لي من العمل. الذي أريده هو أن أقوم بعمل ثقافي جدير بالبقاء والذكر، وأن أرى ذلك قد تحقق، هذا هو الذي يشغلني بشكل عميق، كل

ما عدا هذا... يوجد أشخاص كثر فهموا أشياء كثيرة فهماً سيئاً ولكنها الآن أقل لأسباب سياسية، ولكنني كنت مستعرباً قد بدا كثيراً في التلفزيون وأشياء من أجل الأسلوب أو بسبب الأسلوب، وهذا إلى جانب كونه يشعر بالسوء فإنه يفهم كما لو أنه عجرفة أو وقاحة كـرغبة في الشهرة، وهو ببساطة ليس بشيء سوى مجاملة الالتزام الاجتماعي والسياسي الذي يقوم به كل فرد، ولا يعلم هؤلاء الأشخاص أيضاً التنازلات أو الفواتير التي تكلفتها من أجل ذلك عندما كان بعض نظرائي في الاستعراب قد سألني لماذا لم تسمني سفيراً في أي بلاد عربية لم أستطع أن أجيبه، لأسباب أخرى، ولأنه كان عليه الإحاطة ببعض الشروح أو التعليلات والإحاطة بمعلومات لم يكن يملكها بكل وضوح، لأنهم لم يكلفوني بذلك، ولأنه كان مازال أكثر مخاطرة إدخال عناصر كافية في الإجابة، ولكن هذه الحقائق حاضرة جداً. حياتي مفعمة بتجارب من هذا النوع، عندما يهاجم أحد جرأة الدعوة إلى مؤتمر ما عالمي حول الكتاب الأخضر مع الاختلافات الكثيرة جداً التي تبعدني عن هذا الكتاب وعن مؤلفه والتي لم تمنعني اعتباره هدفاً للمناقشة، يضعون لك علامة. وعندي الكثير جداً من هذه التجارب، في مؤسسة للصحافة قيل إن مارتينيث كان صديقاً مخلصاً للقذافي مثلاً، أو كان من رجال مخابرات القذافي، أو رجل مخابرات لعبد الناصر، بل رغم المعرفة الجيدة لوضعي في الزواج قالوا عني بأنني متزوج بـفلسطينية، وخطته أن يواصل إنتاج أو تأهيل محاربين لصالح فلسطين، كل هذا مضحك، فمنذ أيام قليلة قال أمامي ما يأتي سياسي إسباني مهم، وهو في منصبه حتى اليوم وهو مسؤول بارز، قال أمامي وأمام شخص كان قريباً، وهو أستاذ جامعي ذو أهمية قصوى، ما يأتي: «قد لا تكون عالماً ولكن بيدرو كان لوقت طويل الطاعون الأسود والفكرة المتسلطة على السفارة الإسرائيلية في إسبانيا»، هذا يقوله سياسي ذو معرفة واسعة ومتورط في الصهيونية التي يعترف بالتورط فيها أو الانتساب إليها، بعد ذلك هدأني قليلاً وقال لي: «جيد الآن بدأت تترك ذلك»، وهو ما لم أدره هل كان لتهدئتي أم لإشغالي أكثر بكثير (ضحكات)، هذه الأشياء يعلمها واحد وكان واعياً لما كنت أحياناً

أقامر فيه. لم أفعله دون وعي وإن كان يضايقني أن هذه الأشياء كانت أحياناً تلقى صدى سلبيّاً ليس فقط بالنسبة لي وإنما بالنسبة أيضاً إلى أشخاص قريبين جداً مني، من أفراد أسرتي نفسها، أو من نظرائي المقربين إليّ، ممن أشاركهم في الأفكار والآمال، انعكاسات سلبية وهي بالكامل غير مبررة، ورخيصة أيضاً، وهذا يبدو لي مطلقاً بؤس أو فقر، وأعرف فقراء كثيراً مثل هذا، ولماذا سندخل في التفصيل؟

(35)

س - نريد أن نعرض عليكم بعض أسئلة حول تلقي الأدب العربي في إسبانيا؛ السؤال الأول هو: هل ترى سيادتكم أنّ عمل المجلات مثل كتامة Ketama أو المعتمد Al-Motamid قد قوبل بتقييم دقيق؟

ج - لا، ليس فقط لم يُقَوِّم وإنما صار عملاً مجهولاً على الإطلاق، وليس ذلك فيما يتعلق بالمجلتين المذكورتين النتاج الأدبي المطبوع الذي عمل أثناء الحماية الإسبانية في المغرب غير معروف، لا يعلم مطلقاً شيء عن الجرائد التي طبعت هناك، وأفترض أنّ كل هذا سيحتفظ به في قسم الصحف في المكاتب أو المكتبات الإسبانية، أتذكر مجلة كانت تسمى أنيس وكانت من المجلات الأكثر بروزاً ومن المجلات التي كوّنت كثيراً من الأدباء المغاربة لذلك الوقت، ولكن أيضاً لا يعرف إنتاج هؤلاء الكتاب المغاربة، بعض منهم كتبوا فقط في العربية، ولكن آخرين كتبوا أيضاً في الإسبانية، بعض من أولئك لهم بعض معنى داخل المنظر المغربي العام، ولنشير إلى اسم واحد فقط، نذكر التهامي الوزاني كاتب غير معروف في إسبانيا تماماً، أو كاتب مثل عبد السلام البقالي الذي طور عمله في العربية وبشكل جزئي في الإسبانية، وهو معروف وبارز في المنظر العام المغربي.

بما في ذلك إنتاج القواد السياسيين أنفسهم الذين كانوا في معظمهم مائلين إلى الحركات القومية، شخصيات بارزة جداً ومعروفة وقتها مثل عبد الخالق طرّيس، وشخص

لا أدري إذا كان مازال حياً حتى الآن أم لا، وهو سيّد محترم جداً وقد استطعت أن أحادثه في مناسبات عديدة ألا وهو محمد عظيماني، وآخرون كثيرون جداً مثل هؤلاء، إضافة إلى ذلك وصلت لحظة ظهر فيها أن كل هذا مهم أكثر بالنسبة إلى المؤرخين المختصين في التاريخ المعاصر من المستعربين، إنها عهود وإنتاج ما زالت تقريباً بكراً، على أية حال يوجد أشخاص جديرون بمتابعة الإصرار على الحاجة إلى معرفة هذه الأشياء مثل فرناندو دي أغريدا *Fernando de Agreda* أو خانتو لوبث كورخي *Jacinto Lopez Gorjé*، ولكن بالفعل يبدو أنه لا يهم أحداً، وأعتقد أنه موضوع ذو دراسة مهمة.

(36)

س - كل هذا العمل الثقافي للحماية ربما كان مجهولاً لأسباب هي سياسية أكثر منها علمية؟

ج - هو موضوع لا أعرفه جيداً ولكنني أعتقد أن المشكلة في العمل الإسباني في المغرب هو أننا لم نعرف أن نصير مستعمرين ولا محررين من الاستعمار، كما أن الاستعمار وإزالة الاستعمار حققناهما بصورة سيئة في كلمات مصنفة، في هذه الموضوعات إذا كان رسم المنظور الذي تملكه مائلاً إلى اليمين الإسباني فمن الواضح أنه سينتج عملية ذات تقييم تبريري، وإذا كان رسم منظورك مائلاً إلى اليسار الإسباني فسيوجد لديك مثل نوع من الندم أو تأنيب الضمير أو شيء شبيه بذلك؛ بالكامل أنه لا يكون مفرطاً في التقريظ ولا مفرطاً في النقد سينتهي بعدم تحقق الأشياء.

يوجد شيء بدهي ويكون هذا فضاء سواء بدءاً من المنظر الإسباني العام وكذلك أوروبا عامة يهم كونه فضاء سياسياً واقتصادياً وليس فضاء ثقافياً، الحالة الفرنسية ربما تكون مختلفة يبدو لي غير مفهوم ولكنه بالفعل هو هكذا.

أيضاً هو حقيقة أن الاستعراب الإسباني كان منذ البداية منقسماً ومختلفاً بوضوح شديد في هذه الموضوعات، وأنا أعتقد أنه خطأ في مظاهر كثيرة وحالات كثيرة أيضاً

بين مستعربين ومتأفرقين أو مختصين في الشأن الأفريقي. الاستعراب نظر في كثير من الحالات إلى الاستفراق بازدراء، وفي الحقيقة فإنّ هذا قد نَمى بحجم كبير بطريقة ليست مستقلة وليست قوية من الناحية العلمية ولكنه حَقَّق أشياء ذات قيمة، كل هذا كان مجتمعاً، والنتيجة: أنّه بالرغم من المقاربات القليلة التي قمت بها في هذا الشأن فإنّ الأمر مؤسف. نواصل إعادة التباكي والبكاء على الأطلال... ولكن لم تتخذ قرارات، فعلى سبيل المثال خطة لإعداد أطروحة دكتوراه، كل هذا العمل المتنامي هناك والمحتفظ به في خزائن المحفوظات (أرشيفات). الناس الذين يعرفون جيداً هذه الموضوعات يؤكدون أنّ واحدة من المشكلات الرئيسية التي تطرح أنّ خزائن المحفوظات الرئيسة في المغرب هي أسرية أو معهودة أو مألوفة، وهناك حيث تجد المادة الأكثر قيمة، ولكن المدخل إلى خزائن المحفوظات العائلية غير ممكن عملياً، وإن كنت أيضاً لا أعتقد أنّ الإسبان يستفيدون منها أو يستغلونها كثيراً.

(37)

س - هل يمكن لسيادتكم أن توضح لنا رأيكم في المعهد الإسباني العربي ودوره في تلقي الأدب العربي المعاصر؟

ج - أعتقد أنّ المعهد العربي الإسباني حقق عملاً مهماً جداً؛ أولاً من حيث الاعتراف، وثانياً من حيث الطباعة والنشر؛ فداخل التواضع الذي يتسم به دائماً نشاطاته التأسيسية، حدود في النشاط وحدود في النشر؛ لأنّ أغلب الأشياء التي تطبع تنشر بقلّة أو لا تنشر أصلاً، ولكن في الحقيقة فإنّه بفضل المعهد الإسباني العربي ابتدأ التعرف على الأدب العربي المعاصر، ففيه تكون أول جنين للعمل في هذا الميدان، وكان ذلك من ماريا إوخينيا غالبت *María Galvez Eugenia* والمتحدث إليكم حيث تصادفنا أو اتفقنا أثناء بعض الوقت في المعهد بعد الرجوع من مصر هي عادت من الإسكندرية وأنا عدت من القاهرة، وقد تسمينا بحلقة نقاش الأدب والفكر العربيين المعاصرين، وقد كان معنا ثلاثة أو أربعة

ممنوحين وممنوحات، أعتقد أنه من العدل أن نذكر أن العمل ابتدأ بموافقة السيد إميليو غرسية غومس *Emilio García Gómez*. بين العديد من المجموعات التي أنشأوها أيضاً كانت مجموعة الكتاب العرب المعاصرون، وهناك حيث كلنا بعد ذلك ذهبنا مستفيدين من وجود المعهد وهذه المجموعة لإخراج إصداراتنا وإسهاماتنا، ويبدو لي أن المجموعة ما زالت تصدر بالمعهد وإن كنت لا أتابعها باعتماد، الأخير الذي رأيته هو ترجمة رواية لغادة السمان قام بها خوسي ميغيل بويرتا بيلتشيث *José Miguel Puerta Vilchez*، والواقع أنه نص مدرّس جيداً ومترجم ترجمة جيدة فبورتا بيلتشيث مستعرب ممتاز، هذا أعلمه منذ زمن حتى أنني في بعض الأحيان استطعت التدخل لتحريك القطيفة أمامه (قطعة القماش التي يُثار بها ثور المصارعة) كما يقال في عالم مصارعة الثيران، ولقد فعلت ذلك لأنني اعتقدت أنه واجب، ولأنه يستحقه.

في النهاية فإنّ المعهد العربي الإسباني عمل كثيراً في هذا الاتجاه، كما تعلمون أنني كنت متعاوناً أو عضواً في هذا المعهد خلال سنوات لا بأس بها وعليّ أن أعترف أنني عملت هناك كثيراً وأتني كنت محباً لهذا العمل، وكان هذا العمل بحرية مطلقة فلم يعترضني أيّ معرقل ولم يحد من حريتي أيّ حد، وبعد ذلك ومع مرور الوقت، ومع التحولات والتغيرات في التنظيم وهي تغيرات في كثير من الأحوال انعكاسات للتحولات السياسية التي كانت تحدث في البلاد، كانت علاقتي بالمعهد العربي الإسباني - أو كما يحبون أن يسموه حسب كل ظرف - متواضعة، ولكن تلك العلاقة في الوقت الحالي ليست موجودة ولعدم وجود تلك العلاقة يجب أن تفهم هكذا أي أنها ليست موجبة ولا سالبة.

ربما أسهم أيضاً في هذا أن زوجتي - كما تعلمون - كانت موظفة في هذا المعهد، وقد أحيلت إلى التقاعد منذ سنتين ولذلك اجتنبت بعناية أن يكون أي تدخل يمكن أن يفهم على أنه اشتراك أو أنه رغبة مني في الحصول على بعض المنافع المتوازية،

ولكن خلافاً لهذا فإنه في الواقع من المؤكد أن عرضي للمشكلات العربية هو مختلف إلى حدٍ كبير مع من يمارسون التعامل مع هذه المشكلات في هذه المؤسسة -المعهد- ولم تكن لي حاجة إلى هذه المؤسسة أيضاً، ولا هي كانت لها حاجة عندي وهكذا تعايشنا ولم نتخالط، ولكن التعايش نعم أيضاً كانت لنا بعض احتكاكات، ولكن هذا أيضاً ينتمي إلى أزمئة أخرى، توجد أشياء محددة شرحناها قبل قليل، فمثلاً عندما كانت تؤسس في المعهد الإسباني العربي مجلة أوراق، وهي مجلة ذات سمعة حسنة وهي مهمة مخصصة لمشكلات العالم العربي المعاصر، ولكنها لم تأخذ في حسابها الأستاذ مارتينيث مونتابث لأي سبب ولم يكن لها أي اتصال به، ومن ثم فإن كل هذا يريد شرحاً مدلاً بأن في تحرير هذه المجلة يعتقد أنه لم يظهر شخصيات ظهرت لهم في الوقت نفسه مشاركات في مطبوعات أخرى مشابهة، لا في هذا الاتجاه ولا في غيره، لا أناس كانت لهم علاقة بمجلة الأندلس، ولا بمجلة المنارة التي كما تعلمون هي مجلة أنا الذي كنت قد أنشأتها، وقد وضعت عدة احتياطات في هذا لأنها كانت تريد أن تكون موضوعية جداً، وهذا ما يشرح السبب في أنه لم يظهر في تلك مجلة أوراق لا مونتابث مارتينيث ولا أحد آخر.

فالأمر ببساطة يكفي فيه أن تقرأ الصحيفة التي دونت فيها أسماء المسؤولين عن الطباعة والتحرير إلخ، لملاحظة هذا الدليل، إنه إذا حملت بصرامة مع مارتينيث مونتابث فلن يكمل مع آخرين اشتركوا في هذه المجلات، إضافة إلى ذلك أعتقد أنني أملك أسباباً لتأكيد أنه وجد في بعض الأحيان محاولة معينة لعدم اعتبار موجه إليّ، وأنا حساس بدرجة كبيرة تجاه هذه الأشياء التي لا أ طرحها موضوعات للنقاش، ولكن أيضاً لن أنساها، فأنا لا أحب أن يتعامل معي باستنقاص ولا أن يخونني أحد.

بحسابات مجملة عمل المعهد الإسباني العربي فيما يتعلق بترجمة أعمال أدبية عربية معاصرة كان - بالتأكيد وبدون شك - الأكثر أهمية بين كل الأعمال المختصة

في هذا الشأن، وقد استفدنا كلنا من هذا بما في ذلك ملاحظة أنّ النصوص التي ترجمت كانت نصوصاً ممثلة جداً للأدب العربي مقدمة تقييماً جامعاً، عمل المعهد كان بصراحة جيداً يوجد تفاوت بين القيم الأدبية في تلك النصوص دون شك، ولكنها نصوص اختيرت اختياراً جيداً إلى حد كبير، وهذا كان يفعل دون أي عمل جماعي ولا استشارة أو توجيه.

منذ بعض السنوات كان عليهم إذا أرادوا ترجمة نص أن يجتمعوا مرات عديدة وبأشخاص كثيرين في مدن مختلفة مع ما تفضله السياحة الثقافية من التردد على المطاعم، وبعد ستة عشر اجتماعاً يختارون النصوص، على سبيل المثال اثنا عشر نصاً تعتبر ممثلة بكفاية لمجالها، وطبعاً من المعتاد أنّ الذي تجده أنّ بين النصوص المختارة يوجد واحد أو عديد من النصوص تنتمي إلى الأشخاص الذين يشكلون ذلك الجسم المكون للاختيار أو للأشخاص الذين يترجمون لهم، وهذا ليس نقداً من جانبي، وإنما هو لإثبات أنّ التصرفات في العمل في ذلك الوقت كانت غير تصرفات اليوم.

من جانب آخر فإنّ المؤلفين الذين كانت تنشر مؤلفاتهم كانوا معروفين بشكل كاف، فتوفيق الحكيم كان معروفاً جداً في أوروبا، وبطريقة ما فإنّ الذي فعل عند ذلك هو نقل هذه المعرفة الأساسية التي كانت عن توفيق الحكيم إلى إسبانيا، ومع ذلك فإنّ قبّاني لم يكن على الإطلاق معروفاً، نص (اسمع يا رضا) أيضاً لم يكن معروفاً وتوجد أمثلة كافية أخرى، أيضاً يجب أن نذكر أنّ إعداد المختارات الوطنية كان فكرة أصيلة جداً، ومن هنا أريد أن أذكر أنّ فكرة الترجمة الأولى أي ترجمة النص العراقي كانت فكري، أنا أعلم أنّ هذا يجب ألا يقال ولكن نعم هذا كان قد ظهر في التسعينيات ولو كان قد قام به آخر أو آخرون غير بيدرو مونتاث، ومن بعد هذا فاسم هذا الشخص كان يظهر على الغلاف كأنّه الناشر الأساسي أو جامع أو منظم منذ البداية ليظهر فيما بعد في فهرس الكتب ذات العلاقة وأدلتها مغيباً اسم الناشر، وهو ما يرتبون عليه منح تخويل للمساعدات للبحث، إلخ.

(38)

س - بالضبط في هذه المختارات العراقية توجد ترجمة رائعة لقصة لفؤاد تيكيرلي «موعد من نار».

ج - أجل، يبدو لي أنني لم أنجز هذه الترجمة لست متأكداً من ذلك؛ لأنه يفصلنا عن الموضوع وقت طويل، لكن يبدو لي أنّ المسودة الأولى لترجمة هذا النص قام بها مبعوث عراقي قدمها ضمن حلقة النقاش، واسم ذلك العراقي حنا غوغي وهو مسيحي أعتقد أنّه ذهب فيما بعد إلى كندا وتوفي بعد ذلك، كان شخصاً ذا مشكلات سياسية خطيرة، وكما أعتقد فإنّه في المقدمة ذكر الأشخاص الذين تعاونوا معه، وعرفنا أنّ هذا الشاب كان فاراً من العراق واعتبر نفسه أنّه يجب ألا يظهر اسمه أنّه المترجم أو أنّه المترجم لتيكيرلي خاصة، وقد رجاني أن تظهر الترجمة باسمي فقط، أعتقد أنّه قام بالمسودة الأولى على أسلوب المدرسة القديمة للترجمة في طليطلة، وما قمت به كان الرؤية النهائية للترجمة التي كانت في اللحظة الأولى كانت ترجمة ليست جيدة من الناحية الأدبية وفوق ذلك أنا قمت بوضع النص الإسباني النهائي.

يوجد نص آخر ظهر أخيراً باسمي لأنّ من قام بترجمته كانوا شباباً أي طلابي وطالباتي رجوني إلى درجة أن ظهرت الدموع في عيونهم ألا تظهر أسماؤهم في النص الذي أراجع، بل أنظر فيه النظرة النهائية ويظهر باسمي، وهو شيء لا يجب أن يكون، لكن كان هناك التزام واضح وفوق ذلك خوف كبير... حدث هذا ثلاث مرات أو أربع.

(39)

س - كيف كانت تجربتكم في مجلة المنارة *Almenara*؟

ج - كانت تجربة وحيدة ولدت في ظروف صعبة جداً، كانت ولادتها قيصرية وليست طبيعية، وهذا سيلاحظه كل واحد يرى المجلة منذ عددها الأول وحتى العدد العاشر الذي يبدو لي أنّه كان الأخير، فقد نشأت مجلة المنارة في سياق جمعية إسلامية

مسيحية متوافقة مع المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مع مشاركة سالبدور غومث نوغالس *Salvador Gómez Nogales*، وقد تعاونت فيها أيضاً وفي تلك اللحظات كنت أفكر أن إحداث الحوار الإسلامي المسيحي كان شيئاً ضرورياً ومهماً، وإن كنت فيما بعد قد اتخذت أوضاعاً وأفكاراً مختلفة جداً عن هذا.

نشأت المجلة ببداية مع شيء يهددها وهو خلوها من مساندة اقتصادية، ففي البداية كانت المجلة تحظى بهذه المساندة القليلة وبعد ذلك أي عندما صرت المسؤول الوحيد في المجلة بدأت تتحرك ضدها الموانع والعراقيل التي وجدناها في إمكانيات المساندة الاقتصادية.

في لحظة محددة تحدد الأمر في مشاركة المعهد الأسباني العربي للثقافة، وهو ما جعل التفكير في أن المساندة الاقتصادية ستكون مضمونة، ومع ذلك فقد مررت بأوضاع من التصادم مع إدارة المعهد في لحظة محددة، وهو ما انتهى إلى أن الأمر لا يمكن أن يستمر إلى الأمام، التعامل مع المواضيع العربية المعاصرة كان معقداً جداً في إسبانيا ذلك العهد، وإن كان الاعتراف بدولة إسرائيل لم يتم في ذلك الوقت.

فيما بعد تلقينا بعض المساعدة الاقتصادية الجزئية - ولم تكن المساعدة أبداً كاملة - من الجامعة العربية في مدريد، ولكن مجلة المنارة كانت بصورة أساسية محاولة لخلق فريق عمل لم يصل إلى أن يتحدد بشكل نهائي، بعضهم اتهمني أنني جعلت المجلة شخصية وتطوعية، يمكن أن يكون شيء من هذا ولكن الذي (أريد) أن أقوله بكل إصرار: «- هذا أيضاً ينتمي إلى التاريخ الشخصي لكل واحد - مجلة المنارة حملتني كثيراً من الساعات في العمل وحملتني كثيراً من العمل، ليس العمل الثقافي فقط ولا الإداري فقط، بل أذكر مثلاً أنني كنت أذهب إلى المطبعة وأخذ معي الثلاثمائة أو الاربعمائة نسخة، وفي بعض الأحيان أضعها بنفسني في الصناديق وأحملها في سيارتي وأذهب بها من هناك إلى مخازن وزارة الخارجية أو مكاتب الجامعة العربية،

وفي بعض الأحيان بل في كثير منها كانت تساعدني صديقة زميلة في الجامعة، لقد عملت كثيراً ووصلت لحظة أرهقت فيها بصعوبات كثيرة، وبعمل كثير وأشياء غير ممكنة كثيرة، ربما كنت مخطئاً ولم أصل إلى تكوين فريق متجانس، فمركز المجلة كما تعرفون كان بيتي، كنت أستعمل هاتفني الخاص وبريدي الخاص وصار ذلك غير ممكن ففي الحقيقة أحزن لذلك كثيراً، لقد تعاملت مع الأمر على أن تكون المجلة قانونية داخل القنوات الخاصة بهذا الشأن في الإدارة الإسبانية ولكن ذلك كان غير ممكن، لقد كانت لي مناقشات حادة، وحادة جداً في الوسط الإسباني والوسط العربي أيضاً عندما كنت نائب رئيس جمعية الصداقة الإسبانية العربية وقد اندلعت حرب الخليج الثانية، وعندها فإنّ بعض البعثات العربية طلبت إلينا أن نأخذ أوضاعاً أو مواقف محددة، كان علي أن اتناقش مع ممثلين دبلوماسيين كثير.

(40)

س - يبدو أنّ الأدب العربي كان مداناً لمواصلة هذين الطريقتين؛ طريق الجهود التطوعية استعمالاً للمصطلح الذي يوظفه سيادتكم، كما هو الشأن في المنارة أو في كنتارايا CantArabia بما في ذلك في حالات كما هو الأمر في حال مارثيلينو ببيغاس Marcelino Villegas أو ماريا خيسوس بيغيرا María Jesús Viguera من جانب أو طريق المساندة المؤسسية؟

ج - هذا هو الإطار الذي كان موجوداً أثناء وقت طويل، الآن ليس الأمر هكذا بالضبط. بطريقة معينة وإن كانت قليلة ومتناقصة ومن ثم في درجة أصغر مما يجب أن يكون قد فتحت الآن ثلثة مع المدعوات بدور نشر تجارية، أو مع دور النشر الكبيرة وهو أمر إيجابي، وعلى كل حال فهذا كله قد نتج بسبب منح جائزة نوبل إلى نجيب محفوظ؛ فواضح أنّ العام 1988 فرض انقطاعاً، ولكن هذا كان الإطار العام أثناء وقت ليس قصيراً، ولكن بما أنّ سيادتكم قد عينت هذا الانقطاع فإنّي أقول: إنّ الجهد

الذي تبذله دار نشر كانتارابيا ليس له مثيل؛ لأنه إضافة إلى ذلك فإن ما لا يعرفه الناس أن ذلك يكلف كارمن رويث Carmen Ruiz مالا كثيرا، مالا كثيرا، وهي ليست امرأة ذات غنى شخصي.

بجانب الجهد الشخصي، وهذا قد سمح لدور نشر أخرى مثل دار نشر مطبوعات الشرق *Ediciones del Oriente*، ودار نشر مطبوعات البحر المتوسط *Ediciones del Mediterráneo*، وهي ليست دار نشر كبيرة ولا حتى في الحجم ولكنها متموضعة وموجهة بشكل كاف لأنها كانت قد شاركت أيضاً إلى جانب دور أخرى أكثر تجارية، علاوة على ذلك فإن المنظر العام الآن ليس هو نفسه الذي كان، وفي كل الأحوال فإن ما عمل هو أقل مما يجب وإن كان الذي عمل قد زاد أكثر من ذي قبل.

(41)

س - فلنترك جانباً قضية دور النشر ولنذهب إلى قضية التلقي أو الاستقبال، نحب أن نعرف رأي سيادتكم مثلاً بالنسبة إلى النقد حول الأدب العربي المترجم إلى اللغة الإسبانية، وبالتحديد الذي يتضمنه في النهاية عمل بابيليا ميغيل بايون *Babelia Miguél*، وهو مختص في علم اجتماع العالم الإسلامي أكثر منه مختصاً في الأدب، يحمل قيمة توثيقية اجتماعية أكثر منه أدبياً مختصاً في أعمال المؤلفين العرب؟

ج - نعم هو ذو طابع اجتماعي ومن الدرجة الثانية، كلنا نعرف قليلاً كيف تتحرك الملاحق الثقافية للصحف، وكما ينتج هذا التركيز الكبير في احتكارين من صناعة الوسطية الإسبانية، بابيليا هو النتيجة لنشاط احتكار وسطي أشياء عديدة تسمح وأخرى تمنع، يوجد مستعربون ربما على الأحسن يوجدون مع عدم الإمكانية المطلقة من الكتابة في جريدة البائيس *El país*، بينما آخرون مفتوحة لهم الأبواب للكتابة في جريدة البائيس أو جريدة الموندو *Almundo* ببساطة هكذا هو الحال، فيميغيل *Miguél* هو شخص وإن لم يكن مستعرباً مختصاً فقد تابع الأدب العربي متابعة جيدة وهو شخص

يحب كل هذه الأشياء. في بعض الحالات النقدية وبعض الشروح التي ظهرت في جريدة البائيس استطاعت أن تظهر لأنّ ميغيل بايون قد وقعها، ولو لم يوقعها ما كانت قد ظهرت، ولكن بالفعل أنتم محقون فهذه المظاهر قليلاً ما يعنى بها. الأدب العربي ما زال أدباً احتمالياً، نعم يمكن أن يستعمل هذه المصطلح للأدب أو أنّه أدب من الدرجة الثانية أو الثالثة وهي ممثلة قليلاً وتخلو من القيم العالمية... هذه الرؤية مازالت منتشرة، وعندما تكون الرؤية العامة هكذا فإنّ من المناسب أن تنتج حالات استثنائية، وقد جاء مثل خاتم في الأصبع استثناء شخصية نجيب محفوظ، فالأدب العربي صحراء ومحفوظ هو واحتها.

(42)

س - وبالعودة إلى تلقي الأدب العربي في إسبانيا كيف يقيمه سيادتكم مقارنة بتلقيه في أوروبا؟

ج - الآن مقارنة يبدو أنّ تقبّل أو تلقي الأدب العربي في إسبانيا هو أقل وإن لم يكن عندي معلومات محددة عن هذا، إنّهُ أكبر مقارنة مع تلقيه في السابق في إسبانيا، ولكن بمقارنته مع بلدان أخرى في أوروبا أعتقد أنّه أقل أو أصغر باستثناء فرنسا، ولكن أيضاً لا أقول نعم في تلقيه في إنجلترا بما في ذلك في أقطار أخرى ناطقة بالإنجليزية، ففي الحقيقة يمكن أن يقال إنّنا نحن الإسبان كنا الرواد في إدخال الأدب العربي إلى أوروبا، ففي المجموع نحن نتقدم بالنسبة إلى الإنجليز والفرنسيين ونتقدم أكثر عن الأوائل، لأنّ الأمر في فرنسا كان حتى ذلك الوقت متفرداً مشتتاً منعزلاً، فالترجمة الأولى لقبّاني إلى لغة غربية كانت في اللغة الإسبانية، وهذه معلومة ليست تافهة أو مبتذلة، وأنّ أول ترجمة غربية لعمل شعراء المقاومة الفلسطينيين كانت إلى الإسبانية، وهذه أيضاً ليست معلومة غير ذات قيمة، بعد ذلك نما عمل الترجمة إلى اللغة الفرنسية والإنجليزية أكثر من الترجمة إلى اللغة الإسبانية، ولكنه كان يذهب قليلاً في علاقة مع السياسة

الثقافية أو مع السياسة الخالصة لهذه البلدان، بالنسبة لي كان يعني أن أعرف مثلاً ماذا حدث في ميدان الترجمة إلى اللغة الروسية، وهو مسرح لم نتعرف عليه ولكنه وجب أن يكون مهماً، فيما بعد فيما يتعلق بالترجمات إلى اللغة الإيطالية وغيرها من اللغات الأخرى التي لم تذكر، أعتقد أنه يمكن أن تقام مقارنات، أيضاً سيكون من الأهمية معرفة ماذا يترجم؟، ولماذا يترجم؟ من الأدب العربي إلى العبرية؟ ولكنني في هذا لا أستطيع أن أبدي رأياً.

(43)

س- فضولياً الترجمة المشهورة لأولاد حارتنا التي قام بها - مع أعمال أخرى - غير المعروف ب. م. مونفورت *B. M. Monfort* هل لها علاقة بسيادتكم؟ ماذا يمكن أن تقول لنا في الموضوع؟

ج - لا أدري لمن هي، هذه الترجمة يبدو لي أنها ظهرت في دار نشر الكور *Alcor*، أنا لم أقرأها ومنذ ثلاث أو أربع سنوات وجدت الكتاب صدفة فتصفحته قليلاً، وفي البداية دهشت قليلاً، ثم تحدثت مع سرافين فانخول *Serafin Fanjul* فقال لي: «لا لا تهتم»، ولكنني لا أعلم من المترجم.

(44)

س - نسأل سيادتكم: لماذا أن كل من يصير مألوفاً متعاملاً مع الاستعراب فإنّ أوليات ب. م. م. تدخله أو تضيفه ثانية إلى بيدرو مارتينيث مونتاث؟

ج - نعم ولكنه صار حمقاً كبيراً؛ لأنه في هذا الحال لم يستعمل أبداً مصدر واضح. ليس عندي فكرة أبداً. ربما هي لعبة بعض أحبائي الأصدقاء، تلميذ أو تلميذة من هؤلاء الذين يريدون أن يخنقوا الإنسان ولكنهم لا يتجرأون على فعل ذلك، لا أدري، لا أدري، الذي أستطيع أن أؤكد أنه أنني فوجئت بتلك الترجمة.

(45)

س - إذا تركنا ترجمة الأدب على جانب، فإنَّ الميدان المهم لاهتماماتك هو المقال؛ بماذا يمكن أن تحدثنا في الموضوع؟

ج - نعم فهو ميدان قد عنيت به دائماً كثيراً، ربما كان جهدي أقل في هذا الميدان، أو هو معروف بدرجة أقل، لقد طبع قليل مما عملته في الواقع، فبالنسبة لي كنت أحب كثيراً أن أترجم مختارات من مقالات توفيق الحكيم مثلاً، لأسباب عديدة، ومن بينها أنَّ توفيق الحكيم - كما يبدو لي - يوظف اللغة العربية الأدبية الأكثر دقة والأكثر جمالاً والتي لم توظف أبداً، أنا أعتقد أنَّه الأسلوب العربي الأكبر، إنَّه من الصعوبة وجود أيِّ شخص يقارن به.

من مخططاتي الأخرى التي أشرت إليها سابقاً - وسببت لي في وقتها مشاكل وإن لم أتنازل عن تلك المخططات - أن أجمع مختارات من الفكر العربي المعاصر، وهذا يجب أن ينجز بفريق متعاون، وأن يذهب قليلاً في خط المختارات القديمة لأنور عبد الملك، وبالتحديد في مجلده الثاني المخصص للمقال، إذا أمكن عمل هذا فسيكون عملاً واسعاً مكوناً من مجلدين أو ثلاثة مجلدات على الأقل، إنني أتحدث مع بعض الزملاء في هذا الشأن.

بالنسبة للذي نتحدث فيه قبل أن نعلم الطريق فإنَّ الطريق الذي أعددتة معيداً ومصرأ على أهمية المقال قد أصبح سالكاً الآن، ويوجد أشخاص متعددون يعملون الآن في هذا وهو ما يبدو لي جيِّداً جداً، طريق العمل الثقافي والعمل في الفكر أيضاً قد أصبح سالكاً وقد بدأ المسير فيه وللاعترااف أنَّ بعضاً من الأشخاص الذين سهلوه و سلكوه يجدون حشمة في الاعتراف كتابياً أنَّ إشارات بيدرو مارتينيث مونتاث في هذا السياق قد كانت مفيدة جداً له، وآخرون بالعكس من ذلك فلم يفعلوه؛ فمثلاً شيء قد لاحظته أيضاً في خمسة إلى عشرة، اثني عشر سطرأ وهي أنَّ معناها أنني أحب كثيراً العمل في

النتاج الأدبي والفكري العربي، وبعض من أولئك هم أصحاب جلبة في الواقع، يبدو لي جيداً الآن أن يذكرني أولاً هذا مختلف الآن فأنا أب لأولادي الطبيعيين ولا أطلب أبوة من أبنائي الأكاديميين.

(46)

س - وعن ترجمات سيادتكم: أيها الأكثر تثميناً؟ إذا يوجد بعض منها كذلك؟

ج - إذن هو سؤال معقد، ففي الجملة أثنى ترجماتي لقباني، وأعتقد أنني كنت في هذا على الأقل متوسط النجاح، أعتقد أنها إنتاج ذو نوعية معينة وأنها التي جلبت لي انزعاجاً أقل، من الواضح أيضاً أنني أثنى ترجمتي لشعراء المقاومة الفلسطينيين، وإن كان هذا لأسباب خارجة عن الأسباب الأدبية، كما أثنى كثيراً ترجمتي التي أعتقد أنها قرئت أقل وهي ترجمتي لشهر زاد لتوفيق الحكيم، لأنني قمت بها في لحظة متفردة من حياتي، ولأنها تعني كثيراً بالنسبة لي، ولأنها إضافة إلى ذلك هي الدراسة المدخل التي تتقدم الترجمة، إنها واحدة من أحسن الأشياء التي قمت بها، وأعتقد إضافة إلى ذلك أن ترجمتي لهذا العمل هي أفضل من التي كانت قد وجدت في اللغة الفرنسية، لأنني واضح أنني رجعت إليها. هذه إذن الأشياء التي أثنى عليها أكثر، مع بعض القصائد الأخيرة لقباني أيضاً مثل الأندلسي الأخير، أيضاً فإنني مسرور إلى حد، بترجمة نشيد الموت أو أغنية الموت لتوفيق الحكيم، ومع ذلك فإنني واع بأنني خصصت المسرح بعناية أقل مما ينبغي، رغم ما عندي من بعض الأشياء عن المسرح هي الآن رهن الإنجاز، بعض الأشياء مثلاً عن سعد الله ونوس.

وإن لم أخطط أبداً أي الأشياء التي أحس بأنني راض عنها مما قمت بترجمته، فإنني ها قد أفدت بأنها المذكورة قبل قليل، أما فيما يتعلق بالقصة فكما أنني ترجمت أقل، وشغلتنى أقل أيضاً - بما في ذلك بصفتي قارئاً - فإنني لا أستطيع أن أجيب سيادتكم.

(47)

س - بصفتك مترجماً للأدب هل تريد أن تضع تقييماً جامعاً حول الأدب العربي المترجم إلى اللغة الإسبانية؛ تمثيلاً وانتشاراً وغياباً ملاحظاً إلخ؟ هل لاحظت سيادتكم تقدماً ما؟

ج - أعتقد أنه في مجموعته مقبول، يلاحظ أنه في جانب كبير منه وهو كل مرة أكثر قد قام بهذه الأعمال المترجمة من الأدب العربي مستعربون اختصاصيون، وهذا مهم، هذا لا يعني ضمان أن تكون الترجمة جيدة، ولكنه مفضل على أشياء أخرى، الآن جيد أصر على أنه بالرغم من قلة وجود معرفة الواقع العربي فإن كثيراً من الأشياء المترجمة تخضع إلى متطلبات ظرفية، أو إلى معرفة المؤلفين أو تطور في المتطلبات الافتراضية النظرية، أو إلى الحاجة إلى أن يظهر اسم ما ويستفيد من أي فرصة، ولكن الواقع الأدبي العربي غير معروف ومن هذا الوضع يمكن أن يظهر بعض الذين هم على الأكثر متوسطو المكانة بين الأدباء العرب كأدباء ممثلين كبار للأدب العربي، رغم أن أولئك الذين بدوا هكذا ليس لنصوصهم قيمة أدبية كبيرة ولا هي تمثل الأدب العربي.

أريد أن أقول إضافة إلى ذلك إن الاختيار ليس هو في كثير من الأحوال ملكاً للشخص الذي يختار. في أحيان فإن الاختيار هو أيضاً نتيجة الأسباب التجارية، أو هو بعامة نتيجة أمور ليست أدبية أكثر منه لأسباب أدبية واضحة.

من جانب آخر فإن عديداً من المترجمين والمترجمات ما زالوا غير متزودين بزيادة المعرفة الكافي وهم دون تخطيط لما يترجمون، بعض منهم يقولون: «جيد إنه علي أن أكل، وإذا أعطوني مائة أو مائتي ألف باسيتا [عملة إسبانيا في ذلك الوقت] مقابل ترجمة نص فإنني سأفعل»، يبدو لي أنه سبب شارح لبعض الترجمات غير موضوعية أسباب اختيار نص ما للترجمة وإن كان هذا السبب ليس كافياً بالكامل. في كل الأحوال يلاحظ في الجامعات الإسبانية وخلال كثير من السنوات أننا قد أخذنا في إعداد مترجمين. في

الوقت الذي كنا نشرح فيه أشياء أخرى كنا نذهب أيضاً في طريق إعداد مترجمين، الآن القائمة غير الرسمية - ولكنها الحقيقية - لمترجمين للأدب العربي ممكن وجودهم، هي واسعة ومتنوعة وغنية، في بعض الأحيان يوجد لدي انطباع أنّ مترجمين لا بأس بعددهم هم أحرار مطلقاً لا يسمحون لك بأقل الملاحظات، ولا بأقل الإشارات ولا بشيء ما، ولكن هكذا، أيضاً لا أستغرب هذا، لأنني أنا أيضاً شخص استقلالي جداً وعليّ أن أعترف أنّ الآخرين لهم الحق في أن يكونوا كذلك، ولكن في بعض الأحيان أراهم قليلي المقدرة على ذلك، في أحيان تجرى أشياء أخرى مؤسفة كما في حالة أن يترجم الشخص نفسه النص نفسه مرتين أو ثلاثة، وإن كان هذا متعلقاً بأسباب أخرى، وأن تترجم النصوص مبتورة أو منقوصة عمل غير مقبول، ولكن الرصيد أو التصفية في مجموعها في النهاية مقبولة، وإن كان من الواجب محاولة تصحيح بعض هذه الأخطاء وتلافي ذلك النقص.

(48)

س - هل تعودت سيادتكم قراءة ترجمات (من أي لغة وليس من العربية فقط)؟
هل يوجد أي مترجم (من أي لغة) ينال عمله إعجابك؟

ج - من بين الأشياء المترجمة التي أذكر الآن أنّي قرأتها والتي أعجبتني ترجمات لشعر شكسبير قامت بها أسترانا مارين *Astrana Marín*، أذكر أيضاً بعض الترجمات لبيثينتي غاوس *Vicente Gaos*، وبعد ذلك ترجمات السيد إميلييو، إنّهُ من الصعوبة إعطاء إجابة واضحة ومحددة. عندي فكرة مستقرة بوضوح، ولأنّ السيد إميلييو هو قبل كل شيء ذو أسلوب رائع في الإسبانية، وأقول هو أسلوب بما يعنيه الوصف من إيجابية وسلبية، النتيجة بالتالي هو أنّه ينشئ نصوصاً يمكن أن تنال قبولاً سهلاً ومتحمساً بدون شك، وذلك بما فيها من نسبة مرتفعة جداً من الجمال والحساسية، في بعض الأحيان يمكن أن تأخذ النص الأصلي ولكن الذي يحدث معك أو مع غيرك هو أنّ التشويّهات المحتملة

أكبر مما أمكن أن يكون، وفي مرات أخرى ربما أعطى للنص الأصلي بعداً جمالياً أعلى من الذي يمكن أن يتضمنه. ولكن هذا قيل أيضاً عني في ترجماتي لقبّاني، الأقل الذي أستطيع قوله حول الموضوع هو أنّ هذا يجيب عن نقص مطلق في المعرفة بنصوص قبّاني التي هي أكثر جمالاً غير محدود من ترجمات بيدرو مارتينيث مونتابث.

(49)

س - لنهي الحديث نريد نصيحة للأجيال المستقبلية من المترجمين من العربية إلى الإسبانية؟

ج - لا شيء، فقط النصيحة الوحيدة التي أقدمها إلى أولئك هو ما قلته قبلاً، وهو أن يترجم خاصة ذلك الذي يحب كل واحد أن يترجمه، لأنّك إذا لم تجد في عملك بالترجمة رضا، فإنّك لن تترجم جيداً، أو ستكون الترجمة أكثر صعوبة بالنسبة لك، وفي الدرجة الثانية حاول أن تختار النصوص التي تكون ممثلة لموضوعها أو جنسها، فهذان المبدآن هما اللذان كانا دليلاً لي في عملي.

بعد ذلك فإنّ كل شخص يصنع من معطفه ثوباً، وأنا لا أتجرأ على أن أقول أكثر من هذا وأن أكون بالضبط جريئاً، وإذا لم تكن مستعداً للترجمة لا تترجم، شيء أساسي مثل هذا، وإن كان الواحد يحب أن يكون اليساري المتطرف لمدير إذا لم تكن لديك القدرة على أن تكونه فأعلنه إليهم، أليس كذلك؟

وانطلاقاً من هذا كل ما عدا ذلك هو ميدان مفتوح.

المصادر والمراجع

- 1 - بيليوغرافيا الأدب الأندلسي، ماريا خيسوس روبيرا ماتا، ترجمة عبد الله الزيات، أكاديمية الدراسات العليا طرابلس 2005.
- 2 - مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس والثلاثون مدريد 2003م.
- 3 - Camarero: Carmen Gómez: *Contribución del arabismo español a la Literatura árabe contemporanea, Universidad de Granada 1994.*
- 4 - Córdoba: Federico Corriente de, *Nuevo diccionario español árabe, Instituto espanoárabe de cultura. Madrid 1988.*
- 5 - Española: Real Academia; *Diccionario de la Lengua española, Academia real de lengua, pigésima primera edición, Madrid 1992.*
- 6 - Hernandez: Miguel Cruz "El profesor Martinez Montavez y la evolución de los Estudios Árabes islamicos en España" *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid, Numero especial, xxxv, Madrid 2003.*
- 7 - Molener: María, *Diccionario de uso del Español, Gredos Madrid 1991.*
- 8 - Montavez: Pedro Martínez:
- 9 - -*Introducción a la Literatura árabe moderna, Universidad de Granada 1994.*
- *Literatura árabe de hoy, CantArbia, Madrid 1990.*
- *El Poema es Filistín P Palestina en la poesía árabe actual, editorial Molinos de agua, Madrid 1980.*

- *Poetas árabes realistas: Madrid 1970.*

10- Torres: *Juan Pablo Arias y otros: Arabismo y traducción: Consejo superior de investigaciones científicas Madrid 2003.*





خمس دوائر متكاملة لحرك مجّمع اللّغة العربيّة

